جينيفر نيفين
JENNIFER NIVEN

كل الأماكن المشرقة

مكتبة ٢٨٥

All The Bright Places

قصة فتى يدعى فينش
وفتاة تدعى فيوليت

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

كل الأماكن المشرقة

All The Bright Places

قصة فتى يدعى فينش وفتاة تدعى فيوليت

مكتبة الرمحي أحمد

مكتبة | 285

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
ALL THE BRIGHT PLACES
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر
Alfred A. Knopf - NewYork
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.
Copyright © 2015 by Jennifer Niven
All rights reserved
Arabic Copyright © 2015 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

ردمك 978-614-01-1731-0

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (961-1+)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (961-1+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

تصميم الغلاف: علي القهوجي
التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611+)
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

مكتبة الرمحي أحمد

كل الأماكن المشرقة

All The Bright Places

قصة فتى يدعى فينش وفتاة تدعى فيوليت

مكتبة 285

جينيفر نيفين

JENNIFER NIVEN

ترجمة

ربى خدام

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

telegram @ktabpdf

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الإهداء

إلى أمي

بنلوب نيفين

إلى أكثر مكان مشرق رأته عيناي

لا بد أن تكسر الدنيا كل إنسان. ولكنْ، بعد هذه التجربـة تظهر قوة لدى الكثيرين؛ بالضبط فـي تلك المواضـع التـي كسرت داخلهم.

أرنست هيمنغواي

فينش

أنا يقظ مجدداً. اليوم السادس

هل اليوم مناسب للانتحار؟

هذا هو السؤال الذي طرحته على نفسي في الصباح حينما استيقظت من نومي، وكانت تلك هي المرة الثالثة التي حاولت فيها أن أبقي عينيّ مفتوحتين أثناء الحديث الممل الذي كان السيد شرويدر يسرده بلا انقطاع. كما سألت نفسي هذا السؤال حينما جلست إلى مائدة العشاء وتجاوزت طبق الفاصولياء الخضراء، وفعلت ذلك أيضاً في الليل حينما استلقيت على سريري مسهداً لأن عقلي لم يتوقف عن العمل بسبب كل تلك الأمور التي علي التفكير فيها.

هل اليوم مناسب لذلك؟

وإن لم يكن مناسباً، فمتى سيأتي ذلك اليوم؟

أخذت أطرح على نفسي هذا السؤال وأنا أقف قرب نافذة ضيقة تبعد ستة طوابق عن الأرض. لقد كنت في مكان مرتفع. نظرت إلى الرصيف تحتي، فمادت الأرض تحت قدميّ. أغمضت عينيّ، وأخذت أستمتع بالأشياء التي أخذت تدور حولي. لعلي أفعل ذلك هذه المرة، أي أدع الهواء يحملني بعيداً. سيكون ذلك أشبه بالطفو في بركة، وأشبه بالانسياب إلى أن يختفي كل شيء.

لم أتذكر كيف صعدت إلى هنا، بل لم أعد أتذكر كل ما جرى معي قبل يوم الأحد، أو كل ما جرى معي قبل هذا الشتاء. هذا ما يحدث لي كل مرة

حينما أكشف عني الغطاء ثم أنهض من سريري، وإنني في ذلك أشبه العجوز الملتحي ريب فان وينكل[1]، إذ بوسع الناس أن يفهموني في بعض الأحيان ثم يكتشفون أنهم لم يفهموا شيئاً مما أعنيه. قد يعتقد البعض أنني اعتدت على ذلك، غير أن هذه المرة الأخيرة كانت الأسوأ على الإطلاق؛ لأنني لم أذق طعم النوم منذ يومين، أو منذ أسبوع أو أسبوعين، لأنني كنت أنام أيام العطل، مثل رأس السنة. لذا، ليس بمقدوري أن أخبرك بما اختلف هذه المرة عن كل المرات. فحينما استيقظت، شعرت بأنني هذه المرة كنت ميتاً أكثر مما اعتدت في السابق. نعم، لقد استيقظت، لكنني كنت خاوياً تماماً من الداخل، وكأنني قد استنزفت.

كان ذلك هو اليوم السادس من الفترة التي بقيت فيها مسهداً مجدداً، وحصل ذلك خلال الأسبوع الأول بعد عودتي إلى المدرسة بعدما انقطعت عنها منذ الرابع عشر من شهر تشرين الثاني.

فتحت عينيّ، كانت الأرض لا تزال في مكانها، فبدت لي صلبة وثابتة في مكانها. أما أنا فقد كنت في برج جرس المدرسة الثانوية، وقد انتصبت واقفاً قرب إحدى النوافذ التي لا يزيد اتساعها عن أربعة إنشات. كان البرج صغيراً للغاية، ولا يتسع سوى لبضع أقدام من المساحة الإسمنتية التي تحيط بالجرس من سائر الجوانب، ثم يأتي ذلك الحاجز الحجري المنخفض الذي تسلقته لأصل إلى هنا، والذي كنت أضرب عليه بإحدى ساقيّ بين الفينة والأخرى؛ لأذكّر نفسي بأنه ما زال موجوداً في مكانه.

كنت أمدّ ذراعيّ وكأنني ألقي خطبة على مسمع تلك المدينة الصغيرة الغارقة في الكآبة. عندها صرخت: "سيداتي سادتي، يسعدني أن أرحب بكم في حفلة وفاتي!". قد تتوقع مني يا قارئ هذه السطور أن أستبدل كلمة وفاتي بحياتي؛ نظراً إلى كوني قد استيقظت من نومي وانتهى الأمر، إلا أنني حينما أستيقظ أفكر في الموت عادة.

أخذت أصرخ كما كان الواعظ في المدارس يفعل قديماً؛ حيث قمت بهز رأسي، فيما ارتعشت المقاطع الصوتية الأخيرة من كلماتي. حينها، شعرت بأنني

(1) الشخص الذي يهتم بالتغيرات على الصعيد الاجتماعي. (المترجمة)

مكتبة الرمحي أحمد

كدت أفقد توازني، فتشبثت بالحاجز خلفي، وشعرت بالسعادة لأن أحداً لم يلحظ ما حدث لي؛ لأنه من الصعب أن تبدو شخصاً شجاعاً فيما أنت متمسك بالحاجز كفرخ صغير. أجل، كان علي أن أواجه تلك الحقيقة.

هتفت: "إنني تيودور فينش- وأنا لا أتمتع بكامل قواي العقلية- أتخلى عن كل ممتلكاتي الدنيوية لشارلي دوناهيو وبريندا شانك- كرافيتس ولشقيقتي. أما الآخرون فبوسعهم الذهاب إلى الج..."، المقصود جهنم، لكنني لم أقل ذلك. فقد تعلمت من أمي منذ نعومة أظفاري ألا أتلفظ بأي كلمة نابية، بل أن أنطق الحرف الأول منها فقط (هذا إن كان يتوجب عليّ استعمالها في المقام الأول) ومن الأفضل ألا أتلفظ بها. وللأسف، هذا ما بقي معي طيلة حياتي.

وبالرغم من ذلك قرع الجرس، وأخذ بعض زملائي في الصف يتجولون في الأسفل. إنه الأسبوع الأول من الفصل الثاني للسنة الأخيرة في المدرسة، ولهذا بدا لي كل منهم مرهقاً ولا ينتمي لذلك المكان. ثم نظر أحدهم باتجاهي وكأنه قد سمعني، إلا أن الآخرين لم يحذوا حذوه؛ إما لأنهم لم يلحظوني، أو لأنهم يعرفون أنني هنا؛ وكأنهم قالوا لأنفسهم: *أوه حسناً، كل ما هنالك أن تيودور المجنون هناك.*

غير أن ذلك الرأس الذي لاحظني صاحبه استدار بعيداً عني، وأخذ يشير نحو السماء. اعتقدت في البداية أنه كان يشير نحوي، لكنني في تلك اللحظة بالذات رأيتها؛ رأيت تلك الفتاة. كانت تقف على بعد بضع أقدام مني، في الجانب الآخر من البرج، عند النافذة أيضاً، وكان شعرها الأشقر الغامق يطير مع هبات النسيم، أما تنورتها فكانت تتحرك وكأنها مظلة هبوط. وبالرغم من أننا كنا في شهر كانون الثاني في إنديانا، إلا أنها لم تكن تنتعل حذاء، بل كانت تمسك جزمتها بيدها، وتحدق إما إلى موضع قدميها أو إلى الأرض؛ لم يكن بوسعي تحديد المكان الذي تنظر إليه، إلا أنها بدت لي مسمّرة في مكانها.

عندها، قلت لها بصوتي العادي البعيد كل البعد عن الوعظ، وبهدوء بالغ: "اسمعي مني، إن أسوأ شيء يمكنك القيام به هو النظر إلى الأسفل".

وببطء شديد، أخذت تحرك رأسها باتجاهي. كنت أعرف هذه الفتاة، أو على الأقل سبق لي أن رأيتها في ممرات المدرسة، لكنني لم أستطع منع نفسي من القول:

"أتأتين إلى هنا كثيراً؟ لأن هذا مكاني، ولا أتذكر أنني رأيتك هنا قبل اليوم".

لكنها لم تضحك، ولم ترمش بعينيها، بل أخذت تحدق إليّ من خلف عدستي نظارتها السميكة التي كانت تغطي وجهها، ثم حاولت أن تعود خطوة إلى الوراء، وعندها ضربت الحاجز بقدمها، فاختل توازنها بعض الشيء. لكن قبل أن تصرخ هتفت بها: "لست أدري ما الذي أتى بك إلى هنا، أما بالنسبة إليّ، فمن هنا تبدو القرية أجمل وناسها ألطف؛ حتى إن أسوأ من فيهم يبدو لي لطيفاً من هنا، باستثناء غابي روميرو وأماندا مونك وسائر أفراد تلك المجموعة التي تتسكعين معها".

كان اسمها فيوليت، لكنني لم أتذكر اسم عائلتها. وكانت مشجعة رياضية معروفة، أي من الفتيات اللواتي لا يخطر ببالك أنهن قد يصعدن للوقوف على حافة نافذة ضيقة تبعد ستة طوابق عن الأرض. ومن خلف نظارتها القبيحة، بدت لي جميلة كدمية صينية؛ إذ كانت عيناها واسعتين، ووجهها الجميل يظهر على شكل معين، أما فمها فكان يرغب في أن يتقوس في ابتسامة صغيرة كاملة. لقد كانت من بين الفتيات اللواتي واعدن فتياناً من أمثال ريان كروس نجم كرة البيسبول، وجالسن أماندا مونك، وغيرها من ملكات النحل خلال فترة الغداء.

هتفت بها: "لكن، علينا أن نواجه الحقيقة. فكلانا لم نصعد إلى هنا لنستمتع بالمنظر، ثم إن اسمك هو فيوليت، أليس كذلك؟".

فرمشت بعينيها مرة واحدة، وفهمت من ذلك أنها أجابتني بنعم.

ثم قلت لها: "أنا تيودور فينش، وأعتقد أننا التقينا كزميلين خلال السنة الماضية".

فما كان منها إلا أن رمشت بعينيها مرة ثانية.

قلت لها: "أكره الرياضيات، لكن ذلك ليس سبب صعودي إلى هنا، ولن يضيرني شيء إن كان ذلك هو السبب في مجيئك. ومن المحتمل أنك أفضل مني في الرياضيات؛ لأن الجميع تقريباً يتفوقون عليّ في هذه المادة، لكن الأمر على ما يرام، وقد تعودت على ذلك؛ لأنني متفوّق في أمور أهم من الرياضيات، كالغيتار والتعامل مع الفتيات. وإن ما يشعر أبي بالإحباط على الدوام أنني لا أذكر

سوى القليل من الأمور التي أتميز فيها. بالمناسبة، أعتقد أننا لن نستخدم الرياضيات في حياتنا الواقعية على ما يبدو".

أخذت أتكلم بلا انقطاع، غير أنني شعرت بأن طاقتي قد نفدت، وعليّ أن أتوقف عن الكلام قليلاً لأقوم بشيء ما، وذلك لأن كلماتي لم تكن وحدها التي ترتجف (*ملحوظة لنفسي: قبل أن تحاول أن تنهي حياتك، تذكر أن تجد لنفسك مخرجاً*) ثم إن السماء بدأت تمطر؛ ممّا يعني أن المطر سيتحول غالباً إلى ثلج قبل أن يصل إلى الأرض بسبب درجة الحرارة المنخفضة هذه.

هتفت: "لقد بدأت تمطر". وكأنها لم تكن ترى ذلك، ثم تابعت: "أعتقد أن جدلاً سيثار حول ما إذا كانت الأمطار ستغسل الدم، وتمحي أثره، وتتركنا كفوضى مشوشة لكنها مرتبة حيث يسهل تنظيف المكان الذي كنا فيه. إلا أن الجزء المشوش فيّ هو ما يجعلني أفكر. فأنا لست شخصاً مغروراً، ولكنني من البشر، كما أنني لا أعرفك- لكنني لا أريد أن أبدو كحطاب في جنازتي".

لم أستطع أن أميز إن كانت ترتجف أو تهتز، ولهذا اقتربت منها ببطء شديد، وكلي أمل بألا أهوي قبل أن أصل إليها؛ لأن آخر شيء كنت أريده أن يحدث هو أن أجعل من نفسي أضحوكة أمام هذه الفتاة، لذا قلت: "لقد أوصيت بحرق جثتي إلى أن تتحول إلى رماد؛ إلا أن أمي لا تحب ذلك". كما أن أبي يفعل كل ما تريده، ولن يزعجها أكثر مما سبق له أن فعل، بل سيقول لي: *لا تزال صغيراً على التفكير في ذلك. كما أنك تعرف أن جدك فينش قد عاش حتى بلغ الثامنة والتسعين من العمر، ولهذا يجب ألا نفتح هذا الموضوع الآن، وأرجو منك يا تيودور ألا تزعج والدتك.*

تابعت قائلاً: "وهكذا، سيكون نعشي مفتوحاً. ممّا يعني أنني إذا قفزت فلن يكون ذلك لطيفاً، كما أنني أتمنى أن يبقى وجهي سليماً كما هو عليه الآن، حيث تبقى عيناي في مكانيهما، وكذلك أنفي وفمي، وكل أسناني التي تعتبر من أجمل ملامح وجهي بصراحة". وهنا ابتسمتُ لتتمكن من رؤية ما كنت أحدثها عنه. في ذلك الحين، كان كل شيء في مكانه، خارجياً على الأقل.

وحينما لم تنبس ببنت شفة، أخذت أقترب منها أكثر وأنا أحدثها وأقول:

"وبالإضافة إلى ذلك، إنني أشعر بالرهبة من حفار القبور. فيا لها من مهنة مقرفة تلك التي يمتهنها، والتي يجب أن يقوم بها أحد ما على أي حال؛ وخاصة حينما يتعلق الأمر بالتعامل مع شخص حقير مثلي".

وفجأة، سمعت أحدهم يصرخ من الأسفل: "فيوليت! أليست تلك فيوليت التي تقف هناك؟".

فقالت بصوت منخفض بالكاد استطعت سماعه: "يا الله". ثم كررت: "يا الله... يا الله... يا الله". فأخذت الريح تلعب بتنورتها وشعرها، وبدت لي وكأنها على وشك أن تطير.

وتناهى إلى سمعنا صوت جلبة صادرة من الأرض، فصرختُ: "لا تحاولوا إنقاذي، لأنكم بذلك ستودون بأنفسكم إلى التهلكة!". ثم قلت لها بصوت منخفض: "ها قد أتى ما يتوجّب علينا القيام به". كنت أبعد عنها مسافة قدم واحدة فقط، فقلت لها: "أريد منك أن ترمي حذاءك باتجاه الجرس، ثم أن تمسكي بالحاجز، أي أن تتمسكي به. وحينما تصلين إليه، عليك أن تتكئي عليه وترفعي قدمك اليمنى إلى الأعلى، ثم فوقه، أفهمت؟".

هزت برأسها فبدت لي وكأنها قد فقدت توازنها، لذا قلت لها:

"لا تهزي رأسك. ومهما حدث لك، لا تخطئي في الجهة، ولا تتجهي إلى الأمام بدلاً من الخلف. سأعد لك، وستقومين بذلك عندما أصل بالعد إلى الرقم ثلاثة".

فما كان منها إلا أن رمت حذاءها باتجاه الجرس، فسقط محدثاً ضجة بسبب ارتطامه بالجوانب الإسمنتية.

أخذت أعد: "واحد، اثنان، ثلاثة".

عندها، أمسكت بحجارة الحاجز، ثم رمت نفسها عليه، ووضعت ساقها عليه، ورفعتها فوقه، حيث أصبحت تجلس على ذلك الحاجز.

بعد ذلك، أخذت تحدق إلى الأرض، فلمحت في عينيها نظرة الجمود نفسها مرة أخرى، ممّا دفعني إلى القول لها: "جيد، عظيم. لكن عليك أن تكفي عن النظر نحو الأسفل".

أخذت تنظر نحوي ببطء، ثم حاولت أن تصل إلى أرضية برج الجرس بقدمها اليمنى، وحين لمستها هتفت بها: "والآن، عليك أن ترفعي ساقك اليسرى فوق الحاجز بأي طريقة كانت، من دون أن تتركيه". لكنها في تلك اللحظة كانت ترتجف بشدة، لدرجة أنني سمعت أسنانها وهي تصطك. وهكذا، أخذت أراقبها وهي تدفع قدمها اليسرى لتنضم إلى اليمنى، إلى أن أصبحت بسلام.

بعد ذلك، لم يبقَ هناك إلا أنا، فأخذت أحدق إلى الأسفل للمرة الأخيرة؛ باتجاه الأرض، متجاوزاً جسمي، والذي لم يتوقف عن النمو بعد. كنت أنتعل حذاء رياضياً ذا شريط لامع. وبالطبع، تجاوزت النظر إلى كل ذلك، ورحت أجول ببصري بين النوافذ المفتوحة في الطابق الرابع، فالثالث، فالثاني، ثم تجاوزت أماندا مونك التي كانت تثرثر فوق الدرجات الأمامية في الوقت الذي كان فيه شعرها الأشقر يطير كشعر المهر، وكانت ترفع كتبها فوق رأسها في محاولة منها لحماية نفسها من المطر الذي كان يهطل في ذلك الحين.

تجاوزت كل ذلك المشهد لأحدق إلى الأرض نفسها، والتي كانت قد أصبحت ملساء ومبللة، وأخذت أتخيل نفسي وأنا ممدد فوقها، ورحت أقول لنفسي:

بوسعي أن أقفز. خطوة واحدة وسينتهي كل شيء في غضون ثوانٍ معدودة، ولن أسمع بعد ذلك عبارة: "تيودور المجنون"، ولن أتعرض إلى أي تجريح بعد الآن، بل لن يحدث لي أي شيء بعد ذلك.

حاولت أن أبتعد عن أي محاولة غير متوقعة لإنقاذ حياتي ومن ثم العودة لممارسة الحياة اليومية كما كانت عليه، وللحظة، كان بإمكاني أن أشعر بذلك؛ ذلك الإحساس بالسلام، كما لو أن الأفكار هدأت داخل عقلي، وكأنه قد سبق لي أن مت قبل ذلك. في تلك اللحظة، شعرت بحالة من انعدام الوزن والتحرر؛ إذ لم يعد هناك ما أخشاه، أو من أخشاه، حتى نفسي.

وفجأة، تناهى إلى مسمعي صوت من خلفي يقول لي: "أريد منك أن تتمسك بالحاجز. وحينما تفعل ذلك، عليك أن تتكئ عليه، ثم يجب أن ترفع قدمك اليمنى فوقه، ثم عليك أن تضعها عليه".

وهكذا، بدأت أشعر باللحظة وهي تمر، ولعلها كانت قد انقضت قبل ذلك، وأصبح كل ما أفكر فيه أشبه بفكرة غبية؛ باستثناء ما كنت أتخيله عن شكل وجه أماندا وأنا أحلق في الهواء بالقرب منها. وهكذا، أخذت أضحك على تلك الفكرة. أجل، ضحكت كثيراً لدرجة أنني كدت أقع من مكاني، مما أوقع الرعب في قلبي، فبدا الأمر وكأنه قد أخافني بالفعل، إلا أنني سيطرت على نفسي. وأمسكت فيوليت بي، فيما أخذت أماندا تنظر إلى الأعلى، ثم سمعت أحدهم يصرخ: "يا مجنون!". وكان ذلك صوت أماندا التي زمت فمها الكبير، ثم رفعت وجهها نحو السماء وهتفت: "هل أنت بخير يا في[1]؟".

عندها، اتكأت فيوليت على الحاجز وهي لا تزال ممسكة بساقي، ثم ردت: "أنا بخير".

بعد ذلك، سمعنا صوت الباب الموجود في أعلى سلم درجات البرج وهو يفتح محدثاً صريراً، ثم ظهر أعز أصدقائي؛ وهو شارلي دوناهيو. لقد كان شارلي أسود البشرة، ولم يأتِ سواد بشرته بسبب الأحوال الجوية، بل لأنه ولد أسود البشرة، كما أنه تعرض لمصائب كثيرة في حياته؛ أكثر من أي شخص آخر أعرفه.

وهنا سمعته يقول: "سيقدمون وجبة البيتزا اليوم". وكأنني لم أكن واقفاً على حافة نافذة ضيقة تقع في الطابق السادس، وهذا ما دفعني لمد ذراعي، إلا أن الفتاة أمسكت بي بشدة حول ركبتي.

ثم سمعت صوت أحدهم وهو يقول: "لِمَ لا تقوم بذلك وتنتهي من هذا الأمر أيها المجنون؟". لقد كان ذلك صوت غابي روميرو الشهير باسم *المتسكع*، والمعروف بلقب *الغبي*، وقد كان يصرخ من الأسفل؛ مما تسبب في المزيد من الضحك.

عندها فكرت في سري: *بعبارة بذيئة*، غير أنني لم أنطق بتلك العبارة، وذلك لأنه من العجز التفوه بها. كما أنه- وبصراحة- كان سيصعد إليّ، وسيضربني على وجهي، ثم يقوم بإلقائي من تلك النافذة إن قلت ذلك، وهذا ما سينهي فكرة قيامي بذلك بنفسي.

---

(1) المقصودة هي فيوليت. (المترجمة)

لكنني عوضاً عن ذلك صرخت قائلاً: "شكراً لك على إنقاذي يا فيوليت. لست أدري ما الذي كنت سأفعله لو لم تأتي إلى هنا. أعتقد أنني كنت سأفارق الحياة لو لم تقومي بذلك".

كان آخر وجه رأيته في الأسفل هو وجه موجِّه المدرسة السيد إمبري. إذ حينما بدأ يحدق إليّ أخذت أفكر في سري وأقول: *عظيم... عظيم بالفعل، هذا ما كان ينقصني!*

بعد ذلك، سمحت لفيوليت بأن تقدّم لي المساعدة لأصعد فوق الحاجز الإسمنتي. وهكذا، سمعنا صوت تصفيق في الأسفل. وبالطبع، لم يكن التصفيق موجهاً لي، بل لفيوليت البطلة. وبما أنني حظيت بفرصة الاقتراب منها، صار بوسعي أن أكتشف مدى نعومة بشرتها وصفائها؛ باستثناء النمش الموجود على خدها الأيمن. أما عيناها فكانتا بلون أخضر مائل إلى الرمادي؛ مّما جعلني أفكر في السقوط، لأن هذا هو لون العينين الذي يأسرني. لقد كانت عيناها واسعتين ولافتتين للنظر، وكأنها ترى كل شيء حولها. ومع كل هذا الدفء الذي يشع من عينيها، كانتا تبدوان مشغولتين وبعيدتين كل البعد عن الفراغ والتفاهة. كانتا من ذلك النوع الذي بوسعه أن ينظر إليك مباشرة حتى من خلف عدستي نظارة حسب ما رأيته. لقد كانت جميلة وطويلة، ولكنها لم تكن فارعة الطول. أما ساقاها فكانتا طويلتين وتظهران بوضوح قلقها وعصبيتها، وقد أظهر ردفاها انحناءات جسمها؛ وهذا ما كنت أحبه في الفتاة، وذلك لأن معظم الفتيات في المرحلة الثانوية تشبه أجسامهن عادة أجسام الفتيان.

وهنا سمعتها تقول: "لقد كنت جالسة هناك فوق الحاجز، ولم آتِ إلى هنا لـ...".

فقلت لها: "اسمحي لي أن أقول لك شيئاً: هل تعتقدين بوجود ما يسمى باليوم الرائع؟".

ردت: "ماذا؟".

أجبتها: "تبدأ نهاية اليوم الرائع حينما لا يقع أمر سيئ أو محزن أو اعتيادي. إذاً، هل تعتقدين أن ذلك أمر ممكن؟".

ردت: "لست أدري".

سألتها: "هل مر عليك يوم رائع؟".

أجابت: "كلا".

فقلت لها: "وأنا أيضاً. لكنني أتطلع إلى ذلك اليوم".

وهنا سمعتها همس وتقول: "أشكرك يا تيودور فينش". ثم مدت جسمها وطبعت قبلة على وجنتي. وفي تلك اللحظة، كان بوسعي أن أشمّ رائحة الشامبو الذي كانت تستعمله، والذي ذكرني برائحة الأزهار. ثم هتفت في أذني بصوت منخفض: "سأقتلك إن أخبرت أي شخص بما جرى معنا". بعد ذلك، حملت جزمتها، ومضت بسرعة بعيداً عن المطر، حيث عبرت الباب الذي يفضي إلى السلم الذي يشتمل على درجات قاتمة وآيلة للسقوط، والتي تفضي بدورها إلى الدور السفلي، حيث تصل بك إلى أحد الممرات المشرقة والمزدحمة داخل المدرسة.

كان شارلي يراقب فيوليت أثناء ذهاها، وحينما أغلقت الباب خلفها بعد خروجها، استدار نحوي ثم قال: "لَم فعلت كل هذا يا رجل؟".

أجبته: "لأننا سنموت في يوم ما، لذا كل ما أردته هو أن أستعد لتلك اللحظة". وبالطبع، لم يكن ذلك هو السبب الحقيقي، إلا أن هذا السبب يبدو كافياً بالنسبة له. وفي الحقيقة، ثمة أسباب كثيرة لقيامي بذلك، ومعظم تلك الأسباب كان يتغير بصورة يومية؛ كما حدث لي حينما سمعت بخبر طلاب الصف الرابع البالغ عددهم ثلاثة عشر طالباً، والذين لقوا حتفهم في مطلع هذا الأسبوع على أيدي بعض الحقيرين الذين أطلقوا النار عليهم داخل النادي الرياضي التابع لمدرستهم، أو بسبب موت الفتاة التي سكنت في المبنى الذي يقع خلف المبنى الذي أقطن فيه لمدة سنتين، والتي توفيت للتو بسبب مرض السرطان، أو بسبب الرجل الذي رأيته واقفاً خارج مركز السينما وهو يركل كلبه، أو بسبب أبي.

قد يخطر ببال شارلي أنني شخص غريب الأطوار، إلا أنه لا يتفوه بذلك مطلقاً، وهذا ما جعله أعز أصدقائي، وثمة أمر آخر يعجبني فيه؛ ألا وهو أنه ليس ثمة أشياء كثيرة مشتركة بيننا.

وعملياً، يمكن القول إنني في مرحلة تجريبية هذه السنة. ويعود سبب ذلك إلى مشكلة صغيرة لها علاقة بمقعد ولوح طبشور (وللأمانة أقول إن استبدال لوح الطبشور أمر مكلف أكثر مما يتوقع المرء)، كما يتعلق ذلك بحادثة تحطيم غيتار خلال أحد الاجتماعات، والاستخدام غير المشروع للألعاب النارية، وأيضاً بسبب مشاجرة أو اثنتين. ممّا يعني أنني بالنتيجة قد وافقت مكرهاً على الأمور التالية: الحصول على مشورة بشكل أسبوعي، المحافظة على معدل الدرجة ب التي تعتبر مرتفعة، المشاركة في مقرر إضافي واحد على الأقل. وهكذا، اخترت مقرر صنع المخرمات، نظراً إلى كوني الشاب الوحيد بين عشرين فتاة جذابة إلى حد ما في هذا المقرر؛ وهذا بحد ذاته أمر غريب تماماً بالنسبة إليّ. كما كان ينبغي لي أن أتصرف بشكل لائق، وأمزح مع الآخرين بأدب، وأُحجم عن رمي المقاعد، وأتجنب الخوض في أي "عراك جسدي عنيف"، وعليّ أن أكبح لساني دوماً ومهما حصل معي؛ وذلك لأنني إن لم أقم بذلك فستبدأ المشاكل بالحدوث لي على ما يبدو. فإن قمت بشتم أي كان من الآن فصاعداً، فهذا يعني أنني سأطرد من المدرسة.

دخلت مكتب التوجيه، ومررت بأمينة السر، ثم جلست فوق أحد الكراسي الخشبية القاسية؛ إلى أن أصبح السيد إمبري جاهزاً لاستقبالي. ولو كنت أعرف ذلك السُّقط[1] - كما كنت أسميه في سري- كما أعرفه الآن، فأنا واثق من أنه لا بد أن يسألني عن الحماقة التي كنت أقوم بها في برج الجرس. وإن حالفني الحظ، لن يكون لدينا متسع من الوقت لنتطرق إلى جوانب الموضوع كافة.

وخلال دقائق معدودة لوّح لي بالدخول. كان إمبري رجلاً قصير القامة، وقويّ البنية كالثور. وحينما أغلق الباب أخذ يبتسم، ثم جلس واستند إلى مكتبه، وبعدها ثبّت نظره عليّ وكأنني متهم ويجب عليه أن ينتزع مني الاعترافات، ثم سألني: "ما الذي كنت تفعله في برج الجرس!؟".

---

(1) استخدمت الكاتبة هذا اللقب لهذه الشخصية أولاً للتشابه بين لفظ اسمها "Mr. Embry" وكلمة السُّقط بالإنكليزية "Embryo"، وثانياً بسبب الصفات الجسدية لتلك الشخصية. (المترجمة)

إن أكثر ما أحبّه في شخصية هذا السُّقط ليس أنه بإمكاني توقّع ردات فعله فحسب، بل أنه مباشر في طرحه للمواضيع. وأنا أعرفه منذ السنة الثانية لدراستي في هذه المدرسة.

أجبته: "كنت أريد أن أشاهد المنظر من هناك".

سألني: "هل كنت تخطط للقفز من هناك؟".

أجبته: "ليس في يوم توزيع البيتزا على الإطلاق، والذي أعتبره أفضل أيام الأسبوع". عليّ أن أذكر هنا أنني بارع في حرف المواضيع عن مسارها؛ لدرجة أنه بوسعي الحصول على منحة دراسية كاملة للدراسة في الجامعة والتخصص في ذلك المجال لولا تخصصي في مجال الفنون.

توقّعت منه أن يسألني عن فيوليت، لكنه قال لي بدلاً من ذلك: "لا بد لي من معرفة إن كنت أو ما زلت تخطط لإيذاء نفسك. وأنا جاد في ذلك كل الجدية؛ فلو سمع المدير فيرتس عن ذلك، فلا بد لك من مغادرتنا قبل أن تسمع كلمة "تعليق" أو ما هو أسوأ منها. ناهيك عن أنه إن لم أهتم أنا بالموضوع، وقررت أنت أن تصعد مرة أخرى لذلك المكان الشاهق لتقفز منه، فلابد وأن يتوجه تفكيري نحو القضية التي سترفع ضدي، والأجر الذي سيدفعونه لي وقتها. وعليك أن تصدقني حينما أقول لك بأني لا أملك ما يكفي من المال للدخول في منازعة قضائية، وهذا ما سيحدث لي بالفعل سواء أقفزت من برج الجرس أو برج بورينا، وسواء أكان ذلك ضمن بناء المدرسة أم لا".

أخذت أفرك ذقني وكأنني كنت غارقاً في التفكير ثم قلت: "برج بورينا، أصبحت لدي الآن فكرة جديدة".

بيد أنه لم يتزحزح عن موقفه قيد أنملة، بل نظر إليّ شزراً؛ شأنه في ذلك شأن معظم الغربيين الذين لا يتحلّون بروح الدعابة، خاصة إذا تعلق الأمر بمواضيع حساسة، ثم قال: "ليس ثمة ما يضحك في الأمر يا سيد فينش، فتلك ليست نكتة".

أجبت: "أجل يا سيدي، أستميحك عذراً".

فقال لي: "إن الأمر الذي لا يركز عليه الشخص الذي يخطط للانتحار هو حالة اليقظة لديه. إذ لا يتعلق الأمر بأبويه وإخوته فحسب، بل أيضاً بأصدقائه

مكتبة الرمحي أحمد

وصديقاته المقربات وزملائه في المدرسة ومعلميه". وبالفعل، أعجبتني الطريقة التي كان يفكر فيها، والتي أظهر من خلالها أن لدي الكثير من الأشخاص الذين يعتمدون عليّ؛ بمن فيهم صديقاتي المقربات، إذ لم يذكر مجرد صديقة واحدة.

أجبته: "كنت أتسكع فقط. وأعترف بأنها ليست طريقة مناسبة لتمضية الفصل الأول".

رأيته يمسك بملف ويضعه أمامه ثم يبدأ بتقليب صفحاته. وأخذت أنتظره وهو يقرأ، ثم نظر إليّ بعد ذلك مجدداً، وعندها تساءلت عمّا إذا كان يعدّ الأيام التي تفصلنا عن الصيف.

بعد ذلك، وقف كما يفعل أي شرطي يظهر على شاشة التلفاز، وسار حول مكتبه إلى أن أصبح فوق رأسي، ثم انحنى نحو مكتبه وشبك ذراعيه، فأبعدت نظري عنه بحثاً عن المرآة المخفية ذات الوجهين.

وهنا سألني: "هل علي استدعاء والدتك؟".

أجبته: "كلا، وألف كلا". ثم كررت في سري: *كلا... كلا... كلا...* وبعدها، تابعت كلامي معه قائلاً: "في الحقيقة، لقد كان من الغباء القيام بأمر كهذا. إلا أن كل ما كنت أريده هو أن أعيش تلك اللحظة التي أشعر فيها بذلك الإحساس الذي يغمر المرء حينما يقف هناك وينظر إلى الأسفل؛ ممّا يعني أنني لم أكن أفكر بالقفز من برج الجرس".

رد عليّ: "إن حدث ذلك مرة أخرى، وإن حدث أن فكرت في ذلك كثيراً مجدداً، فلا بد أن أتصل بها، وبعدها عليك أن تخضع لاختبار المخدرات".

أجبته: "أقدر قلقك عليّ يا سيدي". وهنا حاولت أن أبدو صادقاً للغاية؛ لأن آخر ما كنت أتمناه هو أن أجد نفسي ضمن بقعة ضوء أكبر وأكثر إشعاعاً، حيث يمكن لتلك البقعة أن تتبعني عبر قاعات المدرسة لتصل إلى كل جزء من أجزاء حياتي- كما سبق أن حدث- إلا أن ما شعرت به وقتها هو أنني أحب ذلك السُّقط بالفعل، ولذلك قلت له: "وبالنسبة إلى موضوع المخدرات برمته، لا حاجة إلى أن نضيّع وقتنا الثمين عليه، صدّقني، باستثناء عملية عد لفافات التبغ. فأنا والمخدرات لا يمكننا أن نلتقي في مكان واحد، صدّقني يا سيدي؛ فقد

جربتها". ثم شبكت أصابعي كولد مطيع وتابعت قائلاً: "وبالنسبة إلى موضوع برج الجرس، وبالرغم من أن الأمر لا يصل إلى حدود ما فكرت فيه يا سيدي، إلا أنني أعدك بألا يتكرر ذلك".

فأجابني: "حسناً، لن يحدث ذلك. ومع ذلك، أريد منك أن تأتي إلى هنا مرتين في الأسبوع بدلاً من مرة، أي يومي الاثنين والجمعة، وذلك لتتحدث إليّ، وهكذا يمكنني أن أكتشف مدى تقدمك".

فقلت له: "إنني أشعر بسعادة بالغة يا سيدي. أقصد أنني أحب، بل أستمتع بكل تلك الحوارات التي أجريها معك، لكنني بخير".

أجابني: "إن الأمر غير قابل للتفاوض. ولهذا، دعنا الآن نناقش مرحلة نهاية الفصل الأخير؛ وذلك لأنك تغيبت عن المدرسة لمدة أربعة أو خمسة أسابيع تقريباً، وقد أخبرتنا والدتك أنك تغيبت بسبب مرضك الناتج عن إصابتك بنزلة برد".

لا بد أنه كان يتحدث عن شقيقتي كيت، لكنه لم يكن يدري ذلك. فهي التي اتصلت بالمدرسة حينما كنت غائباً، وذلك لانشغال أمي بأمور أخرى.

أجبته: "إن كان ذلك ما قالته، فلم علينا أن نتجادل حيال ذلك؟".

لقد كنت مريضاً فعلاً، ولكن مرضي لم يكن من السهل شرحه كما هي حال نزلة البرد. فمن تجربتي الشخصية، تعلمت أن الناس يصبحون أكثر تعاطفاً إن كان بوسعهم أن يروا معاناتك. وللمرة المليون في حياتي تمنيت أن أصاب بالحصبة أو الجدري أو غيرهما من الأمراض التي يمكن ملاحظتها بسهولة؛ وذلك لكي يسهل علي شرح ما أعانيه للآخرين، وليسهل عليهم ملاحظة معاناتي. لذا، إن أي شيء آخر سيبدو أفضل من الحقيقة المتمثلة في أنني *تقوقعت على نفسي، وأصبحت أعاني من فراغ داخلي. ففي لحظة ما كنت أدور حول نفسي، وفي اللحظة التي تلتها كان عقلي يجرجر نفسه ضمن دوائر، ككلب عجوز مصاب بالتهاب المفاصل ويحاول أن يتمدد على الأرض. وكل ما قمت به بعد ذلك هو أنني تقوقعت على نفسي ونمت؛ إلا أن نومي لم يكن شبيهاً بالنوم الذي يحظى به المرء كل ليلة، بل كان أشبه بالنوم لفترة طويلة ومظلمة لا أحلام فيها.*

وهنا، قام ذلك السُّقط بتضييق عينيه مرة أخرى حيث أصبحتا كعيني من

يعاني من الحول، ثم أخذ يحدق إليّ بجدية في محاولة منه لجعلي أتعرق من الخوف، ثم قال: "وهل يمكننا أن نتوقع منك أن تداوم، وأن تتخلص من المشكلات التي تعاني منها خلال هذا الفصل الدراسي؟".

أجبت: "بكل تأكيد".

فتابع: "وأن تتابع الأنشطة والأعمال الصفية؟".

أجبته: "أجل، يا سيدي".

فقال: "لقد رتبت مع الممرضة لخضوعك لاختبار المخدرات". ثم وجّه إصبعه نحوي وهو يشير إليّ قائلاً: "إن الفترة التجريبية فترة اختبار لمدى جدارة الشخص، وعلى الطالب أن يقوم خلالها بتحسين أدائه، ويمكنك أن تبحث عن معنى هذه الكلمة في القاموس إن لم تصدقني. فأنا أريدك أن تبقى على قيد الحياة؛ قسماً بالله".

غير أن الشيء الذي لم أتفوه به هو: وأنا أريد أن أبقى على قيد الحياة. والسبب في امتناعي عن قول ذلك هو أنه لن يصدقني؛ فالدليل موجود أمامه في ذلك الملف السميك. وثمة شيء آخر لن يصدقه أيضاً، وهو أنني أحارب لأبقى هنا في هذا العالم المقرف والمشوش. ثم إن الوقوف على حافة نافذة برج الجرس الضيقة أمر لا علاقة له بالموت، بل يتعلق بالسيطرة، وبعدم العودة إلى النوم مجدداً.

أخذ ذلك السُّقط يتجول حول مكتبه ويجمع رزمة من كتيبات سلسلة "مشكلات المراهقين"، ثم أخبرني أنني لست وحدي، وأنه بوسعي أن أتحدث إليه دوماً؛ فبابه مفتوح لي. فهو هنا، وقد قرر أن يراني أيام الاثنين أيضاً. كنت أريد أن أقول لها وقتها: دون أن تشعر بالإهانة بسببي؟ لكن ذلك لم يبعث الراحة داخلي. لكنني شكرته عوضاً عن ذلك، وذلك بسبب الهالتين القاتمتين اللتين بدتا حول عينيه، فضلاً عن الخطوط التي حفرت أخاديد حول فمه. ولعله كان حينها سيشعل لفافة تبغ سرعان ما أغادر مكتبه. لذا، أخذت معي رزمة كبيرة من الكتيبات وتركته، وتذكرت أنه لم يذكر اسم فيوليت ولو مرة، ممّا أشعرني بالارتياح.

فيوليت

154 يوماً قبل التخرج

الزمان: صباح يوم الجمعة. المكان: مكتب السيدة ماريون كريزني موجهة المدرسة، والتي تتمتع بعينين صغيرتين تنمان عن لطف كبير، وابتسامة عريضة بالنسبة إلى وجهها. وبحسب الشهادة المعلقة على الجدار فوق رأسها، تخرجت هذه السيدة من ثانوية بارتليت منذ خمسة عشر عاماً، وكان هذا اللقاء هو اللقاء الثاني عشر الذي جمعنا.

كان قلبي لا يزال ينبض بسرعة، ويداي ترتجفان من فكرة الوقوف فوق حافة تلك النافذة، وقد سرت البرودة في سائر أوصالي. وكان كل ما أريده وقتها هو أن أتمدد، لذا أخذت أنتظر السيدة كريزني لتقول لي: *إنني أعرف ما كنت تفعلينه خلال الحصة الأولى يا فيوليت ماركي، كما أن والديك في طريقهما إلى هنا، أما الأطباء فهم ينتظرون تلك اللحظة التي سيرافقونك فيها إلى المصحة العقلية القريبة من هنا.*

غير أننا بدأنا كما كنا نفعل دوماً.

حيث سألتني: "كيف حالك يا فيوليت؟".

أجبتها: "بخير وأنت؟". ثم جلستُ فوق يدي.

فردت: "وأنا بخير. فلنتحدث عنك، فأنا أود أن أعرف شعورك الآن".

أجبت: "بخير". لكن مجرد عدم قيامها بطرح ذلك الموضوع لا يعني أنها لم تكن تعرف شيئاً عنه، فهي لا تسأل عن أي شيء بشكل مباشر في أغلب الأحيان.

سألتني: "كيف حال نومك؟".

كانت الكوابيس قد بدأت تنتابني بعد مرور شهر على الحادث، ولهذا كانت تسألني في كل مرة أراها فيها عن تلك الكوابيس، وذلك لأنني أخطأت مرة وذكرت ذلك الموضوع لأمي فقامت بإخبار هذه السيدة عنه، فكان هذا سبباً من الأسباب الرئيسة التي جعلتني آتي إلى هذا المكان، والتي جعلتني أيضاً أكف عن إخبار أمي بكل شيء.

أجبتها: "إنني أنام بشكل جيد".

كان ما يميز السيدة كريزني هو أنها تبتسم دائماً وأبداً، مهما حدث معها وأمامها، وإنني أحب ذلك فيها.

سألتني: "وماذا عن الأحلام المزعجة؟".

أجبت: "لم أعد أراها".

كنت قد اعتدت على كتابة ما أراه في تلك الكوابيس، إلا أنني توقفت عن ذلك، إذ كان بوسعي أن أتذكر جميع التفاصيل؛ تماماً كما حدث بشأن ذلك الكابوس الذي رأيته منذ أربعة أسابيع حينما كنت في حالة ذوبان بالمعنى الحرفي للكلمة. ففي ذلك الحلم، رأيت أبي يقول لي: "لقد وصلت إلى النهاية يا فيوليت، وقد بلغت حدك، وكلنا عشنا تلك اللحظة، وها قد أتى دورك الآن". *لكنني لم أرد لذلك أن يتحقق.* أخذت أراقب قدمي وهي تتحول إلى بركة ثم تختفي، ثم حصل ذلك الأمر ليدي، غير أن ذلك لم يكن مؤلماً. وأتذكر أنني أخذت أفكر في سري: *علي أن أقبل بذلك لأنني لا أتألم بسببه، إن الأمر أشبه بالانزلاق بعيداً*. غير أنني كنت قلقة حيال ذلك، وذلك حينما أخذ جسدي يتحول إلى شيء غير مرئي عضواً بعد عضو وذلك قبل أن أستيقظ من هذا الكابوس.

أخذت السيدة كريزني تعدل من جلستها فوق كرسيها، من دون أن تفارق ابتسامتها وجهها، لذا أخذت أسأل نفسي إن كانت تبتسم وهي نائمة أيضاً.

وفجأة، قالت لي: "دعينا نتحدث عن الكلية".

في مثل هذا الوقت في السنة الماضية، كان يسعدني أن نتحدث عن الكلية؛ فقد كنت أنا وإليانور نتحدث عن ذلك في بعض الأحيان بعد أن يأوي والدانا إلى الفراش،

وقد كنا نجلس خارج البيت إن كان الطقس دافئاً، أو كنا نقضي وقتنا في الداخل إن كان الجو بارداً، حيث كنا نتخيل الأماكن التي يمكن أن نذهب إليها، والأشخاص الذين كنا سنقابلهم، بعيداً عن بارتليت وإنديانا وتعداد السكان البالغ 14983 نسمة. كنا نفكر في تلك الأماكن التي تشعرنا بأننا غريبتان قادمتان من كوكب قصي.

ثم عقبت: "كنت قد قدمت استمارة القبول إلى جامعة كاليفورنيا ولوس أنجلوس، وستانفورد، وبيركلي، وجامعة فلوريدا، وجامعة بيونيس آيريس، وجامعة شمال الكاريبي، والجامعة الوطنية في سنغافورة، وأعرف أن قائمتك متنوعة للغاية، ولكن ما الذي حدث بالنسبة إلى جامعة نيويورك؟".

كان حلمي أن أنخرط في برنامج الكتابة الإبداعية في جامعة نيويورك منذ فترة الصيف التي سبقت الصف السابع، ويعود الفضل في ذلك لزيارتي لمدينة نيويورك بصحبة أمي، والتي تعمل كأستاذة جامعية وكاتبة، كما أنها خريجة جامعة نيويورك. وهكذا بقينا نحن الأربعة لمدة ثلاثة أسابيع في تلك المدينة، وتواصلنا مع معلميها وزملائها القدامى الذين أصبحوا روائيين وكتاباً مسرحيين وتلفزيونيين، إضافة إلى الشعراء بينهم. أما خطتي فكان تقوم على تقديم طلب إلى تلك الجامعة لأحظى بفرصة القبول المبكر في شهر تشرين الأول، غير أن الحادث وقع لي بعد ذلك فغيرت رأيي.

ولذلك قلت لها: "لقد فاتني الموعد النهائي للتقديم". إذ كان الموعد النهائي للقبول النظامي قد انقضى قبل أسبوع من ذلك اليوم، وكنت قد ملأت سائر البيانات، حتى إنني كتبت المقالة التي كان علي أن أقدمها، لكنني لم أرسل كل تلك الوثائق.

قالت لي: "فلنتحدث عن الكتابة، وعن الموقع الإلكتروني".

وهي تقصد بذلك موقع EleanorandViolet.com، حيث كنت قد قمت مع إليانور بإطلاق هذا الموقع الإلكتروني بعد انتقالنا إلى إنديانا؛ إذ كنا نرغب بإنشاء مجلة إلكترونية تقوم بعرض وجهتي نظر مختلفتين تمام الاختلاف حول الأزياء والجمال والشبان والكتب والحياة. هذا وقد ذكّرتنا صديقة إليانور المدعوة جيما سترلينغ (وهي نجمة صفحة الكلام المنمق التي لاقت رواجاً كبيراً ضمن سلسلة ويب) بضرورة الإشارة إلى موقعنا خلال إحدى المقابلات التي أجريت

معها، وسرعان ما تضاعفت شهرة موقعنا لتصل إلى ثلاثة أضعاف شهرتنا قبل ذلك، غير أنني لم أدخل ذلك الموقع منذ أن توفيت إليانور؛ إذ ما الهدف من ذلك بعد ما جرى لها؟ لقد كان ذلك الموقع يخص أختين، كما كنا في تلك المرحلة نبحث في موضوع السور، وهكذا ماتت كلماتي معها أيضاً.

أجبتها: "لا أريد أن أتحدث عن الموقع الإلكتروني".

فقالت لي: "أعتقد أن والدتك كاتبة، لذا لا بد أن تساعدك عبر تقديم النصح لك".

أجبتها: "تقول ياسمين ويست[1] إن الكتابة مهمة صعبة، لدرجة أن الكتّاب- بعد أن يخلقوا جحيمهم على الأرض- لا بد أن يهربوا من شتى أنواع العقاب بعد ذلك".

لكنها ركزت على تلك الفكرة بقولها: "هل تشعرين بأنك تتعرضين للعقاب؟". وبالطبع كانت تشير إلى الحادث، أو لعلها كانت تشير إلى تواجدي في هذا المكتب، وهذه المدرسة، وهذه المدينة.

أجبتها: "كلا". لكنني سألت نفسي: هل أشعر بأنه يجب علي أن أتعرض للعقوبة؟ فكان جوابي: أجل، وإلا فلماذا علي أن أستسلم للعذاب؟

سألتني: "هل تعتقدين أنك مسؤولة عما جرى؟".

وهنا أخذت أشد شعر مقدمة رأسي، لكن شعري لم يكن متناسباً في الطرفين، لذا أجبتها: "لا".

فاعتدلت في جلستها، وتلاشت ابتسامتها بعض الشيء؛ لأننا- أنا وهي- كنا ندرك تماماً أنني كنت أكذب، وأخذت أسأل نفسي عمّا ستقوله هذه المرأة لو أخبرتها بأنني منذ ساعة كنت أتحدث خارج نافذة برج الجرس، إلا أنني كنت في ذلك الحين متأكدة من أنها لا تعرف شيئاً عن الموضوع.

سألتني: "هل قمت بقيادة سيارة بعد الحادث؟".

أجبتها: "كلا".

سألتني: "هل سمحت لنفسك بقيادة السيارة بصحبة والديك؟".

---

(1) كاتبة أمريكية من إنديانا. (المترجمة)

أجبتها: "كلا".

فردت: "لكنهما يودان منك أن تفعلي ذلك". لم يكن ذلك سؤالاً، إذ كانت تقول ذلك وكأنها تحدثت إلى أحدهما أو كليهما، وأرجّح أنها قد فعلت ذلك.

أجبتها: "لست مستعدة لذلك". كانت تلك هي العبارة السحرية التي اكتشفتها، والتي يمكنها أن تخلص المرء من أي شيء تقريباً.

بيد أنها انحنت إلى الأمام وهتفت: "هل فكرت في العودة لتشجيع الفرق الرياضية؟".

أجبت: "كلا".

سألتني: "وماذا عن العودة إلى مجلس الطلاب؟".

أجبتها: "لا".

سألتني: "أما زلت تعزفين الفلوت مع الفرقة الموسيقية؟".

أجبتها: "أحتل المقعد الأخير". وكان ذلك الشيء هو الشيء الوحيد الذي لم يتغير منذ وقوع الحادث، إذ كنت أحتل ذلك المقعد دوماً؛ لأنني لم أكن أتقن العزف على الفلوت بشكل جيد.

اعتدلت في جلستها مرة أخرى، فاعتقدت لهنيهة بأنها قد استسلمت، لكنها قالت لي: "إنني قلقة حيال مدى تقدمك يا فيوليت. وبصراحة، يجب أن تكوني قد تجاوزت هذه المرحلة بأشواط؛ إذ لا يمكنك أن تتجنبي السيارات مدى الحياة، خاصة الآن في فصل الشتاء، كما يجب ألا تبقي على هذه الحال من دون أي تغيير، بل عليك أن تتذكري أنك كنت منقذة، وهذا يعني...".

لم أعرف ما كانت ترمي إليه، وذلك لأنني بمجرد أن سمعت كلمة "منقذة" نهضت من مكاني وخرجت من مكتبها.

وخلال الحصة الرابعة، وأثناء مروري في ممر المدرسة باتجاه الصف، استوقفني ما لا يقل عن خمسة عشر شخصاً، بينهم أشخاص كنت أعرفهم ولم يتحدثوا إلي منذ أشهر، وآخرون لا أعرفهم، وذلك ليخبروني كم كنت شجاعة وجسورة حينما أنقذت تيودور فينش من الانتحار. حتى إن إحدى الفتيات اللواتي يعملن في جريدة المدرسة كانت ترغب بإجراء مقابلة معي.

إلا أنه من بين كل الأشخاص الذين كان بوسعي إنقاذهم، كان تيودور فينش يمثل الخيار الأسوأ؛ لأنه شخصية أسطورية في مدرسة بارتليت. فرغم أنني لم أكن أعرفه حق المعرفة، إلّا أنني قد سمعت عنه. فالجميع يعرفون أخباره، والبعض يكرهونه لأنهم يعتقدون أنه شخص غريب الأطوار لأنه يفتعل الشجارات، وقد طرد من المدرسة مرة، إلا أنه لا يفعل إلا ما يحلو له، بينما يقدّره البعض الآخر لأنه غريب الأطوار، ولأنه يفتعل الشجارات، ولأنه طرد من المدرسة ولا يفعل إلا ما يحلو له. كما أنه يعزف على الغيتار ضمن خمس أو ست فرق موسيقية، وقد قام بتسجيل ألبوم له خلال السنة الماضية، لكنه كان أشبه بشخص غريب الأطوار؛ إذ أتى إلى المدرسة في أحد الأيام وقد طلى جسمه من رأسه وحتى أخمص قدميه باللون الأحمر، بالرغم من أن ذلك الأسبوع لم يكن أسبوع تنكر، ثم أخبر البعض بأن ما فعله عبارة عن احتجاج ضد العنصرية، بينما أخبر البعض الآخر بأنه فعل ذلك تعبيراً عن احتجاجه على استهلاك اللحوم. وخلال السنة الأولى من دراسته في الثانوية، بقي يرتدي ملابس بلا أكمام لمدة شهر كامل، كما قام بكسر لوح طبشور إلى نصفين حينما ضربه بمقعد، وسرق كل الضفادع المعدة للتشريح من قسم العلوم، ثم أقام لتلك الضفادع جنازة قبل دفنها في ملعب البيسبول. هذا وقد ذكرت آنا فارس[1] العظيمة ذات مرة أن سر تجاوز المرحلة الثانوية يكمن في عدم لفت الأنظار إليك، غير أن فينش قام بنقيض ذلك تماماً.

تأخرت خمس دقائق عن حصة الأدب الروسي، حيث كانت السيدة ماهون بشعرها المستعار قد فرضت علينا كتابة موضوع مؤلف من عشر صفحات حول رواية الإخوة كارامازوف؛ الأمر الذي جعل الجميع يزفر زفرات أنين إلا أنا، لأنه مهما فكرت واعتقدت السيدة كريزني بشأني، تبقى لدي أعذار مخففة.

حتى إنني لم أكن أصغي للسيدة ماهون وهي تشرح ما تريده منا، بل قمت بنزع خيط من تنورتي، وكنت وقتها أعاني من صداع، ولعل النظارة هي السبب في ذلك، وهنا تذكرت أن نظر إليانور كان أسوأ من نظري، لذا نزعت النظارة ووضعتها على المقعد. لقد كانت تلك النظارة تبدو أنيقة عليها، وتبدو كريهة

---

(1) ممثلة ومنتجة أمريكية. (المترجمة)

علي؛ لاسيما مع "الغرة" في مقدمة رأسي. ولكن لعل وضعي نظارتها لمدة طويلة يجعلني أشبهها، لأن ذلك سيساعدني على رؤية ما كانت تراه، وهكذا يمكنني أن أكون كلتينا في وقت واحد، وهكذا لن يشتاق لحضورها أحد؛ خاصة أنا.

غير أن الحقيقة تقول إن هنالك أياماً بيضاء وأياماً سوداء، وإنني أشعر بالذنب أحياناً حينما أجد أن أيامي لم تكن كلها سوداء؛ إذ قد أنبهر بشيء ما كبرنامج تلفزيوني، أو ملاحظة قصيرة مضحكة قد يبديها والدي، أو أي تعليق في الصف، وعندها أضحك وكأن شيئاً لم يحدث، وأشعر بأني قد عدت إلى طبيعتي مرة أخرى بالرغم من كل ما حدث. وأحياناً أستيقظ صباحاً وأبدأ بالغناء وأنا أستعد للخروج، أو قد أشغل الموسيقى وأبدأ بالرقص. وفي معظم الأيام، أمشي حتى أصل إلى المدرسة، وأحياناً أركب دراجتي، وبين الفينة والأخرى يحاول عقلي أن يقنعني بأنني أصبحت مجرد فتاة عادية تود أن تخرج في نزهة.

فجأة، نكزتني إميلي وورد من الخلف وسلمتني ورقة، وذلك لأن السيدة ماهون كانت تجمع هواتفنا في بداية كل حصة، نظراً إلى كونها تتبع التقليد القديم الذي يقوم على كتابة أرقام الهواتف على ورقة في دفتر.

غير أنني وجدت عبارة كتب فيها: ***هل صحيح أنك أنقذت فينش من الانتحار؟ التوقيع: ريان حبيبك السابق***. ولكن لم يكن هناك سوى ريان واحد في ذلك الصف، بل إن البعض يرون أنه لا يوجد سوى ريان واحد في المدرسة كلها، وربما في العالم أجمع. إذاً كان ذلك ريان كروس.

رفعت بصري فالتقت عيناي عينيه على بعد صفين مني. كان شاباً وسيماً للغاية، عريض المنكبين، ذا شعر بني بلون الذهب الدافئ، وعينين خضراوين، ونمش يجعل منه شخصاً يمكن تبادل الحديث معه. ومع ذلك، وحتى حلول شهر كانون الأول بقي ذلك الشاب حبيباً لي، لكننا كنا قد أخذنا فترة استراحة من بعضنا في ذلك الحين.

تركت الورقة تستقر على مقعدي لمدة خمس دقائق قبل الإجابة عن سؤاله، وأخيراً كتبت: ***صادف وجودي في ذلك المكان. التوقيع: في حبيبتك السابقة.*** وبعد أقل من دقيقة عادت الورقة إلي، إلا أنني لم أقم بفتحها هذه المرة، بل أخذت

مكتبة الرمحي أحمد

أفكر بعدد الفتيات اللواتي يستهويهن أن يستلمن رسائل كهذه من ريان كروس، وقد تكون فيوليت ماركي التي عاشرها خلال الربيع الفائت إحداهن.

في تلك الأثناء رن الجرس فتخلفت عن الآخرين، وأخذ ريان يتباطأ لثوانٍ معدودة وهو ينتظرني ليرى ما سأفعله، غير أنه جلب هاتفه فور جلوسي في ذلك المكان، وبعد ذلك انصرف.

وهنا هتفت السيدة ماهون: "نعم يا فيوليت؟".

يجب ألا تمثل عشر صفحات معضلة كبيرة بالنسبة لي. فحين كانت المعلمة تطلب عشر صفحات كنت أكتب لها عشرين صفحة، وإن طلبت عشرين كنت أسلمها ثلاثين؛ فالكتابة هي ما كنت أبرع به أفضل من كوني بنتاً أو حبيبة أو شقيقة؛ لأن الكتابة هي أنا، غير أنها أصبحت الآن أحد الأمور التي لم أعد أستطيع القيام بها.

كنت نادراً ما أتفوه بأي شيء، حتى عبارة: "لست مستعدة لذلك"؛ فقد كانت هذه العبارة موجودة في كتاب الحياة الذي لم يدوَّن، تحت بند كيف تتصرف حينما تفقد شخصاً عزيزاً على قلبك، وهل ثمة فترة عصيبة متبقية بعد مرور تسعة أشهر على ذلك؟

تنهدت السيدة ماهون وهي تسلمني هاتفي، ثم قالت: "أعطيني ورقة أو صورة يا فيوليت، فكل ما عليك فعله هو أن تبذلي ما بوسعك". إلا أن أعذاري المخففة أنقذتني طيلة ذلك اليوم.

وخارج غرفة الصف كان ريان ينتظرني، وكان بوسعي أن أراه وهو يحاول أن يكتشف معنى تلك الحيرة، حيث يمكنه أن يعيدني إلى سابق عهدي حينما كنت تلك الفتاة اللطيفة التي كان يعرفها، وهذا ما دفعه ليقول لي: "تبدين في غاية الجمال اليوم". وقد كان لطفاً منه أنه لم يحدق في شعري يومها.

هتفت: "شكراً".

ومن فوق كتف ريان رأيت تيودور فينش وهو يسير متبختراً، فأومأ لي وكأنه يعرف شيئاً لم أكن أعرفه، ثم تابع سيره.

فينش

اليوم السادس من اليقظة

بحلول موعد الغداء انتشر في سائر أنحاء المدرسة خبر قيام فيوليت ماركي بإنقاذ تيودور فينش من القفز من برج الجرس. وبينما كنت في طريقي لحضور حصة الجغرافيا، مشيت خلف مجموعة من الفتيات اللواتي كن يقفن داخل ممر ويتحدثن عن ذلك الموضوع بلا انقطاع. ولعل سبب ذلك بلا شك كوني أنا- تيودور فينش- جزءاً من ذلك الموضوع.

كن يتحدثن مع بعضهن بصوت عالٍ، وبجمل تنتهي دوماً بإشارات استفهام، حيث بدا حديثهن كالتالي: *سمعت أنه كان يحمل مسدساً... سمعت أنها انتزعته من يده... أخبرتني ابنة عمي ستيسي التي غادرت إلى نيو كاسل بأنها كانت مع صديقة لها في شيكاغو وكان تيودور يلعب بتلك الهراوة وقد تشاجر مع كلتيهما... حسناً، لقد كان أخي هناك حينما أطلق تيودور المفرقعات النارية، وقد قال قبل أن تعتقله الشرطة إنه "ينتظر النهائيات" ما لم يكن الآخرون يرغبون بتعويضه.*

يبدو أنني شخصية مأساوية وخطرة، وأعتقد أنني كذلك بالفعل.

هذا صحيح. إذ إنني موجود هنا الآن ولست مستيقظاً فقط، بل إنني متيقظ أيضاً، ويستطيع أي شخص أن يتعامل مع هذا الموضوع لأنني المجنون الثاني في العائلة. وهكذا، أخذت أسير متبختراً باتجاه الصف.

وداخل غرفة الصف، اتخذت مقعدي وأنا أشعر بأنني أصبحت ذا سمعة شائنة ولكنني لا أقهر، كما شعرت بأنني مضطرب ومسرور بشكل غريب، وكأنني قد نجوت من الموت للتو! نظرت حولي، فلم أجد من يهتم لأمري أو لأمر معلمنا السيد بلاك الذي كان فعلياً أضخم رجل رأته عيناي. كان وجهه أحمر للغاية؛ مما جعله على الدوام يبدو وكأنه على شفير الإصابة بضربة شمس أو نوبة قلبية، كما كان يصدر صوت صفير أثناء حديثه.

وطيلة الفترة التي قضيتها في إنديانا- والتي تمثّل سني حياتي كلها، أو سنوات التطهر من الذنوب والآثام كما أحب أن أسميها- كنا نعيش على بعد أحد عشر ميلاً من أعلى نقطة في تلك الولاية، ولم يخبرني والدي أو شقيقتي أو حتى معلمي بذلك، إلى أن اكتشفت ذلك الآن، في هذه اللحظة تماماً، من خلال بحث "تجوَّل في إنديانا" في حصة الجغرافيا؛ ذلك المنهاج الذي قامت إدارة المدرسة بفرضه هذه السنة في محاولة منها "لتنوير الطلاب حول التاريخ الزاخر الذي تنعم به الولاية التي ولدوا وترعرعوا فيها، بما يشعرهم بالفخر لكونهم أبناء هذه المنطقة".

وبالطبع هذه ليست نكتة.

استقر السيد بلاك على كرسيه، ثم تنحنح وقال: "هل ثمة طريقة أفضل وأنسب لبدء هذا الفصل من الحديث عن أعلى نقطة؟". وبسبب صوت الأزيز، كان من الصعب أن نعرف إن كان السيد بلاك قد تأثر بالمعلومات التي كان ينقلها أم لا، ثم تابع قوله: "ترتفع تلة هوزير 1.257 قدماً عن سطح البحر... ويمكن أن نراها من الجهة الخلفية للمدينة... وفي عام 2005 قام نسر... وهو كشاف من كنتاكي... بالحصول على رخصة... لشقّ طريق وبناء منطقة استراحة ورحلات... ثم وقع على...".

وهنا رفعت يدي، لكن السيد بلاك تجاهلني.

وبينما كان يتحدث، أبقيت يدي في الهواء وأخذت أفكر: *ماذا لو ذهبت إلى هناك ووقفت عند تلك النقطة؟ وهل ستبدو الأشياء بصورة مختلفة وهي على بعد 1.257 قدماً؟ لا تبدو تلك النقطة شاهقة العلو، لكنهم يفخرون بها، ثم من أنا كي أقول إن 1.257 قدماً ليست بالشيء المؤثر؟*

وأخيراً، أومأ المعلم لي، فنظرت إلى شفتيه المزمومتين واللتين بدتا وكأنه قد ابتلعهما، ثم قال: "نعم سيد فينش؟". ثم زفر زفرة رجل عجوز تعدى المئة من العمر، وحدق إليّ بخوف وريبة.

فقلت: "أقترح القيام برحلة ميدانية، فنحن بحاجة إلى رؤية المناظر الرائعة في ولاية إنديانا طالما أنه بمقدورنا القيام بذلك، وذلك لأن ثلاثة طلاب منا على الأقل سيتخرجون وسيغادرون هذه الولاية الرائعة مع نهاية هذا العام، لذا ما الذي سنريه للآخرين سوى تعليم مدرسي عامّ دون المستوى يقدمه أسوأ الأنظمة المدرسية في البلاد؟ ثم إن مكاناً كهذا من الصعب استيعابه من دون رؤيته، فهو مثل الوادي الكبير أو منطقة يوسمايت التي لا بد لك أن تتواجد فيها كي تتمكن من تقييم روعتها".

كان كلامي ينم عن السخرية بنسبة عشرين بالمئة فقط، غير أن السيد بلاك قال لي: "أشكرك يا سيد فينش". بطريقة تفيد بعكس معنى كلمة أشكرك. وهنا بدأت أرسم روابي وتلالاً على دفتري إجلالاً لأعلى نقطة في الولاية التي نعيش فيها، غير أن تلك التلال بدت ككتل عديمة الشكل أو كأفاعٍ تطير في الهواء؛ إذ لم أتمكن من تحديد شكلها النهائي بالضبط.

ثم سمعت السيد بلاك يقول: "إن تيودور محق، فبعضكم سيغادر... هذه المدرسة في نهاية... هذه السنة الدراسية ليذهب إلى... مكان آخر. أي سترحلون عن.... ولايتنا الرائعة، ولكن قبل أن تغادروها، عليكم.... أن تروا معالمها. عليكم أن... تتجولوا...".

إلا أن ما قطع عليه حديثه هو صوت الجلبة الذي ساد في غرفة الصف، حيث أتت إحدى الطالبات متأخرة، ثم سقط منها كتاب، وأثناء قيامها بالتقاطه عن الأرض سقطت منها بقية الكتب، فعمت الفوضى المكان، وأعقب ذلك صوت ضحك لأننا في مدرسة ثانوية، أي من المتوقع منك أن تتصرف بطريقة معينة، لذا يغدو كل شيء مضحكاً، لاسيما إن تعلق الأمر بحالة من الخزي التي يعيشها أحد الطلاب على الملأ. لقد كانت الفتاة التي سقطت منها كل أغراضها هي فيوليت ماركي، وهي فيوليت ماركي نفسها التي التقيتها في برج الجرس،

وهكذا أصبح لونها أحمر بلون الشمندر، وأنا على يقين من أنها كانت تتمنى الموت في تلك اللحظة، ولكن ليس بطريقة القفز من مكان مرتفع! بل بطريقة: *أرجوك أيتها الأرض ابتلعيني!*

إنني أعرف هذا الشعور أكثر مما أعرف أمي وشقيقتي وصديقي شارلي دوناهيو، إذ كان هذا الشعور ملازماً لي طيلة حياتي؛ كتلك المرة التي حدث لي فيها ارتجاج في المخ أثناء ركل الكرة أمام سوز هانيز، أو تلك المرة التي ضحكت فيها بشدة لدرجة سيلان شيء من أنفي وسقوطه على غابي روميرو، أو كل ما حدث معي خلال الصف الثامن.

وهكذا، وبما أنني كنت معتاداً على ذلك الشعور، ولأن هذه الفتاة المدعوة فيوليت كانت على شفير البكاء، قمت بإسقاط أحد كتبي على الأرض، فتحولت كل الأنظار نحوي، وعندها انحنيت لألتقطه، فأبعدت كيدهم وأنظارهم نحو الجدران والنوافذ والرؤوس، ثم ملت بكرسيي بما يساعدني على الوقوع، وقد أعقبت ذلك أصوات وشوشة وتصفيق، كما سمعت كلمة "مجنون" مرة أو اثنتين، وبعد ذلك سمعت السيد بلاك وهو يقول بصوته الذي يُحدث صفيراً: "إن انتهيت... يا تيودور... فسأكمل".

عدّلت وضعيّتي وكرسيي، ثم انحنيت وجمعت كتبي، وبعدها انحنيت مجدداً، ثم اعتدلت في مكاني، وابتسمت لفيوليت التي كانت تنظر إليّ نظرة لا يمكن أن توصف إلا بالدهشة والارتياح الممزوج بشيء آخر، لعله القلق. وأود أن أفكر بوجود إعجاب وسط تلك المشاعر، غير أن ذلك لا يمكن أن يكون سوى فكرة تواقة. ثم إن الابتسامة التي ابتسمتها لها كانت من أجمل الابتسامات لدي؛ إذ كانت تلك الابتسامة هي التي تجعل أمي تسامحني لدى تأخري في العودة إلى البيت، أو بسبب غرابة أطواري عموماً (وفي أحيانٍ أخرى، كنت أرى أمي وهي تنظر إلي- هذا إن نظرت إليّ أصلاً- وكأنها تقول لنفسها: *من أين أتيتني؟! لا بد أنك ورثت ذلك عن أبيك*).

بادلتني فيوليت الابتسامة، فشعرت على الفور بتحسن؛ لأنها شعرت بالتحسن أيضاً، وبسبب طريقتها في الابتسام لي، إذ كانت تبتسم لي وكأنني

شخص لا ينبغي لها أن تتحاشاه، وقد تكرر ذلك مرتين في يوم واحد، وذلك لكوني قد أنقذتها. كانت أمي تقول لي دوماً: *تيودور الحنون الذي يصب حنانه الفائض في مصلحته*، وفي ذلك انتقاد لي، وكنت أعي ذلك في كل مرة.

وفجأة، ركز السيد بلاك نظره علي وعلى فيوليت ثم قال: "كما كنت أخبركم... إن مشروعكم بالنسبة لهذه... المادة هو أن تتحدثوا عن.... منطقتين على الأقل... ويفضَّل الحديث عن ثلاث مناطق... من الأماكن التي تعتبر من عجائب ولاية إنديانا". وهنا أردت أن أقول: *أتتحدث عن العجائب أم الجولات؟* لكنني كنت منشغلاً بمراقبة فيوليت وهي تركز على اللوح، وطرف فمها لا يزال مرفوعاً.

ثم تابع السيد بلاك حديثه عن تركه حرية الاختيار لنا بشأن الأماكن التي تلهب خيالنا؛ مهما كانت مجهولة أو بعيدة، وذلك لأن مهمتنا تقوم على الذهاب إلى تلك الأماكن ورؤيتها، والتقاط صور لها، أو مقاطع فيديو، والغوص في تاريخها، ومن ثم كتابة تقرير حول الأمور الموجودة في تلك الأماكن والتي تشعرنا بالفخر لكوننا أبناء هذه الولاية، ومن الأفضل ربط تلك الأمور ببعضها إن أمكن، ثم إن لدينا بقية الفصل بأكمله لنعمل على هذا المشروع، لذا يجب علينا أن نأخذ الأمر على محمل الجد.

قال لنا: "ستعملون... في مجموعات مؤلفة من... شخصين. وستمثل علامة هذا المشروع.... خمسة وثلاثين بالمئة... من العلامة النهائية للمادة...".

رفعت يدي مجدداً وسألت: "هل بوسعنا أن نختار من سيشاركنا في المشروع؟".

فأجابني: "نعم".

فقلت: "أختار فيوليت ماركي".

فقال: "يمكنك أن تناقش ذلك... معها بعد الحصة".

تحركت على مقعدي حيث يمكنني أن أراها، ووضعت مرفقي على ظهر كرسيي ثم قلت: "فيوليت ماركي، أود أن أشاركك في هذا المشروع".

تحوّل لون وجهها إلى اللون الوردي حينما بدأ الجميع ينظرون إليها، ثم قالت للسيد بلاك: "كنت أفكر إن كان بوسعي القيام بشيء آخر، كأن أقوم بإجراء

بحث أو كتابة تقرير قصير". كان صوتها منخفضاً، لكنها بدت لي مشغولة الذهن وهي تقول: "إنني لست مستعدة لـــ...".

لكنه قاطعها بقوله: "آنسة ماركي، إنني أسدي لك... أكبر... معـــروف في حياتك... ولهذا سأقول لك... لا".

هتفت فيوليت: "لا؟".

فرد عليها: "لا. إنها سنة جديدة... وحان الوقت لتعودي... إلى ظهر الجمل".

ضحك بعض الطلاب على تلك العبـــارة، غـــير أن فيوليـــت نظـــرت إليّ فاستطعت أن أرى أنها كانت مشوشة الذهن بالفعل، وعنـــد ذلـــك تـــذكرت الحادث؛ تذكرت أنها كانت مع أختها حينما تعرضتا لحادث في وقت ما خـــلال الربيع المنصرم، فنجت منه فيوليت، بينما توفيت شقيقتها، ولهذا السبب لا تحـــب أن تكون موضع انتباه الآخرين.

أما بقية وقت الحصة فقد أمضيناه ونحن نستمع إلى السيد بلاك وهو يحـــدثنا عن أماكن يعتقد أننا سنستمتع فيها، ويقول لنا إن علينا أن نراها قبل أن نتخـــرج مهما كلفنا الأمر، لكنه في الحقيقة كان يتحدث عن الأماكن الســـياحية المعتـــادة والمملة كمراعي كونر، ومقبرة ليفي، ومتحف لينكولن، والبيت الذي أمضى فيـــه جيمس وايتكوم ريلي[1] فترة صباه ومطلع شبابه؛ بالرغم من أنني كنت على يقين من أن معظم الطلاب سيبقون في هذه المدينة حتى توافيهم المنية.

حاولت أن أنظر إلى عيني فيوليت مرة أخرى، ولكنها لم ترفع بصرها، بـــل تقوقعت على مقعدها وأخذت تحدق نحو الأمام.

خرجت من الصف فوجدت غابـــي روميرو يسد عليّ طريقي، ولم يكـــن بمفرده كما هي عادته، إذ كانت أماندا مونك تنتظر خلفه، وقد برز منها ردفاها، وكان إلى جانبها جو فيات وريان كروس؛ ذلك الفتى طيب القلب وحسن المعشر والمهذب وبهي الطلعة والرياضي، الطالب الذي يشغل منصـــب نائـــب عريـــف الصف، إلا أن أسوأ شيء يحيط بشخصيته هو أنها واضحة المعالم منذ أن كـــان في مرحلة رياض الأطفال.

(1) شاعر أمريكي. (المترجمة)

وهنا سمعت المتسكع روميرو يقول: "من الأفضل ألا أراك وأنت تنظر إلي مرة ثانية".

فقلت له: "لم أكن أنظر إليك، صدقني. إذ ثمة مئة شيء آخر على الأقل في هذه الغرفة أفضل النظر إليه على أن أنظر إليك، بما في ذلك مؤخرة السيد بلاك الكبيرة وهي بلا ثياب تسترها".

فرد عليّ: "تافه".

وبما أنني وروميرو قد أقسمنا على أن نبقى عدوين منذ أيام المدرسة المتوسطة، لذا قام بسحب الكتب من يدي. وبالرغم من أن ذلك حق يضمنه قانون البلطجة رقم 101 منذ الصف الخامس، إلا أنني شعرت بقنبلة الغضب الأسود المألوفة لدي كصديق قديم وهي تنحدر نحو معدتي، ليتصاعد منها دخان سام وكثيف، وليتغلغل وينتشر في أرجاء صدري. وقد انتابني الشعور ذاته في السنة الماضية، في اللحظة ذاتها التي أمسكت فيها مقعداً وألقيته؛ ليس على ذلك المتسكع كما يرغب هو أن يُري الجميع، بل على اللوح الموجود في غرفة السيد غاري.

ثم سمعت المتسكع وهو يقول: "أمسك به"، وهو يتجاوزني بعدما ضربني بكتفه على صدري بقوة، لذا كنت أريد أن أضرب رأسه بإحدى الخزائن، ثم أن أمسك برقبته وأخرج قلبه من فمه، وذلك لأن المشكلة في كوني متيقظاً هي أن كل ما فيّ يبقى حياً ومتألماً ويحاول التعويض عن الوقت الضائع.

لكنني عوضاً عن القيام بذلك عددت حتى الستين، ورسمت ابتسامة غبية على وجهي الذي بدا كوجه أبله، وأخذت أقول لنفسي: *لن أعرض نفسي للاحتجاز، لن أعرض نفسي للطرد، سأكون طيباً وهادئاً وصامتاً.*

كان السيد بلاك يراقب المشهد عند عتبة الباب، لذا حاولت أن أهز رأسي له بطريقة اعتيادية لأشعره بأن كل شيء على ما يرام، وبأن كل الأمور تحت السيطرة، وكل شيء بخير، وليس ثمة أي شيء يمكن للمرء أن يتفرج عليه، فراحتا يديّ لا تؤلمانني، كما أن جلدي لا يحترق، ودمي لا يندفع بشدة داخل عروقي، لذا ابتعدوا عنا رجاء. كنت قد قطعت عهداً على نفسي بأن تكون هذه السنة

مختلفة، وهكذا إن استبقت سائر الأمور، وسيطرت على نفسي، فسأغدو قادراً على البقاء متيقظاً داخل هذا المكان، وليس أن يبقى جزء مني فقط في هذا المكان؛ رغم بقائي فيه فعلياً، كما هي حالي الآن في الوقت الراهن.

كان هطول المطر قد توقف، فملنا أنا وشارلي دوناهيو بجسدينا على سيارته التي كانت في المرأب تحت أشعة شمس كانون الثاني التي غسلها المطر، وكنت أصغي إليه وهو يتحدث عن أكثر شيء يحبه، بل كان يحبه حتى أكثر من نفسه، ألا وهو العلاقات الحميمة. وكانت صديقتنا بريندا تقف قربنا وهي تصغي إلى حديثه بعدما ضمت كتبها إلى صدرها العريض للغاية، أما شعرها فكان يتلألأ باللونين الوردي والأحمر.

كان شارلي قد أمضى عطلة الشتاء بالعمل في مجمع السينما، حيث سمح على ما يبدو لجميع الفتيات المثيرات بالتسلل إلى ذلك المكان من دون دفع رسم الدخول، وهذا ما جعل حماسته تتجاوز كل الحدود؛ حيث لم يعد يدري كيف عليه أن يتصرف، وخاصة حينما كان يصل إلى الصف الأخير المخصص للمعوقين، والذي لم تكن المقاعد فيه مزودة بمساند للذراعين.

رأيته يهز رأسه وهو ينظر إليّ ويقول: "وماذا عنك؟".

فسألته: "ماذا عني؟".

سألني: "أين كنت؟".

أجبته: "في الجوار. إذ لم تعجبني فكرة الذهاب إلى المدرسة، لذا قطعت الطريق السريع بين الولايتين و لم أنظر خلفي". كان من المستحيل بالنسبة إليّ شرح حالة النوم لأصدقائي. وحتى لو كان ذلك ممكناً، لم يكن هنالك أي داع لذلك. ولعل أفضل الأشياء التي أحبها في شارلي وبريندا هو أنني لست بحاجة إلى تفسير تصرفاتي أمامهما، حيث آتي وأذهب، فيقولان: *حسناً، إنه فينش.*

أومأ لي شارلي مرة أخرى وقال: "إن ما يتوجب علينا القيام به الآن هو أن نجعلك تقوم بعلاقة حميمة". وكانت في ذلك إشارة غير مباشرة إلى حادثة برج الجرس. فبحسب رأيه، لو كنت أقوم بعلاقات حميمة لما حاولت قتل نفسي؛ حيث

إن القيام بذلك يصلح لك كل أمورك. وبحسب شارلي، لو كان قادة العالم يقومون بعلاقات حميمة بشكل جيد ومنتظم لاختفت المشاكل من عالمنا.

وهنا أخذت بريندا تعبس في وجه شارلي ثم قالت له: "يا لك من خنزير يا شارلي".

فرد عليها: "إنك تحبينني".

قالت: "إنك تتمنى أن أحبك. ولكن، لَمَ لا تكون مثل فينش؟ فهو رجل مهذب". في الحقيقة، ليس ثمة كثيرون ممن يقولون عني ذلك، إلا أن الروعة في حياتنا تتمثل في أنه بإمكانك أن تكون شخصاً آخر بالنسبة إلى كل إنسان يعرفك.

قلت لها: "هلا تركتماني بعيداً عن شجاركما؟".

فهزت بريندا رأسها وهي تقول: "كلا، فأنا جادة في ما أقوله. فالرجال المهذبون نادرون، ولو حدث أن تزوجت يوماً فسأتزوج رجلاً مهذباً حتماً".

لكنني لم أستطع أن أمنع نفسي من القول: "هل أنت جدية؟". فما كان منها إلا أن لكزتني على ذراعي.

وهنا هتف شارلي: "ثمة فرق بين الرجل المهذب والشاب الذي يفتقر إلى ما يلهو به". ثم أومأ برأسه نحوي وقال: "لا أقصد الإساءة إليك يا صديقي".

فقلت له: "لم يصلني ذلك المعنى". بالرغم من أنه كان يقول الحق. فأنا مقارنة به، وبحسب ما يعنيه، لست أكثر من رجل ذي حظ عاثر مع النساء.

ثمة شيء ما حول اللجوء إلى الأشخاص المشاكسين أو المجانين أو أولئك الذين يتظاهرون بعدم معرفتهم لي أمام الآخرين.

وعلى أية حال، كنت بالكاد أصغي إلى ذلك الحوار؛ لأنني ومن فوق كتف بريندا رأيتها مرة أخرى. أجل، إنها فيوليت. وهنا شعرت بأنني كنت أقع في حبها بشدة، وهذا ما كنت أشتهر به (بدءاً من سوز هانيز، فليلى كولمان، ثم أناليز ليمك، وبعدها البريانات الثلاث وهن بريانا هارلي، وبريانا بيلي، وبريانا بودرو...) كل ذلك بسبب تبسّمها لي. غير أن ابتسامتها كانت آسرة بالفعل لأنها كانت صادقة، ومن الصعب أن تحظى بابتسامة كهذه في يومنا هذا، خاصة إن

مكتبة الرمحي أحمد

كنت شخصاً مثلي، أنا تيودور المجنون الذي يسكنه حب الأشياء الغريبة والمنحرفة.

وأخيراً، التفتت بريندا لترى ما كنت أنظر إليه، ثم هزت لي رأسها، وافتر فمها عن ابتسامة متكلفة؛ الأمر الذي جعلني أسعى إلى حماية ذراعي منها وهي تقول: "يا إلهي! كلكم تتشاهون أيها الفتيان".

وفي البيت، كانت أمي تتحدث عبر الهاتف وهي تقوم بإذابة الجليد عن أحد الأطباق التي كانت شقيقتي كيت تعدها في بداية كل أسبوع. وحينما دخلت، لوحت لي أمي ثم تابعت عملها. وبعدها، نزلت كيت على الدرج وأخذت مفاتيح سيارتها عن رف المطبخ وهي تقول: "من يأتي أخيراً يخسر كثيراً". كانت لدي شقيقتان؛ وهما كيت التي تكبرني بعام، وديكا التي كانت في الثامنة من عمرها، والتي كانت على ما يبدو مجرد غلطة، وهذا ما اكتشفته حينما بلغت السادسة من العمر. إلا أننا جميعنا نعرف أنه إن كان أحد منا يمثل غلطة ما، فلا بد أن يكون أنا.

صعدت الدرجات، وكان حذائي المبلل بالماء يصدر صريراً على الأرضية، ثم أغلقت باب غرفتي خلفي، وأخرجت شيئاً قديماً كان ملفوفاً بالقماش من دون التحقق من ماهيته، ورميته على الطاولة الدوارة التي كنت قد وجدتها في القبو، فارتطم ذلك الشيء بالسطح محدثاً خدوشاً، وبدت لي تلك الطاولة وكأنها قطعة تعود إلى عشرينيات القرن الماضي. أما أنا فقد كنت وقتها أعيش في مرحلة فرقة سبليت إينز الموسيقية، ومن هنا جاءت فكرة الحذاء الرياضي، فقد كنت أجرب حالة تيودور فينش الذي كان طفلاً في ثمانينيات القرن الماضي، وكنت أحاول أن أكتشف إن كان ذلك الدور يناسبني أم لا.

بحثت في مكتبي عن لفافة تبغ، ثم وضعتها في فمي، وتذكرت أثناء قيامي بالبحث عن قداحتي بأن تيودور فينش ذلك الطفل الذي كان يعيش في الثمانينيات لا يدخن. يا إلهي، كم كنت أكرهه! ذلك التافه الصغير المتحمس الطاهر البريء، وهنا تركت السيجارة في فمي من دون أن أشعلها، محاولاً قضم الغلاف النيكوتيني الخارجي، ثم أمسكت بالغيتار، وأخذت أعزف لمدة طويلة، وبعدها تركته،

وجلست إلى حاسوبي، وأخذت أدور بالكرسي حول نفسي إلى أن جعلته يستقر إلى الخلف؛ إذ كانت تلك هي الطريقة الوحيدة التي يمكنني من خلالها أن أقوم بالكتابة على الحاسوب.

ثم أخذت أكتب: **الخامس من شهر كانون الثاني. الطريقة: برج الجرس في المدرسة. على مقياس 10/مدى اقترابي: 5. حقائق: تزداد فرص القفز خلال الأيام التي يظهر فيها البدر، وكذلك أيام العطل. من أشهر من قاموا بالقفز روي ريموند[1] مؤسس شركة فيكتوريا سيكريت. حقيقة ذات صلة: في عام 1912 قام شخص يدعى فرانز ريشليت بالقفز من برج إيفل وهو يرتدي بزة مزودة بمظلة من تصميمه، حيث قفز ليجرب اختراعه، وكان يتوقع أن يطير بتلك البزة، إلا أنه سقط مباشرة مصطدماً بالأرض كنيزك ومخلفاً حفرة بلغ عمقها 5.9 إنشات بفعل تلك السقطة، والسؤال الآن: هل كان يهدف إلى قتل نفسه؟ أشك في ذلك، وأعتقد أنه مجرد شخص مغرور وغبي.**

ومن خلال بحث سريع على الشابكة ظهرت معلومات تفيد بأن نسبة الانتحار بالقفز من عل تتراوح ما بين خمسة إلى عشرة بالمئة من سائر حالات الانتحار (وهذا ما يراه جونز هوبكينز[2])، إذ يبدو أن القفز كوسيلة للانتحار طريقة يختارها المرء بحسب الفرصة المؤاتية عادة، وهذا ما يجعل أماكن مثل سان فرانسيسكو التي تشتهر بجسر البوابة الذهبية (التي تعتبر أعلى مكان مناسب للانتحار في العالم) تلقى هذا الرواج والشعبية. أما هنا فكل ما يحتاج إليه المرء هو الوصول إلى برج بورينا وتلة ترتفع مسافة 1.257 قدماً عن سطح الأرض.

ثم كتبت: **السبب في الإحجام عن القفز هو أن المكان فوضوي ومشهور ومزدحم للغاية.**

بعدها، أغلقت متصفح غوغل وانتقلت إلى فيسبوك، فطالعتني صفحة أماندا مونك لأنها صديقة الجميع، حتى إنها صديقة لأشخاص ليست صديقة لهم في الواقع، فضغطت على قائمة أصدقائها وكتبت: "فيوليت".

---

(1) رجل أعمال أمريكي. (المترجمة)

(2) رجل غني ومحسن أسس جامعة ومشفى باسمه. (المترجمة)

وبمجرد أن فعلت ذلك ظهرت لي صفحتها، فنقرت على صورها وبدت أمامي بشكل أكبر، وهي تبتسم الابتسامة ذاها التي بادلتني إياها. وطالما أنني كنت أريد أن أصبح صديقاً لها، كان علي أن أقرأ صفحتها الشخصية وأتصفح بقية صورها. وهكذا، جلست محدقاً إلى الشاشة؛ إذ أصبحت فجأة متحرقاً لمعرفة المزيد عنها، فمن تكون فيوليت ماركي؟ حاولت أن أبحث عنها عبر محرك البحث غوغل، إذ قد يكون هناك مدخل خلفي وسري لصفحتها على الفيسبوك التي قد تطلب منك أن تقوم بالنقر على شيء محدد أو أن تستخدم رمزاً مؤلفاً من ثلاثة أرقام يمكن اكتشافه بسهولة.

إلا أن ما اكتشفته بدلاً من ذلك موقع يدعى EleanorandViolet.com، والذي يصف فيوليت ماركي على أنها شريكة في تأسيسه إلى جانب عملها فيه كمحررة وكاتبة. كان ذلك الموقع يجمع سائر المنشورات الموجودة في المدونات الخاصة بالشباب والجمال. أما آخر منشور فيه فيعود للثالث من نيسان من السنة الماضية، وثمة شيء آخر وجدته في ذلك الموقع ألا وهو الخبر التالي:

إن إليانور ماركي ذات الثمانية عشر ربيعاً، والطالبة في الصف الثالث الثانوي في ثانوية بارتليت، والعضو في مؤتمر الطلاب فيها، كانت قد فقدت السيطرة على سيارتها عند جسر شارع أ عند الساعة 12:45 تقريباً، في الخامس من نيسان.

وقد يكون الجليد والسرعة هما السبب في حدوث حالة التحطم، وهكذا توفيت إليانور إثر ذلك، في الوقت الذي نجت فيه شقيقتها فيوليت التي كانت معها في السيارة ذاتها من الحادث، وخرجت بإصابات طفيفة.

جلست أقرأ ذلك الخبر مرات ومرات، فانتابني إحساس مرير استقر في جزء من معدتي. بعد ذلك، قمت بشيء كنت قد أقسمت على ألا أقوم به أبداً، حيث قمت بتسجيل الدخول إلى موقع فيسبوك لأتمكن من إرسال طلب صداقة لها.

كان مجرد قيامي بإنشاء حساب على هذا الموقع قد يجعل مني شخصاً اجتماعياً وطبيعياً، وقد يغيّر فكرة الانتحار برمتها، وبذلك لن تشعر بالخوف من التعرف إلي. وهكذا، التقطت صورة لنفسي بواسطة جوالي، وقررت أن أبدو فيها جدياً للغاية، ثم التقطت صورة أخرى، لكنني بدوت فيها أحمق، إلى أن استقر رأيي على الصورة الثالثة التي بدت لي أنها تمثّل حالة وسطية بين الصورتين السابقتين.

بعد ذلك، تركت الحاسوب في وضع السكون حيث لا يتطلب ذلك مني أن أتحقق من تشغيله كل خمس دقائق، وبعدها أخذت أعزف على الغيتار، ثم قرأت بضع صفحات من مسرحية ماكبث كجزء من واجب مدرسي، ثم تناولت طعام العشاء مع ديكا وأمي؛ إذ أصبحت أتناول هذه الوجبة معهما منذ سنة، وذلك بعد الطلاق. وبالرغم من أنني لم أكن أعشق الطعام، إلا أن العشاء كان من أمتع فترات يومي، وذلك لأنني كنت خلاله أوقف عقلي عن التفكير.

وفجأة، سمعت أمي وهي تقول: "أخبريني عمّا تعلمته اليوم يا ديكا". إذ لم تكن أمي تنسى أن تسألنا عما حدث معنا في المدرسة، وذلك لتشعر بأنها تقوم بواجبها على أتم وجه، وكانت تلك هي طريقتها المفضلة لبدء الحديث عما جرى في المدرسة.

فأجابتها ديكا: "عرفت أن جاكوب باري شخص مغفل". إذ كانت ديكا قد اعتادت مؤخراً على إلقاء السباب والشتائم أكثر من عادتها، وذلك في محاولة منها لانتزاع ردة فعل من أمي؛ لتتأكد إن كانت تصغي إليها أم لا.

ردت عليها أمي ببرودة: "ديكا". بيد أن انتباهها لم يكن معها كلياً.

بعد ذلك، أخذت ديكا تخبرنا عن كيفية قيام ذلك الفتى الذي يدعى جاكوب بوضع الصمغ على يديه ولصقهما بالمقعد وذلك كي يفوته اختبار العلوم. وحينما حاول من حوله الفصلَ بين جلده والخشب تحرّرت راحته والصمغ يعلوها، وهنا لمعت عينا ديكا كعيني حيوان صغير مسعور؛ إذ كانت تعتقد أنه يستحق ذلك، وقد صرحت بذلك بالفعل في ما بعد.

وفجأة، أصبحت أمي تصغي إلى كلامها فقالت: "ديكا". ثم هزت رأسها، وبذلك بلغت أوج حالة التربية التي تتقمصها. فمنذ أن تركنا والدي، حاولت أمي أن تتحول إلى أم هادئة بالفعل، إلا أنني ما زلت أشعر بالأسى عليها لأنها تحبه

بالرغم من كونه شخصاً أنانياً وفاسداً في حقيقته، وبالرغم من أنه تركها من أجل امرأة تدعى روزماري تشدد على أحد الحروف عند نطقها به، ولم يعد أي منا يتذكر أي حرف من الحروف كانت تشدد عليه. كما أنني كنت أشعر بالحزن على أمي بسبب شيء قالته لي حينما تركنا أبي وهو: "لم أتوقع أن أعود عازبة وأنا في الأربعين من عمري". أذكر أن ما حز بنفسي وقتها هو الطريقة التي قالت بها تلك الجملة، أكثر من الكلمات بحد ذاتها، وذلك لأنها بقولها تلك الجملة جعلت الأمر نهائياً وغير قابل للنقاش.

ومنذ ذلك الوقت وأنا أفعل ما بوسعي لأكون لطيفاً وهادئاً، حيث حاولت أن أجعل من نفسي شخصاً صغيراً وغير مرئي قدر الإمكان، ومن ذلك تظاهري بالذهاب إلى المدرسة في الوقت الذي أكون فيه نائماً، كما هي حالي حينما أكون في الوضع: نائم، حيث لا أتسبب في زيادة همومها والأعباء التي تحملها، بيد أنني لم أكن موفقاً في ذلك.

بادرتني بالسؤال: "كيف كان يومك يا تيودور؟".

أجبتها: "رائع". ثم أخذت أحرك طعامي في صحني، في محاولة مني لجعله يتخذ نسقاً معيناً. وبالنسبة للطعام، أعتقد أن ثمة أشياء كثيرة ممتعة أكثر منه يمكن للمرء أن يقوم بها، وينطبق الأمر ذاته على النوم، وهكذا فإنني لا أرى في تناول الطعام والنوم سوى مضيعة للوقت.

حقيقة مهمة: توفي رجل صيني بسبب قلة النوم بعدما بقي مستيقظاً أحد عشر يوماً أثناء محاولته متابعة سائر المباريات ضمن بطولة كأس الأمم الأوروبية (تلك هي كرة القدم بالنسبة لأولئك الذين ليس لديهم أي مفتاح للغز، مثلي تماماً). وفي الليلة الحادية عشرة، تابع الرجل المباراة التي هزمت فيها إيطاليا أيرلندا بهدفين مقابل لا شيء، وبعد ذلك استحم، ونام عند الساعة الخامسة صباحاً تقريباً، وبعدها توفي. ومن دون أي إساءة للمتوفى، يمكن القول إن كرة القدم ما هي إلا مبرر سخيف بالنسبة إليه ليبقى مستيقظاً.

توقّفت أمي عن تناول طعامها لتتفرس في وجهي. إذ عادت لها حالة الانتباه، وذلك لا يحدث إلا نادراً، فهي تبذل جهدها لتتفهم "حزني"، كما تسعى جاهدة

لتتحلى بالصبر حينما تسهر كيت خارج البيت طيلة الليل، وحينما تمضي ديكا فترة في مكتب مدير المدرسة. إذ كانت أمي تعتبر أن سلوكنا الشائن هو الذي تسبب بطلاقها من أبي، غير أنها كانت تقول لنا إننا بحاجة إلى وقت كي نتمكن من تجاوز تبعات ذلك.

وبنبرة تخلو من السخرية أضفت: "كان على ما يرام، إذ خلا من الأحداث، وكان يوماً مملاً ونمطياً". بعد ذلك انتقلنا إلى مواضيع أسهل؛ كالحديث عن البيت الذي كانت أمي تحاول أن تبيعه، ثم تحدثنا عن الطقس.

وحينما فرغنا من العشاء، وضعت أمي يدها على ذراعي، وكانت رؤوس أصابعها بالكاد تلمس جلدي، ثم قالت: "إنه لأمر رائع أن يعود أخوك إلينا يا ديكا، أليس كذلك؟". شعرت أنها قالت ذلك وكأنني كنت مهدداً بخطر الاختفاء مجدداً من أمام أعينهما، غير أن نبرة اللوم في صوتها جعلتني أنكمش، ثم جاءني هاتف يدعوني للعودة إلى غرفتي والبقاء فيها. وبالرغم من أن أمي كانت تحاول أن تتفهم سبب حزني، إلا أنها كانت تريد أن تعتمد علي باعتباري رجل البيت. وبالرغم من أنها كانت تعتقد أنني كنت في المدرسة طيلة الأسابيع الأربعة أو الخمسة الأخيرة، إلا أنني لم أكن أتواجد لتناول العشاء مع العائلة في معظم الأوقات، وهنا أبعدت أصابعها عني فتحررت منها وتحررت مني، وهذا بالضبط ما كنا نقوم به نحن الثلاثة، إذ كنا نتفرق في اتجاهات مختلفة.

وعند الساعة العاشرة تقريباً، بعدما أوى الجميع إلى فراشه، ولم تعد كيت إلى البيت بعد، قمت بتشغيل الحاسوب مرة أخرى، وتفقدت حسابي على موقع فيسبوك.

فوجدت فيه: **وافقت فيوليت ماركي على طلب الصداقة الذي أرسلته لها.**

وهكذا أصبحنا الآن صديقين.

ولكم رغبت في الصراخ والجري في أرجاء البيت، ولعلي كنت أرغب في الصعود إلى السطح لأفرد ذراعي من دون أن أقفز من هناك، أو حتى من دون أن أفكر بتلك الفكرة، لكنني عوضاً عن ذلك انحنيت مقترباً من الشاشة، وأخذت أستعرض صورها، فرأيت في إحداها فيوليت برفقة شخصين لا بد أنهما والداها

وكانت تبتسم، ثم رأيتها وهي تبتسم برفقة أصدقائها، ثم وهي تبتسم خلال اجتماع للطلاب قبل إحدى المباريات، ثم وهي تبتسم وقد ألصقت خدها بخد صديقة لها، ثم وهي تبتسم وحيدة في الصورة.

بعد ذلك، تذكرت وأنا أتفرس بصورة فيوليت مع الفتاة بأن تلك الفتاة كانت تعمل في صحيفة المدرسة. إذاً، كانت تلك شقيقتها إليانور، وهي في الصورة تضع النظارة السميكة ذاتها التي تضعها فيوليت حالياً.

وفجأة، ظهرت رسالة في صندوق البريد.

فيوليت: **لقد أحرجتني أمام الجميع.**

أنا: **أكنت ستعملين معي إن لم أفعل ذلك؟**

فيوليت: **كنت سأهرب من ذلك الواجب، حيث لا يتعين علي أن أكلف به حتى أشرع فيه. ولكن، لم تريدني أن أعمل معك في هذا المشروع؟**

أنا: **لأن الجبل الخاص بنا ينتظرنا.**

فيوليت: **وما المفترض أن يعنيه هذا؟**

أنا: **هذا يعني أنك ربما لم تحلمي برؤية إنديانا. ولكن بالإضافة إلى أنه من الضروري القيام بذلك كواجب مدرسي، وإلى جانب أنني تطوعت، ولنقل إنني أحرجتك لتصبحي شريكة لي في ذلك المشروع، إليك ما أفكر فيه: أعتقد أن لدي خارطة في سيارتي تنتظر من يستخدمها، وأعتقد أن هنالك أماكن يمكننا أن نزورها، بل يجب علينا القيام بذلك؛ إذ يمكن ألا يكون أحد قد زارها، أو ربما لم يقدرها أحد حق قدرها، أو لم يزعج نفسه بالتفكير في أنها أماكن مهمة. ولكن، قد تكون حتى أكثر الأماكن تفاهة ذات أهمية. وإن لم تكن كذلك، فقد تكون لها أهمية بالنسبة لي ولك، فعلى الأقل حينما نغادر سنكون على يقين من أننا سنراها، وأعني بذلك مشاهدة كل ما في ولايتنا العظيمة. إذاً، هيا بنا، فلنذهب إلى هناك، ولنفكر بشيء ما، ولننزل بعيداً عن تلك النافذة الضيقة.**

وحينما لم ترد على ذلك كتبت لها: **إنني ما زلت هنا إن كنت تحبين أن نتحاور.**

أعقبت ذلك فترة صمت.

أخذت أتخيل فيوليت في البيت في ذلك الحين، وهي تجلس في الطرف الآخر عند حاسوبها، وقد ارتفع طرفا فمها الجذاب وهي تبتسم للشاشة؛ بالرغم من كل ما قلته. *لقد كانت فيوليت تبتسم*. أمسكت بالغيتار، وأنا ما زلت أتابع ما يجري على الحاسوب، ثم بدأت باختراع كلمات، ولم يتأخر اللحن عن الظهور بعد ذلك.

كنت لا أزال في مكاني وأنا أشعر بالامتنان؛ لأنني كنت سأخسر كل ذلك لو نمت، إذ من المفيد أن تبقى مستيقظاً في بعض الأحيان.

وهنا أخذت أغني: "إذاً، ليس اليوم؛ لأنها ابتسمت لي".

قواعد فينش للتجول

1. ليس ثمة قواعد؛ لأن الحياة مؤلفة من الكثير من القواعد بطبيعتها.
2. ولكن هنالك إرشادات (حيث تبدو هذه الكلمة أقل صرامة من كلمة قواعد).

أ. يمنع استخدام الهواتف النقالة للوصول إلى تلك الأماكن، بل علينا القيام بذلك كما كانت الحال في الأيام الخوالي، أي علينا أن نتعلم كيفية قراءة الخرائط بشكل صحيح.

ب. يجب أن نتناوب في اختيار الأماكن التي نرغب بزيارتها، ولكن علينا أيضاً أن نكون على استعداد للمضي إلى حيث يرشدنا الطريق. وهذا يعني أن نمضي لمشاهدة الأماكن الرائعة والصغيرة والغريبة والشاعرية والجميلة والكريهة والمدهشة؛ تماماً كما هي الحياة التي تخلو من أي شيء اعتيادي بطريقة غير مشروطة وحازمة.

ت. علينا أن نترك شيئاً في كل موقع نزوره، كأن نترك ذكرى، ويمكن لذلك أن يمثّل لعبتنا الخاصة بالنسبة لعملية البحث عن الأشياء الخفية (وهي من الأنشطة الترفيهية التي تقوم على الصيد والبحث عن الأشياء الخفية بواسطة نظام تحديد المواقع العالمي الذي ينشر على الشابكة)، وهي ليست مجرد لعبة، ولكنها مخصصة لكلينا فقط. كما أن قواعد هذه العملية تقوم على فكرة: "خذ شيئاً واترك شيئاً"، وإنني أفهم من ذلك أن نحصل على شيء ما من كل مكان، إذاً لم لا نمنح ذلك المكان شيئاً مقابل ذلك؟ وإضافة إلى كل ذلك، تعتبر هذه الطريقة ناجعة لنثبت للآخرين أننا كنا هناك، كما أنها طريقة يمكننا من خلالها أن نخلف شيئاً منا في تلك الأماكن.

فيوليت

153 يوماً قبل التخرج

الزمان: ليلة السبت، المكان: بيت أماندا مونك.

كنت قد قررت الذهاب إلى بيتها لأن ما يفصل بين بيتي وبيتها هو ثلاثة أبنية فقط، وقد أخبرتني أماندا بأنها ستستضيف كلاً من آشلي دانستون وشيلبي بادجيت وذلك لأنها لم تكن تتحدث إلى سوز في تلك الفترة. كانت أماندا إحدى صديقاتي المقربات، ولكنني ابتعدت عنها منذ شهر نيسان، وذلك لأنني اعتزلت التشجيع، فلم تعد هناك قواسم مشتركة تجمعنا، ولهذا كنت أسأل نفسي إن كان ثمة أشياء مشتركة تجمعنا أصلاً.

كنت قد أخطأت وذكرت أمام والدي قصة المنام بأكملها، وكان هذا هو السبب الذي دفعني للخروج من البيت، إذ قلت لنفسي: "إن أماندا تبذل جهدها، وعليك أن تكوني كذلك يا فيوليت، إذ لا يمكنك أن تتذرعي بوفاة شقيقتك إلى الأبد، بل عليك أن تعودي إلى حياتك". كما أن عبارة: *لست مستعدة* لم تعد تجدي نفعاً لدى والدتك ووالدك.

وبينما كنت أجتاز ساحة فيات وأستدير عند الزاوية، وصلتني أصوات الحفلة؛ إذ كان بيت أماندا مزيناً بالأضواء، وكان الناس يقفون أمام الشبابيك، كما كان بعضهم يقفون على المرج. لقد كان والد أماندا يمتلك سلسلة متاجر، وهذا سبب من بين الأسباب التي جعلت أماندا شخصية مشهورة، هذا إلى جانب كونها تبذل مجهوداً كبيراً لتكون كذلك.

مكتبة الرمحي أحمد

أخذت أنتظر في الشارع بعدما وضعت حقيبتي على كتفي، ووسادتي تحت ذراعي، وهنا شعرت بأنني فتاة مهذبة للغاية في الصف السادس. ولو كانت إليانور موجودة لضحكت علي، ولدفعت بي نحو الممشى، ولكانت قد سبقتني إلى الداخل، غير أن تلك الفكرة قد أثارت جنوني لمجرد تخيلها.

أرغمت نفسي على الدخول، فقام جو فيات بتقديم شيء لي في فنجان بلاستيكي أحمر اللون، ثم هتف: "الشراب في الطابق السفلي". كان المتسكع قد استولى على المطبخ مع لاعبي بيسبول آخرين إلى جانب لاعبي كرة القدم.

وهنا سأل المتسكع تروي ساترفيلد: "هل سجلت هدفاً؟".

فأجابه: "كلا يا رجل".

فسأله: "هل قبلتها؟".

فأجابه: "كلا".

ثم سأله: "هل قمت بعلاقة حميمة معها؟".

فأجابه: "أجل، ولكنني أعتقد أن ذلك حدث بالخطأ".

وهنا ضحك كلاهما، واستغربت أن تروي ضحك على ذلك، غير أن الجميع كانوا يتحدثون هنا بصوت عالٍ.

اتجهت نحو الدور السفلي، فوجدت أماندا وسوز هاينز وقد عادت أواصر الصداقة بينهما، حيث رأيتهما تسترخيان على أريكة، لكنني لم أجد آشلي أو شيلبي في أي مكان، في الوقت الذي انبطح فيه خمسة عشر أو عشرون شاباً على الأرض ليلعبوا لعبة، بينما كانت الفتيات يرقصن حولهم، بمن فيهن البريانات الثلاث وبريندا شانك-كرافيتس صديقة تيودور فينش، أما العشاق فكان كل منهم يغازل الآخر.

أخذت أماندا تلوّح بكأس الشراب في يدها وتشير إلي وهي تقول: "يا إلهي! علينا أن نعدّل وضع شعرك". وكنت أعرف أنها كانت تتحدث عن "الغرة" التي أصبحت أسدلها، لكنها تابعت قولها: "و لِمَ ما زلت تضعين هذه النظارة؟ لكم أحب أن أتذكر شقيقتك، ولكن ألم يكن لديها قميص صوفي جميل كان بوسعك أن ترتديه عوضاً عن هذه النظارة؟".

وضعت فنجاني على الأرض، وكنت لا أزال أحمل وسادتي، ثم قلت: "معدتي تؤلمني، لذا أعتقد أنه علي أن أعود إلى البيت".

وهنا التفتت سوز ونظرت إلي بعينيها الزرقاوين الواسعتين ثم قالت: "هل صحيح أنك قمت بإبعاد تيودر فينش عن الحافة؟". (بقي اسمها "سوزي" حتى الصف التاسع، وبعدها أسقطت حرف الياء من اسمها، فصرنا نناديها سوز).

أجبتها: "نعم". ثم قلت في نفسي: كل ما أرجوه منك يا ربي هو أن يمضي هذا اليوم على خير.

وهنا نظرت أماندا إلى سوز وقالت: "لقد أخبرتك بأن ذلك قد حصل بالفعل". ثم نظرت إليّ وأخذت تدير عينيها وتقول: "إن هذا ما يفعله عادة، فأنا أعرفه منذ أن كان في رياض الأطفال، وقد ازدادت غرابته بمرور الأيام".

تناولت سوز شراباً ثم قالت: "إنني أعرفه قبل ذلك بسنين طويلة". وهنا صفعتها أماندا على ذراعها، فبادلتها الصفعة بصفعة هي أيضاً، وبعدما انتهت تلك الجولة، توجهت سوز بالحديث إلي قائلة: "لقد بدأت علاقتنا منذ السنة الثانية. وبالرغم من أنه قد يكون غريب الأطوار، إلا أنني سأقول هذا لصالحه، لأنه من الشبان الذين يعرفون ما يفعلونه". وهنا أصبح صوتها أكثر ارتفاعاً، ثم تابعت بالقول: "بخلاف معظم هؤلاء الفتيان المملين المتواجدين هنا". عندها، هتف اثنان من الشبان المملين من مكانهما على الأرض قائلين: "لم لا تأتين وتجربين أيتها السافلة؟". فقامت أماندا بصفع سوز مرة أخرى، وتابعتا ما كانتا تفعلانه سابقاً.

حركت حقيبتي فوق كتفي ثم قلت: "أنا سعيدة لتواجدي هناك حينئذ". ولأكون أكثر دقة، ما أسعدني هو تواجده هناك قبل أن أرمي بنفسي من النافذة وأنتحر أمام الجميع، إذ لا أستطيع التفكير بوالديّ بعد أن يصبحا مجبرين على التعامل مع موضوع وفاة الابنة الوحيدة المتبقية لديهما، والتي لم يأتِ موتها عرضاً بل عمداً. وهذا أحد الأسباب التي دفعتني للمجيء إلى هنا الليلة من دون شجار، إذ كنت أشعر بالخجل من نفسي بسبب ما كنت على وشك أن أجعلهما يقاسيانه.

وهنا سمعت صوتاً يقول: "أنت سعيدة لتواجدك أين؟". كان ذلك صوت المتسكع الذي كان يترنح وفي يده إناء كبير مملوء بالشراب، ثم رماه على الأرض، فتطاير الجليد في كل مكان.

عندها، أخذت سوز تنظر إليه بعينين تشبهان عيني القطة ثم قالت: "لتواجدها في برج الجرس".

فأخذ المتسكع يحدق إلى صدرها، ثم أرغم نفسه على النظر إلي وقال: "ولكن، لم كنت هناك؟".

أجبته: "كنت في طريقي لحضور حصة العلوم الإنسانية، فرأيته يدخل من الباب الموجود عند نهاية القاعة. أعني ذلك الباب الذي يؤدي إلى البرج".

هتفت أماندا: "العلوم الإنسانية؟ أعتقد أن ذلك كان خلال الحصة الثانية".

أجبتها: "أجل، لكنني كنت أريد أن أتحدث إلى السيد فيلدمان حول موضوع معين".

فرد علي المتسكع: "لكن الباب مقفل ومحصن، والدخول إلى ذلك المكان صعب جداً". ثم أخذ يضحك ويضحك.

أجبته: "ربما فتح الباب بأداة مستدقة". أو لعلي أنا من فعل ذلك.

إن من الفوائد التي تجنيها من ظهور سيماء البراءة على وجهك قدرتك على التخلص من أمور كثيرة، حيث لا يشك الآخرون في أمرك في أغلب الأحيان.

وهنا فتح المتسكع زجاجة شراب غازي وتركها تفور على الأرض، ثم قال: "حمقاء! كان عليك أن تتركيه يقفز؛ فقد كان سيطيح برأسي في السنة الماضية". وبالطبع كان يشير إلى حادثة اللوح.

سألتني أماندا وهي تقوم بحركات في وجهها: "هل تعتقدين أنه يحبك؟".

أجبتها: "بالطبع لا".

فردت: "أتمنى ألا يحدث ذلك، فلو كنت مكانك لكنت قد اتخذت موقف الحذر منه".

منذ عشرة أشهر كان بوسعي أن أجالسهم، وأحتسي الشراب معهم، وأنسجم في أجوائهم، بينما كنت أكتب تعليقات ذكية في رأسي كأن أقول:

كانت تلقي بالكلمات قصداً كمحام يحاول إقناع أحد أعضاء هيئة المحلفين. "اعتراض! يا آنسة مونك"، "أعتذر بشدة، وأطلب منكم تجاهل الموضوع"، لكن الأوان قد فات لأن المحلف قد سمع الكلام وانتهى الأمر؛ فإن كان يحبها، فلا بد لها أن تبادله حباً بحب...

لكنني الآن أقف هناك وأنا أشعر بالكآبة؛ وكأنني لا أنتمي إلى المكان، وأسأل نفسي عن كيفية كوني صديقة لأماندا.

أصبح الجو ثقيلاً للغاية، كما كان صوت الموسيقى عالياً جداً، وقد انتشرت رائحة الشراب في كل مكان، فشعرت بأنني على وشك أن أمرض، ثم وقعت عيناي على ليتيشيا لوبير التي تعمل كمراسلة لجريدة المدرسة، وذلك أثناء سيرها باتجاهي.

وهنا قلت لأماندا: "علي أن أذهب يا أماندا، وسأحدثك في الغد".

وقبل أن يتمكن أحد من أن ينبس بكلمة، صعدت الدرجات وخرجت من ذلك البيت.

كانت آخر حفلة حضرتها في الرابع من نيسان، أي في تلك الليلة التي فارقت فيها إليانور الحياة. وهكذا، إن الموسيقى والأضواء والصراخ قد أعادت كل تلك التفاصيل إلى ذاكرتي، لكنني في الوقت المناسب أبعدت شعري عن وجهي، وانحنيت وتقيأت على الحاجز الحجري، وأقنعت نفسي بأنهم في الغد سيعتقدون أن ذلك كان بسبب شخص آخر.

بحثت عن هاتفي، وأرسلت رسالة نصية لأماندا قلت فيها: **أعتذر بشدة، فأنا لست بخير ☻ قبلاتي. في.**

استدرت باتجاه البيت فاصطدمت بريان كروس. كان مبللاً وأشعث، أما عيناه فكانتا واسعتين وجميلتين ومحتقنتين بالدم، وكان يتميز بابتسامة ماكرة كغيره من الشبان المثيرين، لكنه حينما كان يبتسم بزاويتي فمه كانت تظهر غمازتاه. لقد كان شاباً رائعاً، وكنت قد حفظت معالمه وقسماته.

إلا أنني لم أكن رائعة، إذ كانت لدي أسرار، وكنت أشعر بالتخبط والتشوش في داخلي وفي أعماقي، ولم يكن أحد يحب فيوليت المشوشة، بل فيوليت المبتسمة.

لذا، تساءلت في سري عما سيفعله ريان لو علم بأن فينش هو من أقنعني بالنزول وليس العكس، وعما سيفعله كل منهما حينما تنكشف الحقيقة.

ساعدني ريان على النهوض، ثم جعلني أستدير بكل ما كنت أحمله من وسادة وحقيبة وبقية الأغراض، وبعدها حاول أن يقبلني، لكنني أبعدت رأسي عنه.

كانت أول مرة قبلني فيها فوق الثلج، ثلج نيسان. أجل، أهلاً بكم في المنطقة الغربية الوسطى. كانت إليانور يومها ترتدي ثياباً بيضاء، أما أنا فكنت بثياب سوداء، وكنا نبدو أشبه بشكل ممثلتين في أحد الأفلام، حيث كنا قد قلبنا الأدوار كعادتنا في بعض الأحيان، فتقمصت هي دور الأخت الطيبة وأنا دور الأخت الشريرة. كان إيلي شقيق ريان الأكبر قد أقام حفلة، وفي الوقت الذي صعدت فيه إليانور مع إيلي إلى الطابق العلوي كنت أنا أرقص بصحبة أماندا وسوز وشيلبي، أما ريان فكان يقف عند النافذة، وكان هو من قال: "إنها تثلج!".

رقصت بين الناس، وكان هو ينظر إلي، وأخيراً قال لي: "هيا بنا". هكذا بكل بساطة.

أمسك بيدي وخرجنا. كانت ندف الثلج ثقيلة كحبات المطر، كما كانت كبيرة وبيضاء ولامعة، لذا حاولنا أن نمسك بها. وبعد ذلك، وجد فم ريان طريقه إلى فمي، فأغمضت عيني بينما كانت ندف الثلج تستقر على وجنتي.

ومن داخل البيت، كانت تأتينا أصوات الضجة الناتجة عن الصراخ وتحطم الأواني، إذ كانت تلك أصوات الحفلة. ثم وجدت يدا ريان طريقهما إلى جسدي، وأتذكر كم كانتا دافئتين، لدرجة أنني حتى حينما كنت أقبله كنت أفكر وأقول في سري: إنني أقبّل ريان كروس، إذ لم يحدث لي شيء كهذا قبل أن ننتقل إلى إنديانا. بعد ذلك، انسلت يداي تحت قميصه السميك، فكانت بشرته حارة وملساء، بل كانت بالضبط كما تخيلت ملمسها.

ازدادت حدة الصراخ داخل المنزل وارتفع صوت التحطم أكثر، فابتعد ريان عني، وأخذت أنظر إليه وإلى لطخة أحمر شفاهي على فمه، ولم يكن يسعني وقتها سوى أن أقف هناك وأفكر في سري وأقول: أحمر شفاهي على شفتي ريان كروس... أوه... يا إلهي!

لكم كنت أتمنى لو كانت عندي صورة تظهر وجهي في تلك اللحظة بالذات كي أتمكن من تذكر الحالة التي كنت عليها وقتئذ. إذ كانت تلك اللحظة آخر لحظة جميلة عشتها قبل أن يتحول كل شيء إلى ظلام وتتغير حياتي إلى الأبد.

والآن، ها هو ريان يحملني ويشدني نحوه، فارتفعت قدماي عن الأرض.

عندها، بادرني بالقول وهو يحملني عائداً بي إلى البيت: "لقد كانت وجهتك خاطئة يا فِي".

قلت له: "لقد كنت هناك، وعلي أن أعود إلى منزلي لأنني مريضة، أنزلني!". ثم أخذت أضربه بقبضتي، فأنزلني لأنه فتى لطيف يفعل ما يطلب منه.

ثم قال: "ما الأمر؟".

أجبته: "إنني مريضة، فقد تقيأت للتو، وعلي أن أذهب". ثم ربّتّ على ذراعه كما أفعل مع الكلاب، وابتعدت عنه بسرعة باتجاه المرج، ثم وصلت إلى الشارع، وبعدها استدرت عند الزاوية لأصل إلى البيت، وهناك سمعته يناديني لكنني لم ألتفت.

"لقد أتيت مبكرة". هتفت أمي التي كانت جالسة على الأريكة وقد غاص وجهها في أحد الكتب. أما أبي فقد كان متمدداً عند الطرف الآخر للأريكة وقد أغمض عينيه بعدما وضع سماعتي أذنيه.

أجبتها: "لست مبكرة كثيراً". ثم توقفت عند أسفل الدرج وتابعت: "فكما تعرفين، كانت تلك فكرة سيئة، وكنت أعرف أنها كذلك، لكنني ذهبت لكي أريك بأنني أحاول. غير أن ذلك لم يكن مناماً، بل كان حفلة عظيمة للفساد المتاح للجميع". صرخت بتلك الكلمات في وجهيهما وكأن الذنب ذنبهما.

وهنا، وكزت أمي أبي، فسحب السماعتين من أذنيه، ثم اعتدل كلاهما في جلستيهما، وعندها قالت أمي: "هل ترغبين بالتحدث عن شيء معين؟ إنني أعرف بأن هذا صعب بالنسبة لك، بل يمثل مفاجأة، فلم لا تخرجين معنا لبعض الوقت؟".

كان والداي رائعين مثل ريان، كما كانا قويين وشجاعين وعطوفين. وبالرغم من أنني أعرف أنهما ربما يبكيان أو يغضبان أو يرميان بالأشياء ويحطمانها

في غيابي، لكنهما نادراً ما يظهران تلك الأمور لي، بل كانا بدلاً من ذلك يشجعانني على الخروج من البيت، وعلى ركوب السيارة والعودة إلى مسيرة حياتي المعهودة إن صح التعبير، كما كانا يصغيان إليّ ويسألانني أسئلة كثيرة ويقلقان بشأني، إذ كانا يشعرانني بأهما موجودان من أجلي. وقد بالغا في ذلك بعض الشيء في هذه الفترة؛ إذ أصبحا يريدان أن يعرفا إلى أين سأذهب، وما الذي سأفعله، وبمن التقيت، ومتى سأعود... حيث كانا يقولان لي: *أرسلي لنا رسالة نصية وأنت في طريقك إلى هناك... أرسلي لنا رسالة نصية وأنت في طريقك إلى البيت.*

أصبحت أجلس معهما في معظم الأوقات حالياً، فقط لأمنحهما شيئاً ما بعد كل ما عانياه، وبعد ما كنت على وشك أن أجعلهما يقاسيانه البارحة، لكنني لم أستطع القيام بذلك الليلة.

وهنا هتفت بهما: "لقد حاولت وكفى. وأعتقد أنه يجدر بي أن آوي إلى فراشي".

كانت الساعة العاشرةَ والنصف مساءً حين دخلت غرفتي، وكنت أنتعل خف فرويد بفردتيه الغامضتين اللتين صنعتا بشكل يشبه وجه فرويد، كما كنت أرتدي ثياب النوم من ماركة تارغيت التي رسمت عليها قرود بنفسجية اللون، وهذا اللباس يعتبر معادلاً للمكان السعيد الذي أتواجد فيه. وهكذا قمت بشطب ذلك اليوم عبر كتابة حرف X أسود على التقويم الذي يغطي باب خزانتي، ومن ثم تكورت فوق سريري مستندة إلى الوسائد الموجودة فيه. كانت الكتب منتشرة فوق غطاء السرير؛ فمنذ أن توقفت عن الكتابة أصبحت أقرأ أكثر من ذي قبل، إذ أصبحت أقرأ *كلاماً كتبه آخرون، وليس كلامي، لأن كلماتي تبخرت*. وفي هذا الحين كنت أقرأ للأخوات برونتي.

أحب عالمي الذي تضمه غرفتي؛ لأن الأجواء هنا تبدو لي أفضل مما هي عليه في الخارج، ولأنه يمكنني أن أكون كما أريد في غرفتي. فأنا كاتبة متميزة يمكنها أن تكتب خمسين صفحة باليوم من دون أن تنضب كلماتها، كما كنت سأحصل

على القبول كطالبة في جامعة نيويورك ضمن برنامج الكتابة الإبداعية، وقد أنشأت مجلة إلكترونية رائجة، ولا أعني هنا المجلة التي أنشأها مع إليانور، بل أنشأت مجلة أخرى جديدة. كما أنني شجاعة ولا أهاب شيئاً، هذا إلى جانب كوني حرة وأشعر بالأمان.

لم يكن بوسعي أن أحدد أياً من الأخوات برونتي تعجبني أكثر، لكنني متأكدة من أنها ليست شارلوت؛ إذ تبدو كمعلمتي في الصف الخامس. أما إميلي فشرسة ومتهورة، في حين أن آن قد نالت حظها من التجاهل، لذا كنت أناصرها. بدأت أقرأ، ثم استلقيت فوق غطاء سريري لمدة طويلة، وأخذت أحدق إلى السقف. كان ذلك الإحساس ينتابني منذ شهر نيسان، إذ كنت أشعر بأنني كنت أنتظر شيئاً ما من دون أن تكون لدي أدنى فكرة عن ماهيته.

وبعد هنيهة نهضت من سريري، فوجدت أن تيودور فينش كان قد نشر مقطع فيديو على صفحته على الفيسبوك منذ أكثر من ساعتين، وتحديداً عند الساعة السابعة وثمانٍ وخمسين دقيقة. كان المقطع يظهره وهو يعزف على الغيتار بينما هو جالس في مكان أعتقد أنه غرفته، وبدا لي صوته جميلاً لكنه كان أجش؛ وكأنه قد دخن سجائر كثيرة قبل البدء بالغناء، وكان منحنياً على غيتاره، وشعره الأسود قد غطى عينيه. وقد كانت صورته ضبابية، وكأنه صوّر ذلك الفيلم بواسطة هاتفه الجوال. أما كلمات الأغنية التي كان يغنيها فكانت تدور حول فتى يقفز من سطح مدرسته.

وحينما فرغ من الغناء، وجّه حديثه إلى الكاميرا بقوله: "فيوليت ماركي، إن كنت تشاهدين هذا الفيلم فلا بد أنك ما زلت على قيد الحياة. أرجو التأكيد".

وهنا أغلقت الفيديو وكأنه كان بوسعه أن يراني؛ إذ كانت لدي الرغبة في الانتحار البارحة. ثم اختفت صورة تيودور فينش وبرج الجرس، وبما أنني كنت معنية بذلك، تحوّل مجمل الأمر لدي إلى كابوس كريه، بل إلى حلم بشع، أو لنقل إلى أسوأ كابوس على الإطلاق.

ولهذا كتبت له رسالة خاصة قلت له فيها: **أرجو أن تمسح ذلك من صفحتك، أو أن تقوم بتعديل ما قلته في النهاية كي لا يتمكن أحد من سماع أو رؤية ما قلته.**

وفوراً كتب لي: **تهانينا! أستنتج من رسالتك أنك حية! وبعيداً عن ذلك الموضوع، كنت أفكر في أنه يجب علينا أن نتحدث بشأن ما حدث، لاسيما الآن بعدما أصبحنا شريكين في مشروع واحد (ملاحظة: لا يستطيع أحد رؤية هذا الفيديو سوى أنا وأنت).**

أنا: **أنا بخير، وأفضل أن أغفل ذلك الموضوع برمته وأنسى أن الأمر قد حدث أصلاً (كيف عرفت ذلك؟)**

فينش: **(لأنني أنشأت هذه الصفحة كذريعة للتحدث إليك، ثم إنك قد شاهدت الفيديو الذي سيختفي تلقائياً خلال خمس ثوانٍ. عدي معي: خمسة، أربعة، ثلاثة، اثنان....) أرجو أن تقومي بتحديث الصفحة.**

كان الفيديو قد اختفى.

فينش: **إن كنت لا ترغبين بالتحدث عبر الفيسبوك بوسعي أن آتي إليك.**

أنا: **الآن؟!**

فينش: **حسناً، عملياً يمكنني أن أصل إليك في غضون ما يقارب خمس أو عشر دقائق، ولكن علي أن أرتدي ملابسي أولاً؛ إلا إن كنت تفضلين أن تريني عارياً، كما علينا أن نلتزم بالوقت المخصص للقيادة.**

أنا: **إن الوقت متأخر.**

فينش: **إن ذلك يعتمد على الشخص الذي تسألينه. أتعرفين؟ إنني لا أجد الوقت متأخراً بالضرورة، بل أجده مبكراً، بل إنه مبكر في حياتي وحياتك، وهو يقع خلال فترة مبكرة من الليل، وخلال فترة مبكرة من السنة الجديدة. وإن كنت تعدين الكلمات فستلاحظين أن كلمة مبكر قد وردت أكثر بكثير من كلمة متأخر في الحديث. ثم إن الأمر لن يتعدى كونه مجرد حديث، ولا شيء سواه، وهو لا يشبه أي محاولة لاستمالتك بالكلام.**

إلا إن كنت ترغبين بذلك، أعني أن أستميلك بالكلام.

أنا: **كلا.**

فينش: **"كلا"، أي أنك لا ترغبين بأن آتي إليك؟ أم "كلا" لأنك لا تريدينني أن أستميلك بالكلام؟**

أنا: **كلاهما، أو كل ما سبق.**

فينش: **حسناً، يمكننا أن نتحدث في المدرسة، وقد نفعل ذلك في غرفة الصف أثناء حصة الجغرافيا، أو بوسعي أن ألتقيك خلال فترة الغداء. أعتقد أنك تتناولين غداءك مع أماندا والمتسكع أليس كذلك؟**

أرجوك يا إلهي أوقفه، واجعله يغرب عن وجهي.

أنا: **إن أتيت إليّ الليلة فهل تعدني بأن تنسى الموضوع نهائياً؟**

فينش: **أقسم بشرف الكشاف.**

أنا: **سنتحدث فقط، ولن يكون هناك أي شيء آخر، كما لن أسمح لك بالبقاء هنا لفترة طويلة.**

إلا أنني بمجرد أن كتبت ذلك رغبت في سحب كل ما قلته. فقد كان بيت أماندا حيث توجد الحفلة في الزاوية القريبة من بيتي، أي كان باستطاعة أي شخص من معارفي أن يمر من هنا ويراه عندي.

أنا: **أما زلت هنا؟**

لكنه لم يجب.

أنا: **فينش؟**

مكتبة الرمحي أحمد

فينش

اليوم السابع من اليقظة

ركبت سيارة أمي القديمة من نوع ساتورن في يو إي والتي اشتهرت باسم *الصغيرة*، وتوجهت إلى منزل فيوليت ماركي عبر الطريق الترابي الذي يسير بمحاذاة الطريق الدولي الذي يعتبر الشريان الرئيس الذي يعبر المدينة. ضغطت بقدمي على دواسة البنزين، وبعدها بدأت مرحلة الاندفاع حينما أخذ عداد السرعة يصل إلى الستين ثم السبعين فالثمانين والتسعين، حيث أخذت الإبرة تهتز كلما ازدادت السرعة، وقد كانت هذه السيارة تبذل أقصى ما بوسعها في ذلك الحين بصفتها سيارة رياضية وليست مجرد شاحنة صغيرة عمرها خمس سنوات.

في الثالث والعشرين من شهر آذار كتب شاعر إيطالي اسمه سيزار بافيس هذه السطور: *"الحب فعلاً أبلغ بيان، وهو الحافز الذي يدفعك لتكون أنت، ولتعلل سبب وجود شيء ما، وإن كان لا بد للموت أن يأتي، فالحب يدفعك للموت ببسالة، وبهجة. باختصار، الحب يساعدك على البقاء ماثلاً في الأذهان"*. وبعد مرور خمسة أشهر على هذا الكلام، مضى ذلك الشاعر إلى مكتب إحدى الجرائد ليختار صورة نعيه من أرشيف الصور، ثم حجز في فندق، وبعد مرور بضعة أيام وجده أحد موظفي الفندق ممدداً في سريره بعدما فارق الحياة. كان قد ارتدى كامل ثيابه باستثناء الحذاء. وعلى الطاولة الموضوعة بالقرب من السرير وجدوا

ست عشرة ورقة لحبوب منومة، وورقة كتب فيها: *"لقد سامحت الجميع وأطلب من الجميع السماح، أتوافقون؟ ثم إنني لا أريد الكثير من الثرثرة أرجوكم"* .

لم تكن لسيزار بافيس أية علاقة بالقيادة بسرعة على طريق زراعية في إنديانا، ولكنني أعرف الدافع الذي يدفعني لأكون أنا ولأعلل سبب وجود شيء ما، بينما لست واثقاً من أن خلع الحذاء في غرفة فندق مجهول وابتلاع عدد هائل من الحبوب المنومة يمكن أن يوصف بالموت ببسالة وبهجة، بل كانت تلك هي الفكرة الأكثر أهمية.

انطلقت بسيارة الساتورن بسرعة بلغت خمسة وتسعين، ثم قررت أن أستريح من الضغط على دواسة البنزين عندما أصل إلى المئة، وليس سبعة وتسعين أو ثمانية وتسعين، إذ كان هدفي إما المئة أو لا شيء.

انحنيت إلى الأمام وكأنني صاروخ، إلا أنني كنت أنا من يقود السيارة، ثم بدأت أصرخ لأنني أصبحت أكثر يقظة خلال ثانية، وعندها شعرت بمدى اندفاعي، ومن ثم أخذت أشعر بكل شيء من حولي وفي داخلي، فأصبحت أحس بالطريق وبدمي وقلبي وهو ينبض بشدة في جوفي، وكان بوسعي أن أتوقف في تلك اللحظة عبر بهجة باسلة تضفيها قطعة معدن محطمة ونار ناجمة عن الانفجار، لكنني دست على دواسة البنزين أكثر، ولم يعد بمقدوري أن أتوقف حينها لأن سرعتي أصبحت أشد من أي سرعة أخرى على سطح الأرض. أما الشيء الوحيد الذي كان يهمني وقتها فكان الضربة الأمامية والطريقة التي سأحس من خلالها أنني خرجت من السيارة بعنف نحو أبلغ بيان.

ولكن خلال جزء صغير من الثانية، وقبل أن ينفجر قلبي داخل ضلوعي أو ينفجر المحرك داخل السيارة، رفعت قدمي وأبعدتها عن دواسة البنزين، وانطلقت عبر الشارع العتيق الذي تملأه الأخاديد والحفر، حيث أخذت *الصغيرة* تحملني بطريقتها؛ وكأنني كنت أطير فوق الأرض ومن ثم أهبط فوقها بقوة. وهكذا، توقفت عند الخندق على بعد عدة أقدام منه، وكنت على وشك الوقوع فيه تقريباً.

وهناك جلست لألتقط أنفاسي، ثم رفعت يديّ لأكتشف أنهما لم تكونا ترتجفان على الإطلاق، بل كانتا ثابتتين كأثبت ما يمكن أن تكونا عليه. بعد ذلك،

أخذت أنظر حولي، فرأيت السماء المزدانة بالنجوم والحقول والظلمة والبيوت الهاجعة، وها أنذا قد أصبحت هنا.

كانت فيوليت تقطن على بعد شارع من بيت سوز هانيز، في بيت أبيض اللون وواسع ذي مدخنة حمراء، ضمن حي يقع في الطرف المقابل من المدينة. أخذت أدور بالسيارة *الصغيرة*، فوجدت فيوليت تجلس على عتبة الباب بعدما تدثرت بمعطف كبير بدت فيه صغيرة الحجم ووحيدة، ثم قفزت وأتت لملاقاتي في منتصف الرصيف، ولكنها تجاوزتني ببصرها على الفور، فبدت لي وكأنها تنظر إلى شخص آخر أو شيء آخر. وأخيراً، همست وكأننا سنوقظ الجيران: "لم يكن هناك أي داع لكي تقطع كل هذه المسافة لتصل إلى هنا". فأجبتها هامساً: "إن المسألة ليست كما هي عليه لو كنا نعيش في لوس أنجلوس أو حتى سينسيناتي؛ فاجتياز المسافة من بيتي إلى بيتك لم يستغرق أكثر من خمس دقائق. بالمناسبة، بيتك جميل".

أجابتني: "إنني أشكرك على مجيئك، لكنني لست بحاجة إلى التحدث عنَ أي شيء". كانت قد ربطت شعرها على شكل ذيل حصان، غير أن خصلات منه كانت تتطاير حول وجهها، كما رفعت جزءاً منه خلف أذنها. وأخيراً عقّبت: "فأنا بأحسن حال".

أجبتها: "لا تحاولي أن تقنعي تافهاً بتفاهتك هذه، فأنا أعرف صرخة المساعدة بمجرد النظر إليها، ويمكنني أن أقول إن الحديث معي عند النافذة قد أفادك كثيراً، أكثر مما تتوقعين. هل والداك في البيت؟".

أجابت: "نعم".

قلت لها: "خبر سيئ. أترغبين بأن نتمشى؟". ثم بدأت بالسير.

فأجابت: "ليس بذلك الاتجاه". ثم أمسكتني من ذراعي وسحبتني إلى الجهة الأخرى.

سألتها: "هل تحاولين أن تبتعدي عن شيء معين؟".

ردت: "كلا. كل ما هنالك، مممم... إن المكان أجمل من هنا".

حاولت أن أتقمص صوت السقط قدر ما أستطيع وأنا أقول لها: "حسناً، منذ متى والمشاعر المرتبطة بالانتحار تراودك؟".

هتفت: "يا إلهي! لا تتكلم بصوت عالٍ هكذا، ثم إنني لا... إنني لا...".

قلت: "لا تفكرين بالانتحار، يمكنك أن تقولي ذلك".

أجابت: "حسناً، إنني لست كذلك على أية حال".

قلت لها: "بعكس ما يحدث لي".

ردت: "لم أقصد ذلك".

فقلت لها: "لقد وصلت إلى حافة النافذة لأنك لم تجدي مكاناً آخر تلجئين إليه، أو عملاً آخر لتقومي به؛ خاصة بعدما فقدت كل أمل، ثم أنقذت حياتك كفارس مغوار. بالمناسبة، تبدين مختلفة تماماً بدون تبرج، لكنك لست قليلة الجمال بالضرورة، فقط مختلفة، بل لعلك أجمل بلا تبرج. ثم ما الأمر بشأن موقعك الإلكتروني؟ هل لديك رغبة بالكتابة دائماً؟ حدثيني عن نفسك يا فيوليت ماركي".

فأجابتني كإنسان آلي: *ليس لدي الكثير لأحدثك عنه حسب ما أعتقد، بل ليس لدي ما أحدثك عنه.*

وهنا قلت لها: "وماذا عن كاليفورنيا؟ لا بد أن ذلك يعتبر تغييراً بالنسبة إليك، هل تعجبك هذه؟".

فسألتني: "ما الذي يعجبني؟".

أجبتها: "بارتليت".

ردت: "لا بأس بها".

سألتها: "وما رأيك بهذا الحي؟".

ردت: "لا بأس به أيضاً".

فقلت: "إن إجاباتك لا تشبه إجابات شخص عادت له الروح، بل يجب أن تكوني الآن في قمة العالم الحقير، حيث ستجدينني هناك وسأجدك هناك. ليس هذا فقط، بل سنكون معاً، وأخال أن فتاة واحدة على الأقل ستتمنى لو تبادلك المكان".

وفجأة، صدر منها صوت ينم عن الإحباط (لكنه كان مثيراً بطريقة غريبة)، ثم سألتني: "ماذا تريد؟".

فتوقفت تحت ضوء الشارع، وتخليت عن الحديث السريع وسحره وأجبتها: "أريد أن أعرف سبب وجودك هناك، وأريد أن أطمئن عليك وأعرف أنك أصبحت بخير".

سألتني: "هل ستعود إلى بيتك إن أخبرتك؟".

أجبتها: "أجل".

سألتني: "من دون أن تتطرق إلى هذا الأمر مرة أخرى؟".

أجبتها: "إن هذا يعتمد على إجاباتك".

فتنهدت وبدأت تمشي، ولم تنطق بحرف لبرهة من الزمن، وهذا ما جعلني أبقى صامتاً؛ لأنني كنت أنتظرها كي تبوح لي بما يعتمل داخل صدرها. كان الصوت الوحيد الذي يصلها صوت تلفاز صادراً من بيت أحدهم، إلى جانب أصوات حفلة كانت تصلنا من بعيد.

وبعد أن سرنا مسافة اجتزنا فيها بضعة أبنية قلت لها: "إن أي شيء تقولينه لي سيبقى بيننا، وأعتقد أنك لاحظت أنه ليس لدي الكثير من الأصدقاء. وحتى لو كنت كذلك، فلن يتغير الأمر، إذ لدى أولئك الحقراء ما يكفيهم من القصص التي يثرثرون حولها".

وهنا تنفست بعمق ثم قالت: "حينما ذهبت إلى البرج لم أكن أفكر فعلياً، بل بدا الأمر وكأن ساقيّ كانتا تقوداني وتصعدان الأدراج، وكل ما كنت أفعله وقتها هو أنني أذهب إلى حيث تأخذاني. لكنني لم أفعل شيئاً كهذا في حياتي من قبل، أعني أن ذلك لا يشبهني. بعد ذلك، أصبح الأمر وكأنني قد استيقظت فوجدت نفسي عند تلك النافذة، ولم أكن أدري ما الذي يجب علي فعله، ولهذا بدأت أخرج عن طوري وأتصرف بغرابة".

سألتها: "هل أخبرت أحداً عما حدث يومها؟".

أجابت: "كلا". ثم توقفت عن السير، أما أنا فأخذت أقاوم الدافع الذي كان يحثني على لمس شعرها الذي كان ينساب على وجهها مع هبات النسيم، وكانت تبعده عنه لتكمل كلامها.

سألتها: "ولا حتى والديك؟".

فردت: "خاصة والديّ".

قلت لها: "لكنك لم تخبريني بعد بما كنت تفعلينه هناك".

ولم أتوقع منها أن تجيب، لكنها قالت: "كان يومها ذكرى ميلاد أختي. كانت ستبلغ التاسعة عشرة في ذلك اليوم".

فقلت: "اللعنة. أنا آسف".

ردت علي: "لكن ذلك لم يكن السبب، لأن السبب يكمن في أن كل تلك الأمور ليست مهمة، ولا حتى المدرسة أو التشجيع الرياضي أو المعجبين من الشباب أو الأصدقاء والصديقات أو الحفلات أو حتى برامج الكتابة الإبداعية أو..." وهنا أخذت تلوِّح بيديها وتقول: "كل تلك الأمور مجرد أشياء نملأ بها فراغ حياتنا إلى أن نموت".

أجبتها: "قد يكون كلامك صحيحاً، وقد يكون غير ذلك. فسواء أكانت تلك الأمور مجرد أمور لتمضية الوقت أم لا، إلا أنني أشعر بالسعادة لأنني كنت هناك". وهنا شعرت أنني إن كنت قد تعلمت شيئاً فلا بد لي من الاستفادة منه لأبعد الحدود، فأردفت قائلاً: "ولأنك كنت مهتمة بما فيه الكفاية لتمنعيني من القفز".

عندها سألتني: "أيمكنني أن أطرح عليك سؤالاً؟". قالت ذلك وهي تحدق إلى الأرض بإمعان.

أجبتها: "بكل تأكيد".

فقالت: "لماذا يسمونك تيودور المجنون؟".

عندها، أخذت أحدق إلى الأرض بإمعان وكأنها أهم شيء وقعت عليه عيناي، وقد استغرق الأمر فترة من الزمن؛ وذلك لأنني كنت أحاول أن أحدد إلى أي مدى كنت سأفتح لها قلبي بالكلام، حيث فكرت أن أقول: صدقيني *يا فيوليت إن قلت لك إنني لا أعرف سبب كره أولئك الأولاد لي.* لقد كانت تلك كذبة. أعني، كنت أعرف ولا أعرف، فقد كنت مختلفاً على الدوام، والاختلاف بالنسبة إلي هو الوضع الطبيعي، لذا قررت أن أقول لها شيئاً من الحقيقة، فقلت:

"في الصف الثامن كنت أصغر حجماً بكثير مما أنا عليه الآن، وكان ذلك قبل أن تأتي أنت إلى هنا". ثم رفعت بصري إليها، وبقيت كذلك لفترة طويلة حتى أراها وهي تهز برأسها وتومئ لي، عندها تابعت: "وكانت أذناي بارزتين وكذلك مرفقاي، ولم يصبح صوتي رجولياً إلى أن مرّ فصل الصيف؛ وذلك قبل مرحلة الثانوية، أي عندما ازداد طولي أربعة عشر إنشاً".

سألتني: "أهذا كل ما في الأمر؟".

أجبتها: "أجل، كما أنني في بعض الأحيان أتفوه بأشياء، وأفعل أموراً من دون تفكير، وهذا لا يعجب الناس".

التزمت الصمت حينما اجتزنا زاوية الشارع، وأصبح بوسعنا رؤية بيتها من تلك المسافة، ولهذا أخذت أسير ببطء لأكسب المزيد من الوقت معها، ثم قلت: "إنني أعرف الفرقة الموسيقية التي تعزف في مقهى كواري، أي يمكننا أن نتوجه إلى هناك لننعم بالدفء ونستمع إلى الموسيقى وننسى كل شيء. كما أنني أعرف أيضاً مكاناً يتميز بإطلالة ساحرة على المدينة". ثم ابتسمت لها إحدى ابتساماتي الآسرة.

فردت بالقول: "سأدخل البيت وآوي إلى فراشي".

كنت أندهش دوماً من الناس كيف ينامون؛ إذ لم أكن أنام إن لم أكن مضطراً إلى ذلك.

وهنا قلت: "أو بإمكاننا أن نكتب شيئاً".

أجابتني: "حسناً".

أصبحنا قريبين من سيارتي بعد مرور دقيقة أو أكثر، وهنا قلت لها: "إذاً، كيف صعدت إلى هناك؟ لقد كان الباب مفتوحاً حينما حاولت فتحه، لكنه كان دائماً محكم الإغلاق".

فابتسمت للمرة الأولى وقالت: "لعلي استخدمت أداة مستدقة لفتح القفل".

وهنا أخذت أصفر وأقول: "فيوليت ماركي، لديك مواهب لا يمكن للعين أن تكتشفها".

وبسرعة البرق، اجتازت الممر ودخلت بيتها، فوقفت أراقب المشهد إلى أن خفق ضوء تراءى لي من إحدى نوافذ الطابق العلوي، ثم تحرك شبح أمام النافذة إلى أن تمكنت من تبيّن معالم جسدها؛ وكأنها كانت تراقبني من خلف الستارة، فانحنيت على السيارة، وأخذت أنتظر لأعرف من منا سيستسلم أولاً، وهكذا بقيت هناك إلى أن تحرك الشبح مبتعداً، وبعدها انطفأ الضوء.

وعندما وصلت إلى البيت قمت بركن *الصغيرة* في المرأب، وبدأت جولة الجري الليلية، فقد كنت أجري أيام الشتاء، وأسبح بقية أيام السنة. أما الطريق المعتاد الذي كنت أسلكه فكان الطريق الدولي الذي أجتاز فيه المشفى ومخيم الصداقة وصولاً إلى الجسر الفولاذي القديم الذي يبدو مهجوراً لأي شخص يراه إلا أنا. أخذت أعدو بين قمم جدرانه التي كانت في الماضي أسواراً. وحينما توقفت عن الجري من دون أن أسقط عرفت أنني ما زلت على قيد الحياة.

يا تافه... يا غبي... كانت تلك هي الكلمات التي كبرت وأنا أسمعها، وكنت أحاول أن أتجاوزها، لأنني إن سمحت لها بدخول حياتي، فستبقى وستكبر وستنتفخ داخلي إلى أن أتحول إلى *غبي تافه، غبي تافه، ومجنون غبي تافه*. لذا، لم يكن أمامي أي خيار سوى أن أجري بقوة أكبر، وأن أملأ كياني بهذه الكلمات: *ستكون هذه المرة مختلفة عن كل مرة، إذ سأبقى مستيقظاً هذه المرة.*

ركضت لأميال لكنني لم أحسبها، حيث كنت أتجاوز بيتاً مظلماً إثر بيت مظلم، وكنت أشعر بالأسف على حال كل شخص نائم في هذه المدينة.

ثم اتخذت طريقاً مختلفاً للعودة إلى المنزل، حيث اخترت المرور بجسر الشارع أ الذي يتميز بازدحامه المروري الكبير، نظراً إلى كونه يربط قلب المدينة بغرب بارتليت حيث تقع المدرسة الثانوية والكلية المحلية وجميع تلك الأحياء التي أقيمت وأخذت تكبر وتتوسع بين هاتين المنطقتين.

أخذت أجري متجاوزاً ما تبقى من السور الحجري، إذ كانت ثمة فتحة لعينة في وسط ما تبقى من جدار السور القديم، وقد قام أحدهم بوضع إشارة بالقرب من تلك الفتحة، حيث كانت الإشارة مرسومة على جانبها بطلاء أبيض اللون

استحال إلى الرمادي بفعل العوامل الجوية في ولاية إنديانا. وهكذا، أخذت أسأل نفسي: من يا ترى قام بوضع هذه الإشارة؟ أهي فيوليت؟ أم والداها؟ أم أحد الطلاب من مدرستي؟

أخذت أجري حتى نهاية الجسر، ثم قفزت إلى المنطقة العشبية التي تقع أسفل الجسر، والتي كانت قاعاً لنهر جف منذ زمن بعيد، فأصبحت أعقاب السجائر وزجاجات الشراب الفارغة تملأه.

بدأت أخوض بين القاذورات والصخور والقمامة، فلمع شيء فضي أمامي وسط الظلام، ثم رأيت أشياء لامعة أخرى كقطع الزجاج والمعادن، كما رأيت العين الحمراء البلاستيكية لأحد مصابيح السيارات الخلفية، وقطعة كبيرة محطمة لمرآة سيارة جانبية، ولوحة رخصة مثنية إلى نصفين تقريباً.

غير أن كل ذلك جعل من الأمر حقيقة ماثلة أمام عيني فجأة. إذ كان من الممكن أن تبتلعني الأرض كأي حجر، وذلك بفعل ما رأيته يحدث هناك.

تركت كل شيء على حاله، باستثناء لوحة الرخصة التي أخذتها معي؛ إذ بدا لي أنه من الخطأ تركها هناك، بما أنها شيء شخصي للغاية، لذا يجب ألا تترك في العراء حيث يمكن لأي شخص لا يعرف أي شيء عن فيوليت وشقيقتها أن يأخذها وهو يعتقد ن أخذها أمر لطيف، أو أن يحملها معه كتذكار من هذا المكان. بعد ذلك، أخذت أجري باتجاه البيت وأنا أشعر بثقل وخواء من الداخل، لكنني كنت أقول لنفسي: *ستكون هذه المرة مختلفة عن كل مرة، إذ سأبقى مستيقظاً هذه المرة.*

أخذت أجري إلى أن توقف الزمن، وإلى أن توقف عقلي، وإلى أن أصبح كل ما أحس به هو ذلك المعدن البارد للوحة الرخصة في يدي وخفقات قلبي بين ضلوعي.

فيوليت

152 يوماً قبل التخرج

الزمان: صباح الأحد، المكان: غرفتي.

كانت صلاحية اسم النطاق EleanorandViolet.com على وشك الانتهاء، وكنت أعرف ذلك لأن الشركة المستضيفة كانت قد أرسلت لي رسالة إلكترونية مع تحذير ورد فيه بأنه يتعين علي أن أقوم بالتجديد فوراً وإلا فسأخسر ذلك النطاق للأبد. أما في حاسوبي المحمول، فكنت قد فتحت مجلداتنا التي وضعنا فيها ملاحظاتنا، وأخذت أعاين كل الأفكار التي كنا نعمل عليها قبل شهر نيسان الفائت، لكنها لم تكن سوى شذرات لا يمكن فهمها بغياب إليانور التي كانت ستساعدني على فك طلاسم اختصاراتها لو كانت معي هنا.

لقد كنا نختلف بالآراء حول طموحنا المتعلق بشكل المجلة ومحتواها، وبما أن إليانور كانت الكبرى (والأكثر تسلطاً) فهذا يعني أنها كانت المسؤولة عادة، كما كانت تقوم بترتيب أمور المجلة على هواها. كان بوسعي أن أحاول إنقاذ الموقع، أو تجديده وتحويله إلى شيء آخر، إلى مكان يستطيع الكتاب فيه أن يشاركوا بعضهم أعمالهم، إلى مكان لا يهتم بطلاء الأظفار والشبان والموسيقى فقط، بل يهتم بأشياء أخرى أيضاً كتعليم الناس كيفية تبديل إطارات السيارات أو كيف يتحدثون الفرنسية أو ما يمكن أن يتوقعه المرء حينما يخرج ليواجه العالم.

مكتبة الرمحي أحمد

لقد قمت بتدوين تلك الأشياء، ثم فتحت الموقع وقرأت آخر منشور نشر فيه، والذي تمت كتابته قبل الحفلة بيوم واحد؛ حيث كان المنشور يتعلق بأمرين متناقضين حول كتاب جولي بلوم الذي يحمل عنوان: *الفتاة التي تطرد الأرواح الشريرة*، إذ لم يتطرق المنشور إلى كتاب *صليل الجرس* أو *صائد حبوب الجاودار*، لم يكن في ذلك المنشور أي شيء مهم أو جديد، ولم يكن فيه أي شيء يوحي *بأن هذا آخر شيء كنت ستكتبينه قبل أن يتغير العالم من حولك.*

محوت ملاحظات إليانور وملاحظاتي، ومحوت الرسالة الإلكترونية التي أرسلتها الشركة المستضيفة، ومن ثم أفرغت سلة المحذوفات من محتوياتها، حيث لا يمكن استرجاع الرسالة الإلكترونية بعد ذلك بأي حال من الأحوال، وهكذا دخلت تلك الرسالة عالم الفناء والزوال كما سبق أن فعلت إليانور.

فينش

اليوم الثامن من اليقظة

مساء يوم الأحد، ذهبت برفقة كيت وديكا بالسيارة إلى منزل أبـــي الجديد في أغنى منطقة في المدينة، وذلك لحضور مناســبة العشــاء العــائلي الإجبــاري الأسبوعي، وكنت أرتدي يومها القميص العادي ذا اللــون البحــري والبنطــال الخاكي نفسه الذي أرتديه دوماً حينما أذهب لرؤية أبـــي.

ساد الصمت بيننا ونحن في طريقنا إلى هناك، إذ أخذ كل منــا يحــدق إلى كل ما يراه من نافذته، كما أننا لم نشغل المذياع أيضاً، بــالرغم مــن أن أمــي قالت لنا قبل مغادرتنا: "استمتعوا بوقتكم هناك". في محاولة منها لتبدو مبتهجــة، لكنني علمت في ما بعد بأنها في اللحظة التي أصبحت فيها الســيارة في الشــارع كانت تحادث صديقة لها عبر الهاتف وهي تفتح زجاجة شــراب. كانــت هــذه هي المرة الأولى التي سأرى فيها والدي منذ الفترة التي سبقت يوم الشكر، كمــا أنها المرة الأولى التي أزوره فيها في بيته الجديد الذي يعيش فيــه مــع روزمــاري وابنها.

كانوا جميعاً يعيشون في أحد تلك البيوت الجديدة والضخمة التي تشبه سائر البيوت الأخرى المنتشرة في ذلك الشارع. وفور وقوفنا خــارج البيــت هتفــت كيت: "هل بوسعك أن تتخيل نفسك وأنت تحاول أن تجد هذا المكــان وأنــت غير واعٍ؟".

بعد ذلك، مشينا ثلاثتنا على الرصيف الأبيض النظيف، فطالعتنا سيارتان رياضيتان متشابهتان كانتا مركونتين عند ممر المرأب، وكانتا تلمعان وكأن حياهما الميكانيكية المليئة بالمظاهر الخادعة تقوم على ذلك.

فتحت لنا روزماري الباب. كانت امرأة في الثلاثين من العمر، ذات شعر أشقر مائل إلى الحمرة، وابتسامة قلقة، وهي تعمل كموظفة وكيلة حسب ما أخبرتنا إياه أمي التي قالت لنا أيضاً إن ذلك ما كان والدي يحتاج إليه بالضبط، حيث أتت وفي جعبتها هبة شرعية تعادل قيمتها 200 ألف دولار كانت قد حصلت عليها من زوجها السابق إلى جانب ابنها جوش ريموند الذي كان يبدل أسنانه وقتها نظراً إلى كونه في السابعة من عمره، والذي قد يكون أو لا يكون أخاً حقيقياً لي.

ثم جاء أبي وهو يبدو منشرح الأسارير، وتقدم نحونا من الباحة الخلفية حيث كان يشوي خمسة وثلاثين باونداً من اللحم. وبالرغم من أن الوقت كان في شهر كانون الثاني وليس تموز، إلا أن قميصه كان مبللاً بالعرق. قبل اثنتي عشرة سنة كان والدي لاعب هوكي محترفاً اشتهر باسم الضارب، وظل الجميع ينادونه كذلك إلى أن ضرب بعظم فخذه رأس لاعب آخر. لم يتغير والدي منذ أن رأيته آخر مرة؛ إذ كان وسيماً للغاية، ومحافظاً على لياقته البدنية وذلك بالنسبة لمن هم في مثل عمره، وكأنه كان يتوقع أن يطلبوه ليخوض مباراة في أية لحظة، إلا أن شعره الفاحم قد خالطه الشيب؛ وكان ذلك هو الجديد الذي طرأ عليه.

قام والدي بمعانقة شقيقيّ، ثم صفعني على ظهري. كان والدي قد حافظ على أسنانه- بخلاف معظم لاعبي الهوكي- وهكذا، أخذ يبتسم لنا بأسنانه الناصعة البياض وكأننا كنا مشجعين له، ثم بدأ يسألنا عن كيفية قضائنا الأسبوع، وعن حالنا في المدرسة، وإن كنا قد تعلمنا شيئاً جديداً يمكن ألا يكون قد اطلع عليه؛ وهنا يكمن التحدي الذي يعادل الرمي أسفل القفاز الواقي، وكانت ثمة طريقة تساعدنا في محاولة التحدي المتمثلة بتذكر أغنيات شعبية قديمة فيها حكمة، بيد أن هذه الطريقة باتت مملة بالنسبة لنا، ولهذا قلنا له جميعاً إننا لم نتعلم ذلك الشيء الذي لا يعرفه.

ثم سأل والدي عن برنامج الدراسة عن بعد خلال شهري تشرين الثاني وكانون الأول، وقد استغرق الأمر دقيقة حتى أدرك أنه كان يتحدث إلي، فسمعت أختي كيت تقول: "ممممم... لا بأس به". وهنا قلت في سري: *إجابة موفقة يا كيت*. وقررت أن أشكرها لاحقاً، إذ إن أبي لا يعرف شيئاً عن حالة التقوقع على الذات أو عن المشكلة التي وقعت في المدرسة بعد السنة الثانية، لأنني قمت في السنة الفائتة، وتحديداً بعد حادثة تحطيم الغيتار بإخبار المدير فيرتس بأن أبي قد توفي في حادث وقع له أثناء رحلة صيد، ولم يكلف المدير نفسه عناء التحقق من تلك القصة، بل أصبح حالياً يستدعي والدتي كلما حدثت مشكلة، مما يعني أنه قام باستدعاء كيت فعلاً لأن أمي لم تعد تكلف نفسها عناء فتح الرسائل التي تردها على بريدها الصوتي.

أمسكت بقطعة رقيقة من الشواء ثم قلت له: "لقد دُعيت للبقاء ولكنني رفضت. إذ بقدر ما أستمتع برياضة التزلج على الجليد، وبقدر براعتي فيها- والتي أعتقد أنني ورثتها عنك- إلا أنني لست متأكداً من أنني أرغب باحترافها". إن من أعظم المتع التي تبهجني في حياتي إلقاءَ تعليقات من هذا النوع، وذلك لأن وخزة التعصب في أسوأ كابوس قد يعيشه أي أب تتمثل في أن يكون لديه ابن منحرف.

وهكذا، اقتصر جوابه على فتح زجاجة شراب أخرى، ثم الهجوم على باوندات اللحم الخمسة والثلاثين بالملقط الذي كان يحمله، وهكذا بتنا وكأننا نتعرض لخطر قيامه بالهجوم علينا والتهامنا جميعاً، ولكم كنت أتمنى لو يحدث ذلك.

وحينما حان موعد تناول الطعام، جلسنا في غرفة الطعام ذات اللونين الأبيض والذهبي المفروشة بسجادة من الصوف الطبيعي من أغلى الأنواع، والتي بدت لي كنوع محسَّن للغاية مقارنة بسجادة النايلون الحقيرة التي كانت في البيت عندما انتقلوا إليه.

ثم أتى جوش ريموند الذي بالكاد كان يستطيع أن ينقل الأواني إلى المائدة؛ وذلك لأن أمه كانت صغيرة الحجم وكذلك زوجها السابق، بخلاف أبي الذي يعتبر عملاقاً. وقد كان أخي غير الشقيق يتسم بحجمه الصغير وبقصر القامة،

وهذا بحد ذاته يختلف تمام الاختلاف عما كنت عليه حينما كنت في مثل عمره، وأعني بذلك ذلك الشكل الذي يتسم بالأناقة والترتيب حيث يختفي المرفقان ولا تبرز الأذنان، إذ يظهر كل شيء فيه بنسبة محددة، وهذا من الأمور التي دفعتني للاعتقاد بأنه قد لا يكون مرتبطاً بوالدي من الناحية الوراثية في نهاية الأمر.

وفي ذلك الحين، أخذ جوش ريموند يركل قائمة الطاولة ويحدق إلينا من فوق صحنه بعينين واسعتين من دون أن يرف له جفن؛ تماماً كالبوم، فسألته: "ما الأخبار أيها الفتى؟".

فصدر منه صوت يشبه الصرير وهو يرد علي، ثم أخذ والدي- الذي كان اسم الضارب يُطلَق عليه- يمسح على ذقنه الذي أصبح الشعر يغطيه ويقول بصوت ناعم وحليم: "جوش ريموند، لقد تناقشنا بأمر ركل الطاولة". فكانت تلك لهجة جديدة لم يسبق لأبي أن استخدمها معي أو مع شقيقيّ.

بدأت ديكا التي كانت قد ملأت صحنها بتناول طعامها حينما قامت روزماري بسكب الطعام للجميع واحداً تلو الآخر، وحينما وصلت إليّ قلت لها: "أفضل ألا تسكبي لي شيئاً، إلا إن كان لديك برغر بالخضار". فرمشت بعينيها لي، بينما بقيت يدها تلوح في الهواء، ومن دون أن تدير وجهها، أدارت عينيها باتجاه والدي.

فهتف: "برغر بالخضار؟!". ولم يكن صوته وقتها ناعماً أو حليماً، ثم تابع: "لقد تربيت على اللحم والبطاطا، وبقيت كذلك حتى بلغت الخامسة والثلاثين". (كان سيبلغ الثالثة والأربعين في شهر تشرين الأول القادم)، "وأعتقد أن والديّ كانا من يقومان بوضع الطعام على الطاولة، لذا ليس من شأني أن أناقش ذلك".

وهنا رفع قميصه، وأخذ يضرب على بطنه الذي لم تكن فيه شحوم، لكنه لم يعد ذلك البطن الذي يمكنك أن تراه مقسماً إلى ست عضلات. وبعد ذلك، أخذ يهز برأسه ويبتسم لي ابتسامة رجل حظي بزوجة جديدة وابن جديد وبيت جديد وسيارتين جديدتين، وكان عليه فقط أن يتحمل أولاده السابقين لمدة ساعة أو اثنتين.

أجبته: "إنني لا أتناول اللحوم الحمراء يا أبي".

سألني: "منذ متى؟".

أجبته: "منذ الأسبوع الماضي".

فقال: "أوه..." ثم عاد إلى الوراء، وأخذ يحدق إليّ في الوقت الذي قامت فيه ديكا بتناول قضمة كبيرة ومرعبة من قطعة البرغر الخاصة بها، كما كان العصير يسيل أسفل ذقنها.

وهنا هتفت كيت: "لا تكن أحمق يا أبي. فينش ليس مجبراً على تناول هذا الطعام إن لم يكن راغباً بذلك".

وهنا هتف فينش الذي يعود لأيام الثمانينيات قبل أن أتمكن من إيقافه: "ثمة طرائق مختلفة للموت، منها القفز من سطح بناء، أو الموت البطيء وذلك بتسميم المرء لنفسه عبر تناوله لحم مخلوق آخر كل يوم".

فردت روزماري: "أعتذر بشدة يا ثيو[1]، إذ لم أكن أعرف ذلك". ثم وجّهت سهام نظرها إلى أبي الذي بقي يحدق إليّ، فأردفت زوجة أبي قائلة: "ما رأيك بأن أعد لك شطيرة سلطة البطاطا؟". وبدت لي متفائلة للغاية، لدرجة أنني سمحت لها بأن تعد لي تلك الشطيرة بالرغم من أنها تحتوي على لحم مقدد.

وهنا سمعت كيت تقول: "لا يمكنه تناولها لأنها تحتوي على لحم مقدد".

فرد والدي: "حسناً، يمكنه أن يستخرج اللحم من الشطيرة". قال ذلك بلكنة فيها بقية من النشأة الكندية التي نشأ عليها، إلا أنه بدأ يشعر بالضيق، ولهذا سكتنا لأننا كلما أسرعنا في تناول طعامنا، اقترب موعد رحيلنا.

عندما عدنا إلى البيت، قبّلت أمي على وجنتها لأنها كانت بحاجة إلى تلك القبلة، فشممت رائحة الشراب تفوح منها، لكنها بادرتنا بالسؤال: "هل استمتعتم بوقتكم يا أولاد؟". بالرغم من أننا كنا نعرف أنها تأمل أن نترجاها ألا تسمح لنا بالذهاب إلى هناك مرة أخرى.

غير أن ديكا أجابتها بقولها: "لم نستمتع مطلقاً". ثم أخذت تصعد الدرج ببطء.

---

(1) المقصود هنا تيودور فينش.

وهنا تنفست أمي الصعداء قبل أن تتناول كأساً أخرى من الشراب وتلحق بديكا، فقد كانت تعتني بنا كثيراً أيام الآحاد.

عند ذلك، فتحت كيت كيس رقائق بطاطا وقالت: "إنه لأمر سخيف للغاية". وكنت أعرف ما تقصده، فكلمة "إنه" تشير إلى والدينا وإلى أيام الأحد، ولعلها كانت تقصد بها مجمل حياتنا الكريهة، ثم أردفت: "لست أفهم، لِمَ يتعين علينا أن نذهب إلى هناك ونتظاهر بأننا نحب بعضنا بعضاً في الوقت الذي يعرف فيه الجميع أن كل ما نقوم به مجرد تظاهر؟!". وبعد ذلك ناولتني كيس الرقائق.

فأجبتها: "لأن الناس يريدون منك أن تتظاهري يا كيت، بل يفضلون ذلك".

فما كان منها إلا أن نفضت شعرها وأبعدته عن كتفها، ثم قطّبت جبينها بطريقة توحي بأنها تفكر، وقالت: "أتعرف؟ لقد قررت أخيراً أن أرتاد الكلية في فصل الخريف". إذ كانت كيت قد عرضت علينا أن تبقى في البيت حينما حصل الطلاق، حيث قالت لنا حينها: *يجب أن يعتني أحدنا بأمي.*

وفجأة شعرت بالجوع، فأخذنا نتبادل الكيس في ما بيننا مرة بعد مرة، وهنا قلت لها: "خلت أن الاستراحة بعيداً عن الدراسة قد أعجبتك". فقد كنت أحبها كثيراً لدرجة جعلتني أتظاهر أمامها بأن ذلك سبب آخر لبقائها في البيت، وهو سبب لا يتعلق بخيانة حبيبها في المدرسة الثانوية لها؛ ذلك الشخص الذي رسمت خطط مستقبلها معه.

وهنا هزت كتفيها وقالت: "لست أدري، إذ لعل ذلك لم يكن مجرد *استراحة* كما توقعت، لأنني أفكر في الذهاب إلى دينيفر لرؤية ما يمكن للمرء رؤيته هناك".

سألتها: "أتعنين مثلما فعل لوغان؟". الذي أصبح اسمه *الحبيب المخادع* منذ أيام الثانوية.

فأجابتني: "لا علاقة لذلك به".

فقلت لها: "أتمنى ذلك".

كنت أرغب بأن أكرر على مسمعيها الأشياء ذاتها التي كنت أقولها لها طيلة الأشهر السابقة: *أنت أفضل منه، لقد ضيعت وقتاً طويلاً مع ذلك الحقير*، غير أنها

أغلقت فمها بصراحة، وأخذت تعبس وهي تنظر إلى كيس الرقائق، ثم قالت: "ذلك أفضل من البقاء في البيت".

وهنا، لم يكن بمقدوري أن أجادلها في هذه النقطة، لذا سألتها بدلاً من ذلك: "هل تتذكرين إليانور ماركي؟".

فردت: "بالطبع، فقد كانت في صفي. ولكن، لم تسأل عنها؟".

قلت: "إن لديها شقيقة". وتابعت في سري: كنت قد التقيتها في برج الجرس حينما كان كل منا يفكر بالقفز من هناك، وكان بوسعنا أن نمسك يدَي بعضنا ونقفز من هناك معاً. ولو فعلنا ذلك، لاعتقد البعض أننا عاشقان بلغ حبهما عنان السماء، ولكتبوا قصائد عنا، ولتحوّلنا إلى رمز وأسطورة.

إلا أن كيت هزت كتفيها وقالت: "كانت إليانور لطيفة؛ إذ كانت واثقة من نفسها، وصحبتها ممتعة، إلا أنني لم أكن أعرفها جيداً، ولا أتذكر أختها". ثم شربت كأس الشراب التي جلبتها لها أمي، وتناولت مفاتيح السيارة وهتفت: "سنتكلم عن ذلك لاحقاً".

وفي الطابق العلوي، مررت بألبوم لفرقة سبليت إينز وديبيتشي مود، ثم ألبوم العقول الناطقة لجوني كاش، ثم رميت بألبوم *عند سجن فولسوم* على الطاولة الدوارة، وبحثت في مكتبي عن لفافة تبغ، ثم طلبت من فينش الذي يعيش في حقبة الثمانينيات أن يناولني إياها، ولكنني حالما أشعلت السيجارة بدأت فجأة بتخيل رئتيّ وقد صارتا سوداوي اللون كأي طريق تم رصفه حديثاً، ثم أخذت أفكر في ما سبق لي أن قلته لأبي: *ثمة طرائق مختلفة للموت، منها القفز من سطح بناء، أو الموت البطيء وذلك بتسميم المرء لنفسه عبر تناوله لحم مخلوق آخر كل يوم.*

غير أن هذه السيجارة لم تتسبب في قتل أي حيوان. لكنني هذه المرة لم أسترح لذلك الإحساس الذي منحتني إياه، ولذلك أطفأتها وقمت بكسر بقية السجائر إلى نصفين قبل أن أغيّر رأيي، ثم قمت بقص الأنصاف ورميها في سلة المهملات. وبعد ذلك، قمت بتسجيل الدخول إلى الحاسوب وبدأت بالكتابة:

الحادي عشر من شهر كانون الثاني: بحسب صحيفة نيويورك تايمز، إن نسبة الذين ينتحرون بالسم تعادل 20 بالمئة تقريباً، ولكن مع الأطباء الذي يقتلون أنفسهم ترتفع النسبة إلى 57 بالمئة. أما بالنسبة إلى رأيي في ما يتعلق بهذه الطريقة فأقول: تبدو هذه الطريقة أشبه بطريقة يتبعها الجبناء للتخلص من كل ذلك، ولو سألتموني عن رأيي فسأجيب بأنني أفضّل أن أشعر بالشيء، أي إن رفع أحدهم مسدسه ووضعه على رأسي (ههههه... أعتذر، إنها مجرد مزحة انتحارية) وجعلني أتناول السم فسأختار غاز السيانيد غير السام. وبالنسبة إلى الشكل الغازي، معه يمكن للموت أن يحدث على الفور، إلا أن ذلك يلغي فكرة الإحساس بالشيء، ولكن حينما نفكر في الأمر، وبعد فترة طويلة من الإحساس بالشيء عندها قد نغدو بحاجة إلى شيء سريع ومفاجئ.

حينما فرغت من الكتابة، مشيت في غرفة النوم لأبحث في خزانة الأدوية، فوجدت أدفيل وأسبرين وبعض الحبوب المنومة غير المتداولة التي سرقتها من كيت وأخفيتها في زجاجة وصفة طبية تعود لوالدتي. كنت أعني ما قلته للسقط في ما يتعلق بالمخدرات، إذ لم أكن أنسجم معها، إلا أن ما حدث لي هو أنني أتمتع بقدرة عالية على الاحتفاظ بالسيطرة على دماغي من دون أي مساعدة من أي دواء.

لكن المرء لا يدري متى يأتي ذلك الوقت الذي قد يحتاج فيه إلى حبة دواء منومة، ولذلك فتحت العلبة الآن، وأسقطت الأقراص الزرقاء فوق راحة يدي وأخذت أعدها، كانت لدي ثلاثون حبة، فعدت إلى مكتبي، وأخذت أصفّ الحبوب واحدة تلو الأخرى، فبدت لي كصف صغير من العساكر الذين يرتدون بزات زرقاء.

بعد ذلك، قمت بتسجيل الدخول إلى موقع فيسبوك، ومن صفحة فيوليت اكتشفت أن أحد الطلاب في المدرسة قد قام بنشر منشور عنها قال فيه إنها البطلة التي قامت بإنقاذي، ووجدت على ذلك المنشور 146 تعليقاً و289 إعجاباً. وفي الوقت الذي كنت أتمنى فيه أن أرى كل أولئك الأشخاص يشعرون بالسعادة

والامتنان لبقائي على قيد الحياة، كنت أعرف تماماً أن الأمر ليس كذلك، ولهذا عدت إلى صفحتي التي كانت خاوية إلا من صور صديقة فيوليت.

وضعت أصابعي على لوحة المفاتيح، وأخذت أنظر إلى أصابعي التي استقرت هناك، وتأملت أظفاري التي كانت عريضة ومستديرة، ثم أخذت أمرر يدي على المفاتيح وكأنني كنت أعزف على البيانو، وبعد ذلك كتبت: **إن الوجبات العائلية الإجبارية مقرفة للغاية؛ خاصة إذا اجتمع فيها اللحم مع الإنكار، كأن يقول أحدهم: "أشعر أننا لن نخوض تلك الأوقات العصيبة مرة أخرى". ولاسيما إن كان أمامك الكثير من المهام لتقوم بها**. كانت الجملة المقتبسة مأخوذة من رسالة الانتحار التي كتبتها فيرجينيا وولف لزوجها، لكنني كنت أعتقد أنها تناسب الوضع تماماً.

بعد ذلك قمت بإرسال الرسالة، وأخذت أنتظر أمام الحاسوب وأرتب الحبوب ضمن مجموعات مؤلفة من ثلاثة أقراص، ثم عشر أقراص، في الوقت الذي كنت أتطلع فيه شوقاً لأن يصلني شيء من فيوليت. ثم قمت بالطرق على لوحة الرخصة فأعدتها إلى سيرتها الأولى، وكتبت أسفلها: ***تلك الأوقات العصيبة مرة أخرى***، ثم ألصقتها على جدار غرفتي الذي كانت تغطيه رسائل وعبارات مشابهة، وقد كانت لذلك الحائط أسماء كثيرة، فقد كنت أسميه حائط الأفكار، وحائط عقلي، أو الحائط فقط من دون أن يختلط ذلك باسم أغنية المطرب بينك فلويد. فالحائط هو المكان الذي تتابع فيه سلسلة أفكارك بالسرعة التي تأتيك بها تلك الأفكار، حيث تتذكرها حينما تفلت منك. وهكذا، كل فكرة هامة أو غريبة أو تلك التي تخطر ببالي وأنا في منتصف الطريق لا بد لها أن تستقر على ذلك الحائط.

بعد مضيّ ساعة، تفقدت صفحتي على الفيسبوك فوجدت أن فيوليت قد كتبت:

"قم بترتيب القطع التي صادفتها في طريقك".

وهنا شعرت بأن جلدي بدأ يحرقني، فقد اقتبست من كلمات فيرجينيا وولف وقامت بإرسالها لي، ولهذا زادت سرعة نبضي بنسبة ثلاثة أضعاف، فقلت لنفسي: *اللعنة*، إن ذلك كل ما أعرفه عن فيرجينيا وولف، ولهذا قمت ببحث سريع على

مكتبة الرمحي أحمد

الشابكة لأجد الرد المناسب على ذلك الكلام. وفجأة، تمنيت لو أنني أوليت اهتماماً أكبر بفيرجينيا وولف؛ تلك الكاتبة التي لم أقرأ لها إلا مؤخراً. وفجأة، تمنيت لو أنني لم أدرس إلا ما كتبته طيلة السنوات السبع عشرة التي قضيتها في الدراسة.

وهنا بدأت بكتابة رد لها فقلت: "**إنني أجد أن دماغي أكثر آلة غير قابلة للتفسير؛ فهو دوماً يئز ويطن ويحلق ويزمجر ويغطس ومن ثم ينطمر في الوحل، ولكن لماذا؟ ولم كل هذا؟**".

أتى ذلك كرد على ما قالته فيوليت حول ما نملأ به وقتنا، وحول أنه لم يعد هنالك ما يهمّ. غير أن ذلك هو ما كان يحدث لي بالضبط أيضاً، إذ كنت أعاني من الأزيز والطنين والتحليق والهدير والغطس ومن ثم السقوط في عمق الوحل لدرجة أصبحت معها غير قادر على التنفس، كما كنت أعاني من حالات النوم واليقظة من دون أن أحس بأي شيء بينهما.

كان ذلك اقتباساً موفقاً بالفعل، لدرجة أنه جعل الدم يبرد في عروقي، وهنا بدأت أمعن النظر في شعر ذراعي الذي انتصب، ولكنني حينما عدت للنظر إلى الشاشة وجدت أن فيوليت كانت قد ردت بالقول: "**حينما تفكر في أمور ترتقي للنجوم، تصبح شؤوننا غير ذات أهمية، أليس كذلك؟**".

أصبحت أغش كلياً في هذه المرحلة؛ إذ أخذت أفتح كل موقع أجده لفيرجينيا وولف، وكنت أسأل نفسي إن كانت هي تغش مثلي أيضاً، فكتبت لها: "**إنني متجذر في الأرض، لكنني أتدفق**".

وكنت على وشك تغيير رأيي، إذ فكرت بحذف السطر بكامله، غير أنها ردت علي بقولها: **أعجبني ذلك، من أين أتيت به؟**

فكتبت: **من ديوان *الأمواج***، وكنت أغش مرة أخرى حينما وجدت المقطع فكتبت لها: **إليك المزيد: "أشعر بأن ألف قدرة أصبحت تنبض داخلي، فأنا عبارة عن كآبة أساسية ومنحرفة وواهنة، وكل تلك الحالات تأتيني تباعاً. أنا متجذرة في الأرض لكنني أتدفق. كل الذهب يتدفق...**".

قررت أن أتوقف عند ذلك، وذلك لأنني كنت مستعجلاً لأرى إن كانت سترد علي أم لا.

إلا أن الأمر استغرق ثلاث دقائق، كتبت لي بعدها ما يلي: **أعجبني قولها: "إنها أكثر لحظة حماسة اختبرتها في حياتي؛ فأنا أرفرف، وأنساب، وأترقرق كنبتة وسط نهر، وأتدفق بذلك الاتجاه، وأتدفق بالاتجاه الآخر، ولكنني متجذرة، وهكذا قد يأتي إليّ، وأناديه: تعال... تعال".**

لم يكن نبضي الجزء الوحيد في جسمي الذي يتحرك وقتها، ولذلك عدّلت من جلستي، وأخذت أفكر إلى أي مدى مجنون وغبي بدت لي كلماتها مغرية.

كتبت لها: **لقد جعلتني كلماتك أحس بأنني كالذهب وهو يتدفق**، ونشرت ذلك من دون تفكير، فقد كان بوسعي أن أواصل الاقتباس عن فيرجينيا وولف، إذ كان المقطع يزداد إثارة، لكنني قررت أنه يجب علي أن أستعمل كلماتي بدلاً من ذلك.

أخذت أنتظر ردها، حيث انتظرت لمدة ثلاث دقائق، ثم خمس، ثم عشر، فخمس عشرة دقيقة، وبعد ذلك فتحت موقعها الإلكتروني الذي كانت تديره مع شقيقتها، وتحققت من تاريخ نشر آخر منشور فيه، والذي لم يتغير منذ أن رأيته.

ثم قلت لنفسي: *لقد عثرت عليها، لا يعنيني الذهب ولا التدفق بل السكون.*

بعد ذلك، ظهرت أمامي رسالة جاء فيها: **لقد وصلتني قواعد التجول التي وضعتها، وأود أن أضيف إليها ما يلي: لا يجوز أن نسافر حينما يكون الطقس سيئاً. كما علينا أن نمشي أو أن نهرول أو أن نركب الدراجة، ولا يجوز أن نسافر بواسطة السيارة، كما علينا ألا نبتعد كثيراً عن بارتليت.**

أصبحت جدية الآن، فكتبت لها الرد التالي: **إن كنا سنسير أو سنهرول أو سنركب الدراجة فإن ذلك ليس بمشكلة**، ثم أخذت أفكر بموقعها الإلكتروني الذي توقف وأصبح خاوياً، فأضفت: **علينا أن نكتب عن رحلاتنا كي نُري الآخرين ما قمنا به من خلال كتاباتنا وليس فقط صورنا، وعليك أن تقومي أنت بالكتابة، أما أنا فكل ما يسعني فعله هو أن أبتسم وأن أبدو وسيماً في الصورة.**

بقيت بعد كتابة ذلك جالساً في مكاني لمدة ساعة، لكنها غادرت، فبدا لي تصرفها وكأنه تعبير عن أنها إما تضايقت أو خافت مني، لذا أخذت أكتب أغنية تلو الأخرى، فقد كانت تلك الأغاني في معظم الليالي من النوع الذي سيغير العالم

لأنها تكون رائعة وعميقة ومذهلة. لكنني في تلك الليلة أخذت أقول لنفسي إنه لا يوجد أي شيء مشترك يجمعني بفيوليت، مهما كنت أريد لـذلك أن يكـون، ثم أخذت أسأل نفسي إن كانت الكلمات التي تبادلناها مثيرة بالفعل أو كنت أتخيل ذلك؛ بفعل ذلك الباعث الذي يدفعني للإعجاب بتلك الفتاة التي بالكاد أعرفهـا، لأنها الإنسانة الوحيدة التي التقيتها والتي بدا لي أنها تتحدث بلغتي، أو على الأقـل تستخدم بضع كلمات منها.

أمسكت بالحبوب المنومة وحملتها في راحة يدي، وكان بوسعي أن أبتلعها في تلك اللحظة، بعد أن أستلقي على سريري وأغمض عيني وأنساب مـع مخـيلتي بعيداً. ولكن، من الذي سيتفقد فيوليت ماركي ليتأكد من أنها لم تعد للوقـوف على حافة تلك النافذة؟ وهكذا، رميت الحبوب في المرحاض، وسكبت الماء فوقها إلى أن اختفت، وبعد ذلك عدت إلى موقع EleanorandViolent.com وبحثـت في المحفوظات إلى أن وصلت إلى أول منشور، ثم مررت بكل ما نشـر في ذلـك الموقع إلى أن قرأت كل المنشورات التي نشرت فيه.

بقيت ساهراً بقدر ما أمكنني تحمل ذلك، وأخيراً نمت عند السـاعة الرابعـة صباحاً تقريباً، وحلمت بأنني كنت عارياً وبأنني أقف في برج الجرس في المدرسـة وبأن الجو كان بارداً وماطراً. نظرت إلى الأسـفل، فوجـدت جميـع المعلمـين والطلاب قد تجمهروا، بينما كان والدي يأكل البرغر ويرفع شطيرته نحو السـماء وكأنه يحيّيني. وفجأة، سمعت ضجة خلفي، فالتفتُّ لأرى فيوليـت في الطـرف المقابل للنافذة وهي عارية أيضاً إلا من جزمتها السوداء، فكان ذلك المنظر مذهلاً، بل إنه أحلى ما وقعت عليه عيناي في حياتي كلها. ولكن، قبل أن أتمكن من تحرير نفسي من الحاجز الحجري والذهاب إليها، رأيتها تفتح فمها وتقفز في الهواء، وبعد ذلك بدأت تصرخ.

كان ذلك بالطبع صوت المنبه، لذا ضربت عليه مرة واحدة بقبضة يدي قبل أن أضربه بالحائط حيث استقر وهو يثغو كخروف تائه.

telegram @ktabpdf

فيوليت

151 يوماً قبل التخرج

الزمان: صباح الاثنين، الحصة الأولى.

كان الجميع يتحدثون عن أحدث منشور في مجلة بارتليت ديــرت[1]، إذ إن فترة الثرثرة في المدرسة لم يصبح لها موقع إلكتروني خاص بها فحسب، بل يبــدو أنها استحوذت على كامل الشابكة، حيث ظهرت عبارة: "بطلة في الصف الثانوي الأخير تنقذ زميلها المجنون من القفز من برج الجرس"، من دون أن يذكر اسمانــا، ولكن ذلك المنشور أتى مرفقاً بصورة ظهر فيها وجهي وعيناي وقد بدت عليهما الدهشة من خلف نظارة إليانور، كما انحرفت غرتي من مكانها، فبــدوت كمــن غيروا شكله ووضعوا له صورة كتب تحتها: "قبل"، كما كانت هنالــك صــورة أخرى لتيودور فينش.

كانت محررة صحيفة المدرسة جوردان غريبينوالديت تقرأ المقال لصــديقتيها بريتاني وبريسللا بصوت منخفض ومشمئز، وكانت كل منــهما تلقــي نظــرة باتجاهي بين الحين والآخر ومن ثم تهز رأسها، ليس من أجلي، بل على هذا المثــال البليغ للصحافة التي وصلت إلى أسوأ حالاتها.

كانت أولئك الفتيات فتيات ذكيات يصرّحن عن أفكارهن أمام الناس، ولهذا قلت لنفسي إنه ينبغي لي أن أصادقهن بدلاً من مصادقتي لأماندا. ففي مثل هــذا

---

(1) قذارة بارتليت. (المترجمة)

الوقت من السنة الفائتة، كان بوسعي أن أتحدث إليهن وأوافقهن الرأي، ومن ثم أقوم بكتابة منشور لاذع في المدونة حول الثرثرة في الثانوية. لكنني عوضاً عن ذلك أمسكت بحقيبتي، وأخبرت معلمتي بأنني أشعر بمغص، ثم تجاوزت غرفة الممرضة وصعدت الدرج إلى الطابق العلوي، وكسرت القفل الخاص ببرج الجرس، ومضيت إلى حيث قادتني الدرجات، حيث جلست على إحداها، ثم قرأت فصلين من رواية مرتفعات وذرينغ على ضوء هاتفي الجوال.

كنت قد هجرت آن برونتي، وقررت ألا أقرأ لأي كاتبة سوى إميلي الجامحة التي تعبر عن سخطها تجاه هذا العالم.

"لو فني كل شيء وبقي هو فعلي أن أبقى، ولو بقي كل شيء وفني هو فسيتحول الكون إلى مخلوق غريب هائل[1]".

قلت مخاطبة نفسي: "مخلوق غريب هائل... وصلتك الفكرة تماماً".

(1) هذا السطر مأخوذ من رواية مرتفعات وذرينغ لإيملي برونتي. (المترجمة)

فينش

اليوم التاسع

بحلول صباح يوم الأحد، تبيّن وبوضوح أن فينش الـذي كـان يعـيش في ثمانينيات القرن الماضي لا بد له أن يرحل، لسبب واحد؛ وهو أن صورته في مجلـة بارتليت ديرت لم تكن جميلة، إذ بدا معافى وسليماً على نحو مقلق، وأشك في أنه كان يبحث عن مصلحته ولفت أنظار الفتيات إليه عن طريق امتناعه عن التدخين وتحوّله إلى شخص نباتي وارتدائه الياقات المقلوبة. أما السبب الآخـر فـيكمن في عدم ارتياحه إليّ، فهو من ذلك النوع من الفتيان الذين قد يكونون رائعـين مـع المدرسين، وكذلك في الامتحانات المفاجئة، ولا يجـدون أي مـانع يحـول دون قيادهم سيارات أمهاهم. لكنني لا أثق به لأنه يفسد الأمر مع الفتيات، أو بشـكل أكثر دقة، يمكنني القول إنني لا أثق به ليرافق فيوليت ماركي إلى أي مكان.

التقيت شارلي عند مكتب مؤسسة غودويل الخيرية بعد الحصة الثالثة. كـان هنالك طريق وحيد بالقرب من محطة القطار، وكان ذلك الطريق يقع ضمن منطقة لم تكن إلا منطقة مهجورة لا توجد فيها سوى مصانع مهجورة وخربشات على الجدران، وقد تمت إعادة تحديثها وترميمها، أي تم طلاؤهـا وحظيـت بـبعض الاهتمام.

كان شارلي قد أحضر بريندا لتقوم بشراء المزيد من الثياب؛ بالرغم من أنها لا ترتدي ثياباً متناسقة، بل تتعمد أن تلبس تلك الثياب بطريقة فوضوية. وبينما كان

شارلي يتحدث إلى إحدى الفتيات اللواتي يقمن بمهمة البيع، تبعتني برين[1] من رف ملابس إلى آخر وهي تتثاءب، ثم ابتعدت بفتور حينما وصلت إلى الرفوف التي علقت عليها الستر الجلدية، وفجأة سألتني: "ما الذي تبحث عنه بالضبط؟".

أجبتها: "إنني بحاجة إلى تجديد وتحديث". فتثاءبت مرة أخرى من دون أن تضع يدها على فمها، فبدت شفتاها اللتان يغطيهما اللون الزهري الفاقع واسعتين، ثم قالت: "لقد أقامت أماندا مونك حفلة ليلة السبت الماضي، وقد ذهبت إلى هناك مع غابي روميرو". كان ذلك المتسكع أكبر حقير في المدرسة، إلى جانب كونه حبيباً لأماندا. ولسبب ما، كان ثمة شيء ما داخل برين تجاهه منذ السنة الأولى لها في الثانوية.

سألتها: "وهل سيتذكر ذلك؟".

فتلاشت ابتسامتها بعض الشيء ثم قالت: "لقد كان منشغلاً تماماً، لكنني تركت هذه في جيبه". وهنا رفعت أمامي إحدى يديها، وأخذت تلوح بأصابعها، فلاحظت أن أحد الأظفار البلاستيكية الزرقاء كان ناقصاً، وهنا عقّبت برين: "كما تركت له حلقة أنفي تحسباً".

قلت لها: "ولهذا رأيتك مختلفة اليوم".

ردت: "ذلك الوهج فقط". بعدها، أصبحت متيقظة أكثر، وأخذت تصفق بيديها وتفركهما كما يفعل أي عالم مجنون، ثم عادت لتسألني: "إذاً، ما الذي تبحث عنه؟".

أجبتها: "لست أدري. أعتقد أنني أبحث عن شيء أقل نظافة وطهراً، أو لعله أكثر جاذبية، فقد مللت من طراز الثمانينيات".

فعبست في وجهي وقالت: "ألذلك علاقة بتلك الفتاة... ماذا كان اسمها؟ تلك الصغيرة النحيلة؟".

أجبتها: "فيوليت ماركي، ثم إنها ليست نحيلة، إذ لديها ردفان".

"ومؤخرة جميلة للغاية". كان ذلك صوت شارلي الذي انضم إلينا أخيراً.

---

(1) إشارة إلى بريندا. (المترجمة)

"لا". هتفت برين، وأخذت تهز رأسها بقوة وبسرعة، وبدت وكأنها تعاني من نوبة مرضية، ثم أردفت: "إنك لا ترتدي ثيابك لترضي فتاة؛ خاصة فتاة كتلك، بل إنك تلبس إرضاء لنفسك. وإن لم تحبك تلك الفتاة كما أنت، فأنت لست بحاجة إليها". كان كل كلامها سيغدو لطيفاً فقط لو أنني فهمت ما تعنيه عبارة *كما أنت*، غير أنها تابعت قائلة: "إنها فتاة تهتم بمدونة، ولعلها تلك المدونة التي تعجب الممثلة جيما سترلينغ، أليس كذلك؟ ثم أليست هي الفتاة التي أنقذت *زميلها المجنون* من القفز؟ إذاً، تباً لها ولمؤخرتها النحيلة". أجل، لقد كانت برين تكره كل فتاة لا ترتدي قياس 12 على الأقل.

وبينما كانت تهذر عن فيوليت وجيما سترلينغ وجريدة بارتليت ديرت التزمت الصمت. وفجأة، لم أعد أريد أن تتحدث برين أو شارلي عن فيوليت، لأنني كنت أريد أن أحتفظ بها لنفسي؛ كذكرى الاحتفال بمناسبة الكريسمس الذي شهدته حينما كنت في الثامنة من عمري، حين كانت تلك الاحتفالات رائعة، وحين حصلت على أول آلة غيتار في حياتي، والتي كتبت عليها: ممنوع التعدي على ممتلكات الغير، حيث لا يحق لأي أحد سواي أن يلمس ذلك الغيتار.

وأخيراً، لم يبقَ أمامي سوى أن أقاطع برين فقلت: "لقد سمعت عن ذلك الحادث الذي وقع في شهر نيسان وذهبت ضحيته أختها، وأعني بذلك الحادث الذي خرجت فيه سيارتهما عن جسر شارع أ".

ردت: "يا إلهي! أكانت تلك هي؟".

أُجبتها: "كانت أختها في السنة الأخيرة".

فقالت: "اللعنة". ثم أمسكت ذقنها بيدها، وأخذت تنقر عليه وتقول: "أتعرف؟ لعله يتوجب عليك أن تلعب تلك اللعبة بطريقة آمنة أكثر من ذلك". وهنا أصبح صوتها أكثر نعومة، ثم أردفت: "فكر بريان كروس، ألا ترى ما الذي يرتديه؟ علينا أن نزور متاجر أولد نيفي أو أمريكان إيغل، بل الأفضل أن نذهب إلى أبيركرومبي في دايتون".

فهتف شارلي مخاطباً بريندا: "إنها لن تكون له مهما غيّر من لباسه، ولا أقصد بذلك أي إساءة يا رجل".

أجبته: "أعرف ذلك، ثم اللعنة على ريان كروس". وهنا استخدمت كلمة اللعنة لأول مرة في حياتي، فشعرت بحرية كبيرة؛ لدرجة أنني شعرت فجأة وكأنني أركض في أرجاء المتجر، فكررتها: "اللعنة عليه". وقررت أن أجعل من فينش الجديد يشتم ويلعن كلما رغب بذلك، حيث سيصبح فينش الجديد قادراً على الوقوف على سطح بناء والتفكير في القفز منه فقط لأنه لا يهاب أي شيء، فقد تحول إلى شخص صلب فعلاً.

رد علي شارلي: "اللعنة عليه ألف مرة". ثم انتزع سترة من المكان الذي علقت فيه ورفعها إليه، فبدت لي تلك السترة شبيهة بما أبلاه عازف الغيتار كيث ريتشاردز في يوم من الأيام.

إلا أن تلك السترة كانت أجمل سترة رأيتها في حياتي ولهذا سحبتها من يده، عندها تنهدت برين وابتعدت عنا، ثم عادت وهي تمشي على مهل نظراً إلى حملها جزمة سوداء ضخمة تشبه ما كان أفراد فرقة البيتلز ينتعلونه، ثم قالت لي: "إن قياسها أربعة عشر، ولكن بما أنك تكبر بسرعة فستصبح مناسبة لك بحلول يوم الجمعة".

بحلول وقت الغداء، بدأت أستخرج شخصية فينش الصلب من أعماقي، وذلك لسبب وحيد؛ ألا وهو أنه يعجب الفتيات على ما يبدو. إذ إن زميلة لطيفة لم تصل إلى السنة النهائية استوقفتني في القاعة وسألتني إن كنت بحاجة إلى يدلني على الطريق. ولا بد أنها طالبة في السنة الأولى، إذ من الواضح أنه ليست لديها أية فكرة عني. لذا حالما سألتني إن كنت من لندن أم لا، قلت لها: بصحتك، وأخذت أستخدم مفردات وكلمات توحي بأنني من هناك، وذلك باستخدام لكنة مقنعة للغاية حسبما أعتقد، لكنها بدلاً من ذلك ضحكت وأبعدت شعرها عن وجهها وبدأت ترشدني إلى المقصف.

وبما أن عدد الطلاب في ثانوية بارتليت قد تجاوز الألفين، كان على الإدارة أن تقوم بتقسيمنا إلى ثلاث فترات عند الغداء. وهكذا، تخلفت بريندا عن حضور حصة في ذلك اليوم لتتناول طعام الغداء معي ومع شارلي. لكنني حينما وصلت

حييتهما بلهجة إنكليزية، فأخذت برين ترمش بعينيها لي، ومـــن ثم انتقلـــت إلى شارلي وهتفت: "أرجوك، قل لي إنه ليس إنكليزياً". فهز شارلي كتفيــه وأكمــل طعامه.

وهكذا، أمضيت بقية فترة الغداء وأنا أحدثهما عن أحب المواقع إلى نفســي في بلادي، مثل أونيست جونز ورف تريد إيست وآوت أون ذا فلور، وكـــذلك عن محالّ التسجيلات التي تسكعت فيها، ثم حدثتهما عن حبيبتي الأيرلندية الحقيرة فيونا التي كانت مثيرة، وعن أفضل أصدقائي وهما تام وناتز. وعند نهايـــة فتـــرة الغداء، كنت قد رسمت عالماً كان بوسعي أن أرى فيه كل تفاصيله التي كانت من بينها ملصقات إعلانات لفرقة سيكس بيستولز والفنان جوي ديفيجين على جدار غرفتي، وأعقاب السجائر الذي أدخنها عند شباك الشقة التي أعيش فيها مع فيونا، والليالي التي أمضيتها وأنا أعزف موسيقى الأمل والمرســاة ومقطوعـــة الهـــلال، وكذلك الأيام التي خصصتها لتقطيع التسجيلات في اســتديوهات آبـــي رود. وحينما رن الجرس وهتف بـــي شارلي: "هيا بنا أيها النذل". شعرت بـــالحنين إلى مدينتي لندن التي تركتها وأتيت إلى هنا. مكتبة الرمحي أحمد

أمرك يا سيدي، قلت ذلك وأنا أسير عبر القاعات من دون أن يتحـــدث أي كان عما يمكن أن يكون عليه فينش البريطاني الصلب ذلك، وإن كان سيســتولي على المدرسة ثم المدينة ثم العالم بأكمله أم لا؛ ليتحول هذا العالم إلى عالم يســوده الحب والحنان، حيث يعطف الجار على جاره والطالب على زميلــه، أو يحتـــرم بعضهم بعضاً على الأقل، من دون أن يقوموا بإطلاق الأحكام على بعضـــهم، أو يسخروا من بعضهم، وليصبح العالم عالماً تختفي فيه كل تلك الأمور.

وحينما دخلت الصف لحضور حصة التاريخ الأمريكي كنت قـــد أقنعـــت نفسي بأن ذلك العالم الذي تخيلته موجود بالفعل، وقد بقيت مقتنعاً بذلك إلى أن وقعت عيناي على ريان كروس، فتذكرت جميع الذهب المتدفق؛ بما أن يده كانت على ظهر كرسي فيوليت، وكأنه صاحب مطعم ماكاروني غريل. إذ كان يبتسم لها وهو يتحدث إليها، أما هي فقد كانت تبتسم له مـــن دون أن تفـــتح فمهـــا، وبدت عيناها الخضراوان واسعتين وجديتين من خلف عدستَي نظارتها. أمـــا أنـــا

فكنت مجرد شخص يدعى تيودور فينش وُلِد في إنديانا، وهو الآن ينتعل جزمة بالية. فالشبان أمثال ريان لديهم القدرة على تذكيرك بمن تكون، حتى لو لم تكن ترغب بتذكر ذلك.

وبينما كنت أحاول أن أنظر إلى عيني فيوليت التي كانت منشغلة بهز رأسها والإصغاء إلى ريان، ظهر أمامي المتسكع وأماندا مونك التي حدجتني بنظرة مخيفة ثم هتفت: "إلام تنظر؟". بعد ذلك، اختفت فيوليت خلفهما، لذا كان كل ما يسعني القيام به هو أن أحدق إلى تلك الجهة التي كانت فيوليت متواجدة فيها.

وقبل أن يرن الجرس، أخذ السيد بلاك يتحدث في مقدمة غرفة الصف مطلقاً صوت صفير، ثم سألنا إن كان لدى أي منا أي سؤال عن المشروع، فارتفعت الأيدي، فأولى اهتمامه ليد تلو الأخرى. وأخيراً خاطب الجميع بقوله: "اذهبوا وشاهدوا... ولايتكم. زوروا المتاحف... والحدائق... والمواقع الأثرية. ثقفوا أنفسكم... قليلاً... حيث يمكنكم أن تأخذوا كل ذلك معكم... حين تغادرون".

وهنا هتفت بأجود ما أتقنه من اللكنة الإنكليزية: "لكنني أعتقد أنه ليس بمقدورك أن تأخذ ذلك معك".

فضحكت فيوليت، وكانت الوحيدة التي ضحكت على كلامي. لذا، فور قيامها بذلك أدارت وجهها بعيداً عن الجميع، وأخذت تحدق إلى الجدار الذي كان بجانب كتفها اليمنى.

وحينما رن الجرس، خرجت متجاوزاً ريان كروس والمتسكع وأماندا، إلى أن أصبحت أقف بالقرب من فيوليت؛ لدرجة أنه كان بوسعي أن أشم رائحة الأزهار التي تفوح من شعرها، بفضل الشامبو الذي استخدمته في حمامها. إن الشيء الوحيد الذي كان يميز فينش الصلب هو أن الشبان أمثال ريان كروس لا يمثلون مصدر رعب له لفترة طويلة.

وهنا سمعت أماندا تقول بصوتها الذي يخرج من أنفها وكأنها فتاة صغيرة: "هل بإمكاني مساعدتك؟".

فقلت مخاطباً فيوليت بلهجتي المعتادة التي لم تكن بريطانية وقتها: "حان الوقت لنبدأ جولاتنا".

فردت: "إلى أين؟". وبدت لي عيناها باردتين وقلقتين بعض الشيء، وكأنها كانت تخشى أن آخذها معي حالاً وبسرعة.

سألتها: "هل سبق لك أن زرت تلة هوزير؟".

ردت: "لا".

قلت: "إنها أعلى مكان في الولاية".

أجابت: "سمعت عنها".

قلت: "أعتقد أنها ستعجبك؛ إلا إن كنت تخافين من المرتفعات". قلت ذلك وأنا أهز برأسي.

فاختفت من وجهها كل المعاني، ثم عادت إلى سابق عهدها، وارتفعت زاويتا ثغرها الجميل في ابتسامة كاذبة ورائعة وقالت: "لا، إنني لا أخاف من المرتفعات".

عندها، سمعت إحداهن تقول: "لقد أنقذتك حينما هممت بالقفز من النافذة، أليس كذلك؟". كان ذلك التعليق صادراً عن أماندا التي أخذت تلوح بهاتفها، وهكذا تمكنت من رؤية العنوان الرئيس الذي نشر في جريدة بارتليت ديرت.

ثم أخذ المتسكع يتمتم: "ربما يتعين عليك أن تصعد إلى هناك وتحاول مرة ثانية".

فقلت له: "وأخسر فرصة مشاهدة إنديانا؟ كلا، شكراً".

إلا أن أعينهما كانت على وشك أن تنفذا إلى صدري حينما نظرت إلى فيوليت وقلت لها: "هيا بنا".

فردت: "الآن؟".

أجبتها: "الآن وليس أي وقت آخر من بين كل الأوقات. فأنت الوحيدة من بين كل الناس يجب أن تدركي أننا بمأمن الآن".

فهتف المتسكع: "ها أيها الحقير! لم لا تسأل حبيبها؟".

فقلت مخاطباً إياه: "لأن أمر ريان لا يهمني، ففيوليت هي التي تهمني". ثم وجهت الحديث إلى ريان قائلاً: "هذا ليس موعداً غرامياً يا رجل، بل إنه مشروع دراسي".

فصرخت فيوليت: "إنه ليس حبيبي". فبدا على ريان أن كلامها قد جرحه، وكنت على وشك أن أتعاطف معه، إلا أنه من المستحيل بالنسبة إلي أن أشعر بالأسى على شاب مثله. ثم أردفت فيوليت: "لا يمكنني أن أتخلف عن الحصة".

سألتها: "ولَمَ لا؟".

فأجابت: "لأني لست مهملة". وقد بدا واضحاً من لهجتها أنها تقصد: *لست مهملة مثلك*، وهذا ما جعلني أفكر في سري في أنها قالت ذلك فقط لأننا كنا نقف أمام هؤلاء الأشخاص.

فقلت لها أثناء خروجي من الصف: "سأنتظرك في المرأب بعد انتهاء الدوام الدراسي، فتعالي... تعالي".

وهنا خلت أنها ابتسمت بعض الشيء، لكن ذلك قد يكون ما صوّره لي خيالي.

ثم سمعت كلمة "مجنون" التي تمتمت بها أماندا أثناء خروجي. لكنني ضربت مرفقي بحافة الباب دون قصد مني، كما ضربت مرفقي الآخر بالحافة الأخرى لحسن الحظ أيضاً.

فيوليت

151 يوماً قبل التخرج

الزمان: الساعة الثالثة والنصف، المكان: مرأب المدرسة.

وقفت تحت الشمس، وحاولت أن أحمي عينيّ من أشعتها، لكنني لم أره في البداية، فخلت أنه قد غادر من دوني، أو لعلي خرجت من بوابة أخرى؛ إذ كانت مدينتنا صغيرة، لكن مدرستنا كبيرة، فقد كان فيها ما يزيد عن ألفي طالب، وذلك لأنها المدرسة الثانوية الوحيدة في الجوار. وهكذا توقعت أن أجده في أي مكان آخر.

كنت أمسك بمقبض دراجتي، وهي دراجة قديمة ذات لون برتقالي، تتمتع بعشر سرعات كنت قد ورثتها عن إليانور التي كانت قد أسمتها ليروي؛ إذ كان يحلو لها أن تقول لوالدينا: "كنت في جولة على دراجتي ليروي"، أو "سأذهب لأركب ليروي قليلاً".

كانت بريندا شانك-كرافيتز تسير بالقرب مني، وهي تبدو أشبه بالغيمة التي تسبق العاصفة؛ بسبب اللون الزهري الفاقع الذي كانت ترتديه، وقد سار خلفها شارلي دوناهيو. وفجأة، هتفت بريندا: "إنه هناك". وأشارت إلى مكان وجوده بإصبعها التي طلت ظفرها باللون الأزرق، ثم تابعت: "إن حطمت قلبه فسأضربك على هذه المؤخرة النحيلة إلى أن تصلي إلى كنتاكي، وأنا أعني ما أقوله لك؛ لأن آخر شيء ينقصه هو أن تتلاعب بعقله فتاة مثلك. هل هذا مفهوم؟".

أجبتها: "مفهوم".

فقالت لي: "ثم إنني أشعر بالأسى على شقيقتك".

في تلك اللحظة، نظرت إلى الجهة التي أشارت إليها بريندا فوجدته هناك، حيث كان متكئاً على سيارة ساتورن، وقد وضع يديه في جيبيه وكأنه كان يقف هناك منذ الأزل ويتوقع قدومي. عندها، أخذت أفكر في سطور فيرجينيا وولف، أي تلك الأبيات المأخوذة من ديوانها **الأمواج**، وفكرت في سرّي: "*إنه شاحب وشعره داكن، ذلك الذي يأتيني يمثّل الكآبة، لكنه رومانسي، وأنا كقنطرة فصيحة اللسان ومزاجية، وبما أنه يمثّل الكآبة فهو رومانسي، ثم إنه هناك*".

أخذت أسحب دراجتي باتجاهه. كان شعره الفاحم متمرداً وأشعث وكأنه قد أمضى وقته على الشاطئ، بالرغم من عدم وجود أي شاطئ في بارتليت، كما كان شعره يشع بلون أسود مائل للزرقة، وكانت بشرته الشاحبة بيضاء للغاية، لدرجة تمكّني من رؤية العروق في ذراعيه.

وعندما وصلت، فتح لي باب سيارته وقال: "تفضلي".

قلت: "لكنني أخبرتك أن قيادة السيارة ممنوعة".

فأجاب: "لقد نسيت دراجتي، لذا علينا أن نذهب إلى بيتي لإحضارها".

قلت له: "إذاً، سأتبعك".

أخذ يقود السيارة ببطء بالغ، وهكذا وصلنا إلى بيته بعد عشر دقائق. كان بيته مؤلفاً من طابقين، ويعلو سطحه القرميد، ويعود طرازه للحقبة الاستعمارية، وقد زرعت شجيرات كثيرة تحت نوافذه المزودة بمصاريع سوداء. وكان للبيت باب أحمر اللون، وثمة صندوق للبريد بلون أحمر يماثل لون الباب كتب عليه: فينش. وهكذا، انتظرته في المدخل ريثما قام بركن السيارة في المرأب وفتش عن دراجته. وحين وجدها أخيراً، رفعها عن الأرض ثم أخرجها من المرأب، وكنت أراقب عضلات ذراعيه وهو يتحرك.

ثم قال لي: "بوسعك أن تتركي حقيبتك في غرفتي". وأخذ يمسح الغبار عن مقعد الدراجة بواسطة قميصه.

أجبته: "لكن أغراضي موجودة بداخلها...". فقد كنت أحمل كتاباً عن تاريخ إنديانا كنت قد أخذته من المكتبة بعد الحصة الأخيرة، إلى جانب الأكياس ذات الأحجام والقياسات المتنوعة، والتي كانت تقدمها لي إحدى السيدات اللواتي كنّ يقدمن لنا الغداء، وذلك كتذكار بقيت أحتفظ به.

فما كان منه إلا أن قال: "لقد سوّيت الأمر". ثم فتح الباب على مصراعيه ليسمح لي بالدخول، وحينما دخلت، بدا لي البيت كأي بيت عادي آخر، إذ لم يكن ذلك البيت الذي توقعت أن تيودور فينش يعيش فيه، وهكذا تبعته إلى الطابق العلوي، فاكتشفت أن الجدران كانت تملأها صوره المدرسية التي وضعت داخل أطر وعلقت هناك؛ حيث طالعتني صورة لفينش وهو في الروضة، وصورة له وهو في المدرسة المتوسطة، لكنه بدا لي مختلفاً في كل صورة، ليس من حيث العمر، بل من حيث الشخصية، إذ رأيت صورة له وهو يلعب دور مهرج الصف، وصورة له وهو محرج، وصورة أخرى له يبدو فيها مغروراً، وأخرى وهو يلعب. وعندما وصلنا إلى آخر القاعة، دفع أحد الأبواب فانفتح أمامنا.

كانت جدران غرفته مطلية بلون أحمر غامق، لذا ظهر كل شيء بلون داكن، بدءاً من المكتب، فالكرسي، فالمكتبة، فغطاء السرير، وأخيراً آلات الغيتار. وكان قد ملأ أحد الجدران بأكمله بصور وملاحظات كتبت على أوراق لاصقة ومناديل وقصاصات ورقية. وعلى حائط آخر انتشرت الملصقات الخاصة بإعلانات الحفلات الموسيقية، إلى جانب صورة كبيرة له بالأبيض والأسود وهو يقف على خشبة مسرح في مكان ما ويحمل الغيتار بيده.

وقفت أمام الجدار المملوء بالملاحظات والأوراق وهتفت: "ما كل هذا؟".

فأجابني: "خطط، أغانٍ، أفكار، رؤى". ثم رمى حقيبتي على سريره وأخذ يبحث عن شيء في أحد الأدراج.

بدت لي معظم الملاحظات كشذرات لأشياء أخرى، إذ كانت عبارة عن كلمات مفردة أو عبارات غير مفهومة إن قرأت من دون سياق. على سبيل المثال: ***أزهار الليل. لقد قمت بذلك فأصبحت أحس أن ذلك حقيقي. لنسقط. إنه قراري كلياً. مسلة. هل اليوم يوم مناسب لـ؟***

هل اليوم يوم مناسب لماذا؟ كنت أود أن أطرح عليه هذا السؤال، لكنني بدلاً من ذلك هتفت مستغربة: "مسلة!".

فقال: "إنها كلمتي المفضلة".

سألته: "أحقاً؟".

فرد: "إنها مجرد كلمة من بين كلمات كثيرة". وهنا نظرت إليه فأردف: "إنها كلمة منتصبة وواقفة وقوية، ثم إنها فريدة من نوعها وأصيلة وخفية؛ لأنها لا تبدو على ما هي عليه في الحقيقة، نظراً إلى كونها كلمة تفاجئك وتجعلك تفكرين وتقولين: *أوه حسناً، ثم ماذا بعد؟* ولهذا فهي تستحق الاحترام، لكنها متواضعة أيضاً، فهي لا تشبه كلمة: (نُصُب) أو (برج)". ثم أخذ يهز برأسه وهو يقول: "يا لهما من كلمتين حقيرتين ومدعيتين".

لم أنبس ببنت شفة لأنني أعشق الكلمات بحكم العادة. فقد كنت أهوى الكلمات وأجيد ترتيبها، ونتيجة لذلك شعرت بأنني محاطة بحماية الكلمات الجيدة، أما الآن فجميع الكلمات -الحسن منها والرديء- بات يحبطني.

عندها قال: "هل سبق لك أن سمعت بعبارة: عد إلى ظهر الجمل؟".

أجبته: "ليس قبل أن يستخدمها السيد بلاك".

فانحنى على مكتبه ومزق ورقة إلى نصفين ثم كتب عليها، وبعد ذلك ألصقها على الجدار أثناء خروجنا من الغرفة.

وحينما أصبحنا خارج البيت، ركبت على ليروي ووضعت إحدى قدمي على الأرض.

أما تيودور فينش فقد رفع حقيبته على ظهره، فارتفع قميصه عند بطنه، ورأيت ندبة حمراء بشعة كانت قد شقت المنطقة عند المنتصف.

دفعت نظارة إليانور نحو رأسي وسألته: "ما الذي تسبب لك بهذه الندبة؟".

فقال: "لقد رسمتها؛ فمن خبرتي عرفت أن الفتيات يحببن الندبات أكثر من الأوشام". ثم ركب دراجته، وأراح ظهره على المقعد بينما ثبّت قدميه بقوة وقال: "هل ركبت سيارة بعد الحادث؟".

أجبته: "كلا".

فقال: "سيكون ذلك رقماً قياسياً، فنحن نتكلم عن ثمانية أشهر أو تسعة، أليس كذلك؟ كيف تذهبين إلى المدرسة؟".

أجبته: "أركب الدراجة أو أذهب مشياً على الأقدام، ثم إن بيتي ليس بعيداً عن المدرسة".

سألني: "وماذا عن الأيام الماطرة أو حينما يهطل الثلج؟".

أجبته: "أركب دراجتي أو أذهب سيراً على الأقدام".

سألني: "إذاً، أنت تخافين من ركوب السيارة ولا تخافين من الصعود إلى نافذة برج الجرس!؟".

قلت: "سأعود إلى البيت".

فضحك وأمسك بدراجتي قبل أن أتمكن من المضي بها، ثم قال: "إن ذلك لن يعيدها إلى الحياة مجدداً".

قلت له: "كلامك لا يقنعني".

فقال: "انظري، لقد أتيت إلى هنا، وقد التزمنا بهذا المشروع، وأنا أرى الموضوع على النحو التالي: كلما أسرعنا بالوصول إلى تلة هوزير أسرعتِ أنت بتجاوز هذه الأزمة".

عبرنا حقل ذرة إثر حقل ذرة آخر، فقد كانت تلة هوزير تبعد مسافة أحد عشر ميلاً فقط عن المدينة، لذا لم نكن بحاجة إلى الابتعاد أكثر. كان الجو بارداً لكن الشمس ساطعة، لذا كان من الممتع أن يخرج المرء في تلك الأجواء. أغمضت عينيّ ورفعت رأسي إلى الأعلى، فشعرت ببقايا من شخصية فيوليت تعود إلي من الأيام الخوالي؛ إذ شعرت بفيوليت المراهقة الطبيعية، فيوليت التي لم يلحظها أحد.

كان فينش يركب دراجته ويسير بها بالقرب مني، وفجأة قال لي: "أتعرفين ما يعجبني بقيادة السيارات؟ تلك الحركة إلى الأمام، وذلك التقدم الذي تشعرك به؛ وكأنه بوسعك أن تذهبي إلى أي مكان".

وهنا فتحت عينيّ وعبست في وجهه وقلت: "لكن هذا لا يشبه القيادة بشيء".

فرد: "أتقولين لي هذا؟!". وأخذ يعبر الطريق بدراجته بمسارات تشبه الرقم ثمانية، ثم أخذ يدور حولي في دوائر، وبعدها عاد ليقود دراجته إلى جانبي مرة أخرى.

ثم هتف قائلاً: "أستغرب أنك لا تضعين خوذة ولا ترتدين درعاً واقياً للجسم بأكمله لتكوني آمنة على أعلى المستويات. فماذا لو بدأت نهاية العالم، وتحوّل جميع من حولك إلى موتى، وأصبحت الطريقة الوحيدة التي يمكنك من خلالها إنقاذ نفسك هي أن تخرجي من هذه المدينة اللعينة؟ ولنفترض أن الطائرات والقطارات والحافلات قد اختفت في تلك الحالة، وأن حركة المواصلات العامة قد تعطلت كلياً، كما أن الدراجة ستكون في تلك الحالة مكشوفة وخطيرة للغاية، فما الذي ستفعلينه عندئذ؟".

سألته: "وكيف لي أن أعرف أنني سأكون بمأمن خارج المدينة؟".

فأجاب: "إن بارتليت أكثر مكان سيتأثر بكل ذلك".

قلت له: "وهل سأكون متأكدة من ذلك؟".

فرد: "الجميع يعرفون ذلك، وقد أكدت الحكومة هذه المعلومة".

لكنني لم أجبه، فأخذ يسير ضمن دوائر حولي، ثم سألني: "إلى أين ستذهبين إن كان بوسعك أن تهربي؟".

فرددت عليه بسؤال: "أما زلت تتحدث عن نهاية العالم؟".

فأجابني: "كلا".

فأجبت في سري: *إلى نيويورك*.

لكنني قلت له: "سأعود إلى كاليفورنيا". وكنت أعني بذلك تلك الولاية التي غادرتها منذ أربع سنوات قبل أن أنتقل إلى هنا، وذلك حينما كانت إليانور في السنة الجامعية الأولى، وكنت سأنجح إلى الصف التاسع.

فرد علي بقوله: "لكن سبق لك أن ذهبت إلى هناك. ألا تحبين أن تشاهدي أماكن أخرى لم تزوريها من قبل؟". ثم أخذ يحرك دواستي دراجته وهو يضع يديه تحت إبطيه.

أجبته: "إن الجو دافئ هناك، كما أن الثلج لا يهطل فيها أبداً". وذلك لأنني كنت أكره الثلج، ولا بد لي أن أكرهه دوماً. ثم سمعت في أذنيّ صوت السيدة كريزني

وصوتَي والديَّ وهم يطلبون مني أن أبذل جهدي، ولهذا قلت له: "قد أذهب إلى الأرجنتين أو سنغافورة لأتابع دراستي، ولن أقدم أي طلب للقبول في أي مكان إن لم يكن يبعد عن هذه المدينة مسافة لا تقل عن ألفي ميل". أو أي مكان آخر لا يزيد فيه معدل الهطول السنوي للثلوج عن إنش واحد، وهذا ما جعلني أصرف النظر عن جامعة نيويورك، ثم أردفت: "لكنني قد أبقى هنا، لأنني لم أقرر بعد".

عندها سألني: "ألا تودين أن تعرفي إلى أين سأذهب إن كان بوسعي مغادرة هذا المكان؟".

فقلت في سري: *لا أرغب في ذلك*. لكنني سألته: "إلى أين ستذهب لو كان بوسعك مغادرة هذا المكان؟". إلا أن كلماتي بدت أكثر جاذبية مما كنت أقصد.

فما كان منه إلا أن انحنى إلى الأمام فوق مقود الدراجة، وأخذ يحدق إلى عيني ويقول: "سأذهب إلى تلة هوزير مع فتاة جميلة".

مكتبة الرمحي أحمد

كان بستان مليء بالأشجار يمتد إلى جانبنا، بينما امتدت الأراضي الزراعية الجرداء على الجانب الآخر بعدما غطتها الثلوج، وهنا هتف فينش: "أعتقد أنه علينا أن نسلك ذلك الطريق".

تركنا دراجتينا عند صف الأشجار، ثم عبرنا الطريق لنسير في طريق تملأه القاذورات ولا يزيد طوله عن بضع ياردات. كانت ساقاي تؤلمانني بسبب قيادتي للدراجة، وهذا ما جعلني أشعر بضيق نفس بشكل غريب.

كان هنالك بعض الأطفال الذين يتسكعون في ذلك البستان، ويتمايلون إلى الأمام والخلف على سياجه، وحالما رأونا ضرب أحدهم صديقه ثم اعتدل في وقفته. وهنا قال لي تيودور: "بإمكانك أن تغذي السير إلى الأمام، فالناس يأتون من سائر بقاع العالم ليروا هذا المكان وأنت لست أول من يزوره".

عندها، هتفت فتاة صغيرة من بين الأطفال: "كانت هنالك لافتة ورقية". ولكنها بدت لي وكأنها تشعر بالملل.

وبلهجة أسترالية، خاطب فينش الصغار بقوله: "لقد أتينا إلى هنا من بيرث، وقد قطعنا كل هذه المسافة لنرى أعلى قمة في إنديانا، فهل يُسمح لنا بزيارة تلك القمة؟".

غير أنهم لم يسألوه أين تقع بيرث، بل كل ما فعلوه هـو أنهـم هـزوا لـه بأكتافهم تعبيراً عن عدم اكتراثهم.

انتقلنا للسير عبر البستان الذي يضم أشجاراً بنية اللون، وكنا ننـزع أوراق الأشجار التي تساقطت على وجهينا طيلة الطريق، ثم غطسـنا في طريـق ملـيء بالقاذورات وتابعنا المسير. إلا أنه لم يكن بوسعنا أن نسير جنباً إلى جنب، لذا كان فينش يسير في المقدمة. وهكذا، تمكنت من التمعن في لمعة شعره وطريقته في السير متمهلاً، والتي كانت تتسم بسهولة الحركة ورشاقتها، وذلك أكثر من اهتمـامي بمشاهدة المناظر الطبيعية حولي.

وفجأة، وصلنا إلى مكان وجدنا فيه نفسينا وسط دائرة بنية اللـون، حيـث رأينا مقعداً خشبياً طويلاً كان قد وضع تحت شجرة، وطاولة نزهة بالقرب منـه، أما اللوحة فكانت إلى يميننا وقد كتب عليها: *أعلـى نقطـة في إنـديانا: تلـة هوزير، الارتفاع: 1257 قدماً عن سطح البحر*. لقد كانت تلك اللافتة منتصـبة أمامنا، وكانت عبارة عن عمود خشبـي بارز من الأرض وسـط كومـة مـن الحجارة.

هتفت: "أهذه هي!؟". إذ لم أستطع منع نفسي من قول ذلك.

لقد كانت قمة عالية، ولكنها خيّبت أملي بشكل غريب؛ إذ ما الذي كنت أتوقعه بعد ذلك؟

عند ذلك، أمسك بيدي وسحبني خلفه، حيث أصبحنا نقف على الحجارة.

وفي تلك اللحظة، لامس جلده جلدي فشعرت بالصدمة بعـض الشـيء، وأخذت أقنع نفسي بأن ذلك لا يتعدى كونه تلك الرعشة المعروفة التي تنجم عن أي اتصال جسدي فعلي حينما لا يكون المرء معتاداً على ذلك من شخص تعرف عليه حديثاً. غير أن تلك التيارات الكهربائية بدأت تتدفق في ذراعي، فأخذ هـو يفرك راحة يدي بإبهامه؛ الأمر الذي جعل تلك التيـارات تسـري عـبر بـاقي جسدي... يا إلهي!

ثم خاطبني باللهجة الاسترالية: "ما رأيك؟". وهنا أصبحت يـده مشـدودة ودافئة، وشعرت بأنها كبيرة نوعاً ما وهي تمسك بيدي.

وقال لي: "ما الذي كان سيحدث لو أتينا إلى هنا من بيرث؟". إلا أن فكري كان منشغلاً بالتيارات الكهربائية مع محاولتي عدم إظهار ذلك، لأنني إن فعلت ذلك فلا بد أن يحرمني من سماع نهاية كلامه.

ثم تابع قائلاً: "أو ما الذي كان سيحدث لو كنا قد أتينا إلى هنا من موسكو؟". فاكتشفت أنه كان يتمتع بلكنة روسية أيضاً.

أجبته: "كنا سنشعر بغضب شديد".

فرد علي بصوته المعهود: "لن نكون غاضبين كأولئك الذين وصلوا إلى تلة ساند التي تعتبر ثاني أعلى منطقة في إنديانا، فارتفاعها يصل إلى 1.076 قدماً فقط عن سطح البحر، ولا يوجد فيها أي مكان للتنزه".

قلت له: "إن وصلوا إلى القمة الثانية فلن يكونوا بحاجة إلى القمة الأولى".

فرد علي: "فكرة رائعة. فبالنسبة إليّ، لا تستحق تلك القمة حتى النظر إليها، خاصة بعدما وصلنا إلى تلة هوزير". ثم ابتسم لي، ولأول مرة انتبهت كم كانت عيناه زرقاوين كزرقة السماء الساطعة، لكنه تابع كلامه قائلاً: "فعلى الأقل، ينتابني هذا الشعور وأنا أقف هنا معك". ثم أغمض عينيه الزرقاوين وتنفس بعمق، وحينما فتحهما قال لي: "في الحقيقة، إن الوقوف إلى جانبك يجعل من هذه القمة تضاهي بعلوها قمة إيفريست".

انتزعت يدي من يده، ولكن حتى بعد أن أبعدتها، كنت لا أزال أحس بذلك التيار *الغبي*، فقلت: "ألا يجدر بنا أن نقوم بجمع التذكارات؟ أو أن نكتب بعض الملاحظات؟ أو أن نصور مقاطع فيديو الآن؟ كيف يمكننا أن ننظم كل هذا؟".

فأجابني: "لسنا بحاجة إلى ذلك. فكل ما نحتاج إليه حينما نقوم بالتجول هو أن نكون متواجدين، من دون أن نراقب ذلك عبر عدسة الكاميرا".

وهكذا، نظرنا معاً من فوق الدائرة البنية والمقعد الخشبي والأشجار، وكذلك نظرنا إلى المنظر الطبيعي الذي كان أجرد ويكسوه البياض. لو كنت هنا قبل عشرة أشهر لكنت قد سجّلت ملاحظات عن هذا المكان في رأسي وقلت: *ثمة لافتة أعتبرها مفيدة؛ لأنها إن لم تكن موجودة فلن يعرف المرء أنه ينظر إلى أعلى قمة في إنديانا*... ولكنت قد فكرت بكتابة خلفية درامية كاملة

لشخصية خيالية تعرض في الرسوم المتحركة المخصصة للأطفال، حيث تبدو ملحمية وممتعة. أما الآن، فلا يمكنني أن أرى إلا أبناء الفلاحين في إنديانا وهم يتعلقون بالسياج.

قلت له: "أعتقد أن هذا أبشع مكان وقعت عليه عيناي. ولا أعني بذلك هذا المكان تحديداً، بل سائر هذه الولاية". وهنا سمعت صوتَي والديّ وهما يطلبان مني ألا أكون سلبية؛ وإنه لأمر مضحك لأنني كنت دوماً الفتاة الأكثر سعادة لديهما، أما إليانور فقد كانت مزاجية.

فرد علي: "كنت أعتقد ذلك أنا أيضاً، ولكنني أدركت بعد ذلك أن هذا المكان يبدو جميلاً في أعين البعض سواء أصدقت ذلك أم لم تصدقي. بل لا بد لهذا المكان أن يكون جميلاً، إذ يعيش فيه عدد كبير من الناس، ولا يمكنهم جميعاً أن يرونه بشعاً". ثم أخذ يبتسم للأشجار الكريهة والأراضي الزراعية البشعة، والأطفال البشعين، وكأن ما كان أمامه مكان ساحر وخيالي، أو كأنه كان يرى الجمال في ذلك المكان بالفعل.

تمنّيت في تلك اللحظة لو كان بوسعي رؤية ذلك الجمال في عينيه، وتمنّيت لو كانت لديه نظارة كي يعطيني إياها لأتمكن من الرؤية من خلالها، لكنني سمعته وهو يقول لي: "كما أنني فكرت: طالما أنني أعيش هنا فيمكنني أن أتعرف إلى هذا المكان، أي أن أرى فيه كل ما يمكنني رؤيته".

سألته: "أتقصد التجول في إنديانا؟".

رد علي: "نعم".

قلت له: "تبدو لي مختلفاً عما كنت عليه في ذلك اليوم".

فنظر إلي من طرف عينه وبعينين نصف مغمضتين قال: "ذلك بسبب الارتفاع".

فضحكت، ثم منعت نفسي عن الضحك بعد ذلك.

فقال لي: "لا بأس إن ضحكت، فلن تنشق الأرض إن فعلت ذلك، ولن تذهبي إلى الجحيم، صدقيني! فلو كان الأمر كذلك لكنت قد سبقتك إلى هناك، وسينشغل بي الجميع حينها لدرجة أنهم لن يدخلوك".

كنت أريد أن أسأله عمّا جرى له، وإن كان قد تعرض لانهيار عصبي بالفعل، وهل صحيح أنه تناول جرعة زائدة من المخدرات؟ وأين كان في نهاية الفصل الدراسي الماضي؟

لكنني اكتفيت بالقول: "لقد سمعت الكثير من القصص".

سألني: "عني؟".

فسألته: "هل كلها حقيقية؟".

فأجاب: "ربما".

وهنا، أخذ يبعد شعره عن عينيه ويحدق إليّ جيداً وبقوة، وقد انتقلت نظراته ببطء بين تقاسيم وجهي لتصل إلى فمي، ولهنيهة ظننت أنه سيقبلني، ولهنيهة رغبت أن يفعل ذلك.

لكنني بادرته بالقول: "إذاً، يمكننا أن نقطع هذه، أليس كذلك؟ وأن ننزل إلى هذه، ثم نعبر تلك، ثم ماذا بعد؟". وهنا بدوت كأمينة السر التي تعمل لدى والدي.

فأجابني: "لدي خارطة في حقيبة الظهر التي حملتها معي". لكنه لم يحرك أي ساكن ليأتي بها، بل بقي واقفاً هناك وهو يستنشق الهواء وينظر حوله، أما أنا فكنت أريد أن أحصل على الخارطة لأن في ذلك شيئاً يشبه شخصيتي، أو لنقل ما كنت عليه في السابق؛ إذ كنت أحب أن أكون مستعدة لأي خطوة تالية حالما أرتبها في رأسي. لكنه لم يتحرك بأي اتجاه، بل أمسكت يده بيدي مرة أخرى، وبدلاً من أن أقوم بانتزاعها سمحت لنفسي بأن أقف هناك أيضاً، وقد كان ذلك رائعاً بالفعل، وهكذا أصبحت التيارات الكهربائية تتدفق بسرعة كبيرة؛ لدرجة أصبح معها جسدي يئز. أما النسيم فقد كان يهب ويحرك معه أوراق الأشجار، فبدا لي ذلك أشبه بموسيقى. وهكذا، وقفنا جنباً إلى جنب، وأخذنا ننظر من حيث نقف على تلك القمة نحو الأعلى وإلى كل ما حولنا.

ثم هتف فجأة: "فلنقفز!".

أجبته: "هل أنت متأكد؟ أهي أعلى نقطة في إنديانا؟".

فرد علي: "أنا متأكد. إذ إما أن نقوم بذلك الآن، أو سيفوتنا ذلك إلى الأبد. ولكن، علي أن أعرف إن كنت سترافقينني".

أجبته: "حسناً".

فسألني: "هل أنت مستعدة؟".

أجبته: "أنا مستعدة".

فقال: "سنقفز عند الرقم ثلاثة".

وهكذا، قفزنا بينما كان الأطفال يتجولون في تلك المنطقة، ثم هبطنا وقد علانا الغبار، لكننا كنا نضحك، لذا خاطبهم فينش بلكنته الأسترالية قائلاً: "إننا محترفان، لذا جرّبوا كل شيء إلا هذا في البيت".

أما بالنسبة إلى الأشياء التي تركناها، فقد كانت بعض النقود البريطانية، وريشة غيتار حمراء، وسلسلة مفاتيح، حيث قمنا بحفظ كل تلك الأشياء ضمن حجر مزيف يستخدم ليخبئ المرء فيه مفتاحاً، وكان فينش قد وجده في مرأب منزله، ثم حشره بين الأحجار التي تحيط بالقمة، بعد ذلك نفض القذارة عن يديه أثناء وقوفه وهو يقول: "سواء أرغبت بذلك أم لم ترغبي، سنكون من الآن فصاعداً جزءاً من هذا المكان، إلا إذا أتى أولئك الأولاد وحاولوا أن يحتالوا علينا".

أصبحت يدي باردة وهي بعيدة عن يده، لكنني أخرجت هاتفي وقلت له: "علينا أن نوثّق هذا بطريقة ما". وبدأت بالتقاط الصور قبل أن يهز رأسه بالموافقة، ثم أخذنا نتبادل الوقفات والوضعيات من أجل الصور التذكارية على تلك القمة.

بعد ذلك، أخرج فينش الخارطة من حقيبته بالإضافة إلى دفتر مخطط، ثم ناولني الدفتر مع قلم، وحينما قلت له: "حسناً"، أخبرني بأن خطه كخربشة الدجاج، والأمر يعود لي في ما يتعلق بمسألة الاحتفاظ بالملاحظات التي سأكتبها. غير أن الشيء الذي لم أستطع البوح به هو أنني كنت أفضل أن أقود السيارة طوال طريق العودة إلى إنديانابوليس على أن أكتب على ذلك الدفتر.

ولكن، بما أنه كان يراقبني قمت بكتابة بعض الأشياء على عجل؛ كالموقع والتاريخ والتوقيت ووصف مختصر للمكان بحد ذاته وللأطفال الذين رأيناهم عند السياج. بعد ذلك، قمنا بفتح الخريطة فوق طاولة النزهة.

أخذ فينش يتعقب الخطوط الحمراء للطرقات العامة بسبابته، ثم قال لي: "أتذكر أن بلاك قد قال إنه يمكننا أن نشاهد موقعين رائعين وأن نتابع السير

معهما، لكنني لا أعتقد أن ذلك يكفي، بل علينا أن نشاهد كل العجائب".

سألته: "كل ماذا؟".

فأجابني: "كل الأماكن الهامة في هذه الولاية، أو أكبر عدد ممكن يمكن أن نملأ به أوقات الفصل الدراسي".

فقلت له: "موقعان فقط، فهذا ما اتفقنا عليه".

لكنه أخذ يمعن النظر إلى الخارطة ويهز رأسه، أما يداه فكانتا تتحركان فوق الورقة. وبعدما فرغ من ذلك، قام بوضع علامات بالقلم ضمن الولاية بأكملها، حيث أحاط كل مدينة يعرف أن فيها موقعاً مهماً كحديقة ولاية دون، وأكبر بيضة في العالم، وبيت حصان الرهان دان باتش، وسراديب ماركت ستريت، والأعمدة السبعة؛ وهي عبارة عن سلسلة من الأعمدة الكلسية الضخمة التي نحتتها الطبيعة والتي تطل على نهر ميسيسينيوا. وقد كانت بعض الدوائر قريبة من بارتليت، أما البعض الآخر فكان بعيداً عنها.

وهنا هتفت: "هذا كثير جداً".

فرد علي: "ربما نعم، وربما لا".

الوقت: الغسق، المكان: مدخل مرأب السيارات في منزل فينش.

كنت أقف قرب ليروي حينما كان فينش يدفع دراجته داخل المرأب، ثم فتح الباب ليسمح لي بالدخول، وحينما لم أتحرك من مكاني، هتف بي: "علينا أن نحضر حقيبتك".

فقلت له: "سأنتظرك هنا".

فاكتفى بالضحك ثم دخل، وأثناء غيابه كتبت رسالة نصية لأمي أخبرها فيها أنني سأتوجه إلى البيت على الفور؛ إذ تخيلتها وهي تقف منتظرة إياي قرب النافذة، ثم وهي تراقبني بالرغم من أنها لا تدعي أراها وهي تفعل ذلك.

وخلال دقائق معدودة، عاد فينش ووقف قريباً مني للغاية، وأخذ ينظر إليّ بعينين زرقاوين للغاية، ثم رفع شعره عنهما بإحدى يديه. وهنا شعرت بأنه قد مضى وقت طويل على اقتراب شاب آخر غير ريان مني كل هذا القرب، وفجأة

تذكرت ما قالته لي سوز عن فينش الذي يعرف ما يفعله؛ إذ يبدو تيودور المجنون أو غير المجنون نحيلاً ووسيماً وذا مشاكل.

وبما أن هذه الفكرة قد خطرت ببالي شعرت بنفسي أبتعد عنه، ثم تركت نظارة إليانور تهبط على وجهي لدرجة أصبحت معها أرى فينش أمامي مشوهاً وغريباً؛ وكأنني أراه في مرآة مدينة الألعاب.

وهنا سمعته يقول: "لأنك ابتسمت لي".

فسألته: "ماذا؟".

فرد: "لقد سألتني سابقاً عن سبب رغبتي بأن أقوم بذلك معك. ليس السبب في ذلك أنك كنت تقفين على حافة النافذة- بالرغم من أن ذلك جزء من السبب الذي دفعني للقيام بذلك- كما أن السبب لا يكمن فقط في ذلك الإحساس الغريب بالمسؤولية الذي يدفعني لمراقبتك والاهتمام بك، والذي يعتبر جزءاً من ذلك السبب أيضاً، بل إن السبب في ذلك هو أنك ابتسمت لي في ذلك اليوم عندما كنا في الصف، وقد كانت ابتسامتك حقيقية وصادقة، ولم تكن شبيهة بتلك الابتسامة المزيفة التي كنت تقابلين بها أي شخص طيلة الوقت، وذلك حينما كانت عيناك تقومان بشيء بينما يقوم فمك بشيء آخر".

هتفت: "كانت مجرد ابتسامة".

فرد: "لعلها كانت كذلك بالنسبة إليك".

فقلت له: "إنك تعرف أنني أخرج مع ريان كروس".

فرد: "خلت أنك قلت إنه ليس حبيبك". وقبل أن أتمكن من استعادة شخصيتي الحقيقية، سمعته يضحك ويقول: "اهدئي، فأنا لا أحبك حينما تكونين في هذه الحالة".

الوقت: وقت العشاء، المكان: بيتي.

قام والدي بإعداد وجبة بيكاتا الدجاج[1]، مما يعني أن الدجاجة كانت في أسوأ حالاتها. قمت بإعداد الطاولة، بينما ربطت أمي شعرها إلى الوراء وأخذت

---

(1) طبق إيطالي. (المترجمة)

الأطباق من والدي. ففي بيتي، يرافق طقس تناول الطعام سماع الموسيقى المناسبة وتناول الشراب المناسب.

تناولت أمي قضمة من الدجاج، ثم رفعت إبهامها لوالدي إلى الأعلى كدليل على نجاحه في مهمته، وبعد ذلك نظرت إلي وقالت: "إذاً، أخبريني المزيد عن هذا المشروع".

فأجبتها: "يفترض أن نتجول في إنديانا؛ وكأن في هذه الولاية مناطق مهمة يستطيع المرء أن يشاهدها! ويجب أن يكون لدى كل شخص شريك في ذلك المشروع، ولهذا سأعد هذا المشروع مع ذلك الفتى زميلي في الصف".

وهنا رفع أبي أحد حاجبيه لأمي ثم لي، وبعدها توجّه إليّ بالحديث قائلاً: "أتعرفين؟ لقد كنت بارعاً في مادة الجغرافيا أيام الدراسة. لذا، إذا كنت بحاجة إلى أي مساعدة في ذلك المشروع...".

غير أنني قاطعته أنا وأمي في الوقت نفسه، حيث أخذنا نمتدح الطعام الذي قام بإعداده، وسألناه إن كان بوسع كل منا أن تحصل على المزيد منه، فنهض مسروراً ونسي الموضوع، فهمست أمي لي قائلة: "أهو صديق مقرب؟".

كان والدي قد نذر حياته لمساعدتنا في المشاريع الدراسية، إلا أن المشكلة تكمن في أنه يستحوذ على المشروع بأكمله.

ثم عاد إلينا وهو يقول: "إذاً، إن هذا المشروع..." وذلك حينما كانت أمي تقول: "إذاً، إن هذا الفتى...".

إذا استثنيت أن والديّ كانا يريدان أن يعرفا كل حركة أقوم بها، يمكنني القول إنهما عدا ذلك كانا يتصرفان كما كانا في السابق دوماً، وإن الغضب يجتاحني كلما رأيت والديّ كما كانا في السابق، وذلك لأن أي شيء يتعلق بي لم يعد إلى سابق عهده.

وهنا بادرت أبي بالقول بينما كان فمي مليئاً بالدجاج: "لقد كنت أتساءل يا أبي عن المكان الذي ظهر فيه هذا الطبق، أقصد كيف توصلوا إلى ابتكاره؟".

وبالطبع، إن كان ثمة شيء يعشقه والدي أكثر من المشاريع فهو الحديث عن أصل الأشياء وتاريخها، وهكذا بقينا طيلة ما تبقى من فترة تناول الطعام نصغي إليه

وهو يتحدث بلا انقطاع عن إيطاليا في التاريخ القديم، وعن حب الإيطاليين للطعام المطبوخ بطريقة بسيطة ونظيفة؛ مما يعني أن أمر مشروعي وذلك الفتى أصبح منسياً بالنسبة إليه.

وفي الطابق العلوي، أخذت أبحث عن صفحة فينش على موقع فيسبوك، فوجدت بأنني ما زلت الصديقة الوحيدة لديه، وفجأة ظهرت أمامي رسالة جديدة جاء فيها: **أشعر وكأنني قد سرت على ظهر الخزانة ثم دخلت نارنيا.**

وعلى الفور، بدأت أبحث عن مقاطع حول نارنيا، فوجدت ما يلي: *"لقد وصلت إلى البيت أخيراً! إن هذا هو وطني الحقيقي! فأنا أنتمي إلى هذا المكان، وتلك الأرض هي التي كنت أبحث عنها طيلة حياتي بالرغم من أنني لم أتعرف إليها قبل الآن... فاصعدي، وادخلي!"*.

ولكن، بدلاً من أن أقوم بنسخ ذلك وإرساله إليه، نهضت ووضعت إشارة على يوم العطلة في التقويم، ثم وقفت وأنا أحدق إلى كلمة *التخرج*، إلى أن وصلت إلى شهر حزيران، وذلك بينما كنت أفكر بتلة هوزير وعيني فينش الزرقاوين للغاية، والإحساس الذي منحني إياه. إذ مضى هذا اليوم كأي شيء آخر من المحتم عليه أن ينقضي، لكنه كان يوماً رائعاً بالفعل، بل كان من أجمل الأيام التي عشتها طيلة الأشهر الماضية.

فينش

ليلة ذلك اليوم الذي تغيرت فيه حياتي

مكتبة الرمحي أحمد

أخذت أمي تحدق إليّ من فوق صحنها، أما ديكا فكانت تتناول طعامها كحصان نهم صغير، أما أنا فكنت أقوم وللمرة الأولى في حياتي بدوري في دفع الطعام إلى ذلك الحصان.

ثم فجأة هتفت أمي: "أخبريني بما تعلمته اليوم يا ديكا؟".

ولكن، قبل أن تتمكن ديكا من الإجابة قلت: "في الحقيقة، أفضل أن أبدأ أنا بذلك".

وهنا توقفت ديكا عن تناول الطعام قبل أن تفغر فمها تعجباً مما قلته، وكان فمها مملوءاً بطعام غير ممضوغ بشكل كامل. أما أمي فابتسمت بعصبية، وأمسكت بكأسها وصحنها؛ وكأنه كان من المحتمل أن أنهض وأبدأ برمي الأشياء الموجودة على الطاولة.

بعدها ردت علي أمي قائلة: "بالطبع يمكنك يا تيودور، أخبرني بما تعلمته؟".

فأجبت: "تعلمت أن ثمة خيراً في هذا العالم إن بحث المرء عنه بجد، وتعلمت أنه ليس كل البشر محبطين، بمن فيهم أنا، وأن تلة ترتفع مسافة 1.257 قدماً عن سطح البحر يمكنها أن تُشعر المرء بأنه وصل إلى منطقة أعلى من برج الجرس؛ وذلك إذا كان يقف بجانب الشخص المناسب".

أخذت أمي تنتظرني بكل تهذيب ريثما أنهي كلامي. وحينما أمسكت عن الكلام، بدأت تهز رأسها وهي تقول: "عظيم، إن هذا رائع بالفعل يا تيودور، أليس هذا مهماً يا ديكا؟".

وبينما كنا نفرغ الطاولة من الصحون بدت أمي مرتبكة كما هي حالها دوماً. إلا أن ما زاد وضعها سوءاً هو أنه لم يكن بيدها مفتاح الحل بالنسبة إلى ما عليها فعله مع شقيقتي ومعي.

وبما أنني كنت أشعر بالرضى عن يومي، وبالكدر عليها لأن أبي لم يكسر قلبها فحسب، بل قضى على كبريائها وتقديرها لنفسها، قلت لها: "فلتدعيني أغسل الصحون الليلة يا أمي. عليك أن ترفعي قدميك". حينما تركنا أبي آخر مرة وبشكل نهائي حصلت أمي على رخصة سمسار. ولكن بما أن عملية التسويق المنزلي ليست رائجة، فقد اضطرت إلى العمل بدوام جزئي في مكتبة، وهكذا بقيت متعبة دوماً.

فجأة، رأيت وجهها يتلوى، وللحظة كريهة خشيت أن تشرع بالبكاء. لكنها قبلتني بعد ذلك على وجنتي، وقالت لي بنبرة تحمل تعب العالم بأسره: "أشكرك"، لدرجة أنني كنت على وشك البكاء، غير أنني لم أفعل ذلك لأن إحساسي كان عالياً حيال كل ذلك.

ثم قالت لي: "هل ناديتني لتوك بيا أمي؟".

كنت أنتعل حذائي حينما بدأت السماء تمطر. إذ بمجرد النظر إلى السماء كنا نعرف أنها ستمطر جليداً بارداً لا بد أن يعمي الأبصار. لذا، بدلاً من الخروج للجري أخذت حماماً. حيث تجردت من ثيابي، ثم دخلت الحوض، فسال الماء على الأرضية مخلفاً بركاً أخذت تهتز وكأنها أسماك بلغت الشاطئ. إلا أن تلك العملية لم تتم بنجاح في بداية الأمر؛ لأن حجمي يفوق حجم الحوض بمرتين.

وهكذا، استقرت قدماي على الجدار حينما غطست تحت الماء، بينما بقيت عيناي مفتوحتين، وأخذت أحدق إلى رأس الدوش والستارة السوداء والبطانة البلاستيكية والسقف، ثم أغمضت عيني وأخذت أتخيل أنني في بحيرة.

إن الماء مصدر للإحساس بالسلام، ولهذا شعرت بالارتياح. ففي الماء أشعر بأنني بأمان، وأن ثمة ما يسحبني إلى الداخل في الوقت الذي لا أقوى فيه على الخروج. كان كل شيء داخلي قد بدأ يخفت، بدءاً من الضجيج ووصولاً إلى سباق الأفكار. وهكذا، أخذت أسأل نفسي إن كان بوسعي أن أنام وأنا في تلك الحالة، وداخل حوض الاستحمام؛ هذا إن رغبت بالنوم أصلاً، إلا أنني لم أكن أريد ذلك. ثم سمحت لأفكاري بالتدفق، وهكذا بدأت أسمع الكلمات وهي تتشكل وكأنني كنت أجلس إلى حاسوبي.

في شهر آذار، وبعد ثلاثة انهيارات شديدة؛ كتبت فيرجينيا وولف رسالة لزوجها، ثم مضت لتقضي غرقاً في نهر قريب، حيث وضعت حجارة ثقيلة في جيبها ثم غطست في الماء. وقد بدأت رسالتها بالقول: *"إلى أعز إنسان، إنني واثقة من أنني قد جننت مرة أخرى، وأشعر أننا لن نخوض تلك الأوقات العصيبة بعد اليوم... لذا سأمضي في ما أراه أفضل شيء يمكنني فعله"*.

ولكن، كم من الوقت استغرقت تلك العملية؟ خمس دقائق؟ أم أطول من ذلك؟ وهنا بدأت رئتاي تؤلمانني، فقلت لنفسي: *ابقَ هادئاً ومسترخياً؛ لأن أسوأ شيء يمكنك أن تقوم به هو أن تشعر بالذعر.*

هل استغرقت ست دقائق؟ أم سبعاً؟ وهكذا، إن أطول وقت استطعت خلاله حبس أنفاسي هو ست دقائق ونصف. أما الرقم القياسي العالمي فقد بلغ اثنتين وعشرين دقيقة واثنتين وعشرين ثانية، وقد حققه متسابق ألماني استطاع أن يحبس أنفاسه، ثم صرح بأن ذلك يتعلق بالتحكم والتحمل، غير أنني أشك بأن للأمر علاقة برئتيه اللتين تتمتعان بسعة تفوق سعة رئتَي الإنسان العادي بنسبة 20 بالمئة، وهنا أخذت أسأل نفسي إن كان هناك أي شيء يتعلق بمباراة حبس الأنفاس، وإن كان البعض يكسب لقمة عيشه عن طريق تلك العملية.

تقول فيرجينيا وولف في رسالتها: *"لقد كنت على الدوام وفي كل الأوقات تقدم لي كل ما بوسع المرء أن يقدمه... وإن كان بوسع شخص ما أن ينقذني فلا بد أن تكون أنت ذلك الشخص"*.

فتحت عينيّ، ثم اعتدلت في مكاني وأنا ألهث وأملأ رئتيّ بالهواء، وشعرت بالسرور لعدم وجود أي شخص آخر في هذا المكان يمكنه أن يراني في تلك الحال،

وذلك لأنني كنت أبقبق وأنثر الماء حولي وأسعل مخرجاً الماء من فمي، ثم إنـــني لم أشعر بأنني نجوت بسرعة، بل شعرت بالخواء، وبحاجة رئتيّ إلى الهواء، ثم بشـــعري المبلل الذي التصق بوجهي.

فيوليت

148 يوماً قبل التخرج

الزمان: يوم الخميس، حصة الجغرافيا الأمريكية.

قامت صحيفة بارتليت ديرت بنشر أسماء الطلاب العشرة الذين تصدروا قائمة من حاولوا الانتحار في المدرسة، فأخذ هاتفي يرن لأن تيودور فينش احتل المركز الأول في تلك القائمة. ولقد قامت جوردان غريبينوالديت بملء الصفحة الأولى لصحيفة المدرسة بمصادر ومعلومات عن انتحار المراهقين، وكذلك عما يجب عليك فعله إن كنت تفكر في الانتحار؛ إلا أن أحداً لم يلقِ بالاً إلى ذلك.

أطفأت هاتفي ووضعته في مكان بعيد عني، ولألهي نفسي وألهي ريان، سألت الأخير عن مشروع "التجول في إنديانا"، فأخبرني بأنه قد اشترك مع جو فيات في إعداده، وأن موضوعهما يدور حول البيسبول، وأنهما يخططان لزيارة متحف البيسبول في المقاطعة، وكذلك قاعة إنديانا للبيسبول التي أقيمت على شرف جاسبر[1].

علقت على كل ذلك قائلة: "يبدو هذا رائعاً بالفعل". لكنه كان يلعب بشعري، وكي أوقفه عن القيام بذلك انحنيت إلى الأمام وتظاهرت بالبحث عن شيء ما في حقيبتي.

---

(1) الرجل الذي نقل لعبة البيسبول إلى مانهاتن. (المترجمة)

أما بالنسبة إلى جولات أماندا والمتسكع، فقد كان يخططان للتركيز على متحف جيمس وايتكوم رايلي وعلى الأراضي الزراعية المحلية، وكذلك على متحف التاريخ الموجود في بارتليت والذي يعرض مومياء مصرية حقيقية. وفي الحقيقة، لم يكن بوسعي أن أفكر بشيء أسوأ من أن أكون مجرد رجل دين مصري ذي مرتبة رفيعة ليعرضوني بالقرب من مجموعة من عجلات المركبات العتيقة وفرخ برأسين.

أخذت أماندا تتفحص نهايات شعرها الذي ربطته على شكل ذيل حصان، فاكتشفتُ أنها كانت الشخص الوحيد الذي أهمل هاتفه بالإضافة إليّ، ثم سألتني: "كيف كان الوضع؟ هل كان رائعاً؟". بعد ذلك، توقّفت عن تفحص نهايات شعرها قبل أن تنظر إلي، فسألتها:

"ماذا تقصدين؟".

فردت: "أقصد فينش".

فأخذت أهز كتفيّ بعدم مبالاة وأنا أقول: "كان الوضع جيداً".

فهتفت: "أوه يا إلهي، لقد وقعت في غرامه!".

فأجبتها: "كلا، لم أقع". لكنني شعرت بتلون وجهي لأن الجميع كانوا ينظرون إليّ؛ إذ كان صوت أماندا عالياً.

ولحسن الحظ، رن الجرس وكان السيد بلاك يحاول أن يلفت انتباه الآخرين إليه. وأثناء تلك الحصة، كتب لي ريان على قصاصة ورقية؛ وذلك لأنني أطفأت هاتفي. رأيت تلك القصاصة وهو يلوح لي بها، فأخذتها منه وقرأت ما جاء فيها:

ما رأيك في أن نذهب إلى السينما المفتوحة ليلة السبت لحضور عرضين بسعر تذكرة واحدة؟ ولن يكون هناك إلا أنا وأنت.

فكتبت له: ***هل بإمكاني أن أجيبك لاحقاً؟***

ثم نقرت على ذراع ريان وسلمته الرسالة، وبعد ذلك رأيت السيد بلاك يتوجه نحو اللوح ويكتب عليه: اختبار مفاجئ، ثم كتب مجموعة من الأسئلة. عندها، أخذ الجميع يتأوهون، ثم انتشر صوت تمزيق أوراق في الصف.

وبعد مضي خمس دقائق، دخل فينش على عجل وهو يرتدي القميص الأسود ذاته وبنطال الجينز الأسود ذاته، ويضع حقيبة ظهره على إحدى كتفيه،

كما كان يحمل كتبه ودفاتره وسترة جلدية مدبوغة تحت ذراعه، إلا أن أشياءه تناثرت منه في كل الاتجاهات، فأخذ يسترجع مفاتيحه وأقلامه وسجائره قبل أن يتوجه بالتحية إلى السيد بلاك. عندها، أخذت أنظر إليه وأفكر في سري: *هذا هو الشخص الذي يعرف أسوأ سر عنك.*

بعد ذلك، توقف فينش ليقرأ ما كتب على اللوح، ثم هتف بصوت عالٍ: "اختبار مفاجئ؟! عذراً يا سيدي، لحظة من فضلك". وكان عندها يتحدث بلكنة أسترالية. وقبل أن يختار مجلسه، توجّه نحوي مباشرة، حيث وضع شيئاً ما على دفتري، ثم صفع ريان على ظهره، وترك تفاحة على مكتب المعلم مع اعتذار للمرة الثانية من السيد بلاك، وبعدها جلس على كرسيه بعدما اجتاز غرفة الصف. كان الشيء الذي وضعه أمامي عبارة عن حجر رمادي كريه.

أخذ ريان ينظر إلى الحجر ومن ثم إليّ، ثم تجاوزتني نظراته لينظر إلى المتسكع الذي أخذ يعبس موجهاً بصره نحو فينش، ثم هتف بصوت عالٍ: "مجنون"، وهو يحرك يده على رقبته كمن يمثّل عملية شنقه لنفسه.

بعد ذلك، ضربتني أماندا بقوة على ذراعي وهي تقول: "دعيني ألقي نظرة".

غير أن السيد بلاك قرع على مكتبه وقال: "إن لم تنتهوا خلال خمس ثوان... فسأعطي كل... كل واحد منكم درجة الرسوب... في هذا الاختبار". ثم تناول التفاحة، وبدا وكأنه كان على وشك أن يرميها.

وهكذا، ساد الهدوء بيننا جميعاً، فوضع التفاحة في مكانها. أخذ ريان يلتفت حوله، فتمكنت عند ذلك من رؤية بقع النمش عند أسفل رقبته.

كان الاختبار مؤلفاً من خمسة أسئلة سهلة. وبعدما قام السيد بلاك بجمع الأوراق وبدأ بشرح الدرس، أمسكت بالحجر وقلبته على الوجه الآخر، فقرأت هذه العبارة التي كتبت عليه:

حان دورك

غير أن فينش غادر الصف بعد الحصة قبل أن أتمكن من التحدث إليه، ولهذا وضعت الحجر في حقيبتي، ثم خرجت أنا وريان لحضور حصة اللغة الإسبانية،

لكنه لم يمسك بيدي، بل سألني: "ما الذي حدث؟ ولماذا أعطاك شيئاً في الحصة؟ وهل هذا الشيء الذي أعطاك إياه بمثابة شكر لأنك أنقذت حياته؟".

فأجبته: "إنه مجرد حجر، ولو كان يريد أن يشكرني لأهداني شيئاً أفضل من ذلك ولو بقليل".

رد علي: "لا يهمني ما أعطاك إياه".

فقلت له: "لا تكن من هذا النوع من الشبان يا ريان".

فرد علي: "أي نوع؟".

وبينما كنا نسير معاً، كان ريان يهز رأسه لمن يصادفهم من الأشخاص، حيث كان الجميع يبتسمون له ويحيّونه بالقول له: "مرحباً يا ريان"، "كيف حالك يا كروس؟"، وكانوا يظهرون له كل مظاهر الاحترام، ولم يكن ينقص ذلك سوى أن ينحنوا له ويقوموا برمي القصاصات الورقية على شرفه، إلا أن بعضهم كانوا لطفاء أكثر من غيرهم؛ نظراً إلى كونهم سألوا عني وحيّوني أنا أيضاً، خاصة بعدما أصبحت بطلة.

وهنا أجبته: "أعني ذلك النوع من الشبان الذين يغارون من الشاب الذي يشارك حبيبتهم السابقة في مشروع دراسي".

فرد علي: "إنني لا أشعر بالغيرة". ثم توقفنا خارج صفي، ولكنه تابع: "ولكنني مجنون بك، وأعتقد أنه يجب علينا أن نعود إلى بعضنا".

فأجبته: "لست أدري إن كنت مستعدة لذلك".

فقال لي: "سأواظب على طلب ذلك منك".

فقلت له: "أعتقد أنني لا أستطيع منعك".

فرد علي: "أخبريني إن تجاوز حدوده معك".

وهنا ارتفعت زاوية فمه، إذ حينما كان يبتسم بتلك الطريقة تظهر لديه غمازة واحدة؛ تلك الغمازة التي أسرتني منذ أول مرة رأيته فيها. لذا ومن دون تفكير، رفعت نفسي وقبّلت تلك الغمازة في الوقت الذي كنت أريد فيه أن أقبل وجنته، ولم أعرف حينها من الذي اندهش أكثر من الآخر بيننا، لكنني قلت له: "يجب عليك ألا تقلق؛ لأن هذا مجرد مشروع".

إلا أن أكثر شيء كنت أخاف منه حدث في تلك الليلة على العشاء. حيث التفتت أمي نحوي وسألتني: "هل كنت في برج جرس المدرسة في الأسبوع الفائت؟".

كان والداي ينظران إليّ من جهتين متعاكستين من حيث يجلسان إلى الطاولة، لذا اختنقت بالطعام على الفور، وصدر من جراء ذلك ضجيج عنيف وصاخب، مما جعل أمي تنهض وتربت على ظهري.

فسألني والدي: "ألهذه الدرجة طعمه حار ولاذع؟".

فأجبته: "كلا يا أبي، بل إنه رائع". وكنت بالكاد أستطيع أن أنطق بتلك الكلمات، وذلك لأنني كنت لا أزال أسعل، ثم غطيت فمي بمنديلي وأخذت أسعل وأسعل كرجل عجوز مصاب بالسل.

بقيت أمي تربت على ظهري إلى أن هدأت، ثم عادت إلى مكانها وقالت: "لقد اتصلت بي مراسلة من صحيفة محلية تريد أن تكتب مقالة عن ابنتنا البطلة. ولكن، لماذا لم تخبرينا بذلك؟".

أجبتها: "لست أدري. فهؤلاء يعطون الموضوع أبعاداً أكبر من حجمه، ثم إنني لست بطلة، إذ تصادف وجودي في ذلك المكان، ولا أعتقد أنه كان سيقفز من هناك بالفعل". ثم تجرعت الماء الموجود في الكأس بأكمله لأنني شعرت فجأة بجفاف في حلقي.

إلا أن والدي كان يريد أن يعرف عن الموضوع شيئاً فسألني: "من هو ذلك الفتى الذي أنقذته؟".

فأجبته: "إنه فتى يرافقني بالذهاب إلى المدرسة، وهو بخير الآن".

عندها، أخذ والداي يتبادلان النظرات، وكان بوسعي أن أستوعب ما كانا يفكران فيه؛ وكأن لسان حالهما يقول: إن ابنتنا ليست تائهة بشكل ميؤوس منه كما كنا نعتقد. وهكذا، لا بد أنهما سيتوقعان أشياء أخرى مني، وسيبدآن مرحلة جديدة مع فيوليت جديدة وأكثر شجاعة لأنها لم تعد تخاف من ظلها.

تناولت أمي شوكتها مجدداً ثم قالت: "لقد تركت المراسلة اسمها ورقمها وطلبت مني أن أخبرك أن تتصلي بها حالما تتاح لك الفرصة".

هتفت: "عظيم، شكراً، سأتصل بها".

فردت أمي: "بالمناسبة..." وتحوّل صوتها إلى النبرة الاعتيادية، إلا أن ثمة شيئاً ما بقي في صوتها وجعلني أرغب في الهروب وإنهاء وجبة طعامي لأخرج من ذلك المكان بأقصى سرعة، حيث سألتني: "كيف تبدو لك مدينة نيويورك لو فكرت في أن تقضي فيها عطلة الربيع؟ إذ لم نحظَ برحلة عائلية منذ فترة طويلة".

لم نكن قد خرجنا في رحلة عائلية منذ الفترة التي سبقت الحادث. وهكـــذا، إن هذه الرحلة ستكون أول رحلة لنا من دون إليانور، ولكن بعد ذلك سيأتي دور الكثير من الأمور التي سنقوم بها لأول مرة من دونها؛ مثل الاحتفال بالكريســـمس ومناسبة رأس السنة للمرة الأولى بعد وفاتها، ومما يعني أن هذه السنة ستكون أول سنة ميلادية تمر علي من دون إليانور.

غير أن أمي تابعت قائلة: "بإمكاننا أن نتابع بعض العروض ونتسوق قليلاً، كما يمكننا أن نمر بجامعة نيويورك لنرى إن كانت هناك أية محاضرات مهمة". ثم ابتســـمت ابتسامة مشرقة للغاية، إلا أن الأسوأ من ذلك كان أن أبـــي يبتسم أيضاً.

وهنا قلت لهما: "يبدو هذا رائعاً". بالرغم من أن ثلاثتنا نعرف أنني لم أكـــن أعني ما أقوله.

في تلك الليلة، رأيت الكابوس الذي بقي ينتابني لعدة أشهر، والذي كنـــت أحس فيه بأن أحداً ما قد باغتني من الخلف في محاولة منه لخنقي؛ إذ كنت أحـــس بيديه على رقبتي وهما تضغطان بشدة وبقوة أكبر، لكنني لم أكن أرى من الـــذي كان يفعل ذلك. وفي بعض الأحيان، كان الأمر لا يتعدى مجرد لمس رقبتي، لكنني كنت أحس بوجود ذلك الشخص. وفي أحيان أخرى،كنت أشعر أنني ألفظ آخر أنفاسي، وأن رأسي بات خفيفاً وجسدي أخذ يطفو وينساب بعيداً، وأنني بدأت أسقط.

وفي تلك اللحظة استيقظت، فأمضيت بضع ثوانٍ قبل أن أعرف أين أنـــا، ثم جلست وأشعلت المصباح وأخذت أحدق إلى غرفتي وكأن ذلك الشخص يمكـــن أن يكون مختبئاً وراء المكتب أو مندساً في الخزانة، ثم أمسكت بحاسوبـــي المحمول؛

فقد كان من عادتي قبل أن يحدث لي ما حدث أن أعبّر بالكتابة عما يجري، كأن أكتب قصة قصيرة، أو أنشر منشوراً على المدونة، أو أكتفي بتدوين أفكار اعتباطية. حيث كان من عادتي أن أكتب كي أخرج ما في نفسي وأجعله على الورق فقط، لكنني هذه المرة- وبعد ما حدث لي- فتحت مستنداً جديداً وأخذت أحدق إلى الشاشة، ثم كتبت كلمتين، لكنني محوتهما، ثم أخذت أكتب وأمحو. نعم، إنني الكاتبة وليست إليانور، لكن ثمة شيء ما يتعلق بالكتابة يجعلني أشعر بأنني كنت أخون إليانور، ولعل ذلك لأنني لا أزال على قيد الحياة، أما هي ففارقتها، بل إنني كنت أحس أن كل ما في حياتي، بكل ثانية منها سواء أطالت أم قصرت، ومنذ نيسان الماضي، كان بمثابة خداع لها بطريقة ما.

وأخيراً، قمت بتسجيل الدخول إلى موقع فيسبوك، فوجدت رسالة جديدة من فينش كانت قد وصلتني عند الساعة 1:04 صباحاً، جاء فيها: **هل تعلمين أن أطول امرأة في العالم وأن أحد أطول الرجال في العالم كانا من إنديانا؟ ما الذي تستنتجينه من ذلك بخصوص الولاية التي نعيش فيها؟**

تحققت من الوقت الحالي، فتبيّن لي أن الساعة كانت 1:44 صباحاً، لذا كتبت له: **أتعني أن لدينا موارد غذائية أكثر من الولايات الأخرى؟**

ثم أخذت أراقب الصفحة، وكان كل ما حولي في البيت هادئاً، فأقنعت نفسي أنه ربما يكون نائماً الآن، وأنه لا أحد غيري مستيقظ، لذا يجدر بي ربما أن أطالع كتاباً أو أطفئ النور وأحاول أن أنال قسطاً من الراحة قبل أن يحين موعد ذهابي إلى المدرسة.

ولكن، سرعان ما وردتني رسالة من فينش جاء فيها: **وأيضاً أضخم رجل في العالم. لكنّ ما يقلقني هو أن مواردنا الغذائية قد تدمرت بالفعل، ولعل هذا أحد أسباب طول قامتي. ماذا سيحدث إن لم أتوقف عن النمو؟ وهل سترغبين بي كما كنتِ حينما كان طولي خمس عشرة قدماً وتسعة إنشات؟**

أنا: **كيف لي أن أرغب بك وقتها وأنا لا أرغب بك الآن؟**

فينش: **اتركي ذلك للزمن. إن ما يقض مضجعي الآن هو كيف سأركب الدراجة حينها؛ لأنني لا أظن أنهم سيصنعون دراجات كبيرة مناسبة لحجمي حينئذ.**

مكتبة الرمحي أحمد

أنا: **انظر إلى الجانب المشرق، إذ ستكون ساقاك طويلتين، لدرجة أن خطواتك ستعادل ثلاثين أو أربعين خطوة يخطوها أي شخص عادي.**

فينش: **كأنك تقولين إنه بوسعي أن أحملك أثناء جولاتنا.**

أنا: **أجل.**

فينش: **ثم إنك مشهورة.**

أنا: **لكنك أنت البطل ولست أنا.**

فينش: **أنا لست بطلاً صدقيني. ولكن، ما الذي تفعلينه في هذا الوقت المتأخر؟**

أنا: **راودتني كوابيس مزعجة.**

فينش: **وهل يحدث لك ذلك بشكل منتظم؟**

أنا: **أكثر مما أتمنى.**

فينش: **منذ أن وقع الحادث أم قبله؟**

أنا: **منذ أن وقع. وماذا عنك؟**

فينش: **ثمة أمور كثيرة عليّ أن أقوم بها وأكتبها وأفكر فيها، ثم من معك في هذا الوقت؟**

وهنا كنت أريد أن أعتذر له بخصوص بارتليت ديرت، بالرغم من أن الجميع لا يصدقون تلك الأكاذيب التي ينشرونها، ولا بد أن تخمد تلك الإشاعة برمتها في نهاية المطاف، لكنه كتب لي قائلاً: **ما رأيك بأن توافيني عند مقهى كواري؟**

أنا: **لا أقدر.**

فينش: **لا أريد أن أنتظرك طويلاً، كما أنني أفكر أن ألتقيك عند بيتك.**

أنا: **لا أستطيع.**

ثم لم يردني أي جواب منه.

أنا: **فينش؟**

فينش

اليوم الثالث عشر

أخذت أرمي الحجارة على نافذتها لكنها لم تنزل، ففكرت بأن أقرع جرس الباب، غير أنني استبعدت تلك الفكرة لأنها ستوقظ والديها. حاولت أن أنتظرها في الخارج، غير أن ستارتها لم تتحرك، و لم ينفتح الباب، ثم إن الجو كان بارداً للغاية، لذا ركبت *الصغيرة* في نهاية الأمر وعدت إلى البيت.

أمضيت بقية تلك الليلة ساهراً وأنا أعد قائمة بعنوان: "كيف أظل مستيقظاً"، وأوردت فيها أشياء واضحة كرد بول والكافيين وغيرهما، إلا أن الأمر هنا لا يتعلق بمجرد السهر لمدة ساعتين إضافيتين، بل يتعلق بالبقاء مستيقظاً في المكان نفسه لفترة طويلة.

ولهذا كتبت في القائمة ما يلي:

1. الجري.
2. الكتابة (ويشمل ذلك أي فكرة لا أريد أن تبقى داخلي، لذا أقوم بكتابتها بسرعة لتخرج مني ولتصبح على الورق).
3. تقبُّل كل الأفكار التي أكتبها ضمن هذه السطور (لا تخف من تلك الأفكار مهما كان نوعها).
4. إحاطتي نفسي بالماء.
5. التخطيط.

6. قيادة السيارة والذهاب إلى أي مكان وإلى كل مكان؛ حتى لو لم يكن هنالك مكان يمكن أن أذهب إليه (ملاحظة: هنالك مكان يمكن الذهاب إليه دوماً).
7. العزف على الغيتار.
8. ترتيب الغرفة والملاحظات والأفكار (وهذا يختلف عن التخطيط).
9. القيام بكل ما يمكنني القيام به لأذكر نفسي بأنني ما زلت هنا وأن لديّ رأياً أقوله.
10. فيوليت.

فيوليت

الأيام 147-146 قبل الحرية

الزمان: صبيحة اليوم التالي، المكان: بيتي.

خرجت من الباب فوجدت فينش ممدداً على المرج الأمامي وقد أغمض عينيه، وتصالبت فردتا جزمته السوداء عند كاحليه، وقد ترك دراجته على أحد جانبيها، حيث بقي نصفها في الطريق والنصف الآخر خارجه.

ضربته على أخمص حذائه وسألته: "هل أمضيتَ الليلة هنا بأكملها؟". ففتح عينيه وقال: "إذاً، كنت تعرفين أنني أتيت إلى هنا. ولكن، يصعب على من قوبل بالتجاهل أثناء وقوفه في البرد القارس للمنطقة الشمالية القطبية أن يرد على سؤالك". ثم وقف على قدميه ووضع حقيبته على كتفيه، وأمسك بدراجته وسألني: "أراودتك كوابيس أخرى؟".

أجبته: "كلا".

ثم أثناء ذهابي لإحضار دراجتي ليروي من المرأب أخذ فينش يقود الدراجة ضمن مدخل المرأب ذهاباً وإياباً، وحين رآني سألني: "إلى أين سنتوجه؟".

فقلت: "إلى المدرسة".

فهتف: "أعني غداً حينما نخرج للتجول، إلا إن كانت لديك مشاريع كبيرة".

قال ذلك وكأنه يعرف أن لا مشاريع كبيرة عندي، لكنني فكرت في ريان والسينما المكشوفة، غير أنني لم أكن قد أخبرته بعد برفضي أو قبولي، وهذا ما

دفعني إلى القول لفينش: "لست متأكدة من أنني غير مرتبطة بأي موعد غداً". ثم أخذنا نسير بالدراجة باتجاه المدرسة، لكن فينش كان يسبقني ثم يعود أدراجه إليّ، ثم يسبقني ويتقدم إلى الأمام، وبعدها يعود أدراجه.

كانت الرحلة بالدراجة آمنة بالنسبة إليّ إلى أن قال لي فينش: "كنت أفكر بما أنني أصبحت شريكك في المشروع والشاب الذي أنقذ حياتك في أنه لا بد لي أن أعرف بما جرى ليلة وقوع الحادث".

عند ذلك ارتعشت ليروي، فأمسك بها فينش وثبّتها وثبتني معها، فبدأت التيارات الكهربائية تجتاحني كما حدث معي في المرة السابقة، وهكذا اختل توازني مرة أخرى. بعد ذلك ركبنا الدراجة لمدة دقيقة وهو يضع يده على مقعدي، لذا أبقيت عينيّ مفتوحتين لأرى إن كانت أماندا أو سوز تريانا؛ لأنني أعرف تماماً كيف سيبدو لهما منظري وأنا على هذه الحال.

لكنه عاود السؤال بقوله: "إذاً، كيف وقع الحادث؟". كنت أكره الطريقة التي يستحضر بها موضوع الحادث بهذه البساطة، وكأنه من الطبيعي الحديث عنه بسهولة، ثم عقّب على ذلك بالقول: "سأخبرك كيف أصبت بتلك الندبة إن أخبرتني بما حدث في تلك الليلة".

سألته: "لماذا تريد أن تعرف؟".

فأجاب: "لأنني أحبك؛ ليس بطريقة رومانسية، بل كزميل لك في مادة الجغرافيا الأمريكية، ولأن الحديث عن ذلك الموضوع قد يساعدك".

قلت له: "أخبرني أنت أولاً".

فقال: "كنت أعزف في شيكاغو لشبان التقيتهم في أحد المقاهي، والذين قالوا لي: *هيّا يا رجل، لقد غادر عازف الغيتار الذي كان عندنا، ويبدو عليك أنك تعرف طريقك إلى المسرح*. وهكذا نهضت من مكاني من دون أن أدري ما كنت أفعله، وما كانوا يفعلونه بي. فقد كنت جذاباً أكثر من هيندريكس[1]، وهم يعرفون ذلك، حتى إن عازف الغيتار الذي كان قبلي عرف ذلك، ولهذا قام السافل بالصعود إليّ وأنا على خشبة المسرح، ثم جرحني بريشة الغيتار".

---

(1) عازف غيتار شهير. (المترجمة)

سألته: "هل حدث ذلك فعلاً؟". وهنا لاحت لي المدرسة، ورأيت الطلاب وهم ينزلون من سياراتهم ويتمشون على المرج.

فقال لي: "قد تكون في القصة فتاة". لكنني لم أستطع أن أتبيّن من وجهه إن كان يسخر مني أم لا، إلا أنني كنت متأكدة من أنه لم يخبرني بالحقيقة كلها. ثم سمعته يقول: "حان دورك".

فقلت: "ليس قبل أن تخبرني بما حدث بالفعل". ثم مشيت بالدراجة، وأسرعت نحو المكان المخصص لركن السيارات، ثم إلى حاجز الدراجات. وعندما توقفت وجدت فينش خلفي تماماً وهو يضحك ويهز رأسه. كان هاتفي يرن في جيبي، فأخرجته لاكتشف خمس رسائل من سوز، وكلها تحمل النص ذاته وهو: **تيودور فينش؟ يا للهول!** فنظرت حولي لكنني لم أجدها في أي مكان.

وفجأة هتف: "أراك غداً".

فقلت له: "في الحقيقة، لدي مشاريع".

فنظر إلى هاتفي ثم إليّ نظرة كان من الصعب علي أن أفهم معناها، ثم قال: "حسناً، هذا لطيف. إذاً أراك لاحقاً، يا فوق البنفسجية(1)".

قلت: "ماذا أسميتني؟".

فقال: "لقد سمعتني".

فقلت له: "المدرسة من هذا الاتجاه". وأخذت أشير نحو بناء المدرسة.

فرد علي: "أعرف". ثم ابتعد عني متخذاً الاتجاه الآخر.

الزمان: يوم السبت، المكان: بيتي.

كنت أتحدث عبر الهاتف مع جيري سباركس وهو مراسل من الجريدة المحلية، وكان يريد أن يرسل شخصاً ليلتقط لي صورة، وفجأة وجّه لي السؤال التالي: "كيف تشعرين بعد إنقاذك حياة إنسان؟ لقد سمعت عن المأساة المرعبة التي عانيت منها في السنة الماضية، ولكن هل ذكرك ذلك بها؟".

(1) ثمة لعب على الكلمات هنا، لأن عبارة فوق البنفسجية بالإنكليزية تعني ألترافيوليت، وفينش هنا يسخر من فيوليت باستخدامه هذه التسمية. (المترجمة)

سألته: "كيف يمكن لذلك أن يذكرني بها؟".

فأجاب: "من حيث أنك لم تتمكني من إنقاذ حياة شقيقتك، ولكنك تمكنت من إنقاذ حياة ذلك الفتى المدعو تيودور فينش...".

فتوقفت عندها، *وكأن تينك الحادثتين كانتا حادثة واحدة، ثم إنني لست من أنقذ حياة أي كان*، بل إن فينش هو البطل ولست أنا؛ لأنني مجرد فتاة تتظاهر بأنها بطلة.

كنت لا أزال أفور ومهتاجة حينما وصل ريان قبل خمس دقائق من موعده، ثم مشينا إلى دار السينما المكشوفة، فوجدنا أماندا والمتسكع هناك؛ إذ كانا يحضران العرض في سيارة المتسكع، وهي عبارة عن سيارة ضخمة قديمة من نوع تشيفي إمبالا، وهي كبيرة بحجم بناء في مدينة، وكان المتسكع يطلق عليها اسم سيارة الحفلات لأنها يمكنها أن تتسع لحوالي خمسة وستين شخصاً في وقت واحد.

فتح لي ريان الباب الخلفي فدلفت إلى السيارة، وبما أن سيارة الإمبالا كانت قد اتخذت موقعها في المرأب، لذا كنت مرتاحة بالبقاء في ذلك المكان؛ بالرغم من أن رائحته تشبه رائحة الدخان والوجبات السريعة المتعفنة، كما تشبه رائحة القدور بعض الشيء. ولعلي بدأت أستحضر سنوات الدمار البالية لمجرد جلوسي في ذلك المكان.

كان الفيلم يابانياً عن الوحوش، مع عرض خاص بسعر واحد. ولكن قبل أن يبدأ الفيلم، أخذ كل من ريان والمتسكع وأماندا يتحدثون عن روعة الكلية، نظراً إلى كونهم سيذهبون جميعاً إلى جامعة إنديانا، أما أنا فجلست أفكر في جيري سباركس ونيويورك وإجازة الربيع. وكم كنت مستاءة لعدم مرافقتي فينش، ولوقاحتي معه بالرغم من أنه *أنقذ حياتي*، فلا بد أن التجول معه سيكون ممتعاً أكثر من كل هذا، بل إن أي شيء آخر سيكون ممتعاً أكثر من كل هذا.

كان الجو في السيارة حاراً وخانقاً بالرغم من أن النوافذ كانت مفتوحة، وحينما بدأ عرض الفيلم الثاني، تمدد كل من المتسكع وأماندا فوق المقعد الأمامي الضخم ثم ساد صمت مطبق تقريباً، إلا أنني كنت بين الفينة والأخرى أسمع صوت التهام طعام وكأنهما كانا كلبين جائعين يتناولان الطعام.

حاولت أن أتابع الفيلم، وحينما لم أفلح في ذلك حاولت أن أكتب المشهد في عقلي، ففكرت في ما يلي: *يظهر رأس أماندا فجأة فوق المقعد، ثم يبدو لي قميصها المفتوح الذي رسمت عليه أزهار صفراء*... وبذلك يمكنني أن أحس هذه الصورة وهي تلهب شبكيّتَي عينيّ، حيث ستبقى تلك الصورة هناك إلى الأبد...

كانت هنالك أشياء كثيرة من حولي صرفتني عن التفكير في تلك الأمور، ولهذا أخذت أتحدث رغم الضجيج إلى ريان، إلا أن ما كان يهمه هو أن يلقي نظرة عابرة من فوق قميصي، لكنني كنت قد بذلت جهدي لمدة سبعة عشر عاماً وثمانية أشهر وأسبوعين ويوم واحد كي لا أقوم بأي علاقة حميمة على المقعد الخلفي لسيارة إمبالا (أو في أي مكان آخر بطبيعة الحال)، وهكذا أخبرته بأنني أتحرق شوقاً لأرى المنظر الطبيعي، ثم فتحت الباب ووقفت هناك. كانت السيارات تحيط بنا من كل جانب، وخلف تلك السيارات كانت تقع حقول الذرة، أي لم يكن هناك أي منظر إلا في الأعلى. لذا ملت برأسي إلى الخلف، فأسرني منظر النجوم بغتة، ثم انضم إلي ريان، فأخذت أتظاهر بأنني أعرف مجموعات النجوم، وهكذا أخذت أشير إليها وأخترع القصص حول كل منها.

كنت أسأل نفسي عمّا يفعله فينش في ذلك الحين. إذ لعله كان يعزف الغيتار في مكان ما، أو لعله بصحبة فتاة ما، ثم إنني مدينة له بجولة، بل بأكثر من ذلك في الحقيقة، ولا أريد منه أن يظن أنني لم أرافقه اليوم بسبب أصدقائي المزعومين، ولهذا قمت بتسجيل ملاحظة ذهنية حول ضرورة قيامي ببحث يتعلق بالمكان الذي يتعين علينا أنا وهو الذهاب إليه في المرة القادمة وذلك فور عودتي إلى البيت، (وقد أوردت في تلك الملاحظة مصطلحات البحث التالية: *مناطق سياحية غير معروفة في إنديانا، لا شيء عادي في إنديانا، إنديانا الفريدة من نوعها، إنديانا الغريبة*)، كما يتعين عليّ أن أقوم بنسخ الخارطة وذلك لأتأكد من أنني لم أقم بتكرار أي شيء.

وضع ريان ذراعه حولي ثم قبلني، فأخذت أقبله لمدة دقيقة عدت خلالها بالزمن إلى الوراء. فبدلاً من سيارة الإمبالا، وجدت نفسي في سيارة الجيب الخاصة بشقيق ريان، وبدلاً من المتسكع وأماندا، تذكرت إيلي كروس وإليانور، ثم

وجدت نفسي مع ريان في السينما المكشوفة أتابع عرضين لفيلم *الموت بشدة*.

ثم تسللت يد ريان فوق قميصي مجدداً فابتعدت عنه، وفجأة عادت سيارة الإمبالا، وعاد المتسكع مع أماندا، وعاد فيلم الوحوش مرة أخرى.

وهنا هتفت: "لا أحب أن تفعل هذا معي. ثم إنني ممنوعة من ذلك".

فرد علي: "منذ متى؟". لكن بدا عليه وكأنه قد تذكر شيئاً ما فقال لي: "عفواً يا في". فعرفت أنه اعتقد أنني قلت ذلك بسبب الحادث.

بعد ذلك، عرض عليّ ريان أن يوصلني إلى البيت فرفضت، وأخبرته أنني بخير ويكفي كل ما جرى، لكنه أوصلني بالرغم من كل ذلك.

وعندما وصلنا إلى عتبة البيت قال لي: "لقد استمتعت كثيراً بالوقت الذي أمضيته معك".

فقلت: "وأنا أيضاً".

فهتف: "سأتصل بك".

فجاءه ردي: "عظيم".

انحنى ليقبلني قبلة يتمنى لي من خلالها ليلة سعيدة، إلا أنني استدرت قليلاً فاستقرت شفتاه على خدي بدلاً من فمي، ثم تركته واقفاً في مكانه ودخلت البيت.

فينش

اليوم الخامس عشر (وما زلت مستيقظاً)

ذهبت إلى بيت فيوليت باكراً والتقيت والديها بينما كانا يتناولان طعام الفطور. كان والدها رجلاً ملتحياً وتبدو عليه الجدية، وقد ظهرت خطوط عميقة حول فمه وعينيه كانت تنم عن قلق كبير. أما والدها فكانت تشبه فيوليت بعد خمس وعشرين سنة، فقد كان شعرها المتموج بلون أشقر غامق، أما وجهها فكان على شكل قلب، وكانت قسمات وجهها محفورة فيه بحدة، أما عيناها فكانتا دافئتين، وكان لديها ثغر ينم عن حزن كبير.

دعاني أبواها لأتناول طعام الفطور معهما، فسألتهما عن فيوليت، وكيف كان وضعها قبل الحادث؛ نظراً إلى كوني لم أتعرف إليها إلا بعد حدوثه. وحين نزلت فيوليت من الطابق العلوي، كان والداها يتذكران ذلك الوقت الذي كان من المفترض فيه أن تذهب فيوليت مع شقيقتها إلى نيويورك لقضاء إجازة الربيع، وذلك منذ عامين، لكنهما قررتا أن تتبعا فرقة بوي باريد من سينسيناتي إلى إنديانابوليس فشيكاغو وذلك في محاولة منهما لإجراء مقابلة.

وحالما رأتني فيوليت هتفت: "فينش؟!". وكأنني كنت مجرد حلم، فقلت لها: "*فرقة بوي باريد إذاً؟!*".

مكتبة الرمحي أحمد

فصرخت: "أوه يا إلهي! لماذا أخبرتماه بذلك؟".

عندها، لم أستطع منع نفسي من الضحك، وهذا ما جعل والدها تضحك، وتبعها والدها بالضحك أيضاً، وهكذا صرنا نحن الثلاثة نضحك عليها وكأننا

أصدقاء قدامى، في الوقت الذي أخذت فيه فيوليت تنظر إلينا وكأننا قد فقدنا صوابنا.

بعد ذلك وقفتُ مع فيوليت أمام بيتها. وبما أن دورها قد حان لاختيار المكان، فقد أعطتني فكرة مبدئية عن الطريق الذي سنسلكه، وطلبت مني أن ألحق بها إلى هناك، ثم انطلقت عبر المرج واتجهت نحو مدخل السيارات.

صحت بها: "لكنني لم أحضر دراجتي معي". وقبل أن تتمكن من قول أي شيء، رفعت يدي كمن يقسم وقلت: "إنني أنا، تيودور فينش، أقسم وأنا لا أتمتع بكامل قواي العقلية أن أقود السيارة بسرعة لا تتعدى ثلاثين ميلاً في الساعة في شوارع المدينة، ولا تتجاوز خمسين ميلاً في الساعة خارج المدينة. وفي حال رغبت في الوقوف في أي وقت فسنتوقف. وإنني أطلب منك أن تجربي ذلك".

فردت: "إنها تثلج".

لكنها كانت تبالغ، إذ بالكاد كانت الغيوم قد تجمعت وأظلمت السماء.

لذا قلت لها: "إن هذا الثلج ليس من النوع الذي يبقى فوق سطح الأرض ويلتصق به. اسمعيني، لقد تجولنا في كل الأماكن التي بوسعنا أن نتجول فيها بواسطة الدراجة، ويمكننا أن نرى المزيد من الأماكن إن ذهبنا بالسيارة، أعني أن الاحتمالات تصبح لا نهائية. اسمعيني، اجلسي على الأقل داخل السيارة، إذ ما عليك سوى أن تجلسي هناك وسأقف بعيداً عنك في هذا المكان، ولن أقترب من السيارة إلى أن تتأكدي بأنني لن أخدعك وأباشر بالقيادة".

لكنها انكمشت وهي تقف على الرصيف، ثم هتفت: "لا يمكنك أن تواصل إجبارك الناس على القيام بأمور لا يرغبون في القيام بها. فكل ما تفعله أنت هو أنك تدخل السيارة، وتقنع نفسك بأننا نقوم بذلك الشيء أو بغيره، لكنك لا تستمع إلى غيرك، ولا تفكر إلا بنفسك".

قلت لها: "في الحقيقة، كنت أفكر فيك وأنت مختبئة في غرفتك، أو وأنت تركبين تلك الدراجة البرتقالية الغبية، وتقولين: علينا أن نذهب إلى هنا وعلينا أن نذهب إلى هناك، وهنا وهناك، وللأمام والخلف، من دون أن تفكري في أي مكان

جديد أو خارج نطاق تلك الأميال الثلاثة أو الأربعة التي قررت ألا نتجاوزها".

فردت علي: "ربما كنت أحب تلك الأميال الثلاثة أو الأربعة".

فأجبتها: "لا أعتقد ذلك. إذ رسم والداك هذا الصباح صورة جميلة لك ولما كنت عليه في السابق، وبدت لي فيوليت تلك لطيفة ورائعة؛ بالرغم من أن ذوقها الموسيقي كان مريعاً. أما الآن، فكل ما أراه هو إنسانة تهاب أن تعود إلى سابق عهدها، وتخاف أن تخرج من الدائرة التي رسمتها لنفسها. إن جميع من حولك على استعداد لدفعك قليلاً بين الحين والآن، لكن تلك الدفعة لن تكون؛ وذلك لأنهم لا يريدون أن يزعجوا فيوليت المسكينة. ولكنك بحاجة إلى دفعة قوية للغاية، وليس إلى دفعة خفيفة، كما عليك أن تقفزي لتعودي إلى ظهر الجمل، وإلا فستبقين فوق حافة النافذة التي أوجدتها بنفسك".

فجأة مشت بعيداً عني، ثم صعدت إلى السيارة، وجلست تنظر إلى كل ما حولها. وبالرغم من أنني كنت قد حاولت أن أنظف المكان قليلاً، إلا أن لوحة القيادة المركزية كانت مغطاة بأعقاب أقلام الرصاص وقصاصات ورق وأعقاب السجائر إلى جانب قداحة وريش العزف على الغيتار. كانت ثمة بطانية في الخلف مع وسادة، وكان بإمكاني أن أعرف أنها لاحظت كل ذلك، وذلك من النظرة التي رمقتني بها.

فبادرتها بالقول: "أوه، اهدئي! فالخطة لا تقوم على إغوائك، ولو كانت كذلك لكنت قد عرفت. لا تنسي حزام الأمان". وهنا سمعت صوت الحزام وهي تسحبه إلى مكانه، فتابعت: "الآن أغلقي الباب". ثم وقفت على المرج مكتوف الذراعين وهي تغلق الباب أمامي.

بعد ذلك، سرت نحو مقعد السائق وفتحت الباب، ثم دلفت فوجدتها تقرأ ما كتب خلف منديل أخذته من مكان يدعى استراحة طريق هارليم.

بادرتها بالقول: "ما رأيك يا فوق البنفسجية؟".

فأخذت نفساً عميقاً ثم زفرته وقالت: "لا بأس".

في البداية، كنت أسير ببطء، إذ بالكاد بلغت السرعة عشرين ميلاً في الساعة، وذلك حينما كنا في الحي الذي تسكن فيه، والذي سرنا بين أبنيته فلم نترك أي بناء منها، كما كنت أقول لها عند كل إشارة للوقوف أو عند كل إشارة

ضوئية: "كيف تشعرين وأنت هنا؟". فتجيبني: "بخير، لا بأس علي".

مضيت بالسيارة نحو الطريق الدولي، وعندها زدت من السرعة لتصل إلى خمسة وثلاثين، ثم سألتها: "كيف تجدين هذا؟".

فردت: "عظيم".

فسألتها: "كيف حالك الآن؟".

فردت: "كفّ عن سؤالي!".

كنا نسير ببطء شديد لدرجة أن السيارات والشاحنات كانت تتجاوزنا وتطلق أبواقها لتنبيهنا أيضاً. وقد قام شاب بالصراخ علينا من نافذته، وهذا ما جعلني أستنفد كل طاقتي لأمنع نفسي من الضغط بقدمي على دواسة البنزين. لكنني كنت قد اعتدت على السير ببطء في ذلك الحين لدرجة أنه كان بإمكان أي شخص أن يلحق بنا بسهولة.

ولألهي نفسي وألهي فيوليت أخذت أحدثها كما لو أننا كنا فوق حافة برج الجرس، فقلت لها: "خلال حياتي كلها كنت إما أسرع من الجميع بثلاث دورات، أو أبطأ منهم بثلاث مرات أيضاً. فحينما كنت صغيراً، كان من عادتي أن أجري في دوائر في أرجاء غرفة الجلوس، وأن أكرر ذلك مرات ومرات؛ إلى أن اهترأت تلك الدائرة فوق السجادة. وكان الأمر يبدأ عادة بتعقب أثر تلك الدائرة، إلى أن قام أبي بتمزيق تلك السجادة بنفسه، إذ مزقها بيديه العاريتين. وبدلاً من شراء سجادة جديدة، ترك والدي البلاط مكشوفاً، حيث ظهرت بقع الصمغ في كل مكان مع أجزاء من السجادة التي ألصقت بواسطته".

فما كان منها إلا أن قالت لي: "إذاً، افعل ذلك وامض سريعاً".

فقلت: "أوه، كلا، فقد اتفقنا على أن نسير على سرعة أربعين ميلاً في الساعة يا صغيرتي". ومع ذلك، زدت السرعة حتى بلغت خمسين. كنت في ذلك الحين أشعر بالعظمة لأنني دفعت فيوليت لركوب السيارة، ولأن أبي كان قد غادر المدينة ليقوم بعمل ما، أي لم تكن بانتظاري وجبة عشاء عائلية إلزامية في تلك الليلة، ولذلك قلت لها: "بالمناسبة، والداك رائعان، وأعتقد أن الحظ قد حالفك في يانصيب الآباء والأمهات يا فوق البنفسجية".

ردت: "أشكرك".

قلت لها: "إذاً، إنها فرقة بوي بريد... هل أجريت تلك المقابلة؟".

لكنها رمقتني بنظرة.

فقلت لها: "حسناً، أخبريني عن الحادث". وبالرغم من أنني لم أتوقع منها أن تتكلم، إلا أنها أخذت تنظر من النافذة ثم شرعت بالكلام قائلة:

"لا أتذكر إلا القليل منه، لأن كل ما أتذكره هو صعودي إلى السيارة بعد مغادرتنا الحفلة، ثم الشجار الذي دار بينها وبين إيلي...".

سألتها: "أتقصدين إيلي كروس؟".

فأجابت: "لقد كانا يخرجان معاً معظم السنة الفائتة، ويومها كانت متضايقة، لكنها لم تسمح لي بقيادة السيارة بالرغم من ذلك، وكنت أنا من طلب منها أن تتخذ طريق جسر شارع أ". وهنا بدت لي هادئة للغاية، ثم تابعت: "أتذكر اللافتة التي كتب عليها: *الجسر متجمد قبل الشارع*، كما أتذكر حالة الانزلاق وكيف كانت إليانور تهتف وتقول: *لا يمكنني أن أتحكم بالسيارة*، وأتذكر الهواء حينما كنا ننزلق، وأتذكر صراخ إليانور، بعد ذلك اسودت الدنيا أمامي، وصحوت بعد الحادث بثلاث ساعات لأجد نفسي في المشفى".

قلت لها: "حدثيني عنها".

فأخذت تنظر من النافذة وهي تقول: "كانت ذكية وعنيدة ومزاجية ومضحكة؛ أعني حينما تفقد صوابها. كما كانت لطيفة وتعتني بالأشخاص الذين تحبهم. كان الأصفر هو لونها المفضل، وكانت تحظى بدعمي على الدوام، حتى لو تشاجرنا في بعض الأحيان. كان بإمكاني أن أخبرها عن أي شيء، وذلك لأنها كانت من النوع الذي لا يصدر أحكاماً. كانت صديقتي المفضلة".

قلت لها: "لم يكن لدي صديق مفضل طيلة حياتي. كيف يكون إحساسك عندما يكون لديك صديق مفضل؟".

ردت: "لست أدري. لكنني أعتقد أنه بوسعك أن تكون الصديق المفضل لأحدهم، مهما بلغت حسناتك وسيئاتك، ثم إنك ستحب ذلك الشخص وسيحبك مهما اختلفت الظروف، وبوسعك أن تتشاجر مع صديقك

المقرب، ولكن حتى إن غضبت منه، فلن يمنعكما ذلك من أن تكونا صديقين حميمين".

قلت لها: "قد أحتاج إلى صديق مقرب".

فردت: "اسمعي، كنت أريد أن أعتذر منك بشأن المتسكع وأولئك الشبان".

كانت حدود السرعة تسمح لي بالوصول إلى السبعين، ولكنني التزمت بالستين، وهنا قلت لها: "الذنب ليس ذنبك، كما أن الاعتذارات تضيع الأوقات، لذا عليك أن تعيشي حياتك من دون أن تأسفي على شيء؛ إذ من الأيسر القيام بالشيء الصحيح منذ البداية حيث لا يحتاج المرء للاعتذار عن أي شيء لاحقاً". عند ذلك شعرت أنني لست ذلك الشخص الذي يتكلم عن هذه الأمور.

كانت باحة سيارات المكتبات المتجولة تقع خارج بارتليت على طريق ريفي تحيط به حقول الذرة من جانبيه. وبما أن الأرض كانت جرداء- إذ بالكاد تجد فيها أي أشجار- جعلت المقطورات المنظر الطبيعي يبدو وكأنه ناطحة سحاب، فانحنيت فوق عجلة القيادة وقلت: "ما هذا؟".

انحنت فيوليت إلى الأمام أيضاً ووضعت يديها على لوحة القيادة. وحينما استدرت فوق الرصيف لأصل إلى الحصى صاحت بي: "كان من عادتنا أن نقوم بذلك في كاليفورنيا حينما كنا أنا وإليانور وأمي وأبي نركب السيارة ونذهب بحثاً عن مكتبة ما، حيث يختار كل فرد منا الكتاب الذي كان يبحث عنه، ولا نعود إلى البيت قبل أن نجد كتاباً لكل منا. وكنا نزور ثماني مكتبات أو عشراً في يوم واحد".

ترجّلت من السيارة قبل أن أنزل منها، ثم توجهت إلى أول سيارة مكتبة متجولة، وكانت عبارة عن مقطورة تعود إلى خمسينيات القرن الماضي، والتي كانت قد توقفت بين الحصى والحقول. كان العدد الإجمالي للمقطورات سبعاً، وقد اختلفت طريقة تصنيع كل منها وطرازها وسنة التصنيع، وكانت قد وضعت في رتل؛ مما ساعد على نمو نباتات الذرة حولها، كما كانت كل مقطورة منها تنشر إعلانات حول نوعية معينة من الكتب.

وهنا هتفت: "إن هذا من أروع الأشياء التي رأيتها في حياتي وأحقرها". من دون أن أتأكد إن كانت فيوليت قد سمعتني أم لا؛ لأنها كانت قد سبقتني في الصعود إلى المقطورة الأولى.

لكنني سمعت صوتاً يقول: "أمسك لسانك أيها الشاب". ثم امتدت إليّ يد فصافحتها. إذ كانت صاحبتها امرأة قصيرة وبدينة قد صبغت شعرها بالأشقر، وذات عينين دافئتين ووجه مجعد، وهنا عرّفتني عن نفسها قائلة: "فاي كارنيز".

فعرفتها بنفسي: "تيودور فينش. هل أنت العقل المدبر لكل هذا؟". ثم أخذت أشير برأسي إلى رتل سيارات المكتبات المتجولة.

فردت: "أجل". ثم أخذت تمشي فتبعتها، وعندها قالت لي: "لقد انقطعت خدمة المكتبة المتجولة في المقاطعة منذ ثمانينيات القرن الماضي، لذا قلت لزوجي: *من العيب والعار ما يجري! إذ ما الذي حدث لتلك المقطورات؟ لا بد أن يقوم أحد بشرائها والعمل على إعادة تشغيلها*. وهذا ما فعلته. في البداية، كنا نقود تلك المقطورات حول المدينة، إلا أن زوجي فرانكلين كان يشتكي من آلام في ظهره، ولهذا قررنا أن نقوم بالزراعة حول تلك المقطورات، فزرعنا الذرة، وهكذا أصبح الناس يأتون إلينا".

أخذت السيدة كارنيز تتنقل برفقتي من مقطورة إلى مقطورة، حيث كنت أصعد كل مقطورة وأدخلها وأعاين ما فيها، وبذلك اطلعت على مجموعات كبيرة من الكتب ذات التجليد الفني والورقي، والتي سبقني إلى استخدامها وقراءتها الكثير من الناس. إلا أنني كنت أبحث عن شيء معين، لكنني لم أجده في ذلك الحين.

كانت السيدة كارنيز تتبعني، وتقوم بتعديل وضع الكتب، وتنظيف الرفوف، وتحدثني عن زوجها فرانكلين وابنتها سارة وابنها فرانكلين الصغير الذي أخطأ بزواجه من فتاة من كنتاكي، وهذا يعني أنهم لا يرونه إلا في عطلة الكريسمس. في الحقيقة، كانت السيدة كارنيز ثرثارة، لكنني أحببتها.

وأخيراً التقينا فيوليت في المقطورة السادسة (التي كانت مخصصة لكتب الأطفال)، فوجدت أنها كانت تحمل الكثير من الكتب الكلاسيكية لدرجة أنه لم يعد بوسع ذراعيها أن تحملا المزيد منها، وحالما رأتنا ألقت التحية على السيدة

كارنيز وسألتها: "كيف تسير الأمور هنا؟ هل يتعين علي إبراز بطاقة المكتبة الخاصة بي؟".

فردت عليها بالقول: "لك الخيار في أن تشتري الكتب أو تستعيريها، ولكنك لست بحاجة إلى بطاقة بأي حال من الأحوال؛ لأنك إن استعرت الكتب فإننا واثقون بأنك ستعيدينها، وإن قمت بشرائها فسنستلم المبلغ نقداً".

فردت فيوليت: "أود أن أشتريها". ثم قالت وهي تومئ لي: "هل بإمكانك أن تناولني المال من حقيبتي؟".

لكنني قمت بدلاً من ذلك بإخراج محفظة نقودي، وأعطيت السيدة كارنيز عشرين دولاراً، فقد كانت تلك أصغر ورقة نقدية أحملها، فأخذت تعد الكتب، ثم قالت: "دولار عن كل كتاب، واضرب المبلغ بعشرة، لذا علي أن أذهب إلى البيت لأجلب فكة". غير أنها ذهبت قبل أن أقول لها إنه يمكنها أن تحتفظ بالباقي.

وضعت فيوليت الكتب على الأرض، ثم مضينا معاً لنستكشف كل مقطورة، فزدنا على كومة الكتب كتباً أخرى. وفي لحظة من اللحظات، نظرت إلى عينيها فوجدتها تبتسم لي، وقد كانت ابتسامتها من تلك الابتسامات التي يبتسمها المرء حينما يفكر بشخص ما ويحاول أن يحدد شعوره نحوه، وهكذا ابتسمت لها، فأبعدت نظرها عني.

بعد ذلك، عادت السيدة كارنيز وأخذنا نتجادل حول الفكة، لأنني كنت أريد منها أن تحتفظ بها لنفسها، وهي تريد مني أن آخذها، ففعلت ذلك أخيراً لأنها لم تكن لتقبل بغير ذلك، ثم حملت الكتب إلى السيارة بينما كانت تتحدث إلى فيوليت، ووجدت عشرين دولاراً أخرى في محفظتي، وحينما عدت إلى المقطورات، انسللت إلى أول مقطورة ورميت بالعشرين دولاراً والفكة فوق دفتر القيد القديم الذي كان موضوعاً فوق طاولة بيع تم تركيبها بشكل مؤقت في ذلك المكان.

بعد ذلك، وصلت مجموعة من الأطفال فودعنا السيدة كارنيز، وعندما سرنا مبتعدين عنها قالت لي فيوليت: "كان ذلك رائعاً".

فأجبتها: "أجل، لكن ذلك لا يعتبر جولة".

فردت علي بالقول: "إنه مكان آخر عملياً، وهذا كل ما نحتاج إليه".

فقلت لها: "عذراً، إذ بالرغم من روعة هذا المكان، إلا أنه عملياً يقع خلف مدينتنا. وتحديداً، في منتصف المنطقة الآمنة التي حددتها والتي لا تتجاوز مساحتها ثلاثة أميال أو أربعة. ثم إن الأمر ليس بمجرد عملية مسح مهام من القائمة".

عندئذ تقدمت فيوليت إلى الأمام بعيداً عني مسافة بضع أقدام، وكأنها تتظاهر بأنني لم أكن موجوداً، إلا أنني تقبلت الأمر لأنني معتاد عليه. فهي لا تعرف أن ذلك لا يرعبني؛ إذ إما أن يراني الشخص أو لا يراني، ولهذا كنت أسأل نفسي عن كيفية شعور المرء حين يسير في الشارع بسلام وطمأنينة ثم يختلط بالناس، من دون أن يجد من يبتعد عنه أو من يحدق إليه أو من ينتظره أو يتوقع وصوله. وهنا كنت أقول لنفسي إنه لا بد للمرء أن يسأل نفسه عن الخطوة الغبية والمجنونة التي يمكنه أن يقوم بها بعد ذلك.

لكنني لم أعد أطيق صبراً أكثر من ذلك، لذا أخذت أجري، فشعرت بتحسن لأنني تحررت من السرعة الاعتيادية البطيئة لكل من حولي، كما تحررت من عقلي الذي كان يرسم صورتي في مخيلتي وأنا ميت لسبب ما؛ كالكتّاب الموتى الذين ألفوا الكتب التي اختارتها فيوليت. حيث كنت أراني نائماً لمدة طويلة هذه المرة، وقد دفنت في باطن الأرض تحت طبقات كثيرة من القذارة وحقول الذرة، كما كنت أحس بالأرض وهي تطبق علي، وبالهواء وهو يصبح كريهاً ورطباً، وبالظلمة وهي تخنقني، فكان علي أن أفتح فمي لأتنفس.

وخلال ما غشيني من أفكار، رأيت فيوليت وهي تتجاوزني وشعرها يطير خلفها كطائرة ورقية، وقد ألقت الشمس بأشعتها عليه فتحول إلى ذهبي عند نهاياته، لكنني كنت شارد الذهن، حيث تقبلت كل تلك الأفكار وسمحت لها بأن تنتابني، لدرجة أنني في البداية لم أتأكد من أنها فيوليت، لكنني بعد ذلك أخذت أجري بأقصى سرعة لألحق بها وأركض إلى جانبها، ثم جعلت من سرعتي تتناسب مع سرعتها، أما هي فأصبحت شاردة الذهن مرة أخرى، لذا أخذنا نجري بقوة وسرعة، لدرجة أنني توقعت أننا سنطير عن الأرض، وكان في ذلك سر من أسراري؛ إذ كان بوسعي أن أحلق في أية لحظة. بعد ذلك، أخذ جميع من في

الأرض يتحركون ببطء وكأن الوحل قد غمرهم إلا أنا، ثم انضمت إليّ فيوليت، وهكذا أصبحنا أسرع منهم جميعاً.

وأخيراً وصلنا إلى السيارة، فأخذت فيوليت تنظر إليّ نظرة تقول لي من خلالها: "إن كان ذلك فخذ هذا"، لذا أقنعت نفسي بأن أسمح لها بالفوز، لكنها كانت قد تغلبت علي بجدارة.

وبعدما دلفنا إلى السيارة وقمت بتشغيلَ المحرك، رميت لها دفترنا الذي كنا نكتب عليه ما جرى معنا في جولاتنا، وقلت لها: "اكتبي عن ذلك قبل أن ننسى أي شيء".

فردت: "اعتقدت أن هذه الجولة لن تحتسب ضمن الجولات". ثم أخذت تقلب صفحات الدفتر.

قلت لها: "اسمعيني، سنمر بمكان آخر ونحن في طريقنا إلى البيت".

ثم غادرنا المكان، وانطلقنا بمحاذاة الرصيف مرة أخرى؛ وذلك حينما رفعت بصرها عن الدفتر الذي كانت تكتب عليه وقالت لي: "لقد انشغلت بالكتب كثيراً، لدرجة أنني نسيت أن أترك شيئاً في ذلك المكان".

فأجبتها: "لا عليك، فقد فعلت".

فيوليت

اليوم 145 قبل الحرية

كان قد أضاع الطريق الجانبية، فسار باتجاه اليمين فوق الأعشاب التي كانت في الجهة المقابلة، ثم صعد نحو الطريق العام، وتوجه نحو الجهة المعاكسة. وللحظة شعرت أننا كنا نسير ضمن طريق ريفي هادئ.

واستمر بنا الحال كذلك مسافة ميل أو أكثر، ثم قام فينش بتشغيل الموسيقى وأخذ يغني معها، كما أخذ ينقر على عجلة القيادة مع الإيقاع. بعد ذلك، اتجهنا نحو المدينة الصغيرة التي لا تضم أكثر من بناءين، فانحنى فينش على لوحة القيادة وأخذ يبطئ من سرعة السيارة إلى أن أصبحت تمشي زحفاً، ثم سألني: "هل ترين أي لافتات في هذا الشارع؟".

فأجبته: "ثمة واحدة كتب عليها: *دار عبادة*".

فقال: "هذا جميل، بل رائع". ثم استدار، وبعد أن اجتزنا بناءً آخر توقف عند الحاجز، وركن السيارة وقال لي: "ها قد وصلنا". ثم خرج من السيارة ووصل إلى بابي وفتحه ومد لي يده.

أخذنا نسير باتجاه مبنى كبير يخص مصنعاً قديماً بدا لي مهجوراً، إلا أنني كنت أرى شيئاً على الجدار أخذ يمتد ليصبح بطوله بالكامل، لكن فينش تابع السير، ثم توقف فجأة عند الطرف القصي من البناء.

وهناك قرأت على شيء يشبه لوح الطبشور عبارة تقول: ***قبل أن أموت...***
وتحت تلك الأحرف الضخمة رأيت عموداً إثر عمود، وصفاً بعد صف كتب

مكتبة الرمحي أحمد

عليه: ***قبل أن أموت أرغب في أن***_______ وقد امتلأت الفراغات بخطوط مختلفة وبألوان مختلفة من الطباشير كانت قد تلاشت معالمها واختفى لون معظمها بفعل الأمطار والثلوج.

أخذنا نمشي ونقرأ تلك الأمنيات: ***قبل أن أموت أود أن يكون عندي أطفال، أن أعيش في لندن، أن أربي زرافة كحيوان مدلل، أن أقفز بالمظلة، أن أقسم الأرقام على صفر، أن أعزف البيانو، أن أتقن الفرنسية، أن أكتب كتاباً، أن أسافر إلى كوكب آخر، أن أكون أباً أفضل من أبي، أن أرضى عن نفسي، أن أزور مدينة نيويورك، أن أعرف معنى المساواة، أن أعيش.***

وهنا نقر فينش على ذراعي وأعطاني قطعة من طبشور أزرق اللون.

فقلت له: "ليس هنالك أي فراغ لأكتب".

فرد علي: "إذاً، ما علينا إلا أن نوجد الفراغ الخاص بنا".

ثم كتب: **قبل أن أموت أود أن**، ثم رسم خطاً مستقيماً، وبعدها كتب العبارة ذاتها، وكرر ذلك مرتين، ثم قال لي: "بعد أن نملأ تلك الفراغات، يمكننا أن نواصل المسير من واجهة البناء وحتى الجهة الخلفية. ثم إنها طريقة جيدة يمكننا من خلالها أن نفكر في سبب تواجدنا في هذا المكان". إلا أنني كنت أعرف أنه لا يعني "بهذا المكان" مجرد هذا الرصيف.

ثم شرع في الكتابة: ***أود أن أعزف على الغيتار كجيمي بيج، أن أكتب أغنية أغير بواسطتها العالم، أن أجد أبلغ بيان، أن أستحق أن أكون شيئاً ما... أن أصبح الشخص الذي خلقت لأكونه وأن أكتفي بذلك، أن أتذوق ذلك الإحساس الذي يشعر به من يكون لديه صديق مقرب، أن أكون إنساناً مهماً.***

بقيت لفترة طويلة من الزمن واقفة وأنا أقرأ ما كتبه، بعد ذلك أخذت أكتب: ***أن أتوقف عن الشعور بالخوف، أن أكف عن التفكير كثيراً، أن أملأ الفراغات التي تركت، أن أعود مجدداً لقيادة السيارة، أن أكتب، أن أتنفس.***

كان فينش يقف خلف كتفيّ، أي كان قريباً جداً مني لدرجة أنني شعرت حينها بأنفاسه، غير أنه انحنى إلى الأمام وأضاف: ***قبل أن أموت أود أن أعيش يوماً رائعاً***، ثم ابتعد إلى الوراء، وأخذ يعيد قراءة تلك العبارة، وبعدها خطا إلى الأمام

مجدداً ليكتب: ***وأن أحضر عرض فرقة بوي باريد***، لكنه أخذ يضحك قبل أن أتمكن من التفوه بأي كلمة، إلا أنه مسح تلك الأمنية بعد ذلك واستبدلها بعبارة: ***وأن أقبل فيوليت ماركي***.

أخذت أنتظره ليمسح تلك الأمنية أيضاً، لكنه رمى الطبشورة وأخذ يزيل غبارها عن يديه، ويمسحهما ببنطاله الجينز، ثم ابتسم لي ابتسامة ماكرة، وأخذ يحدق إلى فمي، فانتظرت منه أن يبدي أي حركة، وأخذت أقول لنفسي: *سأدعه يحاول*، ثم فكرت: *أتمنى لو أنه يفعل*، إلا أن الفكرة بحد ذاتها أشعلت في داخلي تلك التيارات الكهربائية التي انتشرت في كامل جسدي، وهنا أخذت أتساءل إن كانت قبلة فينش تختلف عن قبلة ريان، لأنني لم أقبل سوى عدد قليل من الشبان في حياتي، وكانوا جميعهم متشابهين في ذلك.

وهنا رأيته يهز رأسه ويقول: "ليس هنا وليس الآن". ثم أخذ يهرول باتجاه السيارة، فركضت خلفه، وحالما أصبحنا داخلها وقام هو بتشغيل المحرك والموسيقى قال لي: "قبل أن تخطر ببالك أية فكرة، إن هذا لا يعني أنني أحبك".

فسألته: "لَمَ تقول لي ذلك دوماً؟".

فرد علي: "لأنني أرى كيف تنظرين إلي".

فقلت: "أوه يا إلهي! إنك غير معقول!".

فأخذ يضحك.

وفي طريق عودتنا، أخذت الأفكار تعصف برأسي؛ إذ إن مجرد رغبتي بأن يقوم بتقبيلي لثانية واحدة مثلاً لا تعني أنني أحب تيودور فينش، فالأمر لا يتعدى أنني لم أحظَ بقبلة منذ فترة طويلة من شاب آخر غير ريان.

وهكذا كتبت على دفترنا: ***قبل أن أموت أريد أن***... لكن ذلك كان كل ما استطعت كتابته؛ لأنني رأيت أمامي خط فينش المتعرج يطفو على الصفحة بعدما كتب عبارة: *وأن أقبّل فيوليت ماركي*.

قبل أن يوصلني فينش إلى البيت، أخذني إلى مقهى كواري في وسط بارتليت، حيث لا يقوم أي كان بالتحقق من بطاقات الهوية الشخصية. دلفنا إلى هناك. كان المكان مزدحماً والدخان يملأ الأرجاء، وكان صوت الفرقة الموسيقية

عالياً، وبدا لي أن الجميع يعرفون فينش الذي بدلاً من أن ينضم إلى الفرقة على خشبة المسرح أمسك بيدي وأخذنا نرقص. للحظة، وجدته يتصرف وكأننا في حلبة لرقص الموشي، ثم بعد ذلك أخذنا نرقص التانغو.

وبالرغم من الضوضاء والضجيج صرخت قائلة له: "وأنا لا أحبك أيضاً". فما كان منه إلا أن ضحك مرة ثانية.

فينش

اليوم الخامس عشر (ما زلت على حالي)

في طريق العودة إلى بيت فيوليت أخذت أفكر بصوت عالٍ بشواهد قبور لأشخاص نعرفهم أنا وفيوليت ومنهم: أماندا مونك، حيث لا بد أن يكتب على شاهدة قبرها: *لقد كنت سطحية كقاع جدول يتفرع من نهر وايتووتر بعدما جفت مياهه.* أما المتسكع فسيكتبون على شاهدة قبره ما يلي: *كنت أسعى إلى أن أكون أحقر شخص بين الناس، وقد كان لي ذلك.* وبالنسبة إلى شاهدة قبر السيد بلاك فسيكتبون عليها: *أريد أن أستريح، وأن أبتعد عن الأولاد، وأن أحصل على أجر جيد.*

كانت فيوليت صامتة طيلة ذلك الوقت، لكنني كنت أعرف أنها تصغي إلى أفكاري؛ لأنه لم يكن حولها أحد إلا أنا، فسألتها: "ما الذي سيكتب على شاهدة قبرك يا فوق البنفسجية؟".

فردت: "لست أدري ما الذي سيكتبونه". ثم أمالت رأسها، وأخذت تحدق إلى نقطة بعيدة فوق لوحة القيادة وكأن الجواب سيتراءى لها هناك، وبعد ذلك سألتني: "وماذا عن شاهدة قبرك؟". فبدا لي صوتها منساباً وبعيداً، وكأنها كانت تحدثني من مكان آخر.

إلا أنني لم أكن بحاجة إلى التفكير في ذلك، ولهذا قلت لها على الفور: "تيودور فينش: أمضى حياته في السعي للوصول إلى أبلغ بيان".

فنظرت إليّ بحدة، وهكذا أصبح بوسعي أن أرى أنها كانت حاضرة الذهن وتحاول أن تستوعب، ثم سألتني: "لم أفهم ما تقصده".

فقلت: "إن هذا يعني: الدافع الذي يجعلني ما أنا عليه، ولأعلل سبب وجود شيء ما. وبما أن الموت محتم، لا بد أن أموت باستبسال وبهجة، أي باختصار يجب أن يتحول المرء إلى ذكرى لا تنسى".

لكنها بقيت صامتة، وكأنها تقلب تلك الفكرة في ذهنها، وأخيراً سألتني: "إذاً، أين كنت يوم الجمعة؟ ولَمَ لم تأتِ إلى المدرسة؟".

فأجبتها: "لقد انتابني ذلك الصداع الذي يفاجئني في بعض الأحيان، لكن الأمر لا يستدعي أي قلق". ولم تكن تلك كذبة كاملة، لأن الصداع كان جزءاً من السبب الذي دفعني إلى التغيب، إذ كنت أحس بأن النار تغلي في دماغي وتنتشر فيه بسرعة كبيرة، لدرجة أن رأسي لم يكن يستطيع أن يتابع كل ما يحدث فيه، حيث كانت الكلمات والألوان والأصوات كلها تتداخل في ما بينها، وأحياناً يضمحل كل شيء آخر ويختفي حيث لا يتبقى لي سوى الصوت، وهكذا يمكنني أن أسمع كل شيء، ولا يقتصر الأمر هنا على مجرد السماع، بل يتعداه إلى الإحساس بالصوت أيضاً. بعد ذلك، يمكن أن تتزاحم كل تلك الأمور فتأتيني دفعة واحدة، حيث تتحول الأصوات إلى ضوء، ويصبح الضوء شديد السطوع، لدرجة أشعر معها بأن الضوء يشطرني إلى نصفين، وأخيراً ينتابني الصداع، غير أنه ليس مجرد صداع *أحس به*، بل إنني *أراه بعينيّ* أيضاً؛ وكأنه مؤلف من آلاف الألوان، وكلها ألوان تعمي الأبصار. وحينما حاولت وصف ذلك الصداع لكيت في إحدى المرات قالت لي: "عليك أن تشكر أباك على ذلك. لأنه لم يستخدم رأسك ككيس ملاكمة(1)".

إلا أن الأمر لم يقتصر على ذلك فقط، لأنني أميل إلى الاعتقاد أنه لا علاقة لتلك الألوان والأصوات والكلمات بأبي، بل كلها تنتمي إليّ وتمثلني، وتُعبِّر عن عقلي البارع والمعقد الذي لا يكف عن الأزيز والطنين والتحليق والهدير والغطس.

(1) وهو الكيس الذي يستخدمه الملاكم في التدريب.

وهنا سألتني فيوليت: "هل أصبحت بخير الآن؟". وكانت الريح تداعب خصلات شعرها، أما وجنتاها فقد أصبحتا ورديتين، وبدت لي سعيدة؛ سواء أأعجبها ذلك أم لم يعجبها.

أخذت أمعن النظر إليها، وبما أنني كنت قد خبرت الحياة جيداً وبما فيه الكفاية، أصبحت أعرف أنه لا يمكن للمرء أن يعوِّل على الأشياء التي تحوم حولنا أو تلك التي تبقى على حالها؛ مهما كان يريدها وبحاجة إليها. إذ لا يستطيع المرء أن يمنع الناس من الموت، كما لا يمكنه أن يمنعهم من الرحيل، ولا يمكنه أن يمنع نفسه من الرحيل أيضاً. ثم إنني أعرف نفسي جيداً وبما فيه الكفاية لأدرك أنه لا يمكن لأحد أن يبقيك مستيقظاً أو أن يمنعك من النوم؛ فكل ذلك يعود إلى الشخص نفسه، غير أنني أحب هذه الفتاة.

عندها أجبتها: "أجل، أعتقد أنني أصبحت بخير".

وفي البيت، قمت بالدخول إلى البريد الصوتي الخاص بي عبر الخط الأرضي؛ ذلك الخط الذي نقوم أنا وكيت بتفقده حينما نتذكره، فوجدت رسالة من السقط... اللعنة... اللعنة... اللعنة... اللعنة. كان قد اتصل يوم الجمعة لأنني لم أحضر جلسة الإرشاد، لذا كان يريد أن يعرف أين كنت، وخاصة لأنه على ما يبدو قد قرأ صحيفة بارتليت ديرت، وهو يعرف- أو يظن أنه يعرف- ما كنت أفعله عند حافة النافذة. بيد أن الجانب المشرق في الموضوع يتمثل في أنني اجتزت اختبار المخدرات. وهكذا، حذفت تلك الرسالة، وأقنعت نفسي بالذهاب مبكراً يوم الاثنين لأسوي الأمور معه.

بعد ذلك صعدت إلى غرفتي، وجلست على أحد الكراسي الموجودة فيها، وأخذت أفكر في آلية عملية الشنق، فوجدت أن المشكلة تكمن في أنني طويل جداً والسقف منخفض جداً، ففكرت في القبو، لكنني عدلت عن الفكرة لأنه لا أحد من أسرتي ينزل إلى هناك، وقد تمر أسابيع وربما شهور قبل أن تكتشف أمي وشقيقتاي أمري.

حقيقة مهمة: يعتبر الشنق من أكثر الطرائق المستخدمة في عمليات الانتحار التي تحدث في المملكة المتحدة، وذلك لأنه يعتبر طريقة سريعة وسهلة بحسب رأي

الباحثين. غير أنه لا بد من حساب طول الحبل بالنسبة إلى وزن الشخص، وإلا فلن تتم العملية بسرعة وسهولة.

معلومة أخرى مهمة: تُطلق على الطريقة الحديثة للانتحار شنقاً تسمية: السقوط لمسافة طويلة.

وهذا بالضبط ما أشعر به حينما أخلد إلى النوم، حيث أحس بأنني في هبوط طويل من حالة اليقظة، ويمكن لذلك أن يحدث دفعة واحدة، حيث يتوقف كل شيء فجأة...

ولكن في بعض الأحيان تأتيني تحذيرات وإرهاصات، ومنها الأصوات بالطبع وحالات الصداع، إلا أنني تعلمت أيضاً أن أبحث عن أمور أخرى كالتغييرات في الفراغ والمساحات، أي من حيث الطريقة التي أرى فيها الفراغ أو أحسه بها، وبذلك تصبح الممرات في المدرسة أشبه بتحدٍّ بالنسبة إلي، حيث يتزاحم فيها الكثير من الأشخاص الذين يتخذون اتجاهات مختلفة، فيبدو الأمر بالنسبة إلي أشبه بتقاطع طرق مزدحم. والأسوأ من ذلك النادي الرياضي التابع للمدرسة، وذلك لأنك تضطر إلى البقاء في ذلك المكان الذي لا تسمع فيه سوى الصراخ، وتحس بأنك قد وقعت في الفخ.

هذا وقد أخطأت حينما تحدثت عن ذلك في إحدى المرات، وكان ذلك منذ بضع سنوات، إذ سألت يومها صديقي العزيز غابي روميرو إن كان بوسعه أن يلمس الصوت وأن يرى الصداع، كما سألته إن كان يرى المساحات أمامه تكبر أو تتقلص، وسألته إن كان قد فكر في ما سيحدث له إن رمى بنفسه أمام سيارة أو قطار أو حافلة، أو إن فكر إن كان ذلك يكفي لجعل تلك المركبات تتوقف. وطلبت منه أيضاً أن يجرب ذلك معي، فقط لنرى ما سيحدث؛ وذلك لأنه كان لدي ذلك الإحساس العميق بأنني كنت مقنعاً، أي كنت لا أقهر، لكنه عاد إلى بيته وأخبر والديه بكل ما قلته له، واللذين بدورهما أخبرا معلمي، الذي بدوره أخبر المدير، والذي بدوره أخبر أبويَّ اللذين سألاني: *أهذا ما طلبته من صديقك فعلاً يا تيودور؟* ثم انتشر الخبر في المدرسة في اليوم التالي، وهكذا أصبحت رسمياً تيودور المجنون. وبعد مرور سنة، كبر جسمي فضاقت عليّ ملابسي؛ وذلك لأن

الزيادة في الطول بما يعادل أربعة عشر إنشاً خلال فترة الصيف تبدو عملية سهلة، أما أن تكبر على لقب لصق بك فهذا أمر صعب للغاية.

وهذا هو السبب الذي يدفع المرء ليتظاهر بأنه مثل أي شخص آخر تماماً؛ حتى إن كان يعرف أنه مختلف، ولهذا كنت أقول لنفسي: *الذنب ذنبك*. لأن ذنبي أنني لم أقدر أن أكون مجرد شخص عادي، إذاً الذنب ذنبي لأنني لا أستطيع أن أكون مثل المتسكع أو مثل ريان أو شارلي أو غيرهم، وها أنا الآن أقولها لنفسي: *الذنب ذنبك أنت وحدك*.

وبينما كنت جالساً على الكرسي، حاولت أن أتخيل حالة النوم وهي تحضرني. ولكن حينما تكون سيئ السمعة ولا تقهر، فمن الصعب عليك أن تتخيل نفسك في أي وضع آخر سوى وضع اليقظة. ومع ذلك، أجبرت نفسي على التركيز وذلك نظراً لأهمية الموضوع، فقد كانت القصة مسألة حياة أو موت.

إن المساحات الأصغر حجماً أفضل، غير أن غرفتي كبيرة، ولكن بوسعي أن أقسمها إلى نصفين وذلك عبر نقل خزانة كتبي وخزانة الأدراج. وهكذا، أمسكت بالبساط وبدأت بوضع الأشياء في أماكنها، إلا أن أحداً لم يأتِ إليّ ليسألني عما كنت أفعله؛ بالرغم من أنني كنت أعرف أن أمي وديكا وكيت- إن كانت في البيت- لا بد أنهن قد سمعن صوت الجر والسحب فوق الأرضية.

ولهذا أخذت أسأل نفسي: ما الذي يجب أن يحدث كي يأتين إلى هنا؟ أيجب أن تنفجر قنبلة مثلاً كي أراهن؟ أم أن يحدث انفجار نووي؟ حاولت أن أتذكر آخر مرة رأيت فيها واحدة منهن في غرفتي، إلا أن الشيء الوحيد الذي تذكرته كان منذ أربع سنوات حينما أصبت بنزلة برد، فكانت كيت هي الشخص الوحيد الذي اعتنى بي وقتها.

فينش

اليومان السادس عشر والسابع عشر

لأعوض عن جلسة يوم الجمعة التي فاتتني قررت أن أخبر السقط عن فيوليت، من دون أن أذكرها له بالاسم. إذ كنت أرغب في أن أخبر عنها أحداً آخر غير شارلي أو بريندا؛ شخصاً لن يسألني إن كنت قد قمت بعلاقة حميمة معها أو يذكّرني بالركلة التي سأتلقاها على مؤخرتي من ريان كروس إن حاولت التقرب منها.

غير أنه كان يتعين على السقط في البداية أن يسألني إن حاولت إيذاء نفسي أم لا، وذلك لأننا نتطرق إلى ذلك السؤال الاعتيادي كل أسبوع، حيث تسير الأمور على هذه الشاكلة:

السقط: هل حاولت أن تؤذي نفسك منذ أن رأيتك آخر مرة؟

أنا: كلا يا سيدي.

السقط: هل فكرت في إيذاء نفسك؟

أنا: كلا يا سيدي.

وهكذا، تعلمت هذه القاعدة الصعبة التي مفادها أن أفضل طريقة يمكنك التصرف بها هي عدم قول أي شيء حول ما تفكر فيه، وذلك لأنك إن لم تتفوه بشيء عن ذلك فسيفترضون أنك لم تفكر في شيء من ذلك القبيل، وأن أفكارك لا تتعدى ما أظهرته لهم.

السقط: أَتسخر مني يا بنيّ؟

أنا: وكيف لي أن أفعل ذلك وأنت شخصية ذات سلطة ونفوذ؟

وبما أنه كان يفتقر إلى روح الدعابة و لم يستطع اكتسابها بعد، نظر إليّ شزراً ثم قال: "لا أتمنى ذلك طبعاً".

ثم قرر أن يكسر تلك القاعدة المملة التي كنا نسير عليها دوماً وذلك بقوله: "لقد عرفت بأمر المقالة التي ظهرت في صحيفة بارتليت ديرت".

وهنا بقيت عاجزاً عن الكلام لبضع ثوان، وأخيراً قلت له: "لا تصدق كل ما تقرأه يا سيدي". فأتت كلماتي كما لو أنها تحمل طابع التهكم والسخرية اللاذعة. لكنني قررت أن أبعد السخرية عن كلامي، فحاولت مرة أخرى، ولعل سبب ذلك أنه قد طردني، أو لأنه كان قلقاً علي ونواياه حسنة، فقد كان من بين القليل من الأشخاص الأكبر سناً مني الذين رعوني في حياتي. وهكذا، عقبت على كلامه بالقول: "حقاً؟". وهدّج صوتي وأنا أقولها كثيراً، مّما أوضح لكلينا أن تلك المقالة الغبية قد أزعجتني أكثر مما كنت أتوقع.

وبعد أن فرغنا من ذلك الحديث، أمضيت بقية الوقت وأنا أحاول أن أثبت له أن لدي الكثير من الأمور التي ينبغي لي أن أعيش لأنجزها، إلا أن ذلك اليوم كان أول يوم أذكر فيه فيوليت أمامه، حيث قلت له: "ثم إن لدي تلك الفتاة، ولنسمِّها ليزي". لقد كان ذلك هو الاسم الذي تلقب به إليزابيث ميدي رئيسة نادي المخرمات، وكانت فتاة لطيفة للغاية، و لم أعتقد أنها قد تمانع إن استعرت اسمها لأحمي به خصوصيتي، ثم تابعت: "لقد أصبح بيني وبين تلك الفتاة نوع من المودة، وهذا ما يشعرني بسعادة غامرة؛ تلك السعادة التي تصل بالمرء إلى حد الغباء، أو لنقل تلك السعادة التي تغمرني لدرجة أنها أبعدت عني أصدقائي".

أخذ السقط يتفرس في وجهي وكأنه يحاول أن يكتشف الزيف في كلامي، غير أنني تابعت الحديث عن ليزي ومدى السعادة التي كانت تغمرنا، وقلت إن كل ما كنت أريده وقتها هو أن أقضي أيامي بسعادة، وأن أكون سعيداً بالفعل، وقد كنت صادقاً في ما أقوله. ولكنه قال لي في الختام: "هذا يكفي. لقد استوعبت الأمر. هل هذه الفتاة هي نفسها ليزي التي ورد اسمها في الصحيفة؟". وقام برسم

مكتبة الرمحي أحمد

علامات اقتباس بأصابعه في الهواء عندما ذكر اسمها، ثم تابع: "أعني أهي تلك التي أنقذتك من القفز من النافذة؟".

أجبته: "ربما". وأخذت أتساءل إن كان سيصدقني لو أخبرته أنها ليست هي.

لكنه قال لي: "عليك أن تكون حذراً فقط".

وهنا كنت أريد أن أقول له: *لا، لا، لا يا سقط، فأنت من بين كل الناس يجب أن تعرف أنه من الأفضل ألا تقول شيئاً كهذا لشخص يشعر بأن السعادة تغمره.* وذلك لأن عبارة: "عليك أن تكون حذراً فقط" توحي بأن ثمة نهاية لكل هذا، ولعل ذلك قد يتم في غضون ساعة، أو في غضون ثلاث سنوات، إلا أن النهاية هي النهاية. ثم ما الذي كان سيضره إن قال لي: *إنني أشعر بالسعادة من أجلك يا تيودور. أهنئك لأنك وجدت الإنسانة التي حسّنت أحوالك؟*

وهذا ما دفعني لأقول له: "أتعرف؟ كان بوسعك أن تكتفي بالتهنئة ثم تمسك عن الكلام".

فقال لي: "ثمانينا". لكنها جاءت متأخرة كثيراً، لأنه كان قد لمّح لشيء آخر، وقد تمسك عقلي بعبارة: "عليك أن تكون حذراً فقط" ولن يتركها بعد ذلك. ولهذا حاولت أن أقنع عقلي بأن ما كان يعنيه السقط هو: "عليك أن تكون حذراً فقط حينما تقوم بعلاقة حميمة". لكن بما أن عقلي يتمتع بتفكير خاص به، لذا بدأ يفكر في كل الطرائق التي تستطيع فيوليت ماركي بواسطتها أن تفطر قلبي.

أخذت أنقر على ذراع الكرسي التي قام أحدهم بتقسيمها إلى ثلاثة أجزاء. وأخذت أفكر في من سينهي علاقتنا وكيف ستنتهي تلك العلاقة وأنا أنقر وأنقر وأنقر وأحاول أن أخرس دماغي؛ وذلك عبر التفكير بشاهدة قبر السقط. وحينما لم يُجدِ ذلك نفعاً، تخيلت شاهدة قبر أمي وقد كتب عليها: *كنت زوجة وما زلت أمّاً، ولكن من دون أن يسألني أحد أين أولادي.* وتخيلت أيضاً شاهدة قبر والدي وقد كتب عليها: *التغيير الوحيد الذي أتى فيه يتمثل في التخلص من الزوجة والأولاد والبدء من جديد مع امرأة أخرى.*

وفجأة قال لي السقط: "ما رأيك في أن نتحدث عن امتحان القبول الجامعي، فلقد حصلت على 2280 درجة". عندها بدا لي مندهشاً ومتأثراً، فوددت أن أقول له: *أحقًا؟ تبًا لك أيها السقط.*

غير أنني في الحقيقة أبليت بلاء حسناً في الامتحان، وكان ذلك من عاداتي على الدوام، فقلت له: "إنها فرصة لتهنئني على ذلك أيضاً".

فاندفع إلى الأمام وكأنه لم يسمعني ثم قال: "ما هي الكلية التي تخطط للذهاب إليها؟".

فأجبته: "لم أتأكد من ذلك بعد".

فقال لي: "ألا تعتقد أن الوقت قد حان لتفكر في مستقبلك؟".

إلا أنني كنت أفكر في مستقبلي بالفعل، كما كنت أفكر في أنني سألتقي فيوليت اليوم بعد موعدي هذا.

فأجبته: "إنني أفكر في مستقبلي منذ الآن".

فما كان منه إلا أن تنهد وأغلق ملفي ثم قال: "أراك يوم الجمعة. وإذا احتجت إلى أي شيء اتصل بي".

بما أن ثانوية بارتليت مدرسة ضخمة وفيها عدد كبير من الطلاب، كان من الصعب عليّ أن أرى فيها فيوليت كثيراً، كما أن الحصة الوحيدة التي كنا نلتقي فيها هي حصة الجغرافيا الأمريكية. إذ أكون عادة في الطابق الأرضي عندما تكون هي في الطابق الثالث، أو أكون في النادي الرياضي حينما تكون في الجهة الأخرى من المدرسة أي في قاعة الأوركسترا، وقد أكون في جناح العلوم بينما تكون هي في حصة اللغة الإسبانية.

غير أنني يوم الثلاثاء ضربت بكل ذلك عرض الحائط، وقررت أن ألتقيها خارج كل حصة من الحصص التي كانت تحضرها، وأسير معها أثناء ذهابها لحضور الحصة التالية. وهذا يعني في بعض الأحيان الجري من أحد طرفي المبنى إلى الطرف الآخر؛ إلا أن مقابلتها تستحق كل خطوة أخطوها معها، ثم إن ساقيّ طويلتين، لذا كان بإمكاني أن أقطع مسافة طويلة بهما، حتى لو كان يتوجب علي

أن أراوغ من أراه أمامي من الناس يمنة ويسرة، بل كان يتوجب علي في بعض الأحيان أن أقفز فوق رؤوسهم، وقد كان من السهل علي القيام بذلك لأنهم كانوا يسيرون ببطء كمجموعة من الأموات أو كسرب من الرخويات.

وهكذا كنت أصيح وأنا أجري: "مرحباً بكم جميعاً. يا له من يوم جميل! بل إنه يوم رائع! بل هو يوم تتحقق فيه كل الأمور الممكنة!". إلا أنهم جميعاً كانوا كسالى لدرجة أنهم بالكاد كانوا يرفعون بصرهم للنظر إليّ.

حينما وجدت فيوليت أول مرة كان تسير برفقة صديقتها شيلبي بادجيت، وحينما وجدتها في المرة الثانية هتفت: "فينش مرة أخرى؟!". لذا كان من الصعب عليّ أن أعرف إن كانت سعيدة برؤيتي، أو إن كان ذلك يحرجها، أو إن كان الأمر مزيجاً من كلا الشعورين. غير أنها في المرة الثالثة صاحت بي: "ألن تتأخر عن حصصك؟".

فأجبتها: "ما هو أسوأ شيء يمكن أن يفعلوه بي؟". ثم أمسكت بيدها وسحبتها بقوة خلفي وأنا أقول: "أتيناكم يا قوم! أفسحوا الطريق!".

وبعد أن أوصلتها إلى حصة الأدب الروسي هرولت على الأدراج، ثم نزلت المزيد من الأدراج، وبعد ذلك عبرت القاعة الرئيسة حيث ركضت مباشرة نحو المدير فيرتس الذي كان يريد أن يعرف ما كنت أفعله خارج الصف، وسبب ركضي وكأن العدو يجري خلفي.

فأجبته: "إنني أقوم بدورية تفقّد يا سيدي، إذ لم يعد الوضع آمناً هذه الأيام كما كان سابقاً، وأنا على يقين من أنك قد قرأت عن الاختراقات الأمنية التي حدثت في روشفيل ونيو كاسل، حيث سرقت أجهزة حاسوب، وأتلفت كتب في إحدى المكتبات، وسرقت الأموال من المكتب التنفيذي؛ وكل ذلك حصل في وضح النهار، وأمام مرأى الناس".

كنت قد اختلقت كل ذلك، لكن كان من الواضح أنه لم يسمع عن كل ذلك، فقال لي: "اذهب إلى صفك، ولا تدعني أراك هنا مرة أخرى. هل عليّ أن أذكرك بأنك ما زلت ضمن الفترة التجريبية؟".

أجبته: "كلا يا سيدي". ثم أظهرت له أنني أسير بهدوء في الجهة الأخرى.

ولكن حينما قرع جرس الحصة التالية، أسرعت إلى القاعة، ثم صعدت الدرج وكأنني على عجلة من أمري.

كانت أماندا والمتسكع وريان أول من رأيتهم، لكنني ارتكبت خطأ حينما اصطدمت بالمتسكع من دون قصد، ما تسبب برميه باتجاه أماندا، وهكذا تناثرت جميع محتويات محفظة أماندا فوق أرضية الممر، وهنا بدأت بالصراخ. ولكن قبل أن يتمكن ريان والمتسكع من ضربي ضربة لعينة ترميني على بعد ست أقدام وثلاثة إنشات، ركضت بعيداً عنهما بقدر ما أستطيع، لكنني دفعت ثمن ذلك لاحقاً، غير أن ذلك لم يعد يهمني الآن.

وجدت فيوليت تنتظرني هذه المرة. إذ حينما انحنيت محاولاً التقاط أنفاسي قالت لي: "لماذا تقوم بكل ذلك؟". غير أنه كان بوسعي أن أكتشف من كلامها أنها لم تكن سعيدة بذلك أو محرجة، بل كانت غاضبة.

قلت لها: "ما رأيك في أن نركض كي لا تتأخري عن صفك".

فردت علي: "لن أركض لأصل إلى أي مكان".

فأجبتها: "إذاً، لا يمكنني أن أساعدك".

ردت علي: "أوه يا إلهي! أكاد أفقد صوابي بسببك يا فينش".

انحنيتُ إلى الأمام فتراجعت هي باتجاه إحدى الخزائن، أما عيناها فكانتا تراقبان كل الاتجاهات؛ وكأنها تخشى أن يراها أحد بصحبة تيودور فينش، أو أن يمر ريان كروس- لا قدر الله- ويظن بها ظن السوء، ولذلك أخذت أتساءل في سري: ترى، ما الذي ستقوله له في تلك الحالة؟ لا بد أنها ستقول: *ليس الأمر كما يبدو عليه، فتيودور فينش يضايقني ولا يدعني وشأني.*

ولذلك قلت لها: "يسعدني أن أرد لك المعروف". وقد كنت غاضباً حينها بالفعل، ثم وضعت يدي على الخزانة خلفها وقلت: "أتعرفين؟ إنك تصبحين أكثر مودة ولطفاً حينما نكون وحدنا بعيداً عن أعين الناس حولنا".

فردت علي: "ربما لأنك تركض بين القاعات وتصرخ في وجه الجميع، ولا يسعني أن أحدد الآن إن كنت تقوم بذلك لأنه متوقع منك، أو لأنه يعبّر عن شخصيتك بالفعل".

فسألتها: "وأنت ما رأيك؟". وكان فمي يبعد عن فمها مسافة إنش واحد، لذا كنت أنتظر منها أن تلطمني على وجهي أو أن تبعدني عنها، إلا أنها أغمضت عينيها، وذلك عندما كنت قد انسجمت في الموضوع.

حسناً، أعتقد أن منعطفاً مهماً قد حصل حينها. فقبل أن تبدر مني أية حركة، قام أحدهم بجذبي من ياقة قميصي ثم دفعني إلى الخلف، وبعدها سمعت صوت السيد كابيل مدرب البيسبول وهو يقول: "امضِ إلى صفك يا فينش، وأنتِ أيضاً". وكان يومئ لفيوليت عندها، ثم تابع: "وسيتم احتجازكما لفترة".

وبعد انتهاء دوام المدرسة ذهبت فيوليت إلى غرفة السيد ستولر حتى من دون أن تنظر إلي، فقال لها: "أظن أن هنالك أول مرة لكل شيء، لذا يشرفنا استقبالك يا آنسة ماركي. ولكن، لمن أنت مدينة بهذا الشرف؟".

فردت: "له". وهي تشير برأسها نحوي، ثم اختارت مقعداً في مقدمة الغرفة، وحاولت أن تجعله أبعد ما يكون عني.

فيوليت

اليوم 142 قبل الرحيل

الزمان: يوم الأربعاء، الساعة: الثانية صباحاً، المكان: غرفة نومي.

صحوت على صوت حصى تضرب نافذتي، فظننت أنني أحلم في بداية الأمر، لكنني سمعت الصوت بعد ذلك مرة أخرى، فنهضت واختلست النظر عبر الستائر المعدنية، ووجدت تيودور فينش يقف في ساحة بيتي الأمامية وهو يرتدي بنطال منامة وسترة صوفية لها قبعة.

عندها، فتحت النافذة ومددت رأسي منها وهتفت به قائلة: "اذهب!". فقد كنت لا أزال غاضبة منه لأنه كان السبب في احتجازي لأول مرة في حياتي، كما كنت غاضبة من ريان لأنه كان يعتقد أننا سنخرج مع بعضنا مجدداً. ولكن، ذنب من كان ذاك؟ فقد تصرفت معه بحقارة حينما قبلته على غمازته ثم قبلته حينما كنا في السينما المكشوفة. لقد كنت غاضبة من الجميع، وعلى الأخص من نفسي، ولهذا صرخت به مرة أخرى: "اذهب من هنا!".

فما كان منه إلا أن رد علي بقوله: "أرجوك، لا تدعيني أتسلق هذه الشجرة، لأنني إن فعلت ذلك فمن المحتمل أن أقع وأكسر عنقي، وهكذا ستضطرون إلى إدخالي إلى المشفى".

قلت له: "ليس أمامنا خيار آخر، كما أننا سنفعل ذلك حتماً".

غير أنني أخذت أرتب شعري، ووضعت على فمي ملمع شفاه ولبست ثوب الاستحمام، إذ من يدري ما الذي سيحدث إن لم أنزل إليه؟

حينما خرجت من البيت وجدت فينش جالساً عند الشرفة الأمامية وقد اتكأ على حاجزها. وحالما رآني بادرني بالقول: "خلت أنك لن تأتي".

فجلست بالقرب منه، إلا أن البرد تسلل إلى جسمي بالرغم من طبقات الثياب التي كنت ألبسها، ثم قلت له: "لَمَ أتيت إلى هنا؟".

فسألني: "هل كنت مستيقظة؟".

أجبته: "لا".

فقال: "آسف، ولكن بما أنك مستيقظة الآن فلنذهب".

قلت: "لن أذهب إلى أي مكان".

فما كان منه إلا أن وقف وأخذ يمشي نحو السيارة، ثم استدار وقال لي بصوت عال: "تعالي!".

فأجبته: "لا يمكنني أن أنطلق بهذه البساطة حينما لا أكون راغبة في ذلك".

سألني: "لقد زال غضبك، أليس كذلك؟".

أجبته: "في الحقيقة، نعم. ولكن، انظر إليّ! فأنا لم أرتد ثيابي".

فقال: "رائع، عليك أن تخلعي ثوب الاستحمام الكريه هذا، وانتعلي حذاء، ثم البسي سترة، ولا تضيعي الوقت في تغيير ثيابك بأكملها، واكتبي رسالة لوالديك كي لا يقلقا عليك إن استيقظا و لم يجداك في البيت. سأعطيك ثلاث دقائق قبل أن أصعد وراءك إلى غرفتك".

مضينا بالسيارة باتجاه وسط مدينة بارتليت، حيث كانت الأبنية مرتصفة بالقرميد لتشكل ما يعرف باسم برودووك. ومنذ أن تم افتتاح السوق التجاري الجديد لم يعد هنالك أي سبب للمجيء إلى هنا إلا لشراء الخبز والمعجنات، وذلك لأن كعك القوالب الذي يصنعه مخبز السوق من أفضل الأنواع وأفخرها؛ إذ لا يستطيع المرء إيجاد مثل ذلك الكعك في أي مخبز قريب آخر. غير أن المشاريع التجارية التي أقيمت في ذلك المكان كانت مجرد عالة على غيرها، لأنها كانت تعتمد على ما تبقى من نشاط تجاري في تلك المنطقة منذ حوالي عشرين سنة؛ إذ يوجد فيها متجر تعيس وقديم للغاية مقسم إلى أقسام، ومتجر لبيع الأحذية تفوح

منه رائحة تشبه رائحة النفتالين[1]، ومتجر للألعاب، ومحل لبيع الحلويات، وكشك لبيع المثلجات.

وهناك قام فينش بركن سيارة الساتورن وقال لي: "ها قد وصلنا".

كانت جميع واجهات المحالّ مظلمة، ولم يكن أحد خارج منزله، لذا كان من السهل علينا أنا وفينش أن نتظاهر بأننا الشخصان الوحيدان على هذا الكوكب.

إلا أنه قال لي: "إنني أبذل كل ما بوسعي لأفكر ليلاً بينما يغط الناس في النوم، وهكذا لن يقطع أحد عليّ سلسلة أفكاري، أو يزعجني أي ضجيج. وإنني أحب ذلك الشعور حين أجد نفسي مستيقظاً في الوقت الذي يكون فيه الجميع نياماً". وهنا أخذت أتساءل إن كان قد تذوق طعم النوم أصلاً.

لمحت انعكاس صورتينا على واجهة المخبز، فشعرت بأننا كنا نبدو كطفلين مشردين، ولهذا سألته: "إلى أين نمضي؟".

فرد: "سترين".

كان الهواء منعشاً ونظيفاً وهادئاً، فلمحت على بعد مسافة منا برج بورينا الذي يعتبر أطول بناء بالنسبة لنا، والذي كان مزداناً بالأضواء، ومن ورائه تراءى لي برج الجرس التابع لمدرستنا الثانوية.

وعند محل بوكماركس أخرج فينش مجموعة من المفاتيح وفتح الباب، وخاطبني قائلاً: "إن أمي تعمل هنا حينما تنهي عملها في بيع البيوت".

كان متجر الكتب ضيقاً ومظلماً، وقد خصص فيه جدار للمجلات، وتناثرت فيه رفوف الكتب، ثم رأيت طاولة وحولها كراسٍ، ومنضدة بيع فارغة كانت تستخدم لبيع القهوة والحلويات خلال ساعات الدوام.

رأيت فينش ينحني خلف تلك المنضدة ويفتح الثلاجة التي كانت تختفي خلفها، ثم أخذ يبحث فيها إلى أن عثر على علبتي عصير وقطعتي كعك. بعد ذلك، انتقلنا إلى المكان المخصص للأطفال الذي كان يحتوي على وسائد محشوة بالحبيبات وسجادة زرقاء رثة. أضاء فينش شمعة وجدها قرب دفتر الحسابات،

---

(1) كرات تستخدم لقتل العثة.

فأخذت الشمعة تخفق وقد انعكس نورها على وجهه فيما كان ينتقل بها من رف إلى آخر وهو يمر بأصابعه فوق أغلفة الكتب.

سألته: "هل تبحث عن شيء معين؟".

فأجابني: "نعم".

وأخيراً، جلس إلى جانبي وأخذ يمرر أصابعه في شعره؛ مما جعل شعره يتفرق في مختلف الاتجاهات، ثم قال: "إنهم لم يعرضوه في حديقة المكتبات المتجولة". ثم أمسك بكومة من كتب الأطفال وأعطاني اثنين منها وقال: "ولكن لديهم منه هنا ولله الحمد، إليك هذين".

ثم جلس وصالب ساقيه، فتهدل شعره الغجري فوق أحد الكتب، وسرعان ما بدا لي وكأنه قد أصيب بغشية فأصبح في مكان آخر.

لذا قلت له: "ما زلت غاضبة منك لأنك تسببت في احتجازي". وتوقعت منه رداً سريعاً فيه شيء من الغزل، إلا أنه لم يرفع بصره عن الكتاب، بل أمسك بيدي وتابع القراءة، لكنني شعرت بالاعتذار يأتيني من بين أصابعه، ممّا نفس من غضبي، فاقتربت منه قليلاً، وأخذت أقرأ من فوق كتفه. كانت يده دافئة، لذا لم أكن أريد أن تبتعد عن يدي.

وهكذا، أخذ كل منا يأكل بإحدى يديه ويتناول كتباً من الكومة باليد أخرى. بعد ذلك، بدأنا بالقراءة بصوت عالٍ من قصيدة للدكتور سيوس عنوانها: *آه من الأماكن التي ستذهب إليها!* وكنا نتناوب في قراءة المقاطع الشعرية؛ إذ كان فينش يبدأ أولاً، ثم يحين دوري، وبعد ذلك دور فينش، ثم أنا، وهكذا قرأنا:

اليوم يومك

لقد انطلقتَ إلى أماكن رائعة!

لقد انطلقتَ ومضيتَ بعيداً!

وعندما بلغنا فقرة معينة، نهض فينش من مكانه وبدأ يمثل الدور، ولم يكن بحاجة إلى الكتاب لأنه كان يحفظ الكلمات عن ظهر قلب. أما أنا فقد نسيت أمر القراءة؛ وذلك لأن مشاهدة فينش وهو يمثل كانت أكثر متعة بكثير، حتى حينما اكتسبت الكلمات بصوته نبرة جدية وهو يلقي بالأبيات الشعرية التي تصف

الأماكن المظلمة والأخرى عديمة الجدوى، وأماكن الانتظار التي لا يقوم بها المــرء بأي شيء سوى الانتظار.

بعد ذلك اختفت الجدية من صوته فأخذ يغني هذه الأبيات الشعرية:

ستجد الأماكن المشرقة
حيث تتلاعب الأشرعة

مكتبة الرمحي أحمد

وهنا سحبني لأقف وتابع:

براية ترفرف
وستحلق مرة أخرى
وستكون على استعداد لتواجه أي شيء تحت السماء.

بعد ذلك، أخذنا نقلد عملية الرفرفة، وأعني بذلك القفــز فــوق الأشــياء كالوسائد والبساط وباقي الكتب، ثم قمنا بغناء آخر بيتين معاً: *إن جبلك ينتظر... لذا... امضِ في سبيلك!* وانتهى بنا الأمر حين تمددنا على الأرض وضوء الشــمعة يرقص من حولنا، ونحن نضحك وكأننا قد فقدنا صوابنا.

كانت الطريقة الوحيدة للصعود إلى برج بورينا عن طريق استخدام الســلم الفولاذي الذي أقيم إلى جانبه، والذي يشتمل على ما يقارب خمسة وعشرين ألف درجة. وعندما وصلنا إلى القمة، وقفنا بجانب الشجرة التي تنتصب هنــاك طيلــة السنة ونحن نلهث كالسيد بلاك. وهناك اكتشفنا أن تلك الشجرة كانت أكبر مما تبدو عليه من الأرض. وبعدما تجاوزناها رأينا فسحة فارغة، فقام فينش بمد البساط فوقها، ثم تمددنا فوق البساط. وبعد أن تشابكت ذراعانا، سحبنا ما تبقــى مــن البساط لنغطي به جسدينا.

عندها قال لي: "انظري!". فرأيت أضواء بيضاء صغيرة ومساحات مظلمــة لأشجار قد امتدت تحتنا من كل الجوانب. فكما كانت في السماء نجوم، كــذلك كانت على الأرض نجوم، وكان من الصعب على المرء أن يحدد أين تنتهي السماء

وتبدأ حدود الأرض. كان المنظر رائعاً؛ بالرغم من أنني كنت أكره أن أعترف بذلك، ولهذا شعرت بالحاجة إلى التعبير عن ذلك بكلمات شاعرية وجزلة، إلا أن التعبير الوحيد الذي نطقت به كان: "يا له من منظر جميل!".

فقال لي: "إن كلمة جميل كلمة جميلة يجب أن يستخدمها المرء كثيراً". ثم مد يده نحو الأسفل ليغطي قدمي التي خرجت من تحت الغطاء، وهنا تابع كلامه قائلاً: "أشعر وكأنها قد خلقت من أجلنا".

في البداية، ظننت أنه يقصد الكلمة، ولكنني في ما بعد عرفت أنه يعني المدينة، ولهذا فكرت في سري: *أجل، إنها كذلك. فتيودور فينش يعرف دوماً كيف يعبر عما يريده، أكثر مما أعرف أنا، ولهذا يجب أن يكون هو الكاتب وليس أنا.* وهنا، شعرت للحظة واحدة بالغيرة من ذلك الدماغ الذي يحمله؛ وذلك لأن عقلي في تلك الأثناء بدا لي عادياً جداً.

وعند ذلك سمعته يقول لي: "إن مشكلة الناس تكمن في أنهم ينسون أن الأشياء الصغيرة هي التي تحدث فرقاً في معظم الأوقات، وذلك لأن الجميع منشغلون بالانتظار في زاوية الانتظار. ولكن، إذا توقفنا عن تذكر أماكن كبرج بورينا، ومناظر رائعة كهذا المنظر، فعندها لا بد أن حياتنا ستصبح أكثر سعادة".

ولسبب أجهله قلت له: "إنني أحب الكتابة، ولكنني أحب أشياء أخرى كثيرة. ولعل تلك الأشياء هي التي دفعتني لأبدع في الكتابة، ولعل الكتابة أكثر شيء أحبه على الإطلاق، ولعلها الشيء الذي يشعرني بأنني في بيتي، أو لعل الجزء المخصص للكتابة داخلي قد انتهى، ولعل هنالك شيئاً آخر داخلي ينبغي علي أن أمارسه بدلاً من الكتابة، لكنني لم أعرف حتى الآن ما هو ذلك الشيء".

فرد علي بالقول: "ثمة نهاية حتمية لكل شيء في هذا العالم، أليس كذلك؟ أعني أن مصباحاً كهربائياً بقوة مئة واط قد تم تصميمه ليبقى سبعمئة وخمسين ساعة، كما أن الشمس ستموت خلال خمسة مليارات سنة تقريباً، ثم إن لكل منا فترة محددة يبقى فيها على قيد الحياة، فمعظم القططة يمكنها أن تعيش لمدة خمسة عشر عاماً أو أكثر، في حين أن معظم الكلاب تعيش لتبلغ الثانية عشرة. أما متوسط عمر الإنسان الأمريكي فهو ثمانية وعشرون ألف يوم بعد الولادة، أي أن

هنالك سنة ويوماً وساعة محددة لا بد أن تنتهي فيها حياتنا. لقد كانت شقيقتك في الثامنة عشرة حين توفيت، ولكن إن كان على المرء أن يتجنب كل ما يهدد حياته من أمراض وحوادث، فلا بد له أن يعيش ليصل عمره إلى ألف وخمسة عشر عاماً".

قلت له: "إذاً، إن ما تقوله مفاده أنني قد وصلت إلى نهايتي المحتومة بالنسبة إلى الكتابة".

فرد علي: "إن ما أعنيه هو أن أمامك الوقت لتقرري ذلك". ثم ناولني دفتر الجولات الرسمي الخاص بنا مع قلم، وقال: "لمَ لا تكتبين الآن أشياء لا يمكن لأحد أن يطلع عليها؟ يمكنك أن تكتبي تلك الأشياء على قصاصة ورقية ثم تعلقيها على الحائط. وإنني أعرف أن هذه الفكرة قد لا تعجبك". ثم ضحك وهو يبتعد عني، ثم أتاني بهدية مؤلفة من مناديل من متجر بوكماركس وشمعة كان قد احترق نصفها، وعلبة كبريت، وإشارة مرجعية مخرمة غير متساوية الأطراف، وقد وضعنا كل تلك الأشياء ضمن وعاء بلاستيكي مسطح يستخدم لحفظ الطعام كان فينش قد أخذه من بيته وتركه في ذلك المكان ليجده من يأتي بعدنا إلى هناك. بعد ذلك، نهض ووقف عند الحافة حيث لا يوجد سوى سور معدني لا يتجاوز طوله طول ركبتيه ليحميه من السقوط على الأرض.

بعد ذلك، رأيته يرفع ذراعيه فوق رأسه بعدما ضم قبضتيه ثم صرخ: "افتحي عينيك وانظري إلي! ها قد وصلت إلى هنا!". ثم أخذ يصرخ ويتحدث عن كل الأشياء التي يكرهها والتي يريد أن يغيرها إلى أن بح صوته، بعد ذلك أخذ يومئ لي وهو يقول: "حان دورك".

فانضممت إليه ووقفت عند الحافة، لكنه كان قد بلغ نقطة أبعد من الموقع الذي وقفت عنده، وكأنه لا يكترث سواء أسقط من هناك أم لا. ولهذا، أمسكته من قميصه من دون أن يشعر، وكأن ذلك يمكنه أن ينقذ حياته. وبدلاً من النظر إلى الأسفل، أخذت أنظر إلى الأعلى، وأفكر في كل الأمور التي كنت أرغب في أن أصبح معبرة عنها، فقلت في سري: *إنني أكره هذه المدينة! أكره الشتاء! لماذا متِ؟* وكانت تلك الفكرة الأخيرة موجّهة إلى إليانور، ثم تابعت: *لمَ تركتني؟ لمَ فعلتِ هذا بي؟*

غير أنني قمت عوضاً عن ذلك بالوقوف في ذلك المكان والتمسك بقميص فينش، فنظر إليّ وأخذ يهز برأسه، وفجأة بدأ يغني من قصيدة الدكتور سيوس مرة أخرى، فأخذت أغني معه هذه المرة. وهكذا، أخذ صوتانا ينسابان مع الهواء ليصلا إلى المدينة الهاجعة.

ولدى توجهنا إلى بيتي بواسطة السيارة، كنت أرغب في أن يقبلني متمنياً لي ليلة سعيدة، لكنه لم يفعل ذلك، بل عاد إلى الشارع واضعاً يديه في جيبيه، بينما كانت عيناه مثبتتين عليّ. وعندها قال لي: "في الحقيقة يا فوق البنفسجية، أود أن أقول لك إنني متأكد من أنك لم تفشلي في الكتابة". قال ذلك وهو يهتف بصوت عالٍ حيث كان من الممكن لكل من في حينا أن يسمعه.

فينش

اليوم الثاني والعشرون وأنا ما زلت هنا

بمجرد أن مشينا باتجاه بيت والدي انتابني إحساس غريب. وهناك رحبت بنا روزماري ودعتنا إلى غرفة الجلوس، حيث كان جوش ريموند يجلس علـى الأرض ويلعب بحوامة تعمل على البطارية، فكانت تحلق وتصدر ضجيجاً. وهكذا، أخذنا أنا وكيت وديكا نحدق إليه، إلا أنني كنت أعرف أن الفكرة نفسها كان تـدور برؤوسنا نحن الثلاثة؛ ألا وهي أن الألعاب التي تعمل على البطارية تصدر صـوتاً عالياً للغاية، ثم إننا بعدما كبرنا اكتشفنا أن والدينا لم يسمحا لنا بالحصول على أية دمية تتكلم أو تطير أو تصدر أي صوت.

وهنا سألت كيت: "أين أبـي؟". وهي تنظر إلى الباب الخلفي، إلا أنني رأيـت منصب الشواء مغلقاً، فقلت: "لقد عاد إلى البيت بعد رحلة ترفيهية، أليس كذلك؟".

فردت علي روزماري: "لقد عاد يوم الجمعة، وهو الآن في القبو". غير أنهـا كانت منشغلة بتوزيع علب العصير علينا لنشربها من العلبة مباشرة، وفي ذلك دليل آخر على وجود أمر مريب.

عندها قلت لكيت: "سأذهب". إذ طالما أن أبـي في القبو، فهذا لا يعني سوى شيء واحد؛ وهو أن حالة من حالاته المزاجية- كما كانت أمي تسميها- قد انتابتـه، إذ كانت أمي تقول لي: *لا تهتم بما يفعله والدك يا تيودور، فهو يعاني من حالة مزاجية. لذا، ما عليك سوى أن تتركه لبعض الوقت ريثما يهدأ، وبعدها سيكون بخير.*

كان القبو مكاناً جميلاً بالفعل بعدما تم طليه وتغطيــة أرضـيته بالســجاد، وخاصة مع تلك المصابيح التي انتشرت في كل مكان فيه، ومع الكؤوس القديمــة التي حصل عليها أبــي لدى فوزه في مباريات الهوكي، ومع قميصه الذي وضــع في إطار والرفوف التي رصت فيها الكتب؛ بالرغم من أن القراءة لم تكــن مــن عادات والدي. هذا وقد علقت على مساحة جدار كامــل شاشــة مســطحة، فوجدت أبــي جالساً أمامها، وقد مد قدميه الضخمتين على طاولة القهوة، وأخذ يتابع مباراة ويصرخ أمام التلفاز. كان وجهه أحمر، وعروق رقبته ظاهرة، وكــان يحمل زجاجة شراب بإحدى يديه وجهاز التحكم عن بعد باليد الأخرى.

مشيت نحوه إلى أن أصبحت في مرمى بصره، فوقفت هناك واضعاً يــديّ في جيبيّ، وأخذت أحدق إليه إلى أن نظر إلي وقال: "يا إلهي! لا تتســلل لتتجســس على الناس هكذا!".

فقلت: "لم أقم بذلك. فلا بد لك أن تسمعني وأنا أنزل على الدرج مــا لم تكن قد فقدت سمعك في آخر أيامك. لقد أصبح العشاء جاهزاً".

فرد علي بقوله: "سأوافيكم بعد قليل".

فتقدمت منه إلى أن أصبحت أقف أمام الشاشة المسطحة، ثم قلت له: "عليك أن توافينا الآن، لأن عائلتك تنتظرك، ألا تتذكرنا؟ ألا تتذكر أبناءك من زوجتــك الأولى؟ لقد جئنا إليك، ونحن نحس بالجوع الآن، ولم نقطع كل تلــك المســافة لنجالس زوجتك الجديدة وابنها".

كان بوسعي أن أعد المرات التي تكلمت فيها مع والدي بهذه الطريقــة، إلا أنني كنت أشعر بأن فينش الحقير السحري هو الذي يتكلم، وذلك لأنني لم أكــن أهاب أبــي وقتها على الإطلاق.

فما كان من أبــي إلا أن ضرب بزجاجة الشراب علــى طاولــة القهــوة فتحطمت، ثم صرخ: "لا يحق لك أن تأتي إلى بيتي وتأمرني لأنفذ ما تريده مــني". بعد ذلك، قام عن الأريكة واندفع نحوي، ثم أمسك بذراعي وضــربني، ودفعــني باتجاه الحائط، فسمعت صوت ارتطام رأسي به، وفجأة أخذ كل مــا في الغرفــة يدور من حولي.

ولكن، كل شيء عاد إلى وضعه السابق بعد ذلك، ولهذا قلت له: "يجب أن أشكر ربـــي على نعمة الرأس اليابس". ثم صعدت الأدراج قبل أن يتمكن والدي من النيلمني مرة أخرى.

كنت قد جلست إلى مائدة العشاء قبل أن يصل والدي. وهكذا، إن مجـــرد رؤيته منظر عائلته الجديدة قد جعله يعود إلى رشده، حيث قال: "أشـــم رائحـــة زكية". ثم طبع قبلة على وجنة روزماري، وجلس قبالتي، وبعدها وضع منديلـــه، غير أنه لم ينظر إلي أو يحادثني طيلة الوقت الذي أمضيناه في تناول وجبة العشاء.

وفي السيارة عاتبتني كيت بقولها: "إنك غبي؛ لأنك تعـــرف أن بوســـعه أن يتسبب في دخولك إلى المشفى".

قلت لها: "فليفعل".

وحينما وصلنا إلى البيت، رفعت أمي رأسها عن مكتبها حيث كانت تحاول أن تراجع دفاتر الحسابات والكشوف المصرفية، ثم سألتنا: "كيف كان العشاء؟".

وقبل أن يتمكن أي منا من الإجابة، توجهت نحوها وعانقتها وقبلتها علـــى وجنتها؛ الأمر الذي جعل الذعر يدب في قلبها، لأننا لم نكن أسرة تحب أن تعـــبر عن عواطفها، وهذا ما دفعني إلى القول: "سأخرج".

فردت علي: "انتبه إلى نفسك يا تيودور".

هتفت: "أحبك يا أمي". وهذا ما زاد الشك في قلبها. ولكن قبل أن تشرع بالبكاء، كنت قد تجاوزت الباب لأصل إلى المرأب، ثم ركبت *الصغيرة*، وشـــعرت بتحسن عندما عمل المحرك، لكنني رفعت يديّ فوجدهما ترتجفان وذلك لأهمـــا- كما كل نقطة في جسدي- كانتا ترغبان بقتل والدي. فمنذ أن كنت في العاشرة من عمري وأنا أتذكر كيف تسبّب والدي بدخول والدتي إلى المشفى من جـــراء لكمة لكمها إياها على ذقنها، كما أنني ما زلت أتذكر كيف فعل بـــي الشـــيء ذاته بعد سنة واحدة من تلك الحادثة.

كان باب المرأب لا يزال مغلقاً، ومع ذلك جلست في الســـيارة ووضـــعت يدي على عجلة القيادة، وأخذت أفكر في مدى سهولة الأمر لو بقيت جالســـاً في ذلك المكان.

ثم أغمضت عينيّ، واضطجعت إلى الوراء، ووضعت يديّ في حضني.

لم أشعر وقتها سوى بالنعاس بعض الشيء، ولعل مرد ذلك الدوامة المظلمة التي كانت تدور بي ببطء، والتي كنت أحس بوجودها دوماً داخلي وحولي بدرجة ما، فتذكرت ما يلي:

لقد هبطت نسبة حالات الانتحار بعوادم السيارات في الولايات المتحدة منذ منتصف ستينيات القرن الماضي وذلك بعدما فرضت ضوابط على الغازات المنبعثة منها. إلا أن هذه النسبة قد تضاعفت في إنكلترا حيث لا توجد تلك الضوابط على تلك الغازات.

كنت أحس بهدوء كبير، وكأنني كنت في حصة العلوم أجري تجربة ما. أما صوت هدير المحرك فكان أشبه بأغنية تغنيها الأم لطفلها مهدهدة إياه قبل النوم، وهكذا أجبرت ذهني على عدم التفكير بأي شيء، وهذا ما كنت أفعله في الحالات النادرة التي كنت أحاول فيها النوم. لذا، وبدلاً من التفكير، أخذت أتخيل نفسي وأنا أطفو فوق مسطح مائي ساكن وهادئ، حيث لا يمكن سماع أي صوت لأي حركة فيه باستثناء صوت دقات قلبي داخل صدري. وهكذا قلت لنفسي إنه حين سيجدني أهلي سأبدو وكأنني نائم.

في عام 2013 انتحر رجل في ولاية بنسلفانيا بواسطة غاز أول أكسيد الكربون، ولكن حينما حاول أهله إنقاذه منعهم الدخان والأبخرة من ذلك، لدرجة أنهم ماتوا جميعاً قبل أن يتمكن فريق الإنقاذ من إنقاذهم.

أخذت أفكر بأمي وديكا وكيت، ثم نقرت على مفتاح الباب فانفتح، فانطلقت بالسيارة إلى تلك المنطقة البرية. وبعدما قطعت ميلاً أو أكثر شعرت بتحسن وبحماسة كبيرة، وكأنني كنت أجري نحو بناء يحترق وتمكنت من إنقاذ أرواح فيه. أجل، شعرت بأنني بطل حينها.

إلا أن صوتاً هتف في داخلي: *إنك لست بطلاً، بل أنت جبان، لأنك تقوم بإنقاذهم إرضاء لنفسك.*

***

حينما ساءت أموري منذ شهرين ركبت السيارة واتجهت إلى مكان يدعى فرينش ليك أما التسمية الأصلية فكانت سبرينغ سولت[1]، وهو مكان يشتهر بمنتجع المياه المعدنية الفاخر الموجود فيه، وبلاعب كرة السلة لاري بيرد، وبينابيع الاستشفاء.

وهكذا، ذهبت في شهر تشرين الثاني إلى ذلك المكان، وشربت فيه الماء، وانتظرت أن تعدل تلك المياه من حالة الدوار البطيئة والمظلمة التي كانت تعصف برأسي، فشعرت بتحسن في غضون ساعات؛ غير أن سبب ذلك هو أنني كنت قد رطبت جوفي. أتذكر أنني أمضيت ليلتي داخل السيارة، وحينما استيقظت في صباح اليوم التالي، شعرت بالكآبة وبإحساس قاتل، ثم وجدت أحد الشبان الذين يعملون في ذلك المكان فقلت له: "لعلي شربت النوع الذي لا يناسبني من الماء".

فالتفت يمنة ويسرة، كما يفعلون في الأفلام، ثم اقترب مني وقال: "أكنت تريد الذهاب إلى مودلافيا؟".

في بادئ الأمر ظننت أنه ثمل؛ إذ ما الذي يقصده بكلمة *مودلافيا*؟ إلا أنه قال لي بعد ذلك: "هناك يمكنك أن تحصد نتيجة حقيقية، إذ إن عصابة آل كابوني وديلينجر تذهب دوماً إلى هناك بعد قيامها ببعض السرقات؛ بالرغم من أنه لم يبق منها شيء سوى بعض الأطلال، فقد احترقت كلها عام 1920، غير أن مياهها لا تزال جارية بقوة ومتدفقة، ولذلك كلما شعرت بألم في مفاصلي توجهت إلى هناك".

إلا أنني لم أذهب إلى هناك، وذلك لأنني حين عدت من الفرينش ليك، كنت قد خسرت كل ما أملكه من مال، وانتهى الأمر عند ذلك الحد. وهكذا، لم أسافر إلى أي مكان آخر طيلة فترة طويلة بعد ذلك. لكنني توجهت نحو مودلافيا حالياً لأقوم بشيء شخصي وجدّي بعيداً عن التجول، ولهذا لم أحضر معي فيوليت.

استغرق الوصول إلى مدينة كريمير التي يقطنها ثلاثون نسمة، والتي تبعد عن ولاية إنديانا ساعتين ونصف الساعة. كانت الأرض والتضاريس من هناك أجمل مما تبدو عليه في بارتليت، إذ رأيت هناك تلالاً وودياناً وأشجاراً كثيرة، وبقي

---

(1) نبع الملح. (المترجمة)

ذلك المنظر يرافقني لأميال داخل المدينة. كما كان كل شيء يغطيه الثلج، وكـأن ذلك المنظر كان جزءاً من أعمال المصور نورمان روكويل.

كان المنتجع الحقيقي في ذهني يتمثل بمكان يمتد على طول خطوط المنطقة الوسطى، إلا أنني لم أجد سوى مساحات تغطيها أشجار بنية واهنة وخرائب، أما أبنيتها المهدمة والجدران التي تغطيها الكتابات والخربشات فكانت تعلوها الحشائش والنباتات المتعرشة، إذ حتى في الشتاء يمكن القول إن الطبيعة تمارس مهمتها في استرجاع ما ضاع منها.

اتخذت طريقي عبر ما كان يعرف بالفندق، حيث وجدت المطبخ والممرات وقاعات الزوار. كان ذلك المكان كالحاً ومخيفاً، وهذا ما ترك في نفسي إحساساً بالحزن. أما ما بقي من جدران قائمة فيه فقد كتبت عليها بالطلاء عبارات وشعارات منها:

حافظ على سلامة أعضائك

يرجى الالتزام بالجنون

اللعنة على كل من يقرأ هذا

ولذلك لم يبد ذلك المكان كمكان للاستشفاء، فخرجت منه وأخذت أسير بين أوراق الشجر والقاذورات والثلج بحثاً عن الينابيع، لأنني لم أكن أعرف مكانها بالضبط. وقد تطلب مني الأمر أن أقف واجماً لأصغي جيداً قبل أن أتخذ الوجهة الصحيحة.

أخذت أستعد لخيبة أمل جديدة، إلا أنني كنت قد عبرت بين الأشجار لأجد نفسي على ضفة جدول متدفق. كانت مياهه مفعمة بالحياة، ولم يكن سطحه قد تجمد. أما الأشجار فكانت ريانة أكثر من تلك التي رأيتها من قبل، وكأن تلك المياه كانت تغذيها. أخذت أسير مع الجدول إلى أن وصلت إلى سد مكون من الصخور، وهكذا بدأت أخوض في الماء إلى أن وصلت إلى منتصف الجدول، وكنت أشعر بالماء وهو يتدفق عند كاحلي، فانحنيت وكورت راحتيّ ثم شربت. كان الماء بارداً وعذباً ويخالطه شيء من الوحل، وبما أن ذلك لم يتسبب بموتي، شربت منه مرة أخرى، ثم ملأت زجاجة الماء التي جلبتها معي، وبعد ذلك غرزتها

في القاع الموحل لئلا يسحبها الماء أثناء تدفقه. ثم تمددت على ظهري في منتصف الجدول وتركت الماء يغمرني.

حينما كنت أتجه إلى البيت كانت كيت خارجة وقد أشعلت بيدها لفافة تبغ. وبما أن كيت كانت مستقيمة للغاية، فهي لم تكن تريد أن يعلم والداي أنها تدخن. ولذلك، كان من عادتها أن تنتظر إلى أن تصل إلى سيارتها بسلام ومن ثم تشعل لفافة تبغ وتقوم بتدخينها.

لكنني حينما رأيتها صاحت بي: "ماذا حدث مع تلك الفتاة التي أخبرتني عنها؟".

فقلت: "كيف عرفت أن هناك فتاة؟".

ردت: "بإمكاني أن أقرأ الإشارات. ما اسمها؟".

أجبت: "فيوليت ماركي".

سألتني: "وهي شقيقة تلك الفتاة، أليس كذلك؟".

فأجبت: "نعم".

سألتني: "هل ستعرفنا إليها؟".

فقلت: "ربما لا".

فردت: "يا ذكي!". ثم أخذت نفساً طويلاً من سيجارتها، وبعدها قالت: "ديكا فوق، وإنني أظن أحياناً أن وضع جوش ريموند يشق عليها كثيراً بما أنهما في العمر نفسه تقريباً". ثم نفثت ثلاث حلقات كاملة من الدخان، وسألتني: "هل سبق لك أن فكرت في ذلك؟".

سألتها: "فيمَ؟".

فردت: "في أن يكون ابن أبيك".

أجبتها: "نعم. لكنني أستبعد ذلك لأنه حجمه صغير للغاية".

فقالت: "لكن حجمك بقي صغيراً إلى أن صرت في الصف التاسع. والآن انظر كيف صرت يا ساق الفاصولياء".

بعد ذلك اتجهت كيت إلى الممر، أما أنا فتوجهت نحو المنزل، وحينما كنت أغلق الباب سمعتها تنادي عليّ: "ثيو"، فالتفت نحوها ورأيتها واقفة بجانب سيارتها.

لم أر منها سوى حدود جسمها تحت جنح الظلام، وعندها هتفت بـــي: "عليك فقط أن تكون حذراً أيها المقدام".

وهكذا، سمعت مرة أخرى عبارة: *عليك أن تكون حذراً.*

وفي الطابق العلوي، تجاسرت على الدخول إلى غرفة ديكا المليئة بالأشياء المرعبة، وذلك لأتأكد من أنها بخير. كانت غرفتها كبيرة جداً، تتناثر فيها ملابســـها وكتبـــها وكل الأشياء الغريبة التي كانت تجمعها من سحال وخنافس وأزهار وأغطية زجاجات فارغة، وأكوام من أغلفة السكاكر، ودمى من ماركة أمريكان غيرل والتي كانت قــد هجرتها منذ أن كانت في السادسة وأخذت تكبر لتصبح ناضجة وبالغة. وكانت لكل دمية غرز عند ذقنها، كتلك الغرز الموجودة على ذقن ديكا بعدما نقلوها إلى المستشفى إثر حادث تعرضت له في الملعب. أما أعمالها الفنية فكانت تغطي كــل إنــش مــن مساحة الجدار إلى جانب إعلان وحيد لعرض فرقة بوي باريد.

دخلت فوجدتها تجلس على الأرضية وتقص كلمات من كتب كانـــت قــد جمعتها من مختلف أنحاء البيت، ومن بينها الروايات الرومانسية التي كانت لــدى أمي. سألتها إن كان لديها مقص آخر، فأشارت إلى مكتبها من دون أن تنظر إلي، وهناك وجدت ما يقارب ثمانية عشر مقصاً، بعضها كان قد فقد منذ سنوات من درج المطبخ. وهكذا اخترت مقصاً ذا مقبض أرجواني وجلســت علــى الأرض قبالتها، وأخذ كل منا يهز بركبتيه.

قلت لها: "أخبريني، ما هي القواعد التي تتبعينها هنا؟".

فناولتني كتاباً بعنوان: *عشقه المظلم المحرم*، وقالت: "استخرج الأجزاء الحقيرة والكلمات النابية".

وهكذا أخذنا نقوم بذلك لمدة نصف ساعة أو أكثر، مــن دون أن ننــبس بكلمة؛ إذ اقتصر الأمر على قص الكلمات. وبعد ذلك، بدأت أحــدّثها حــديثاً أخوياً فيه الكثير من التشجيع وذلك لأنه كان يدور حول الفكرة التي توحي بــأن الحياة ستصبح أفضل، وأن الحياة لا تقتصر فقط على الأوقات العصيبة والأشخاص المزعجين، بل ثمة أيام مشرقة فيها أيضاً.

فما كان منها إلا أن قالت لي: "يجب أن نقلل من الكلام".

وهكذا تابعنا عملنا بصمت، إلى أن قطعته بسؤالي: "ماذا عن الكلمات التي لا يمكن أن نصفها بالحقارة، لكنها ليست جميلة؟".

عندها توقفت عن القص لتفكر في الأمر، ثم ابتلعت ريقها، وأبعدت جزءاً من شعرها عن وجهها، وبعد ذلك نفخت ما تبقى منه وقالت: "سنقصها أيضاً".

أخذت أركز على الكلمات، فأصبحت أجد واحدة هنا، وواحدة هناك، وجملة هنا، وفقرة هناك، وصفحة كاملة هنا، وسرعان ما أصبحت أمامي كومة من الكلمات النابية والقبيحة التي تركتها تتجمع بجانب فردة حذائي، فما كان من ديك[1] إلا أن أمسكت بتلك القصاصات وجذبتها نحوها وأضافتها إلى كومتها. وعندما فرغت من الكتاب الذي كان بين يديها رمت به جانباً، وعندها فهمت غايتها: إذ كانت تريد الأجزاء القبيحة، أي كانت تقوم بجمع كل الكلمات الكئيبة والمجنونة والسيئة والقبيحة لتحتفظ بها لنفسها.

ولهذا سألتها: "لماذا تقومين بذلك يا ديك؟".

فأجابت: "لأن هذه الكلمات يجب ألا تختلط بالكلمات الجيدة، لأن في ذلك ما يجعل المرء في حيرة".

عندها أدركت بطريقة ما ما كانت تعنيه، فخطرت ببالي صحيفة *بارتليت ديرت* بكل ما فيها من كلمات نابية، ولا أقصد بذلك ما وصفوني به، بل كل تلك الكلمات التي وصف بها كل طالب يتميز عن غيره. ولهذا كان من الأفضل الاحتفاظ بالكلمات الحزينة والمجنونة والسيئة والقبيحة بمعزل عن الكلمات الأخرى حيث يمكن للمرء أن يراها ويتأكد من أنها لن تفاجئه حينما لا يتوقع ظهورها.

وحينما فرغنا من كل ذلك، ذهبت ديكا لتبحث عن كتب أخرى، فأمسكت بالكتب التي رمتها، وأخذت أفتش بين الصفحات إلى أن وجدت الكلمات التي كنت أبحث عنها، فقمت بقصها ووضعها على وسادتها، حيث كتبت لها بتلك الكلمات عبارة: *اجعليها جميلة*. ثم أخذت الكتب المقصوصة منها بعض الكلمات والتي لم تكن تريدها وأنزلتها معي إلى الصالة.

---

(1) تصغير لاسم ديكا. (المترجمة)

وفي غرفتي، كان هنالك شيء مختلف ينتظرني.

وقفت عند عتبة الباب محاولاً اكتشاف ذلك الشيء بالضبط، فطالعتني الجدران الحمراء، وغطاء السرير الأسود، وخزانة الأدراج، والمكتب والكرسي والتي كانت جميعها في مكانها. ولكن قد يكون رف الكتب ممتلئاً بالكثير من الكتب. أخذت أعاين الغرفة من المكان الذي كنت أقف فيه، لأنني لم أكن أرغب في دخولها إلا بعد أن أعرف الشيء الغريب الذي كان فيها. كانت آلات الغيتار الخاصة بي في المكان الذي تركتها فيه، أما النوافذ فكانت عارية لأنني كنت أكره الستائر.

بدت غرفتي كما كانت عليه في صبيحة ذلك اليوم، لكنني شعرت باختلاف شيء ما فيها؛ وكأن أحداً ما قد زارها وغير مواقع الأشياء. اجتزت الغرفة ببطء، وكأن أحدهم سيقفز أمامي فجأة، ثم فتحت باب خزانتي وأنا أتوقع أنني سأكتشف فيها الصورة الحقيقية والصحيحة لغرفتي.

وهنا قلت لنفسي:

إن كل شيء على ما يرام

ثم إنك بخير.

بعد ذلك، دخلت الحمام وخلعت ملابسي، ثم وقفت تحت المياه الساخنة للغاية، وبقيت واقفاً تحتها إلى أن أصبح لون بشرتي أحمر ونفدت المياه الساخنة، وعندها غطيت جسمي بمنشفة وكتبت عبارة: ***يجب عليك أن تكون حذراً فقط*** على المرآة التي غطاها البخار، ثم خرجت إلى الغرفة لأعيد النظر إليها من زاوية مختلفة. كانت الغرفة كما تركتها، ولهذا ظننت أن الغرفة لم تختلف بشيء بل ربما أنا من أصبح مختلفاً.

دخلت الحمام مرة أخرى، فعلقت المنشفة ورميت بقميصي وسروالي التحتي، ثم لمحت نفسي في المرآة الموضوعة فوق المغسلة والتي بدأت تصفو فاختفت العبارة التي كتبتها عليها مخلفة شكلاً بيضاوياً كان كافياً لأرى فيه عينين زرقاوين، وشعراً أسود مبللاً وبشرة بيضاء، فاقتربت ونظرت إلى نفسي، وشعرت بأن تلك الصورة المنعكسة لم تكن لي بل لشخص آخر.

جلست على سريري، وأخذت أقلب بين صفحات الكتب التي قامت أختي بقصها كتاباً إثر كتاب، حيث قرأت جميع الفقرات التي لم تقم ديكا بقصها، فوجدتها سعيدة وجميلة ومضحكة ودافئة، ولهذا أردت أن أحيط نفسي بتلك الكتب، فمزقت بعضاً من بين أفضل السطور وألطف الكلمات ومنها كلمة: (سيمفونية) و(أبدي) و(ذهب) و(صباح)، وعلقتها على الحائط، فتداخلت مع كلمات أخرى مكونة خليطاً من الألوان والأشكال والأمزجة.

سحبت اللحاف لألف به نفسي وأشده علي قدر الإمكان، حيث لا يمكنني أن أنظر إلى الغرفة بعد ذلك، ثم استلقيت على سريري كمومياء، وكنت بذلك أحاول أن أحافظ على الدفء والنور كي لا يتسربا مني. إلا أنني مددت يدي عبر الفتحة وأمسكت بكتاب آخر، ثم آخر، وأخذت أسأل نفسي: لم لا تكون الحياة هكذا؟ لم لا تحتوي فقط إلا على الأجزاء السعيدة، وتختفي منها الأشياء السيئة بل حتى قليلة البشاعة؟ وماذا سيحدث لو كان بإمكاننا أن نقص الأجزاء السيئة ونحتفظ بالجميلة منها؟ هذا ما كنت أريد أن أفعله مع فيوليت؛ إذ كنت أريد أن أعطيها أجمل ما عندي، وأن أحتفظ بالسيئ لنفسي، حيث لا يغمرنا إلا كل ما هو جميل.

فيوليت

اليوم 138 قبل الرحيل

الزمان: ليلة الأحد، المكان: غرفتي.

أخذت أقلب بين أوراق دفترنا، وأعني بذلك دفتري أنا وفينش، ثم أمسكت القلم الذي أعطاني إياه، وبعدها وجدت صفحة فارغة. تذكرت أن متجر بوكماركس وبرج بورينا ليسا جزءاً من جولاتنا الرسمية، إلا أن هذا لا يعني ألا نكتب أي شيء يذكرنا بهما، فكتبت:

نجوم في السماء ونجوم في الأرض، لذا من الصعب أن تحدد أين تنتهي حدود السماء وتبدأ حدود الأرض. أشعر بحاجة إلى التعبير عن ذلك بكلمات شاعرية وجزلة، إلا أن الشيء الوحيد الذي توصلت إليه هو عبارة: "يا له من منظر جميل!".

فقال لي: "إن كلمة جميل كلمة جميلة يجب أن يستخدمها المرء كثيراً".

بعد ذلك خطرت لي فكرة، فتوجهت إلى مكتبي الذي وضعت فوقه لوحة ملاحظات ضخمة كنت قد علقت عليها صوراً بالأبيض والأسود لكتاب أثناء قيامهم بعملهم، وهكذا قمت بإنزال تلك اللوحة وأخذت أبحث في مكتبي إلى أن عثرت على رزمة من الأوراق اللاصقة ذات الألوان المشرقة، فكتبت على إحداها كلمة: ***جميل***.

وبعد مرور نصف ساعة، عدت إلى الوراء ونظرت إلى اللوحة، فوجدت أنني قد ملأتها بالشذرات؛ بعضها كلمات أو جمل يمكنها أن تتحول إلى أفكار تنسج

حولها قصص. وبعضها الآخر لا يمكنه أن يتحول إلى ذلك. كان بعض تلك الأوراق التي ألصقتها يشتمل على سطور أحببتها من كتب معينة. وفي العمود الأخير خصصت قسماً لمجلة إلكترونية جديدة بلا اسم، وفوق ثلاث ورقات منفصلة كنت قد ألصقتها تحت ذلك القسم كتبت: ***منير، حب، حياة***، إلا أنني لم أكن أعرف ما تمثله تلك الكلمات. أهي فئات أم مقالات؟ أم هي مجرد كلمات لها جرس محبب في أذني؟

لكنني لم أكتف بذلك، لذا التقطت صورة لكل ما قمت به وأرسلتها إلى فينش وكتبت له: **انظر إلى ما جعلتني أفعله**، وبقيت أتحقق إن كان قد وصلني أي رد منه كل نصف ساعة، واستمر الوضع كذلك إلى أن حان موعد نومي من دون أن أسمع منه أية كلمة.

فينش

الأيام: 23، 24، 25...

كانت ليلة البارحة أشبه بلغز محير لم أتمكن من ترتيب تفاصيله ووضعها مع بعضها ضمن حكاية واحدة، إذ كانت جميع الأجزاء متناثرة في كل مكان، وبعضها كان مفقوداً، وكنت أود لو لم يكن قلبي يخفق بتلك السرعة.

أخرجت الكتب مرة أخرى وقرأت الكلمات الجميلة التي تركتها ديكا، غير أنها كانت تتحول إلى كلمات غير واضحة فوق الصفحات، لدرجة أنني لم أستطع فهم معناها، بعد ذلك لم أعد قادراً على التركيز.

ثم شرعت بالتنظيف والترتيب، حيث نزعت كل ملاحظة كنت قد كتبتها إلى أن أصبح الحائط خالياً، ثم وضعتها كلها في كيس المهملات، إلا أنني لم أكتف بذلك، لذا قررت أن أطلي الحائط لأنني ضجرت من اللون الأحمر الذي يغطي جدران غرفتي، وذلك لأن اللون قاتم ويسبب لي انقباضاً في الصدر، ثم قلت لنفسي: *هذا ما أحتاج إليه بالضبط؛ أحتاج إلى تغيير في المشهد، لأن هذا ما يجعل حال الغرفة سيئاً.*

ركبت السيارة وذهبت إلى أقرب متجر لبيع الخردة، واشتريت كتاباً لتعليم المبتدئين وعشرة غالونات من الطلاء الأزرق لأنني لم أكن أعرف عدد الغالونات التي أحتاج إليها لطلاء الغرفة.

* * *

احتاجت الجدران إلى طبقات كثيرة من الطلاء كي تختفي آثار اللون الأحمر، إذ كان اللون الأحمر يرشح كلما طليت طبقة جديدة، وكأن الجدران تنزف دماً.

وبحلول المساء لم يكن الطلاء قد جف بعد، ولهذا حملت اللحاف الأسود ورميته خلف خزانة الملابس الموجودة في الصالة، ثم بحثت إلى أن وجدت لحافاً قديماً بلون أزرق يعود إلى أختي كيت، فنشرته فوق سريري، ثم فتحت النوافذ، وسحبت سريري إلى وسط الغرفة، وبعدها نزلت تحت الغطاء ونمت.

وفي اليوم التالي أخذت أطلي الجدران مجدداً، حيث استغرق الأمر يومين إلى أن استوعبت الجدران اللون الجديد الذي كان أزرق مشرقاً وناصعاً بلون مياه بركة السباحة. استلقيت على سريري وأنا أحس براحة أكبر، وكأنه أصبح بمقدوري أن ألتقط أنفاسي، ولهذا قلت لنفسي: *إننا نتحدث الآن، أجل.*

كان السقف هو الجزء الوحيد الذي تركته من دون أن أطليه بالأزرق، وذلك لأن الأبيض جزء من أمواج الطيف المرئية عندما تكون بحالة سطوع كامل. حسناً، إن هذا ينطبق من الناحية العملية على الضوء الأبيض وليس على الطلاء الأبيض، ولكن هذا لا يهمني، ولهذا أخذت أقنع نفسي بأن جميع الألوان موجودة هناك على أي حال، فخطرت ببالي فكرة، وقررت أن أكتب ذلك على شكل أغنية، لكنني قمت عوضاً عن ذلك بتسجيل الدخول إلى الحاسوب وأرسلت رسالة إلى فيوليت قلت فيها: **إن فيك جميع الألوان بكامل سطوعها وإشراقها.**

فيوليت

الأيام 135، 134، 133 قبل الرحيل

تغيّب فينش عن المدرسة أسبوعاً كاملاً، فأخذ البعض يقولون عنه إنه قد علّق دوامه، بينما قال آخرون إنه تناول جرعة زائدة من المخدرات ونقل إلى مركز لإعادة التأهيل، وهكذا انتشرت الإشاعات بأساليب قديمة كالهمز واللمز والرسائل النصية، وذلك لأن المدير فيرتس كان قد اكتشف أمر صحيفة *بارتليت ديرت* وقام بإغلاقها.

الزمان: يوم الأربعاء، الحصة الأولى.

تخليداً لذكرى الفقيدة ديرت، أخذت جوردان غريبينوالديت توزع السكاكر التي توزع في الحفلات، فوضع تروي ساتيرفيلد مصاصتين في فمه وأخذ يقول لي: "أين حبيبك يا فيوليت؟ ألا يجدر بك أن تكوني معه لتحرسيه وتمنعيه من الانتحار؟". ثم بدأ يضحك مع أصدقائه. وقبل أن أتفوه بأي كلمة؛ انتزعت جوردان المصاصتين من فمه وألقت بهما في سلة القمامة.

يوم الخميس، التقيت شارلي دوناهيو في المكان المخصص لركن السيارات بعد الحصة الأخيرة، فأخبرته بأني أعمل مع فينش على مشروع دراسي، وبأني لا أعرف عنه أي شيء منذ بضعة أيام، إلا أنني لم أسأله إن كانت الإشاعات صحيحة؛ بالرغم من أنني كنت أريد أن أتحقق من ذلك.

فما كان من شارلي إلا أن قذف كتبه إلى المقعد الخلفي لسيارته وقال لي: "إن ذلك من عادته، فهو يأتي ويذهب حينما يحلو له". ثم خلع سترته ورماها فوق

الكتب وقال: "لا بد لك أن تعرفي أنه نذل كبير ومزاجي".

ثم أتت بريندا شانك- كرافيتس ومرت من أمامنا ثم فتحت باب الركاب، وقبل أن تصعد قالت لي: "تعجبني نظارتك". فعرفت أنها كانت تعني ما تقوله، ولذلك قلت لها:

"أشكرك، إنها نظارة أختي".

فبدت لي وكأنها كانت تفكر في الأمر، ومن ثم هزت رأسها موافقة.

وفي صباح اليوم التالي، وبينما كنت في طريقي لحضور الحصة الثالثة رأيته في الممر، أجل لقد كان تيودور فينش هناك، وبدا لي مختلفاً فقط؛ لأنه كان يعتمر قبعة بائسة منسوجة بخيوط حمراء اللون، ويرتدي سترة سوداء مهلهلة، وبنطال جينز، وقفازين أسودين بلا أصابع، وينتعل حذاء رياضياً، فقلت لنفسي: *إنه فينش المتشرد، فينش الهارب*. كان يستند على خزانة وقد ثنى إحدى ركبتيه، وأخذ يتحدث إلى تشاميلي بيلك-كوبتا، وهي طالبة في السنة الأولى في قسم المسرح، وبدا أنه لم ينتبه إلى وجودي حينما مررت به.

عندما بدأت الحصة الثالثة، قمت بتعليق حقيبتي فوق كرسيي، وأخرجت منها كتاب حساب التفاضل والتكامل، ثم سمعت السيد هيتون يقول: "لنبدأ بحل الوظيفة". إلا أنه ما إن نطق بتلك الكلمات حتى بدأت صفارة الإنذار من الحريق بالزعيق، ولهذا جمعت أشيائي وهرعت مع الجميع إلى خارج الصف.

وهناك سمعت صوتاً من خلفي يهتف لي: "وافيني في المكان المخصص لركن سيارات الطلاب". فالتفتت إلى الوراء ووجدت فينش واقفاً خلفي وقد وضع يديه في جيبيه، ثم مشى وكأنه لا يمكن لأحد أن يراه، وكأنه لم يكن حولنا مدرسون وإداريون بمن فيهم المدير فيرتس الذي كان يصرخ وهو يتحدث عبر هاتفه.

ترددت ثم بدأت أجري، فأخذت الحقيبة تضرب مؤخرتي، وقد كنت خائفة من أن يلحقني أحد، إلا أن الأوان كان قد فات على العودة لأنني كنت أركض. وهكذا ركضت إلى أن لحقت بفينش، ثم ركضنا بشكل أسرع ولم نسمع صوت أي كان وهو ينادي علينا ويطلب منا أن نتوقف ونعود إلى حيث كنا. عندها، شعرت بالخوف وبالحرية في آن معاً.

أخذنا نجري فقطعنا الشارع العريض الذي يمر أمام القسم الأمامي للمدرسة، ويمتد على طول الطريق المشجر الذي يفصل المرأب الرئيس عن النهر الذي يقسم المدينة إلى قسمين. وحينما أخذنا استراحة بين الأشجار أمسك فينش بيدي فقلت له: "إلى أين نتجه؟". وكنت حينها أتنفس بصعوبة.

فرد علي: "إلى هناك، لذا كوني هادئة، فأول من يصدر صوتاً بيننا سيعود أدراجه راكضاً وعارياً إلى المدرسة".

مكتبة الرمحي أحمد

سألته: "كيف سيجري؟".

فرد: "سيجري عارياً، وهذا ما تعنيه هذه الكلمة بالضبط[1]، بل ذلك هو التعريف الدقيق لتلك الكلمة".

تسللت نحو السد بينما كان فينش يسير في المقدمة من دون أن يصدر عنه أي صوت، في محاولة منه لجعل الأمر في غاية السهولة. وحينما وصلنا إلى ضفة النهر، أشار بيده إلى وسطه، لكنني في البداية لم أدرك ما كان يحاول أن يريني إياه، ثم تحرك شيء ما فلفت نظري. كان طائراً بطول ثلاث أقدام، له عرف أحمر ورأس أبيض، أما بقية جسمه فكان بلون رمادي يشبه لون الفحم. أخذ ذلك الطائر يخوض في الماء، ثم بدأ ينقر الأرض عند الضفة المقابلة، وبعد ذلك أخذ يختال في مشيته كالمغرور.

وهنا سألته: "ما اسم هذا الطائر؟".

فأجاب: "الكركي المتوج، وهو الوحيد من نوعه في إنديانا، ولعله الوحيد من نوعه في كامل الولايات المتحدة؛ إذ ينتقل في الشتاء إلى آسيا، أي يبتعد عن موطنه مسافة تقارب سبعة آلاف ميل".

سألته: "كيف عرفت أنه موجود هنا؟".

فأجاب: "حينما ينفد صبري في بعض الأحيان هناك..." وأخذ يشير باتجاه الثانوية، ثم تابع: "آتي إلى هنا. آتي أحياناً لأمارس رياضة السباحة، وفي أحيان أخرى أكتفي بالجلوس هنا، وقد مضى أسبوع تقريباً وأنا أرى هذا الطائر يتسكع هنا، لذا كنت أخشى أن يكون مصاباً بجروح".

---

(1) الكلمة المقصودة هنا هي: Streak. (المترجمة)

قلت: "إنه تائه".

فرد علي: "مممم... انظري إليه!". كان الطائر يقف في الأماكن الضحلة، ثم أخذ ينقر الماء، وبعدها أخذ يخوض في عمق الماء، ويضرب الماء حوله بجناحيه، فذكّرني ذلك المنظر بشكل الطفل في بركة السباحة، ثم سمعت فينش يقول لي: "أرأيت يا فوق البنفسجية؟ إنه يتجول".

تراجع فينش إلى الوراء ليحمي عينيه من أشعة الشمس التي أخذت تتسلل عبر أغصان الأشجار، فسمعت صوت طقطقة حينما داس بقدمه فوق غصن صغير، وما كان منه إلا أن همس قائلاً: "تباً".

فقلت له: "أوه، يا إلهي! هل هذا يعني أنه يتوجب عليك الآن أن تعود أدراجك إلى المدرسة هرولة وأنت عارٍ؟". عندها، بدا لي منظر وجهه مضحكاً للغاية لدرجة أنني لم أتمكن من منع نفسي من الضحك.

لكنه تنهد، وأحنى رأسه بانهزام، ثم خلع سترته وحذاءه وقبعته وقفازيه، ثم بنطاله بالرغم من أن الطقس كان مثلجاً. وكان يناولني ثيابه قطعة قطعة إلى أن أصبح يقف أمامي بسرواله التحتي فقط، فقلت له: "عليك أن تخلع هذا أيضاً يا تيودور فينش، لأنك أنت من استخدم مصطلح "الجري بلا ثياب"، وأنا أعرف بأن هذا المصطلح ينطوي على تعرٍّ كامل، كما أنني أعرف أن هذا هو التعريف الصحيح لهذا المصطلح بالضبط".

فابتسم من دون أن تبتعد عيناه عن عينيّ، ثم خلع سرواله التحتي، وهنا شعرت بالدهشة لأنني لم أكن أعتقد أنه سيقوم بذلك. ثم وقف أمامي، فكان أول شاب يقف أمامي مباشرة وهو عارٍ، ولم يبدُ عليه أنه يعي ما كان يقوم به ولو للحظة. كان طويل القامة ونحيلاً، إلا أن عينيّ أخذتا تتابعان العروق الزرقاء الرفيعة التي بدت في ذراعيه، وشكل عضلات كتفيه ومعدته وساقيه، أما الندبة التي كانت وسط جسمه فكانت أثراً لجرح بلون أحمر فاتح.

وهنا قال لي: "تأكدي أن هذا سيكون أكثر متعة إن كنت عارية أيضاً". ثم غطس في النهر، فكان ماهراً في ذلك لدرجة أنه بالكاد أزعج الكركي بغطسته تلك. ثم أخذ يقطع النهر بضربات واسعة كأي سباح أولمبي. أما أنا فجلست على الضفة أراقبه وهو يسبح.

أخذ يسبح حتى صار بعيداً وبدا لي كصورة ضبابية، فأخرجت دفترنا وكتبت عن الكركي المتجول وعن شاب كان يعتمر قبعة حمراء ثم أخذ يسبح في فصل الشتاء. كنت قد فقدت الإحساس بالزمن، لذا حينما رفعت رأسي مرة أخرى وجدت أن فينش قد اتجه نحوي، وكان يعوم على ظهره، أما ذراعاه فكانتا مطويتين خلف رأسه، وعندها قال لي: "عليك أن تأتي".

فقلت: "يكفي، إذ من الأفضل ألا أصاب بهبوط في درجة حرارة جسمي".

قال لي: "تعالي يا فوق البنفسجية المتميزة، فالمياه رائعة".

سألته: "ماذا أسميتني؟".

فأجاب: "فوق البنفسجية المتميزة، جرّبي مرة ومرتين...".

فقلت له: "أنا مرتاحة هكذا".

فرد علي بالقول: "حسناً". ثم أخذ يسبح باتجاهي إلى أن أصبح الماء يغمره حتى خصره.

وهنا سألته: "أين كنت هذه المرة؟".

فأجاب: "كنت أقوم بعملية إعادة ترتيب". ثم أخذ يغرف الماء بيديه وكأنه يحاول أن يمسك شيئاً ما، وعندها توقف طائر الكركي في مكانه في الطرف المقابل لنا وأخذ يراقبنا.

سألته: "هل عاد والدك إلى المدينة؟".

وهنا بدا لي أن فينش قد أمسك بكل ما كان يبحث عنه، ثم أخذ يتفحص يديه اللتين كورهما وذلك قبل أن يفتحهما ويقول: "أجل، لسوء الحظ".

في ذلك الوقت لم أعد أسمع صوت صفارة إنذار الحريق، لذا أخذت أتساءل عما إذا كان الجميع قد عادوا إلى الداخل أم لا؛ لأنهم إن عادوا فسأعتبر حينها متغيبة. لذا، كان علي أن أقلق أكثر مما أنا قلقة حيال ذلك، ولاسيما بعدما وُضِعت سابقاً رهن الاحتجاز، إلا أن كل ما فعلته بدلاً من ذلك هو الجلوس عند ضفة النهر.

أخذ فينش يسبح باتجاه الشاطئ، ثم عاد سيراً إليّ، لذا حاولت ألا أمعن النظر إلى جسده العاري الذي كان يقطر منه الماء. وهكذا، أخذت أراقب طائر الكركي

والسماء وأي شيء آخر ما عداه، فضحك ثم قال لي: "لا أعتقد أن لديك منشفة في تلك الحقيبة الكبيرة التي تحملينها معك".

فأجبته: "كلا".

فما كان منه إلا أن جفف جسده بسترته، ثم أخذ ينفض الماء عن شعره كالكلب؛ لدرجة أن قطرات الماء تناثرت ووصلت إليّ. وبعد ذلك ارتدى ثيابه، وحينما فرغ من ذلك وضع قبعته في جيبه الخلفي وأخذ يمسد شعره مبعداً إياه عن وجهه.

عندها قلت له: "علينا أن نعود إلى الصف". فانتبهت إلى شفتيه اللتين أصبحتا زرقاوين، لكنه لم يكن يرتجف قطّ.

ثم خاطبني قائلاً: "لدي فكرة أفضل من فكرتك، أتحبين أن تسمعيها؟". ولكن، قبل أن يتمكن من إخباري عنها نزل كل من ريان والمتسكع وجو فيات إلى السد، فقال فينش وهو يتميز من الغيظ: "عظيم".

تقدم ريان نحوي وقال: "لقد رأيناكما وأنتما تهربان أثناء انطلاق إنذار صفارة الحريق".

ثم نظر المتسكع إلى فينش نظرة اشمئزاز وقال: "هل هذا جزء من مشروع الجغرافيا؟ وهل تتجولان في قاع النهر، أم تتجولان مع بعضكما؟".

فهتفت: "ارتقِ بفكرك أيها المتسكع".

عندها، أخذ ريان يفرك ذراعي وكأنه يحاول تدفئتي، ثم قال: "هل أنت بخير؟".

فأبعدت يديه عن ذراعي وقلت: "بالطبع أنا بخير، وليس هناك أي داعٍ لتتفقد أحوالي".

عندها هتف فينش: "إنني لم أخطفها؛ إن كان ذلك ما يثير قلقك".

فقال المتسكع: "هل سألك عن ذلك؟".

فنظر فينش إلى المتسكع من عل، إذ كانت تفصله عنه ثلاثة إنشات أو أربعة، ثم قال: "كلا، لكنني كنت أتمنى لو أنك فعلت".

فصرخ فيه المتسكع: "أيها الشاذ".

فصرخت في وجهه: "ابتعد أيها المتسكع". وكان قلبي يخفق بعنف لأنني لم أكن أدري ما الذي سيحدث أمامي، لذلك قلت: "أنت لا يهمك ما قاله، لأنك تبحث فقط عن أي شجار". ثم خاطبت فينش قائلة: "لا تزد الطين بلة".

غير أن المتسكع قام إليه وقال: "لم أنت مبلل بالماء من رأسك وحتى أخمص قدميك؟ لا تقل لي إنك قررت أخيراً أن تستحم بعد كل هذا الوقت".

فرد عليه فينش: "كلا يا رجل، لأنني أجلت تلك العملية إلى أن ألتقي أمك في ما بعد".

عندها، هجم المتسكع على فينش، فتدحرج كلاهما إلى الضفة ومن ثم إلى الماء، أما جو وريان فوقفا يتفرجان، فهتفت بريان: "افعل شيئاً".

فرد علي بقوله: "إنني لم أفتعل ذلك الشجار".

فقلت: "إذاً، افعل أي شيء".

دار المتسكع وضرب فينش على وجهه ضربة مجلجلة، ثم دار مرة ثانية وثالثة، فضرب بقبضته فينش على فمه، ثم أنفه، ثم أضلاع صدره. ولم يكن فينش يرد الضربات في البداية، ولكنه بعد ذلك أخذ يلوي ذراع المتسكع خلف ظهره، ثم دفع رأس هذا الأخير في الماء وأبقاه هناك.

فقلت له: "اتركه يا فينش".

بدا لي وكأنه إما لم يسمعني أو لم يكن يصغي إلي. عندها، أخذ المتسكع يضرب الأرض بساقيه، فأمسك ريان فينش من ياقة سترته السوداء ومن ثم من ذراعه وأخذ يسحبه منادياً: "ساعدني يا فيات".

وهنا صرخت قائلة لفينش: "اتركه!". فنظر إليّ وبدا لي للحظات وكأنه لا يعرفني، فصرخت في وجهه مجدداً وكأنني أصرخ على كلب أو طفل صغير: "اتركه!".

وهكذا تركه، ثم اعتدل في جلسته وأمسك بالمتسكع ورمى به نحو ضفة النهر، حيث استلقى هذا الأخير وأخذ يسعل ليخرج الماء من جوفه.

عندها، أخذ فينش يمشي نحو أعلى التلة، وسار متجاوزاً ريان وجو وأنا أيضاً، وكان وجهه أحمر بلون الدم، إلا أنه لم ينتظر أحداً و لم ينظر إلى الخلف.

لم أزعج نفسي بالعودة إلى المدرسة، وذلك لأن الضرر كان قد حل. ولأن أمي لم تكن تتوقع وصولي إلى البيت في ذلك الوقت، تسللت إلى المرأب، وفتحت قفل ليروي، ثم ركبتها ومضيت نحو الجانب الشرقي للمدينة. أخذت أدخل عبر شارع وأخرج من آخر إلى أن وصلت إلى المبنى القرميدي المؤلف من طابقين والذي كان يعود إلى الحقبة الاستعمارية، والذي كتب على صندوق بريده: فينش.

طرقت الباب ففتحت لي فتاة ذات شعر أسود طويل، وهتفت: "مرحباً". وكأنها لم تفاجأ بقدومي، ثم قالت لي: "لا بد أنك فيوليت، وأنا كيت".

كانت تأسرني دوماً فكرة إعادة ترتيب المورثات لنفسها عند الأشقاء والشقيقات، إذ كان البعض يعتقد أنني وإليانور توأم، بالرغم من أن وجنتيها كانتا أضيق وشعرها أفتح. أما كيت فقد كانت تشبه فينش، ولا تشبهه في آن معاً، إذ كان لديهما لون البشرة ذاته، غير أن ملامحهما كانت مختلفة، باستثناء شكل العينين، وراودني شعور غريب حينما رأيت عينيه في وجه شخص آخر.

سألتها: "أهو هنا؟".

فردت: "إنني متأكدة من أنه في مكان ما في الطابق العلوي، وأظن أنك تعرفين أين تقع غرفته". وهنا ابتسمت ابتسامة متكلفة قليلاً، لكن طريقتها في الابتسام كانت لطيفة، لذا أخذت أسأل نفسي عما يمكن أن يكون قد أخبرها عني.

صعدت إلى الطابق العلوي وطرقت على بابه وأنا أناديه، ثم طرقت ثانية وقلت: "فينش، هذه أنا فيوليت". فلم يجبني أحد. حاولت أن أفتح الباب فوجدته مقفولاً، لذا طرقت مرة أخرى.

أقنعت نفسي أنه لا بد أن يكون نائماً، أو ربما وضع سماعتين على أذنيه، لذا أخذت أطرق مرات ومرات، ثم بحثت في جيبي عن دبوس الشعر الذي كنت

أحمله معي لأستخدمه في الحالات الطارئة، وبعدها انحنيت لأتفحص القفل. كان أول قفل أفتحه بهذه الطريقة في حياتي هو قفل خزانة في مكتب أمي، وقد دفعتني إليانور لأقوم بذلك لأن والدينا كانا يخبئان هدايا الكريسمس في تلك الخزانة. ثم اكتشفت أن عملية فتح الأقفال بأداة مستدقة مجرد مهارة تصبح مفيدة حينما يريد المرء أن يختفي خلال حصة الرياضة، أو حينما يكون بحاجة إلى بعض السلام والهدوء.

أخذت أهز مقبض الباب ثم وضعت الدبوس جانباً، إذ كان بوسعي أن أفتح ذلك القفل، لكنني لم أرد ذلك؛ فلو كان فينش يريدني أن أدخل لسمح لي بالدخول.

حينما نزلت إلى الطابق السفلي وجدت كيت تقف قرب حوض الجلي وهي تدخن لفافة تبغ عند نافذة المطبخ، وكانت يدها تتدلى فوق حافة النافذة، فبادرتني بالسؤال: "هل كان في غرفته؟". وحينما نفيت ذلك، رمت سيجارتها في القمامة وردت: "ممم... حسناً، لعله نائم، أو يمكن أن يكون قد خرج ليمارس رياضة الجري".

سألتها: "أيمارس الجري؟".

فردت: "حوالي خمس عشرة مرة في اليوم".

فحان دوري هذه المرة لأقول: "مممم".

فقالت لي: "لا يمكنك أن تعرفي ما الذي يفعله ذلك الفتى".

فينش

اليوم 27 (وما زلت هنا)

وقفت عند النافذة وأخذت أراقبها وهي تركب دراجتها، ثم جلست فوق أرضية الاستحمام، وأخذ الماء يتساقط فوق رأسي لمدة وصلت إلى عشرين دقيقة؛ غير أنني لم أعد أستطع حتى النظر إلى نفسي في المرآة.

أشعلت الحاسوب بما أنه صلة الوصل بالعالم، ولعل ذلك ما كنت أحتاج إليه في ذلك الحين، إلا أن ضوء الشاشة الساطع أزعج عينيّ، لذا قمت بإضعاف ذلك الضوء إلى أن أصبحت الأشكال والأحرف أشبه بظلال، وأقنعت نفسي بأن هذا أفضل، ثم قمت بتسجيل الدخول إلى موقع فيسبوك، ودخلت صفحتي المخصصة لي ولفيوليت فقط، فبادرتها برسالة ضمن سلسلة رسائلنا، وقرأت كل كلمة كتبتها فيها، إلا أن الكلمات بقيت بلا معنى إلى أن أمسكت برأسي وأعدت قراءتها بصوت عال.

حاولت أن أقرأ نسخة قصيدة *الأمواج* التي قمت بتحميلها، وحينما لم أفلح في ذلك أخذت ألقي باللائمة على الحاسوب وليس على نفسي.

ثم وجدت كتاباً عادياً فأخذت أقلب بين صفحاته، غير أن السطور كانت تتراقص أمامي في الصفحات وكأنها تحاول أن تهرب مني.

قلت لنفسي:

سأبقى مستيقظاً

لن أنام.

أخذت أفكر بالاتصال بالسقط، بل وذهبت بـي تلك الفكرة بعيداً؛ حيث فكرت في البحث عن رقمه في مكان ما في قاع حقيبة الظهر الخاصة بـي، ووجدت الرقم وقمت بطلبه على الهاتف، إلا أنني لم أضغط زر: اتصال.

كان بوسعي أن أنزل إلى الطابق السفلي في ذلك الحين لأخبر أمي بكل ما كنت أشعر به- هذا إن كانت في البيت- إلا أنها ستقول لي إنه علي أن أساعد نفسي بواسطة حبوب الأدفيل الموجودة في محفظتها، وإنني بحاجة إلى الاسترخاء وأن أكف عن إرهاق نفسي؛ لأنه لا وجود لشيء يعرف بالمرض في هذا البيت، إلا إن كان بمقدورك أن تقيس ذلك بميزان حرارة يوضع تحت اللسان. إذ تصنّف كل الأمور في هذا البيت ضمن صنفين؛ وهما الأبيض والأسود. وتندرج تحت الصنف الأسود أشياء مثل: مزاج سيئ، طبع سيئ، فقدان السيطرة، الإحساس بالحزن، والشعور بالكآبة.

وهنا تذكرت قولها:

أنت حساس دوماً يا تيودور، ومنذ أن كنت صبياً صغيراً. ألا تتذكر العصفور الذي ظل يطير عند الأبواب الزجاجية خارج غرفة الجلوس؟ لقد آذى ذلك العصفور نفسه مرات ومرات، فكنت تقول لنا: "أدخلوه ليعيش معنا وليكف عن فعل ذلك" . ألا تتذكر هذا؟ وفي أحد الأيام، عدنا إلى البيت فوجدناه على أرض الباحة بعدما طار فاصطدم بالباب مرات كثيرة، لكنك سميت قبره باسم العش الموحل، ثم قلت: " لم يكن ليحدث كل هذا لو سمحتم له بالدخول" .

لم أكن أريد أن أسمع عن ذلك العصفور مرة أخرى، وذلك لأن العصفور قد مات بكل حال من الأحوال، سواء أدخل أم لم يدخل، ولعله كان يعرف تلك الحقيقة، وهذا ما دفعه إلى ضرب الزجاج بقوة أكبر من المعتاد في ذلك اليوم. وقد كان سيموت لو دخل، ولكن بصورة أبطأ؛ لأن ذلك ما يحدث حينما تكون شخصاً مثل فينش الذي يثق بأن الزواج يموت، والحب يموت، والناس يختفون.

انتعلت حذائي الرياضي وتفاديت المرور بكيت في المطبخ، غير أنها هتفت بـي: "لقد كانت حبيبتك هنا، إذ أتت لتبحث عنك".

فأجبتها: "لا بد أنني كنت أضع السماعتين على أذنيّ".

وهنا سألتني: "ما الذي حدث لشفتك وعينك؟ أرجوك أخبرني، لأن حبيبتك لم تخبرني بأي شيء".

قلت: "لقد اصطدمت بالباب".

فحدقت إليّ بجدية وقالت: "هل تسير معك كل الأمور على ما يرام؟".

فأجبتها: "أجل، وبشكل رائع، وأنا ذاهب لأمارس رياضة الجري".

وحينما عدت من الجري، اكتشفت أن بياض سقف غرفة نومي كان ساطعاً، لذا غيّرته ليصبح أزرق بما تبقى عندي من طلاء.

فيوليت

اليوم 133 قبل الرحيل

الزمان: الساعة السادسة، المكان: غرفة المعيشة في بيتي.

كان والداي يجلسان قبالتي وقد عقدا حاجبيهما وبدا عليهما الاستياء، ومن هنا تبيّن لي أن المدير فيرتس قد اتصل بأمي حينما لم أعد إلى المدرسة لاستكمال بقية الحصة الثالثة، كما أنني لم أكن موجودة خلال الحصة الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة.

كان أبي لا يزال مرتدياً بزته الرسمية التي يرتديها أثناء العمل، وقد أخذ على عاتقه مهمة الحديث، إذ بادرني بالسؤال: "أين كنتِ؟".

فأجبته: "كنت في المنطقة التي تصل إليها حينما تعبر الشارع من أمام المدرسة".

فسألني: "وأين تقع هذه المنطقة التي تعبرين الشارع لتصلي إليها؟".

أجبته: "عند النهر".

سألني: "وما الذي كنت تفعلينه بالقرب من النهر خلال الدوام المدرسي وخلال فصل *الشتاء*؟".

غير أن أمي بصوتها الهادئ والمتزن هتفت به: "جيمس!".

فقلت له: "سمعنا صوت صفارة الإنذار من الحريق، فخرجنا جميعاً من الصف، وكان فينش يريد أن يريني طائر الكركي الآسيوي النادر...".

فسأل مستهجناً: "ومن هو فينش؟".

فأجبته: "إنه الفتى الذي أعمل معه على المشروع الدراسي، وقد سبق لك أن التقيته".

فسألني: "وكم بقي لديكما من العمل على ذلك المشروع؟".

فقلت: "علينا أن نزور مكاناً آخر، ومن ثم يجب أن ننهي كل الأمور".

وهنا هتفت أمي: "لقد أصابتنا خيبة أمل كبيرة بك يا فيوليت". فكان ذلك أشبه بسكين غرست في صدري؛ إذ لم يكن والداي يفكران في إصلاحنا أو سحب جهازَي الهاتف أو الحاسوب منا، أو القيام بأي من تلك الأشياء التي يقوم بها والدا أماندا حينما يضبطانها وهي تخالف القواعد، بل كان من عادة أبويّ أن يتحدثا إلينا ويعربا عن مدى خيبة أملهما بنا... بل أقصد بي، لأنهما كانا يتحدثان إلي فقط حينها.

أخذت أمي تهز رأسها وهي تقول: "إن هذا لا يشبه شخصيتك".

فأيّدها والدي بقوله: "لا يمكنك أن تستخدمي حجة خسارتك لشقيقتك كذريعة لتمثلي علينا". وعندها فقط تمنيت أن يتركاني أذهب إلى غرفتي.

حاولت أن أرد عليهما فقلت: "لم أكن أمثل، ولم يكن الأمر كذلك مطلقاً، بل إنه مجرد... إنني لم أعد أشعر بالبهجة، فقد تركت مجلس الطلاب، وفشلت في الأوركسترا، ولم يعد لدي أصدقاء أو صديقات أو حبيب، إلا أن ذلك لا يعني أن العالم قد توقف من حولي، أليس كذلك؟". وعندها، شعرت بأن صوتي أصبح أعلى، وبدا لي أنني فقدت السيطرة عليه، ومع ذلك أكملت قائلة: "إن الجميع يتابعون حياتهم بشكل طبيعي، ولعله لم يعد بمقدوري مواكبتهم، بل إنني لم أكن أريد أن أعمل على هذا المشروع، لكنه الشيء الوحيد الذي استمر في حياتي".

وعند ذلك، توجّهت نحو غرفتي بما أنهما لم يطلبا مني الذهاب إليها، وتركتهما حينما كان والدي يقول لي: "ثقي يا صغيرتي بأنك بارعة في الكثير من الأمور، وليس فقط في...".

***

تناولنا طعام العشاء بصمت مطبق تقريباً، وبعد ذلك صعدت والدتي إلى غرفة نومي، وأخذت تعاين ما وجدته على لوحة الملاحظات التي كانت موجودة فوق مكتبي، ثم سألتني: "ما الذي حدث لموقع EleanorandViolet.com؟".

فأجبتها: "لقد تركته فأغلقوه، إذ ليس هنالك أي سبب لإبقائه".

فردت علي بقولها: "لا أعتقد ذلك". جاءني صوتها هادئاً، لكنني حينما نظرت إليها فوجئت باحمرار عينيها، ثم قالت: "لا أظن أنني سأعتاد على ذلك". بعد ذلك، تنهدت تنهيدة لم أسمع لها مثيلاً في حياتي؛ لأنها كانت مفعمة بمرارة الألم والخسارة. لكنها تنحنحت وضربت على الورقة التي كتبتُ عليها: ***مجلة إلكترونية جديدة بلا اسم***، ثم قالت لي: "حدثيني عن هذه المجلة".

فقلت لها: "قد أنشئ مجلة أخرى، وقد لا أفعل ذلك. وأظن أن عقلي قد نقلني إلى هذه الفكرة بشكل طبيعي لأنني كنت أفكر بموقع EleanorandViolet".

فقالت لي: "كان العمل على ذلك الموقع يعجبك".

فأجبتها: "كان يعجبني، ولكن إن أنشأت موقعاً جديداً فلا بد أن يكون مختلفاً، وألا يشتمل على مواد سخيفة فقط، بل أيضاً على أفكار وكتابات واقعية، وحياة واقعية".

ثم نقرت على الكلمات التالية: ***منير، حب، حياة***، وسألتني: "ما الذي تعنيه هذه الكلمات؟".

فأجبتها: "لست أدري. ولكن قد تمثل هذه الكلمات فئات أو مجموعات".

وهنا جلبت كرسياً ووضعته إلى جانبي، ثم بدأت تسألني أسئلة منها: ما الذي يعنيه ذلك للفتيات اللواتي في مثل سني، أو اللواتي أصبحن في المدرسة الثانوية أو ما بعدها؟ وهل أريد أن أكتب كل محتوى الموقع أم سأشترك مع غيري في كتابته؟ وما الهدف من كل ذلك؟ أي لماذا أريد أن أنشئ مجلة جديدة وأشرع بالعمل فيها؟ *لأن الشباب في مثل سني بحاجة إلى مكان يمكنهم أن يلجأوا إليه إن أرادوا نصيحة أو مساعدة، أو لمجرد التسلية، أو فقط ليشعروا أنهم ابتعدوا عمن يقلق عليهم، ويجب أن يشعروا في هذا المكان بأنه لا شيء يقف في طريقهم، كما يجب أن يشعروا بالجرأة والأمان وكأنهم يقضون أوقاتهم في غرفهم.*

لم أكن قد صرحت عن تلك الأفكار من قبل، لذا اكتفيت بالإجابة: "لست أدري". فبدا لي الأمر برمته سخيفاً، ولهذا أردفت بقولي: "إن كان علي القيام بأي شيء، فينبغي لي أن أبدأ مجدداً، إلا أن كل ما لدي هو شذرات أفكار، بل مجرد أجزاء من أفكار". وهنا أخذت أشير إلى الحاسوب، ثم إلى الجدار، وتابعت بعد ذلك بالقول: "كأصل فكرة من هنا، وأصل فكرة من هناك؛ إذ لا شيء لدي كامل أو ملموس".

فقالت لي أمي: "تقول بيرل س. بوك[1]: *يشتمل النمو بحد ذاته على أصل السعادة*. ولعل الأصل يكفي، ولعل ذلك كل ما تحتاجين إليه". ثم أسندت ذقنها على يدها وأشارت برأسها إلى شاشة الحاسوب، وقالت: "بإمكانك أن تبدئي بفكرة صغيرة، حيث يمكنك أن تفتحي ملفاً جديداً أو أن تحضري ورقة فارغة، وسنجعل من ذلك لوحة لنا. فقط تذكري ما قاله مايكل آنجلو عن المنحوتة التي كانت قطعة حجر، حيث قال: لقد كانت المنحوتة هنا منذ البداية، أما عمله فكان يقتصر على إظهارها؛ وكذلك الأمر بالنسبة إلى كلماتك أيضاً".

وهكذا، أخذنا نقوم بعملية استنهاض للأفكار خلال الساعتين اللتين أعقبتا حوارنا هذا، ثم قمنا بتدوين ملاحظات، وبعدما انتهينا من كل ذلك استطعت أن أرسم الخطوط العريضة المبدئية لمجلة إلكترونية مع مخطط مبدئي للأعمدة الأساسية التي تندرج تحت مجموعات عنوانها: منير، حب، حياة.

وكانت الساعة قد شارفت على العاشرة حينما ودعتني أمي متمنية لي ليلة سعيدة، لكنها تريثت عند عتبة الباب قليلاً وقالت لي: "هل بإمكانك أن تثقي بذلك الفتى يا في؟".

فاستدرت وأنا على الكرسي وسألتها: "أتقصدين فينش؟".مكتبة الرمحي أحمد

فأجابت: "نعم".

فقلت: "أعتقد ذلك، فهو الآن صديقي الوحيد تقريباً". ولم أكن متأكدة إن كانت هذه المعلومة إيجابية أم لا.

وبعد أن خرجت، جلست فوق فراشي ووضعت الحاسوب في حضني، غير أنه كان من المستحيل بالنسبة إليّ أن أكتب كل ما كنت أريد نشره على الموقع

---

(1) كاتبة أمريكية حازت على جائزة نوبل في الأدب. (المترجمة)

الجديد، لذا كتبت اسم بريندا شانك- كرافيتس، وجوردان غريبينوالديت، وكيت فينش مع علامة استفهام بجانب الأسماء.

ثم أخذت أبحث عن كلمة *أصل* فوجدت أن هنالك موقعاً بهذا الاسم وهو: www.germmagazine.com، وبعد مرور خمس دقائق تمكنت من شرائه وتسجيله، فأصبح لدي الحجر الذي كنت سأنحت منحوتتي عليه.

ثم انتقلت إلى موقع فيسبوك، وأرسلت رسالة إلى فينش قلت له فيها: **أتمنى أن تكون بخير. أتيت لأراك في وقت سابق من هذا اليوم لكنك لم تكن في البيت. وقد اكتشف والداي أمر هروبي من المدرسة فلم يسرهما ذلك، وأعتقد أن ذلك يمكن أن يرسم نهاية لجولاتنا.**

كنت قد أطفأت النور وأغمضت عينيّ حينما اكتشفت أنني لم أقم بشطب يوم من التقويم في هذا اليوم. لذا نهضت، ودست فوق الأرضية الخشبية الباردة بقدميّ، ومشيت نحو باب الخزانة، ثم أمسكت بالقلم الأسود الذي أتركه على الدوام في متناولي، وأزلت غطاءه ثم رفعته، غير أن يدي تجمدت وأنا أرفعها، وذلك حينما أخذت أنظر إلى كل الأيام المتبقية لموعد التخرج والتحرر، فشعرت بانقباض غريب في صدري، إذ لم تكن تلك الفترة تمثل سوى مجموعة من الأيام، أي كانت أقل من ستة أشهر. ثم من يدري إلى أين سأذهب وما الذي سأفعله خلال تلك الفترة؟

أعدت غطاء القلم إلى مكانه، وأمسكت بإحدى زوايا التقويم ومزقته، ثم رفعته ورميت به إلى أسفل خزانتي، ورميت القلم فوقه. بعد ذلك، خرجت من غرفتي خلسة ومن ثم توجهت إلى الصالة.

كان باب غرفة إليانور مغلقاً، ففتحته ثم دخلت. كانت جدران غرفتها مطلية باللون الأصفر وقد انتشرت فوقها صور لإليانور ولأصدقائها في إنديانا، وكذلك لإليانور ولأصدقائها في كاليفورنيا. وقد كان علم ولاية كاليفورنيا معلقاً فوق سريرها. أما أدواتها الفنية فقد قام أحد ما بجمعها في إحدى الزوايا، وهذا يعني أن والديّ كانا يعملان هنا، أي كانا يقومان بترتيب أغراضها على نحو بطيء.

وضعت نظارتها فوق خزانة أدراجها وقلت: "شكراً لك على إعارتي إياهـــا، لكن هذه النظارة كانت تدمي قلبـــي، ثم إنها بشعة". وهنا كان بوسعي أن أسمع صوت ضحكة إليانور.

فيوليت

السبت

حينما نزلت إلى الطابق السفلي في صباح اليوم التالي وجدت تيودور فينش جالساً إلى مائدة الطعام بصحبة والديّ، وكان قد علق قبعته الحمراء على مسند الكرسي وأخذ يشرب عصير البرتقال، وكان أمامه طبق فارغ، وقد افترت شفتاه عن ابتسامة، وقد رأيت آثار رضة فوق وجنته.

وعندما رآني بادرني بالقول: "تبدين أجمل بدون نظارة".

فسألته وأنا أحدق إليه وإلى والديّ: "ما الذي تفعله هنا؟".

فأجاب: "أتناول الفطور، أهم وجبة في اليوم. إلا أن السبب الحقيقي الذي دفعني إلى المجيء إلى هنا هو أنني أردت أن أشرح لهما ما جرى البارحة. وقد أخبرت والديك بأن الفكرة كانت فكرتي، وأنك لم تتعمّدي التغيب عن الحصص، وأنك كنت تحاولين أن تبعديني عن المشاكل وذلك حينما نصحتني بأن أعود أدراجي". وهنا تناول فينش بعض الفواكه مع قطع كعك أخرى.

وعندها خاطبني أبي قائلاً: "ناقشنا أيضاً بعض القواعد الأساسية لمشروعكما".

فسألته: "إذاً، هل يمكنني أن أواصل العمل على ذلك المشروع؟".

فأجاب أبي: "لقد توصلنا أنا وتيودور إلى صيغة تفاهم، أليس كذلك؟". ثم ناولني قطعة كعك.

فرد عليه فينش وهو يغمزني: "أجل يا سيدي".

فعاجله أبـــي بنظرة جدية قائلاً: "ويجب ألا نستخف بصيغة التفاهم تلك".

فعدّل فينش جلسته ورد عليه بالقول: "نعم يا سيدي".

وهنا قالت أمي: "لقد أخبرناه أننا نضع ثقتنا به، وشــكرناه لأنــه أخــذك بالسيارة؛ لأننا نريد منك أن تستمتعي بوقتك بحدود المعقول، إذ لا نريــد منــك سوى أن تكوني بأمان وأن تحضري دروسك".

فجاء ردي: "حسناً". وهنا شــعرت وكــأنني كنــت مخبولــة، فقلــت: "أشكركما".

عند ذلك، التفت والدي نحو فينش وقال له: "يجب أن تعطينا رقم هاتفــك، ومعلومات الاتصال الخاصة بوالديك".

فرد عليه فينش: "تحت أمرك يا سيدي".

فسأله أبـــي: "هل والدك هو نفسه فينش صاحب وكالة فينش للتخزين؟".

فأجابه: "نعم يا سيدي".

فسأله أبـــي مجدداً: "أليس هو تيد فينش لاعب الهوكي السابق؟".

فرد عليه بقوله: "إنه هو، لكننا لم نعد على تواصل معه منذ سنوات؛ أي منذ أن تركنا حينما كنت في العاشرة من عمري".

أخذت أحدق إليه، فيما قالت له أمي: "عذراً".

فقال: "في الختام، أحب أن أوضح لكما أن وضعنا أفضل بكثير من دونــه، ولكن علي أن أشكركما على كل حال". ثم ابتسم لأمي ابتسامة توحي بــالحزن وبجرح عميق، وقد كانت ابتسامته تلك حقيقية، بخلاف ما أخبر به أمي، لكنــه تابع قائلاً: "إن أمي تعمل لدى شركة بروم العقارية وسلسلة بوكماركس، ولهــذا فهي لا تتواجد في البيت كثيراً. ولكن، إن كان لديكم قلم فسأعطيكم رقمها".

كنت أنا من أحضر له القلم والورقة ووضعتهما بجانبه، وحاولت النظــر إلى عينيه، إلا أن رأسه الذي يغطيه شعر أسود داكن كان قد انحنى فوق المفكرة حيث كان يكتب بحروف واضحة: *ليندا فينش*، وإلى جانب اسمها سجّل أرقام هواتفهــا في العمل والبيت مع الهاتف الجوال، ثم كتب: *تيودور فينش الابن*، وإلى جانــب

الاسم سجّل رقم جواله. كانت الأحرف والأرقام قد كتبت بعناية وبشكل أنيق، وكأنها قد رسمت بيد طفل أخذ يتوقع بعد ذلك الحصول على درجة عالية. وحينما كنت أناول والدي الورقة كانت لدي رغبة في أن أقول: *هذه كذبة أخرى، فهذا لا يمكن أن يكون خطه، إذ لا شيء يتعلق بهذا الفتى يتسم بالعناية أو الأناقة!*

ابتسمت أمي لأبي تلك الابتسامة التي تعني: "حان الوقت لتفتح موضوعاً مسلياً". فقالت مخاطبة فينش: "ما هي خططك بالنسبة إلى الكلية؟". وهكذا انقلب الحوار إلى ثرثرة، ولكن حينما سألت أمي فينش عما يريد أن يفعله في حياته بعد الكلية، انتبهت إلى أنني لم أكن أعرف ذلك الجواب فعلاً.

وما كان من فينش إلا أن رد عليها بالقول: "إن ما أريده يتغير كل يوم، ثم إنني متأكد من أنك قرأت رواية: *لمن تقرع الأجراس*[1]".

فوافقته أمي بالإيجاب على الأمرين.

فأردف قائلاً: "حسناً، كان روبرت جوردان[2] يعرف أنه سوف يموت، إذ كان يقول: *ليس أمامي وقت سوى الآن. وإذا كان الآن مجرد يومين، فعندها ستصبح حياتك كلها مجرد يومين، وكل شيء فيها سيصبح محسوباً*. ما أعنيه هو أن لا أحد منا يعرف كم بقي له في الحياة، إذ قد نعيش شهراً آخر، أو خمسين سنة أخرى، لكنني أحب أن أعيش وكأنه لم يبقَ من عمري سوى يومين".

كنت أراقب والدي بينما كان فينش يتكلم بواقعية ولكن بهدوء، وكنت أعرف أنه كان يتحدث بتلك الطريقة من باب الاحترام الذي يكنه للموتى، ولروح إليانور التي لم يكتب لها أن تعيش طويلاً.

شرب والدي رشفة من القهوة واستند إلى الوراء في وضعية مريحة ثم قال: "كان الهندوسيون القدماء يعتقدون بضرورة أن يعيش المرء حياته بكل ما فيها. فبدلاً من السعي إلى الخلود كانوا يسعون إلى الحياة الصحية والكاملة..." وهكذا

---

(1) رواية للكاتب إرنست هيمنغواي. (المترجمة)

(2) بطل رواية لمن تقرع الأجراس. (المترجمة)

اختتم أبـــي ذلك الحديث، إلا أن حديثه حول هذا الموضوع استمر لمـــدة ربـــع ساعة؛ إذ أخذ يتحدث عن مفهوم الهندوسيين البدائي للحياة الأخرى، ثم بدأ يتلو ترنيمة فيدية قديمة: "عسى أن تذهب عينك للشمس، وروحك للريح...".

فأكملها فينش بقوله: "أو أن تذهب للماء إن كان يناسبك أن تعيش هناك".

فارتفع حاجبا أبـــي حتى كادا يصلان إلى منبت شعره، وهنا رأيت أبـــي وهو يحاول أن يقيّم ذلك الفتى.

عندها قال فينش: "أحب أن أحفظ تلك العبارات التي تتعلق بالماء".

فوقف والدي ومد يده نحو الكعك، ثم وضع قطعتين في طبق فينش، عنـــدها تنفست الصعداء. بعد ذلك، أخذت أمي تسألنا عن مشروع *التجول في إنـــديانا*، فأمضينا ما تبقى من فترة الفطور ونحن نتحدث عن بعض الأماكن البعيـــدة الـــتي ذهبنا إليها، والأماكن التي نخطط للذهاب إليها. وبعد أن فرغنا من تناول الطعام، أصبح والداي يطلبان من فينش أن يناديهما باسميهما، حيث طلب منه أبـــي أن يناديه بجيمس، وطلبت منه أمي أن يناديها شيريل، بدلاً من أن يناديهما بالســـيد والسيدة ماركي. وكنت أتوقع أن نقضي معهما طيلة النهار ونحن جالسان تلـــك الجلسة، إلا أن فينش التفت نحوي، وكانت عيناه الزرقاوان ترقصان، ثم قـــال لي: "إننا نضيع وقتنا يا فوق البنفسجية، وعلينا نقوم بما خططنا له".

وعندما خرجنا قلت له: "لَمَ فعلت هذا؟ لم كذبت على والـــدي؟". فأخـــذ يسوّي شعره ويبعده عن عينيه ويدخله تحت القبعة الحمراء، ثم أجاب: "لأن تلك ليست كذبة؛ إلا إن كنت قد شعرت بذلك".

فقلت له: "ما الذي يعنيه هذا؟ لقد كنت كاذباً حتى بخط يدك". كان ذلك قد أثار جنوني إلى أقصى حد لسبب كنت أجهله، حيث فكـــرت: إن لم يكـــن صادقاً معهما، فلعله لن يكون صادقاً معي، لذا أردت أن أقول له: *أخـــبرني عـــن كذباتك الأخرى.*

وهنا رأيته يتكئ على باب مقعد الركاب المفتوح، وكانت الشمس تســـطع خلفه، لذا لم أكن قادرة على رؤية وجهه، غير أنه قال لي: "في بعـــض الأحيـــان يا فوق البنفسجية، نحس بصدق الأمور حتى لو لم تكن كذلك".

فينش

اليوم الثامن والعشرون

جون إيفيرز رجل عجوز لديه أحفاد، وهو مهذب وعذب اللسان، ويعتمر عادة قبعة بيسبول. وشارباه هما اللذان يميزان تقاسيم وجهه. إنه يعيش مع زوجته في مزرعة كبيرة في ريف إنديانا، وقد حصلت على رقم هاتفه بفضل موقع *إنديانا الاستثنائية* الإلكتروني، فاتصلت به مباشرة عملاً بما ورد في ذلك الموقع. وهكذا، أخذ جون ينتظرنا في فناء بيته. ولما رآنا، أخذ يلوّح لنا ويسير نحونا، ثم صافحنا واعتذر لأن زوجته شارون قد ذهبت إلى السوق.

بعد ذلك أخذنا إلى المركبة الدوارة[1] التي بناها في باحة بيته الخلفية. وفي الواقع، كانت هناك مركبتان وليس واحدة فقط: إحداهما تدعى بلو فلاش (الوميض الأزرق)، والثانية تدعى بلو تو (الزرقاء أيضاً)، وكل منهما تتسع لشخص واحد فقط؛ فكان ذلك هو الشيء الوحيد المخيب للآمال بالنسبة إلى تلك اللعبة، أما ما تبقى فكان رائعاً بالفعل. وقد قال لنا جون: "لا أحمل شهادة في الهندسة، ولكنني عاشق للأدرينالين. فأنا أحب مسابقة تخريب السيارات التي لا تخرج منها سوى واحدة سليمة، وسباق السرعة للسيارات، كما أحب أن أقود السيارات بسرعة. وحينما تركت كل تلك الهوايات، حاولت أن أفكر بشيء لأقوم به تعويضاً عن كل ذلك، حيث يمنحني هذا الشيء ذلك الإحساس

(1) Roller coaster. (المترجمة)

بالاندفاع والهجوم الصاخب؛ فأنا أعشق ذلك الانفعال المبني على الإحساس بقرب الأجل وانعدام الوزن، ولهذا صنعت شيئاً يمنحني ذلك الإحساس في كل الأوقات".

وبينما كان ذلك الرجل واقفاً وقد وضع يديه فوق وركيه وهو يشير إلى البلو فلاش، أخذت أفكر *في الإحساس بقرب الأجل وانعدام الوزن*، إذ كنت أحب تلك الجملة وأفهم معناها جيداً، ولهذا أخفيتها في زاوية من زوايا تفكيري لأسترجعها في وقت لاحق، ولعلي أسترجعها كأغنية.

قلت له: "لعلك أكثر رجل متميز قابلته في حياتي". فقد أعجبتني تلك الفكرة التي يمكنها أن تمنح المرء تلك الأحاسيس في كل الأوقات؛ إذ كنتُ بحاجة إلى شيء مثل ذلك. وهكذا، أخذت أنظر إلى فيوليت وأقول في نفسي: *إنها كذلك.*

كان جون إيفيرز قد أنشأ المركبة الدوارة بجانب زربية، وقد أخبرنا بأن طولها يعادل 180 قدماً، أما ارتفاعها فيصل إلى 20 قدماً. وبالنسبة إلى السرعات فهي لا تتجاوز 25 ميلاً في الساعة، ومدة الجولة فيها لا تتعدى عشر ثوانٍ، إلا أنها تشتمل على حلقة في المنتصف تقلب المرء رأساً على عقب. وبالنظر إليها، وجدت أن هذه اللعبة كانت عبارة عن حديد خردة مشبك تم طليه بلون أزرق فاتح، وقد زودت بمقاعد تشبه الدلاء تعود إلى سبعينيات القرن الماضي، بالإضافة إلى حزام قماشي مهترئ يشد المرء عند خصره. إلا أن فيها شيئاً ما جعل إحساساً بالوخز ينتشر في راحتي يديّ تلهفاً لركوبها، ولم أطق صبراً لأجرّبها.

أخبرت فيوليت بأنها يمكنها أن تجرب هذه اللعبة قبلي، لكنها قالت لي وهي تبتعد عن اللعبة وكأن المركبة كانت على وشك الإمساك بها وابتلاعها: "كلا، لا أريد. يمكنك أن تجربها أنت". وفجأة، أخذت أسأل نفسي إن كانت فكرة الركوب في تلك اللعبة غير مناسبة.

وقبل أن أتمكن من فتح فمي لأنطق بأي كلمة كان جون قد ربطني بالمقعد، ودفع بي إلى الأعلى بجانب الزربية إلى أن سمعت صوت طقطقة، وبعدها أصبحت أعلى وأعلى وأعلى، فقال لي: "يجب عليك أن تتمسك يا بني". وحينما وصلت إلى القمة، شعرت بأنني أحلق للحظات، لكنني عندما بلغت قمة الزربية،

رأيت الأراضي الزراعية وقد امتدت حولي من كل الجهات، وبعد ذلك انـدفعت المركبة نحو أسفل الحلقة وأنا داخلها، فأخذت أصرخ إلى أن بحّ صوتي. ولكـن، سرعان ما انتهت الجولة، فتمنيت أن أكررها مـرة أخـرى، وذلـك لأن هـذا الإحساس هو ما يجب أن نشعر به تجاه الحياة طيلة الوقت، أي يجـب ألا يقتصـر ذلك على مدة عشر ثوانٍ فقط.

وبالفعل، كررت تلك الجولة خمس مرات لأن فيوليت لم تكـن مسـتعدة لخوضها. وكانت كلما وصلت إلى النهاية تلوح لي بيديها وتقول: "جرب مـرة أخرى".

ومع تلك المرة الأخيرة قررت أن أستريح، ونهضت عـن المقعـد بسـاقين مرتجفتين. ولكن فجأة، رأيت فيوليت تجلس على المقعد فيما يقوم جون إيفـيرز بربطها، ومن ثم رأيتها تصعد إلى الأعلى، ثم إلى القمة حيـث أخـذت المركبـة ترفرف هناك. عندها، رأيت فيوليت تلتفت برأسها لتنظر إلي، ولكنـها أبعـدت نظرها عني فجأة، ثم بدأت تهبط بسرعة وتندفع وهي تصرخ مبعدة وجهها عني.

وحينما توقفت اللعبة، لم أستطع أن أحدد إن كانت فيوليت ستفرغ مـا في معدتها، أم ستترك المقعد وتأتي إليّ لتلطمني على وجهي، لكنني سمعتها تقول: "مرة أخرى!". فانطلقت مرة ثانية يعلوها ضباب المعدن الأزرق الذي غطـى شـعرها الطويل وساقيها وذراعيها الطويلتين.

أخذنا نتبادل الأدوار بعد ذلك، حيث صعدت إلى المركبة ثلاث مـرات إلى أن أصبح كل شيء مقلوباً ومائلاً في نظري، وأحسست بالدم يتـدفق بقـوة في عروقي. وحينما فك لي جون حزام المقعد، أخذ يضحك وقال لي: "كانت تلـك أكثر من جولة".

فقلت له: "يمكنك أن تقول ذلك عني مرة أخرى". ثم أمسـكت بفيوليـت لأنني لم أكن أشعر بالتوازن وأنا أسير على قدمي، ثم إن المسافة كانـت بعيـدة وسحيقة إن سقطت، فأحاطتني فيوليت بذراعها وكأنها كانت تفعل ذلك بحكـم العادة، فاتكأت عليها واتكأت عليّ وبدونا كشخص واحد يسير متوكئـاً علـى شيء ما.

عند ذلك سألني جون: "أتريد أن تجرب بلو تو؟". فشعرت فجأة بأنني لم أكن أرغب بذلك، لأنني كنت أتمنى أن أنفرد بهذه الفتاة وأن نبقى وحدنا. غير أن فيوليت تركتني ومضت باتجاه المركبة الدوارة وطلبت من جون أن يربطها جيداً.

لم تكن مركبة بلو تو ممتعة كسابقتها، ولهذا ركبنا الفلاش أكثر منها بمرتين، وحينما نهضت عن المقعد للمرة الأخيرة، أمسكت بيد فيوليت فأخذت تهزها نحو الأمام والخلف، وكررت ذلك عدة مرات. وهنا خطرت ببالي فكرة: سأكون غداً في منزل والدي لحضور عشاء يوم الأحد، لكنني اليوم هنا.

أما الأشياء التي تركناها في ذلك المكان فكانت عبارة عن لعبة سيارة كنا قد اشتريناها من متجر يبيع القطعة بدولار، وشكلها يشبه شكل سيارتي *الصغيرة*، بالإضافة إلى دميتين صغيرتين لبنت وولد مع بيتهما، حيث وضعنا تلك الأشياء داخل علبة سجائر فارغة من ماركة أمريكان سبيريت، وحشرنا كل ذلك في علبة قصدير حجمها بحجم بطاقة المعلومات.

وهنا هتفت فيوليت: "إذاً، كانت هذه آخر جولة لنا". وهي تضع العلبة تحت مركبة *بلو فلاش*.

فأجبتها: "لست أدري. فبقدر ما كان ذلك المشروع ممتعاً، إلاّ أنني لست متأكداً من أن ما قمنا به يطابق ما يريده بلاك منا. لذا، أنا بحاجة إلى التفكير ملياً في ذلك لاستيعابه، بل إن الأمر بحاجة إلى وقت كافٍ للتفكير. ولكن قد يتعين علينا أن نختار مكاناً احتياطياً، إلا أن آخر شيء أرغب في القيام به يبدو لي أقل غباء مما قمنا به، لاسيما الآن بعدما حصلنا على دعم والديك".

وفي طريق عودتنا إلى البيت، فتحت فيوليت النافذة، فأخذ شعرها يطير مع الهواء، أما صفحات دفتر جولاتنا فأخذت تصدر صوت حفيف مع هبات النسيم أثناء قيام فيوليت بالكتابة. حيث كانت تكتب ورأسها منحنٍ فوق الدفتر، وقد وضعت إحدى ساقيها فوق الأخرى لتؤمن لنفسها متكأ للكتابة. وحينما بقيت على تلك الحال أثناء سيرنا لبضعة أميال قلت لها: "ما الذي يشغلك؟".

فردت: "إنني فقط أدوّن بعض الملاحظات. ففي البداية، كنت أكتب عن البلو فلاش، وبعد ذلك كتبت عن الرجل الذي شيّد المركبة الدوارة في باحة بيته

الخلفية. ولكن خطرت في ذهني فكرتان بعد ذلك أحببت أن أدونهما على الورق". وقبل أن أسألها عن هاتين الفكرتين، أمالت رأسها فوق الدفتر مرة ثانية، وأخذت تخربش على الورقة بالقلم.

وحينما رفعت رأسها مجدداً بعدما سرنا مسافة ميلين قالت لي: "أتعرف ما الذي أحبه فيك يا فينش؟ إنك شخص ممتع ومختلف، وبإمكاني أن أتحدث إليك. ولكن لا أريدك أن تفكر في ذلك بطريقة أخرى".

عندها، أصبح الهواء الذي يحيط بنا مشحوناً ومكهرباً؛ كما يحدث عندما يحاول المرء أن يشعل عود ثقاب. إذ كان كل شيء على أهبة الانفجار: بدءاً من الهواء، فالسيارة، وفيوليت وأنا، لذا بقيت أركز على الطريق وأنا أقول لها: "أتعرفين ما الذي أحبه فيك يا فوق البنفسجية المتميزة؟ كل شيء".

فردت: "لكنني ظننت أنك لا تحبني".

وهنا نظرت إليها، فرفعت لي أحد حاجبيها.

اندفعت بالسيارة نحو أول مخرج رأته عيناي، فسرنا بالقرب من محطة للوقود وأماكن متواضعة لبيع الوجبات السريعة، ثم وصلنا إلى مكان مخصص لركن السيارات، فقرأنا لافتة كتب عليها: *المكتبة العامة في المقاطعة الشرقية*، عند ذلك اندفعت *الصغيرة* إلى داخل المرأب، ثم خرجتُ منها وسرت نحو الجانب الذي من المفترض أن تنزل منه فيوليت.

وحينما فتحت لها الباب عاجلتني بالقول: "ما الذي يجري!؟".

فقلت لها: "لا يمكنني أن أنتظر أكثر. اعتقدت أنه بإمكاني أن أنتظر، إلا أنني لم أعد أطيق صبراً، أعتذر". ثم مددت يدي نحوها لأفك حزام الأمان، وبعد ذلك سحبتها، فوقفنا وجهاً لوجه في ذلك المرأب الكريه الأجرد الذي يقع بالقرب من مكتبة مظلمة يجاورها مطعم من سلسلة تشيك-فيل-آي للوجبات السريعة، لذا كان بوسعي أن أسمع صوت أمين الصندوق الذي يبيع وجبات لمن يريد في سيارته وهو يتحدث عبر مكبر الصوت ويسأل الزبون إن كان يرغب بإضافة البطاطا المقلية والعصير إلى وجبته.

هتفت بي متسائلة: "فينش؟".

فأبعدت خصلة من شعرها عن وجنتها، ثم أمسكت وجهها بيـدي وقبلتـها، لكنني قبلتها بحرارة أكبر مما كنت أريد، ولهذا خففت من حرارة القبلة قليلاً، إلا أنني وجدتها تبادلني قبلتي هي أيضاً، وقد أصبحت ذراعاها حول رقبتي. أما أنا فقد كنت قد أحطت بها وقد استندت إلى السيارة، ثم أمسكتها ورفعتها، وبطريقة ما تمكنـت من فتح الباب الخلفي، ثم جعلتها تستلقي فوق البطانية التي كانت موجودة هنـاك، وبعدها أغلقت الأبواب وخلعت سترتي وخلعت هي قميصها، فهتفت بها: "إنـك تقودينني إلى حافة الجنون، وقد كنت تفعلين ذلك بـي طيلة الأسابيع الماضية".

كان فمي فوق رقبتها، ثم هتفت بـي: "أوه يا إلهي! أين نحن.

وهنا سمعتها تهمس لي: "أنا آسفة".

فسألتها: "أما زلت كذلك حتى بعد مرور كل ذلك الوقت مع ريان؟".

فردت بالقول: "كان قريباً مني، ولكن لم يحصل أي شيء بيننا".

فأخذت أمرر أصابعي فوق بطنها جيئة وذهاباً وسألتها: "حقاً؟".

فردت عليّ بالسؤال: "لماذا يصعب عليك تصديق ذلك؟".

فأجبتها: "لأنه ريان كروس، ولأنني كنت أظن... بمجرد النظر إليه".

فما كان منها إلا أن ضربتني على ذراعي ثم وضعت رأسها فـوق رأسـي وقالت: "كان ذلك آخر شيء توقعت أن يحدث اليوم".

فقلت: "شكراً".

فردت: "أنت تعرف ما أعنيه".

فأمسكتُ بقميصها وأعطيتها إياه، ثم أمسكتُ سترتي، وقلت لها وأنا أراقبها وهي ترتدي قميصها: "سيحدث ذلك يوماً ما يا فوق البنفسجية". فنظـرت إليّ نظرة كلها خيبة أمل.

وفي غرفتي، شعرت بأن الكلمات أخذت تسيطر عليّ، ومن بينها كلمـات الأغاني، وكلمات الأماكن التي كنا سنذهب إليها أنا وفيوليـت قبـل أن ينفـد الوقت، فشعرت بالنعاس مجدداً، لكنني لم أستطع الكف عن الكتابة، بل لم أكـن أريد أن أتوقف عن الكتابة حتى لو كان بوسعي ذلك.

الحادي والثلاثون من شهر كانون الثاني، الطريقة: لا يوجد. على مقياس واحد لعشرة، وعلى مقياس مدى اقترابي: صفر. حقائق: لا توجد مركبة للقتل الرحيم أصلاً، ولكن حتى لو وجدت، فستكون مدة الجولة فيها ثلاث دقائق، حيث يشمل ذلك الوصول إلى ارتفاع يعادل ثلث ميل، أي ما يزيد عن 1600 قدم، يعقبه هبوط عنيف ضمن سبع حلقات، وحيث تستغرق تلك الجولة التي تبدأ مع الهبوط الأخير وسلسلة الحلقات حوالي ستين ثانية. غير أن ما يقتل الإنسان حينها هو قوة الطرد المركزية التي تعادل 10، والتي تنجم عن الحلقات التي تعادل السرعة فيها 223 ميلاً في الساعة.

بعد ذلك مضى الوقت بسرعة غريبة، وأدركت فجأة أنني لم أعد أكتب؛ إذ نفدت مني الكلمات، وأنني كنت لا أزال مرتدياً السترة السوداء وبنطال الجينز الأزرق القديم والقفازين ومنتعلاً الحذاء الرياضي. وفجأة شعرت بألم في قدمي لأنني كنت قد سرت مشياً على الأقدام حتى سنترفيل وهي المدينة المجاورة لمدينتنا تماماً.

خلعت حذائي وقبعتي وعدت أدراجي إلى البيت؛ وذلك لأنني كنت قد أنهكت نفسي. لكنني كنت أشعر بتحسن، إذ بدأت أحس بأنني شخص مهم ومتعب وعلى قيد الحياة.

يرى جوليجوناس أوربوناس، وهو الرجل الذي خرج بفكرة مركبة القتل الرحيم، بأنه قد تم تصميمها "لإنهاء حياة الإنسان بطريقة إنسانية وبأناقة مع إحساس بالنشوة" على حد تعبيره. حيث إن عشرة كيلوغرامات فقط تكفي لتكوين قوة طرد مركزية فوق الجسم، وهكذا يندفع الدم إلى الأسفل بدلاً من أن يصل إلى الدماغ، مما يتسبب بنقص الأوكسجين في الدماغ، وهذا ما يؤدي إلى الموت.

أخذت أسير تحت جنح ظلام ليل إنديانا، تحت قبة من النجوم، وأفكر بعبارة: *بأناقة وبنشوة*، وكيف أنها تصف بالضبط ما كنت أشعر به مع فيوليت.

ولأول مرة في حياتي لم أكن أريد سوى أن أكون شخصاً واحداً، ألا وهو تيودور فينش؛ ذلك الفتى الذي كانت فيوليت تنظر إليه، والذي بدأ يفهم ما تعنيه

كلمة أنيق، إلى جانب تقمصه مئة شخصية أخرى معظمها يتصف بالغباء والعيوب، وبعضها يتصف بالحقارة، وبعضها بالنذالة، وبعضها بالجنون. لقد كنت ذلك الفتى الذي يريد أن يتعامل ببساطة مع الأشخاص من حوله كي يبتعد عن إزعاجهم، والأهم من ذلك أنه يريد أن يتعامل مع نفسه ببساطة وراحة. لقد كنت ذلك الفتى الذي بدأ يشعر بالانتماء إلى هذا العالم، وإلى هذا الجسد. بل كنت ذلك الفتى الذي يريد أن يكون شيئاً، والذي يتمنى أن تكتب على شاهدة قبره عبارة: *إنه الفتى الذي أحب فيوليت ماركي*.

فينش

اليوم الثلاثون (وما زلت مستيقظاً)

جلست أنا وشارلي دوناهيو في النادي الرياضي في ملعب البيسبول، في مكان بعيد خلف القاعدة الثالثة، حيث اكتشفنا أن ذلك المكان هو الأنسب بالنسبة إلينا لنتحاور فيه. وفجأة، أمسك شارلي من دون أن ينظر بكرة قذفها أحدهم نحونا، وقام برميها إلى الجهة التي أتت منها. لقد حاول كل مدرب رياضي في ثانوية بارتليت أن يجعله عضواً في فريقه منذ أن دخل هذه المدرسة، لكنه كان يرفض أن يكون مجرد صورة نمطية عن السود، ولهذا انحصرت نشاطاته وهواياته خارج الصف بالشطرنج وقراءة الكتب الحولية[1]. وهو يرى أن هذه الأمور هي التي تميزه عن غيره في طلبات التقدم إلى الكليات.

كان قد صالب ذراعيه وأخذ يعبس في وجهي ثم قال: "أحقاً كنت على وشك إغراق المتسكع؟".

فأجبته: "شيء من هذا القبيل".

فرد علي: "عليك أن تنهي دوماً ما بدأت به يا رجل".

قلت له: "خلت أنك ستعتبر أن عدم تسببي لنفسي بدخول السجن فكرة رائعة.

---

(1) كتب تصدر كل سنة حول موضوع معين لتعالج قضايا ذلك الموضوع خلال السنة التي مرت. (المترجمة)

فرد علي: "إن مجرد القبض عليك يمكن أن يزيد من فرصك في القيام بعلاقة حميمة مع إحداهن".

قلت له: "إن ذلك لا يشبه الفرص التي أبحث عنها".

فرد علي: "إذاً، ما الذي دهاك؟ انظر إلى نفسك!".

قلت له: "كنت أتمنى لو أنال ذلك الشرف. لكن فلنواجه حقيقة الأمر، إن اللباس الموحد الذي يفرضونه في حصص الرياضة ما هو إلا عملية إغراء جماعية".

فرد علي بأسلوب شتيمة بريطاني: "أيها السافل الوقح". بالرغم من أنني لم أكن استخدم اللهجة البريطانية وقتها، فلم أعد أذكر فيونا ولا الشقة ولا شارع آبي، لكنه تابع كلامه قائلاً: "أقصد أنك كنت حقيراً يا فينش منذ فترة وحتى الآن، وقبل ذلك كنت دنيئاً يا فينش، واستمر ذلك لمدة أسبوعين. إنك تتجه نحو الهاوية يا فينش".

فقلت له: "لعلي أحببت فينش الحقير". ثم عدلت رباط القبعة فضايقتني فجأة، وهنا تساءلت في سري: ترى، أي فينش هو ذاك الذي تحبه فيوليت؟ كانت الفكرة مزعجة بعض الشيء، فبدأت أحس بأن عقلي قد توقف عندها، إذ أخذت أكرر: *أي فينش هو ذاك الذي تحبه فيوليت؟ وماذا لو كان مجرد صورة عن فينش الحقيقي؟*

عندها، قدم لي شارلي لفافة تبغ فرفضتها وأنا أهز برأسي، فسألني:

"ماذا يحدث لك؟ هل حبيبتك هي السبب؟".

سألته: "أتقصد فيوليت؟".

فسألني: "هل فكرت في ذلك أم ماذا؟".

قلت: "إنك سافل كبير يا صديقي. كنت فقط أفكر في قضاء وقت ممتع".

فقال: "من الواضح أنك لم تمضِ الكثير من الوقت الممتع".

عندها أتى المتسكع ليلعب كرة المضرب. مما يعني أنه علينا أن ننتبه إلى وجوده؛ ليس فقط لأنه نجم المدرسة في لعبة البيسبول (طبعاً بعد ريان كروس)، بل لأنه كان سيستهدفنا مباشرة، وإن لم يتسبب له ذلك في مشكلة، فلا بد أنه سيأتي إليّ وسيحطم رأسي بمضربه لمحاولتي إغراقه.

وهكذا، كان لا بد للكرة أن تصل إلينا، فما كان من شارلي الذي كانت لفافة تبغه بين أسنانه إلا أن تراجع خطوة إلى الوراء، ثم أخرى، ثم خطوة ثالثة، وكأنه لم يكن يستعجل الأمر، وكأنه كان يعرف أنه لا بد له أن يمسك بها، ثم رفع قفازه وجعله في مرمى الكرة، ووصلت الكرة إليه، وهذا ما جعل المتسكع يصرخ بألف وخمسمئة شتيمة حينما قذف له شارلي الكرة وهو يعيدها إليه.

أخذت أهز رأسي وأنا أنظر باتجاه معلمنا السيد كابيل الذي يعمل أيضاً كمدرب بيسبول، ثم قلت مخاطباً شارلي: "إنك تعرف حق المعرفة أنك حينما تقوم بذلك في كل مرة فأنت تجعله يموت كمداً من دون أن يظهر ذلك".

فرد: "من تقصد؟ كابيل أم المتسكع؟".

قلت: "كلاهما".

فابتسم لي ابتسامته النادرة وقال: "أعرف".

وفي غرفة الخزائن حاصرني المتسكع بعدما غادرني شارلي وأصبح كابيل في مكتبه، واختفى الشبان الذين لم يكونوا قد غادروا بعد، وكأنهم تعمدوا ألا يظهروا للعيان. وهكذا، انحنى المتسكع إلى أن أصبح قريباً مني لدرجة أنه صار بإمكاني أن أشم رائحة البيض الذي تناوله في وجبة الفطور، ثم قال لي: "ستموت أيها المجنون".

وبقدر ما كنت أتمنى أن أخرج كل ما بداخل كابي روميرو من حقارة، إلا أنني لم أكن أريد أن أفعل ذلك في الوقت ذاته، وذلك لسببين. أولهما أنه لا يستحق أن أتعرض لمشكلة بسببه، وثانيهما لأنني لم أنس تلك النظرة على وجه فيوليت عند النهر حينما طلبت مني أن أتركه.

وهكذا أخذت أعد: *واحد، اثنان، ثلاثة، اربعة، خمسة...*

سأمسك أعصابي، ولن أضربه على وجهه.

وسأكون بخير.

لكنه ضربني فارتطمت بالخزانة، وبلمح البصر ضربني على عيني، ثم على أنفي، فحاولت أن أتماسك لأن ذلك كان كل ما كان بوسعي القيام به لأبقى واقفاً على قدمي، وأخذت أعد بنزق لأنني كنت أود أن أقتل هذا السافل.

أخذت أتساءل في سري: إن كنت أعد من الأرقام ما فيه الكفاية، فهل سيكون بوسعي أن أرجع بالزمن إلى الوراء، لأصل إلى بدايات الصف الثامن، قبل أن أصبح غريب الأطوار، وقبل أن يلاحظ أحد أنني كذلك، وقبل أن أفتح فمي وأتحدث إلى المتسكع، وقبل أن يطلقوا علي لقب *المجنون*، وقبل أن أصبح في حالة يقظة طيلة الوقت ويصبح كل شيء مناسباً وطبيعياً نوعاً ما؛ مهما كانت حالة ذلك الشيء الطبيعي، وقبل أن يبدأ الناس بالنظر إلي، وليس التحديق إليّ، أو مراقبة ما سأقوم به بعد ذلك، غير أنني أخذت أنظر إلى نفسي وأقول: *أوه، ما الذي جرى يا رجل؟ ماذا حدث يا صاح؟* ثم أخذت أسأل نفسي: ترى، إن قمت بالعد العكسي فهل سيكون بمقدوري أن أعود إلى الوراء، وأن آخذ فيوليت ماركي معي ومن ثم أنتقل معها إلى المستقبل حيث نقضي المزيد من الوقت معاً؟ لأن ما كنت أخشاه وأخاف منه هو الوقت.

وكنت أخاف من نفسي أيضاً.

أجل، لقد كنت أخاف من نفسي.

وهنا سمعت صوتاً يقول: "هل ثمة مشكلة هنا؟". كان ذلك صوت السيد كابيل الذي وقف على بعد قدمين بعيداً عنا وأخذ يحدق إلينا، وكان يحمل مضرب بيسبول بيده، فأخذت أتخيله وهو في بيته يقول لزوجته: "إن المشكلة ليست في الطلاب الجدد، بل في القدامى حينما يشرعون بالتدريب فيدمرون تلك الجهود التي يبذلها الجدد. وهنا يتوجب على المرء أن يحمي نفسه مهما كلف الأمر".

أجبته: "لا مشكلة... لا مشكلة".

وبما أنني كنت أعرف كابيل تماماً، فقد عرفت أنه لن يخبر المدير فيرتس بما جرى؛ وخاصة بما أن أحد أفضل لاعبي البيسبول لديه كان جزءاً من المشكلة. ولهذا أخذت أنتظر منه أن يوبخني على ما جرى، إذ كنت على استعداد لكي أسمع منه تفاصيل تتعلق بأمر احتجازي أو طردي، حتى لو كنت الشخص الوحيد الذي كانت الدماء تسيل منه، غير أن كابيل قال لي: "لقد انتهى الأمر عند هذا الحد يا فينش. بإمكانكما أن تذهبا".

عندها، مسحت الدم عن وجهي وابتسمت للمتسكع وأنا أبتعد عنهما.

لكنني سمعت كابيل يصيح: "ليس بهذه السرعة يا روميرو". إلا أن صوت روميرو وهو يتذلل جعل الألم الذي كنت أحس به يستحق كل هذا العناء.

توقفت عند خزانتي لأخرج منها كتبي، ثم جلست فوق الكتب وأنا أتخيل نفسي جالساً فوق صخرة تلة هوزير، بعد ذلك أمسكت بالدفتر، وقلبت أوراقه، فقرأت فيه عبارة: *حان دورك* التي كنت أتوقع أن أراها.

ثم سمعت صوت بريندا وهي تقول: "ما هذا؟". إذ كانت تريد أن تفهم ما حدث، ولهذا انتزعت الدفتر من يدي وأخذت تتفحصه، ثم قالت: "لم أفهم ما تعنيه عبارة: حان دورك؟ حان دورك لكي تقوم بماذا؟".

فقلت لها: "إنها نكتة خاصة لا يفهم معناها إلا الأشخاص المثيرون واللطفاء".

فما كان منها إلا أن ضربتني على ذراعي وقالت: "إذاً، لا بد أنك عدمت كل وسيلة. ولكن، ماذا حدث لعينك؟".

فقلت لها: "إنه حبيبك المتسكع".

فكشرت وقالت: "لم أحبه في حياتي".

سألتها: "أحقاً؟".

ردت: "اخرس! لكم كنت أتمنى أن تكسر له أنفه".

قلت: "حاولت أن أترفع عن ذلك".

ردت: "تافه". ثم أخذت تسير معي وتثرثر وتسألني: *هل دخلت في علاقة كاملة مع فيوليت ماركي، ذلك النوع من العلاقات التي تدوم إلى الأبد، أم هي مجرد فتاة تتسلى معها في الوقت الحالي؟ وماذا عن سوز هانيز؟ ألم تكن تحبها؟ وماذا عن البريانات الثلاث والفتيات اللواتي تراهن في نادي المخرمات؟ ما الذي ستفعله إن سقطت إيما واتسون*[1] *في حضنك الآن؟ هل ستطلب منها أن تدعك وشأنك؟ هل تظن أن شعري سيكون أجمل إن غيرت لونه إلى البنفسجي أو*

(1) ممثلة ظهرت في سلسلة أفلام هاري بوتر الشهيرة. (المترجمة)

الأزرق؟ هل تعتقد أنه علي أن أخفف من وزني؟ كن صريحاً معي! هل تعتقد أنني سأجد ذلك الشاب الذي سيحبني كما أنا؟

أما إجاباتي فقد اقتصرت على: "صحيح"، "لا أعتقد ذلك"، "بالطبع"، "لا يمكنك أن تعرفي ذلك"، غير أنني كنت أفكر طيلة الوقت بفيوليت ماركي؛ تلك الفتاة التي تعرف كيف تفتح الأقفال.

للحصول على كتبنا قبل الجميع

بروابط تحميل مباشرة

تابعونا

على فيسبوك

جديد الكتب والروايات

على تيليجرام

telegram @ktabpdf

فيوليت

الثاني من شباط

شبكت السيدة كريزني ذراعيها وابتسمت ابتسامتها العريضة وقالت: "كيف حالك يا فيوليت؟".

فأجبتها: "أنا بخير. وأنت؟".

ردت: "وأنا بخير. فلنتحدث عنك، لأنني أريد أن أعرف ما هو شعورك".

أجبتها: "أشعر أنني بخير فعلاً، وأفضل مما كنت عليه منذ فترة طويلة".

فردت عليّ وقد علت الدهشة وجهها: "أحقاً؟".

قلت: "أجل. بل لقد بدأت بالكتابة من جديد، وأصبحت أركب السيارة".

سألتني: "وما هي أخبار نومك؟".

أجبتها: "أنام جيداً حسبما أعتقد".

سألتني: "هل تراودك كوابيس مزعجة؟".

أجبتها: "كلا".

سألتني: "ولا حتى أي كابوس مزعج واحد؟".

قلت: "لم يحدث ذلك طيلة فترة، واستمر الحال كذلك إلى الآن".

فكانت تلك هي المرة الأولى التي لم أكذب فيها عليها قطّ.

* * *

خلال حصة الأدب الروسي طلبت السيدة ماهون منا أن نكتب خمس صفحات عن رواية تورجينيف: *آباء وأبناء*، ثم أخذت تنظر إلي، فلم أذكر أي شيء يتعلق بالأعذار المخففة أو عدم استعدادي لذلك، بل نقلت الملاحظات كما فعل الآخرون، وبعدها قال لي ريان: "هل بإمكاني أن أتحدث إليك؟".

أخذت السيدة ماهون تراقبني وأنا أسير بجانبها، فما كان مني إلا أن لوّحت لها ثم قلت لريان: "ما الأمر؟".

سرنا معاً نحو الممر فجرفنا بحر الطلاب الذي وجدناه هناك، ولهذا أمسك ريان بيدي لكي لا أبتعد عنه، إذ كنت كمن ينادي: *أوه يا إلهي!* لكن بعد ذلك ظهرت فرجة ضمن ذلك الحشد فترك يدي، وهذا ما دفعني لسؤاله: "إلى أين ستصطحبني بعد ذلك؟".

فأجاب: "إلى الغداء".

مشينا معاً، عندها قال لي ريان: "كل ما كنت أريد أن أقوله لك هو أنني طلبت من سوز أن تخرج معي، وأعتقد أنك يجب أن تسمعي هذا الخبر مني قبل أن ينتشر في المدرسة".

فقلت له: "هذا خبر رائع". ثم قلت شيئاً عن فينش، غير أنني لم أكن وقتها واثقة مما أقوله؛ لأنني لم أكن أعرف بعد إن كان كل منا يعني شيئاً ما للطرف الآخر أم لا، وبعدها قلت لريان: "أشكرك لأنك أخبرتني، وأتمنى أن تعرف سوز أنك فتى طيب".

وهنا أخذ يهز رأسه، ثم ابتسم لي تلك الابتسامة التي يضعها كتوقيع على أي شيء يتعلق به، فكان بوسعي أن أشاهد غمازته، ثم قال لي: "لا أعرف إن كنت قد سمعت بأن المتسكع قد هجم على فينش اليوم في النادي الرياضي".

فسألته: "ماذا تقصد بكلمة هجم؟".

فقال: "أي شيء. لنقل إنه قد ضربه قليلاً؛ لأن المتسكع شاب حقير".

فسألته: "وماذا حدث لكل منهما؟ هل طردا من المدرسة؟".

قال: "لا أظن ذلك؛ لأنها كانت حصة كابيل. لذا على الأرجح لن يخبر أحداً بما فعله المتسكع كي لا يخاطر بخسارته من التمرين. علي أن أغادر الآن".

وبعدما تركني وسار بضع خطوات استدار نحوي وهتف بـي: "إن فينش لم يحاول حتى أن يدافع عن نفسه، وكل ما قام به هو أنه ظل واقفاً هناك وأخذ يتلقى الضربات".

وفي المقهى، سرت متجاوزة الطاولة التي أجلس عليها عادة، وتجاوزت بذلك كلاً من أماندا والمتسكع والحشد الذي تجمع هناك. كان بوسعي أن أسمع صوت المتسكع وهو يتكلم، إلا أنه لم يكن بإمكاني أن أسمع موضوع حديثه.

توجهت نحو الجانب الآخر من القاعة، وتحديداً إلى إحدى الطاولات التي كانت معظم الكراسي حولها لا تزال شاغرة. ولكنني حينما وصلت إلى هناك سمعت أحداً ينطق باسمي وكان خلفي، فكانت تلك بريندا شانك - كرافيتس التي كانت جالسة بصحبة البريانات الثلاث بالإضافة إلى فتاة ذات شعر أسود اسمها لارا، وقد تحلقن جميعاً حول طاولة كانت بالقرب من النافذة.

هتفت بهن جميعاً: "مرحباً، هل بإمكاني أن أنضم إليكن؟". وشعرت مجدداً كما لو أنني طالبة جديدة تحاول أن تقيم علاقات صداقة وتكتشف من تناسبها من الصديقات.

عند ذلك، أمسكت بريندا حقيبتها وسترتها ومفاتيحها وهاتفها وكل الأشياء الأخرى التي تناثرت فوق الطاولة وأخذت تلقيها على الأرض، فأتيت أنا ووضعت طبقي وجلست بجانبها.

كانت لارا صغيرة القامة، وهذا ما جعلها تبدو كطالبة جديدة؛ بالرغم من أنني أعرف أنه سبق لنا أن التقينا في الصف ذاته. وهكذا، أخذت تخبرنا كيف أنها منذ خمس دقائق فقط، ومن دون تعمّد، وبشكل عرضي أخبرت حبيبها بأنها تعشقه. وبدلاً من أن تزحف تحت الطاولة، أخذت تضحك وتكمل تناول طعامها.

بعد ذلك أخذت البريانات يتحدثن عن الحياة بعد الثانوية، إذ قررت إحداهن أن تصبح موسيقية، والثانية كانت تخطط لتصبح محررة مطبوعات، أما الثالثة فقد كانت عملياً مخطوبة لحبيب عمرها، لكنها أخبرتنا أنها قد تفتح متجراً لبيع الكعك

يوماً ما، أو أنها قد تعمل في مجال مراجعة الكتب، ولكن مهما اختلفت تلك الأمور، فستستمتع بأي شيء يمكنها الاستمتاع به إن كان بوسعها أن تقوم بذلك. بعد ذلك انضم إلينا حبيبها، فجلس كلاهما جنباً إلى جنب وقد بدت الراحة والسعادة على وجهيهما وبدا لنا أنهما سيكونان معاً إلى الأبد.

أخذت أتناول طعامي وأصغي إلى الجميع، ولكن أثناء الحوار مالت بريندا نحوي وهمست في أذني: "إن كابي روميرو سم زعاف". فما كان مني إلا أن رفعت زجاجة الماء التي كانت بحوزتي، فرفعت هي علبة الشراب، ثم طرقنا العبوتين ببعضهما وبعدها شربنا منهما.

فيوليت

العطلة الأسبوعية

أصبح التجوال في تلك الفترة حجة حقيقية لركوب السيارة والذهاب بها إلى مكان ما ومن ثم بدء عملية التمهيد للعلاقة الحميمة. لذا أخذت أقنع نفسي بأنني لم أكن مستعدة لذلك، لأن العلاقة الحميمة بالنسبة إليّ قضية كبرى، حتى إن فعلت صديقاتي ذلك منذ الصف التاسع. إلا أن جسمي كان يحس بانجذاب غريب وملح نحو فينش، وكأنه لن يكتفي منه، ولهذا أضفت فئة أخرى للوحة *الأصل* التي علقتها في غرفتي، جعلت عنوانها: *العلاقة الحميمة*، ثم كتبت بضع صفحات في دفتر جولاتنا الذي تحول تدريجياً إلى دفتر مذكرات /أو لوح للتصويت/ وإلى مكان أضع فيه المواد التي أعتمد عليها في عملية استنهاض الأفكار المتعلقة بمجلتي الإلكترونية الجديدة.

وهكذا كتبت:

قبل أن نصبح أنا وأماندا شبه صديقتين تربطهما علاقة سطحية، أتذكر أنني نمت في بيتها يوماً برفقة بعض الفتيات، وتحدثنا مع أخويها اللذين يكبرانها، فأخبرانا أن الفتيات اللواتي يقمن بعلاقات حميمة مع الشبان من دون أن يجمعهن بهم رابط الزواج سافلات ومنحطات، بينما اللواتي لا يفعلن ذلك يُشعرن بالضيق. وقد تأثرت الفتيات اللواتي قضين تلك الليلة في بيتها بتلك الفكرة، لأنه لم تكن بيننا واحدة لديها أشقاء شبان أكبر منها، ولذلك عندما أصبحنا بمفردنا قالت لنا

أماندا: "إن الطريقة الوحيدة للتغلب على تلك المشكلة هي أن يكون لديك شاب واحد وأن تبقي معه إلى الأبد". ولكن، هل لعبارة إلى الأبد نهاية تعتبر جزءاً لا يتجزأ منها؟

أتى فينش ليصطحبني معه صباح السبت، فوجدت آثار الضرب ظاهرة عليه بعض الشيء، لكنه لم ينطلق بنا بعيداً هذه المرة، بل اكتفى بالوصول إلى المشتل حيث قمنا بركن السيارة، وقبل أن يصل إليّ قلت له: "ما الذي حدث مع المتسكع؟".

فرد: "وكيف عرفت بأمر المتسكع؟".

قلت: "أخبرني ريان، ومن الواضح أنك دخلت في عراك معه".

فسألني: "ألا يجعلني ذلك أكثر جاذبية؟".

فقلت: "كن جدياً وأخبرني بما حدث؟".

فرد: "لا شيء يستحق أن تقلقي بشأنه. لقد كان حقيراً معي، أليست هذه مفاجأة كبيرة بالنسبة إليك؟ والآن، إذا فرغنا من الحديث عنه، لدي خطط أخرى في ذهني أود أن أنفذها". ثم صعد إلى كرسي السيارة الخلفي وسحبني وراءه.

وعندها، شعرت بأنني قد خلقت لأعيش تلك اللحظات التي كنت خلالها على وشك أن أستلقي بجانبه، كما شعرت بأن الوقت قد حان ليحدث ذلك، حيث أصبح جلده يلامس جلدي، ثم أخذ التيار الكهربائي يسري في كامل جسدي حينما لمسني، وأحسست بأنني قد أمضيت بقية اليوم وأنا أتشوق إلى ما كان يحدث في تلك اللحظات.

أخذنا نقبّل بعضنا إلى أن شعرت بالخدر في شفتي، لكننا كنا نكبح نفسينا حينما نصل إلى حافة فكرة *في يوم ما*، فنقنع بعضنا بأن الوقت لم يحن بعد، وأن المكان غير ملائم. ومع ذلك، احتاج الأمر منا إلى قوة إرادة لم أكن أعرف أنني أمتلكها. في الحقيقة، كانت أفكاري تدور حوله وحول الوضع التقريبي وغير المتوقع الذي وصلنا إليه في ذلك اليوم.

وحينما عاد إلى بيته كتب لي رسالة قال فيها: **إنني أفكر دائماً بذلك اليوم.**

فكتبت له: **سيأتي ذلك اليوم قريباً.**

فينش: ومتى سيأتي ذلك اليوم؟

أنا: ؟؟؟؟

فينش: *#@*!!!

أنا: ☺

الزمان: الساعة التاسعة صباحاً، المكان: بيتي.

حينما استيقظت ونزلت إلى الطابق السفلي كان والداي في المطبخ يقطّعان الخبز، فنظرت إليّ أمي من فوق كوب القهوة الذي أهديناها أنا وإليانور إياه بمناسبة يوم الأم بعدما كتبنا عليه: *أمي نجمة الروك*، وقالت لي: "وصل شيء لك".

فقلت: "لكنه يوم الأحد".

فردت: "لقد تركه لك أحدهم عند عتبة الباب".

فتبعتها إلى غرفة الطعام وأنا أفكر في أن طريقتها في المشي تشبه طريقة إليانور، إذ كان شعرها يتأرجح، بينما كانت كتفاها مشدودتين إلى الخلف. غير أن إليانور كانت تشبه أبي أكثر، بينما كنت أشبه أمي أكثر، لكنها كانت تشترك مع أمي بالحركات والأسلوب ذاته، ولهذا كان كل من يراها يقول مخاطباً أمي: "يا إلهي كم تشبهك!". وهنا خطر ببالي أن أمي قد لا تسمع تلك العبارة مرة أخرى في حياتها.

كان هنالك شيء ما موضوع في كيس ورقي بني اللون كذلك الذي تغلف به الأسماك، وقد وضع ذلك الكيس فوق طاولة غرفة الطعام، لكنه كان مربوطاً بشريط أحمر، وكان الكيس بحد ذاته ممتلئاً، وقد كتبت على أحد جوانبه عبارة: *فوق البنفسجية*.

هتف والدي عند عتبة الباب: "هل تعرفين من أرسل لك هذا الكيس؟". وكانت قطع من فتات الخبز قد علقت بلحيته، فنادته أمي: "جيمس!". وأخذت تزيل تلك القطع عن شعر لحيته، أما هو فأخذ يفرك ذقنه.

عندها، لم يكن أمامي أي خيار آخر سوى أن أفتح الكيس أمامهما، ورجوت الله ألا أجد فيه شيئاً محرجاً، لأنه مع تيودور فينش لا حدود للتوقعات.

وبمجرد أن سحبت الشريط ومزقت الورق، شعرت بأنني عدت طفلة في السادسة من عمرها وهي تحتفل بالكريسمس. ففي كل عام، كانت إليانور تعرف الهدية التي ستحصل عليها. إذ بعدما قمنا بفتح قفل خزانة مكتب أمي أصبحت أختي تفتح هداياها وهداياي، ولكن ليس قبل مغادرتي للغرفة، ثم كانت تحاول أن تخبرني عن تلك الهدايا، لكنني كنت أرفض ذلك وأمنعها من إخباري. لقد كان ذلك في تلك الأيام التي لم أكن أمانع أن أفاجأ فيها.

وجدت داخل الكيس الورقي البني نظارة واقية؛ كتلك التي يرتديها المرء أثناء السباحة، فسألتني أمي:

"هل لديك أية فكرة عن هوية المرسل؟".

فأجبتها: "إنه فينش".

فهتفت: "نظارة واقية؟! يبدو هذا جدياً للغاية". ثم ابتسمت لي ابتسامة مفعمة بالتفاؤل والأمل.

قلت لها: "عذراً يا أمي، إنه مجرد صديق".

لم أعرف سبب قولي ذلك لها، إلا أنني لم أكن أريد منهما أن يطرحا عليّ أسئلة عن مقصده من وراء تلك الهدية أو ماهيتها، لاسيما في هذا الوقت الذي لم أكن فيه واثقة من نفسي فعلاً.

وهنا ردت أمي: "ربما مع الوقت؛ إذ هنالك دوماً متسع من الوقت". فكانت هذه الجملة إحدى الجمل التي كانت إليانور ترددها.

أخذت أنظر إلى أمي لأعرف إن كانت قد انتبهت إلى أنها تنقل كلام ابنتها حرفياً. ولكن، حتى لو انتبهت فما كانت لتبدي لي ذلك، بل تظاهرت بأنها منشغلة للغاية في تفحّص النظارة الواقية، وسؤال أبي إن كان يتذكر تلك الأيام التي كان يرسل خلالها الهدايا إلى أمي حينما كان يحاول أن يقنعها بالخروج معه.

حينما صعدت إلى الطابق العلوي، كتبت لفينش: **أشكرك على النظارة الواقية، ولكن ما هي استخداماتها؟ أتمنى ألا تخبرني أنك تريد مني أن أضعها حينما يأتي ذلك اليوم.**

فرد علي برسالة جاء فيها: **انتظري وسترين. سنستخدم هذه النظارة قريباً، وسنراقب معاً أول يوم دافئ، إذ لا بد أن يتسلل يوم دافئ في منتصف الشتاء. لا تنسي النظارة!**

فينش

أول يوم دافئ

في الأسبوع الثاني من شهر شباط هبّت علينا عاصفة ثلجية شلت حركة المدينة بأكملها لمدة يومين، إلا أن أفضل ما حملته تلك العاصفة كان تعطيل المدارس، وأسوأ ما فيها كان طبقات الثلج العالية التي تكدست في الطرقات، والهواء الذي أصبح بارداً للغاية؛ لدرجة أنه صار من الصعب على المرء أن يبقى خارج البيت لمدة تزيد عن خمس دقائق. ولهذا أقنعت نفسي بأن ذلك مجرد ماء ولكنه يأتينا بشكل مختلف، ثم سرت إلى بيت فيوليت حيث بنينا أكبر رجل ثلج في العالم، وأسميناه السيد بلاك، ثم قررنا أن نجعله معلماً سياحياً لكل من يرغب في رؤيته أثناء جولته. وبعد ذلك جلسنا مع والديها حول النار، حيث شعرت وكأنني فرد من تلك العائلة.

وحينما ذاب الثلج الذي كان يغطي الشوارع والطرقات تسللنا أنا وفيوليت بحذر شديد لرؤية قوس القزح، ولرؤية عرض الجدول الدوري، والأعمدة السبعة، وكذلك إلى الموقع الذي قتل فيه ودفن الإخوة رينو الذين كانوا الأوائل في سرقة قطار في أمريكا.

صعدنا الجدران الشاهقة والمنحدرة لمقلع الحجارة الذي استخرج منه 63018, طناً من الحجارة التي استخدمت في تشييد مبنى الإمباير ستيت. كما زرنا شجرة قمر إنديانا؛ وهي عبارة عن شجرة جميز عملاقة يزيد عمرها عن ثلاثين سنة، نبتت من بذرة تم نقلها إلى القمر ثم إعادتها. وهذه الشجرة مشهورة؛ لأنها

واحدة من بين خمسين شجرة أخرى بقيت معمرة من أصل مجموعة كانت تضم خمسمئة شجرة.

كما ذهبنا إلى كوكومو لنسمع صفير الهواء، حيث ركنا *الصغيرة* فجأة بعدما فقدت السيطرة عليها عند سفح تلة غرافيتي، ثم سرنا نحو القمة، فبدت مسيرتنا وكأنها جولة في أبطأ مركبة دوارة في العالم، لكن الأمر كان مجدياً بطريقة ما؛ إذ وصلنا إلى القمة في غضون دقائق. بعد ذلك أخذتها لتناول طعام العشاء بمناسبة يوم الحب في مطعمي المفضل الذي يعرف باسم: هابي فاميلي[1] والذي يقع بعد مركز تسوق مكشوف يبعد عن البيت مسافة خمسة عشر ميلاً، ويقدم أفضل الوجبات الصينية الموجودة في منطقة شرقي الميسيسيبي.

صادف أول يوم دافئ يوم سبت، وهكذا انتهى بنا المطاف في منطقة برايريتون عند بحيرة بلو هول[2]، وهي عبارة عن بحيرة مساحتها 14.520 ياردة مربعة، وتعتبر ملكية خاصة. وكانت الأشياء التي سنتركها هناك عبارة عن بقايا أقلام رصاص من ماركة سات رقم 2 تعود إلى فيوليت، مع أربعة أوتار غيتار مقطوعة. كان الهواء يومها دافئاً للغاية، لذا لم نكن بحاجة إلى ارتداء سترة صوفية سميكة، بل كان يكفي أن يرتدي المرء سترة خفيفة. كما أن الطقس بدا بالنسبة إلينا استوائياً بعد الشتاء القاسي الذي مررنا به.

مددت يدي وأمسكت بها لأرفعها فوق السد، ثم إلى أسفل التلة، ووصولاً إلى بحيرة واسعة ومستديرة بدت المياه فيها بلون أزرق، وكانت الأشجار تحيط بها من كل جانب. كان ذلك المكان يتمتع بالخصوصية والهدوء لدرجة أنني تخيلت أننا كنا الشخصين الوحيدين على ظهر كوكب الأرض، وبالطبع كنت أتمنى أن تتحقق هذه الفكرة على أرض الواقع.

وفجأة سمعتها تقول: "حسناً". وذلك بعدما زفرت زفرة طويلة، وكأنها كانت قد حبست أنفاسها طيلة ذلك الوقت، فرأيت النظارة وقد تدلت حول

---

(1) العائلة السعيدة. (المترجمة)

(2) الفتحة الزرقاء. (المترجمة)

رقبتها، غير أنها بادرتني بالسؤال: "ما اسم هذا المكان؟".

فقلت: "إنها بحيرة بلو هول، ويقال إنها عميقة جداً لدرجة أنه يخيل للمرء أنه لا حدود لها، كما يقال إن قاعها تغطيه الرمال المتحركة، إذ يقال إن ثمة قوة وسط البحيرة تبتلع المرء فيصل إلى نهر تحت الأرض يجري ليصب في نهر الأباش، ويقال إن هذا النهر ينقل المرء إلى عالم آخر، ولذلك تحوّل هذا المكان إلى مكان يقوم القراصنة بتخبئة الكنوز ودفنها فيه. أما بالنسبة إلى المهربين الآتين من شيكاغو، فيساعدهم هذا النهر على دفن الجثث وإغراق السيارات المسروقة. ويقال إنه في خمسينيات القرن الماضي قامت مجموعة من الشبان المراهقين بالسباحة في هذه البحيرة، لكنهم اختفوا بعد ذلك. وفي عام 1969، أطلق مندوبا العمدة حملتين للبحث عن الفتحة، فلم يجدوا أياً من السيارات أو الكنوز أو الجثث، بل لم يصلوا إلى قاع البحيرة أصلاً؛ لأن كل ما وجدوه كان عبارة عن دوامة مائية كادت تبتلعهم جميعاً".

كنت قد تخليت عن القبعة الحمراء والقفازين والسترة السوداء، وارتديت الكنزة الصوفية ذات اللون البحري مع بنطال جينز. كما كنت قد قصصت شعري بشكل أقصر، لذا حينما رأتني فيوليت للمرة الأولى بعد الحلاقة هتفت بي: "حسناً يا فينش، أصبحت أمريكياً خالصاً". لكنني بدأت حينما وصلنا إلى البحيرة بخلع حذائي وقميصي؛ لأن الجو كان حاراً إلى حد ما تحت أشعة الشمس، ومن ثم هيأت نفسي للسباحة وأنا أخاطب فيوليت قائلاً: "ثمة فتحات زرقاء لا قرار لها في مختلف أنحاء العالم، وقد حيكت حول كل فتحة منها أساطير مشابهة للأسطورة التي حكيتها لك، إلا أن تلك الفتحات تتخذ شكل كهوف ومغاور وذلك على مدار آلاف السنين؛ لاسيما خلال العصر الجليدي الأخير. وتشبه تلك الفتحات الفتحات السوداء التي تغطي الأرض، ويقصد بذلك تلك الأماكن التي لا يستطيع أي كان أن يعيش فيها، حيث يندثر فيها الزمان والمكان. ولكن، أليس من الرائع أن تكون لدينا فتحة خاصة بنا؟".

فما كان منها إلا أن ألقت نظرة على البيت والسيارة والشارع ثم ابتسمت لي وقالت: "بالطبع. إنه شيء رائع". ثم خلعت حذاءها وقميصها وبنطالها، وخلال

ثوانٍ معدودة كانت تقف وهي ترتدي حمالة صدرها وسروالها التحتي فقط، واللذين كانا بلون زهري فاتح، لكنهما كانا أشد قطعتين داخليتين مثيرتين رأيتهما في حياتي.

في تلك اللحظة، أصبحت عاجزاً عن الكلام كلياً فبدأت تضحك علي، ثم قالت: "هيا تعال! فأنا أعرف أنك لا تخجل، لذا اخلع سروالك ولنقم بذلك. أعتقد أنك تريد أن تتأكد من حقيقة الإشاعات". غير أنني لم أفهم ما قصدته حينئذ، لكنني بعد ذلك رأيتها تبرز أحد ردفيها على طريقة أماندا مونك، ثم تضع يدها فوقه وتقول: "بخصوص تلك البحيرة التي لا قرار لها".

فأجبتها: "أوه، أجل، حسناً، بالطبع". ثم خلعت بنطالي وأصبحت عارياً إلا من سروالي التحتي، ثم أمسكت بيدها، وسرنا حتى بلغنا الحافة الصخرية التي تحيط بجزء من البحيرة، وتسلقنا تلك الصخور، وعندما أصبحنا فوقها سألتها قبل أن نقفز: "ما هو أكثر شيء تخشينه؟". وكنت وقتها أشعر بالشمس وهي تحرق جلدي.

فأجابتني: "الموت، فقدان والديّ، البقاء هنا طيلة حياتي، أن أكون إنسانة عادية، أن أفقد شخصاً أحبه. كما أريد عدم التفكير في ما يتوجب علي القيام به". عند ذلك، أخذت أسأل نفسي إن كنت من بين الأشخاص الذين كانت تحبهم أم لا، لكنها أخذت تقفز على قدميها وكأنها تشعر بالبرد، ولذلك حاولت ألا أطيل النظر إلى صدرها وهي تقوم بذلك، وذلك لأن فينش الأمريكي الخالص ليس عديم الأخلاق مهما كانت الأمور الأخرى التي قام بها. وهنا سألتني وهي تضع النظارة الواقية على عينيها: "وماذا عنك؟ ما هو أكثر شيء يخيفك؟".

أخذت أفكر في سري: *إنني أخشى من*... وهنا تنبّهت واتخذت جانب الحذر، ثم عدت لأفكر في سري: *أكثر ما يخيفني هو السقوط لمسافة طويلة، وأكثر ما يخيفني هو حالة النوم* واقتراب الأجل مع الإحساس بانعدام الوزن، *وأكثر شيء أخافه هو نفسي.*

لكنني قلت لها: "لا أخاف من شيء". ثم أمسكت بيدها، وقفزنا معاً في الهواء، فمرت عليّ لحظة لم أكن أخشى فيها شيئاً سوى ألا أتمكن من الإمساك

بيدها. كان الماء دافئاً لدرجة أدهشتني، أما تحت السطح فكانت المياه صافية ورائعة وزرقاء بشكل غريب. أخذت أنظر إلى فيوليت وأنا أتمنى أن تكون عيناها مفتوحتين، وكانتا كذلك بالفعل، فأشرت لها بيدي الأخرى التي لم تكن ممسكة بيدها نحو الأسفل، فهزت لي برأسها، وأخذ شعرها يتراقص كالأعشاب البحرية، وهكذا أخذنا نسبح معاً من دون أن تترك يدي أو أترك يدها، وبدونا كشخص واحد لديه ثلاث أذرع.

أخذنا نغوص نحو الأسفل حيث يجب أن يكون القاع؛ هذا إن كان موجوداً أصلاً. وكنا كلما توغلنا نحو العمق أكثر صار اللون الأزرق داكناً أكثر، حتى إننا أحسسنا أن لون الماء أصبح داكناً أكثر، وكأن وزنه قد استقر. وبقينا كذلك إلى أن أحسست بيدها تهز يدي، وعندها اندفعنا نحو الأعلى وصولاً إلى السطح، حيث خرجنا من الماء، وملأ كل منا رئتيه بالهواء، وهنا هتفت فيوليت: "يا إلهي! إنك بارع في حبس أنفاسك".

فأجبتها: "إنني أتدرب على ذلك". لكنني تمنيت لو أنني لم أقل لها ذلك؛ لأن هذا الأمر كان من بين الأمور التي ربما كان من الأفضل أن أحتفظ بها لنفسي بحسب قناعتي.

فما كان منها إلا أن ابتسمت لي ثم أخذت ترشني بالماء، فأخذت أرشها به أنا أيضاً، وبقينا كذلك لفترة من الزمن، ثم أخذت ألحق بها وأطاردها في أرجاء البحيرة؛ إذ كنت أغطس تحت الماء ثم أسحبها من ساقيها، غير أنها كانت تفلت من قبضتي وتنطلق في سباحة صدرية رشيقة وقوية، وعندها تذكرت أنها فتاة من كاليفورنيا، ولعلها كبرت وهي تسبح في مياه المحيط. وفجأة شعرت بالغيرة من كل السنوات التي قضتها قبل أن تلتقيني، ثم أخذت أسبح خلفها، وكل منا ينظر إلى الآخر. وفجأة، لم تعد مياه العالم بأسرها تكفي لتغسل أفكاري من القذارة التي حلت عليها.

وفجأة قالت لي: "إنني سعيدة بمجيئنا إلى هنا".

أخذنا نسبح على ظهرينا، إلا أن يدينا كانتا متشابكتين، ووجهينا نحو الشمس. وبما أن عينيّ كانتا مغمضتين همستُ: "ماركو".

فردت علي: "بولو". وبدا لي صوتها كسولاً وبعيداً.

إلا أنني بعد هنيهة قلت لها: "ألا ترغبين في الغوص لرؤية القاع مرة أخرى؟".

فأجابتني: "كلا، فأنا أحب السباحة هنا؛ تماماً كما نحن الآن". ثم سألتني: "متى حصل الطلاق بين والديك؟".

فأجبتها: "في مثل هذه الأيام من السنة الماضية".

سألتني: "هل كنت تعرف أنه سيحدث؟".

فأجبتها: "كنت أعرف ولا أعرف".

سألتني: "هل تحب زوجة أبيك؟".

فقلت: "إنها جيدة، لكنّ لديها ابناً في السابعة من عمره، وأشك في أن هذا الولد هو ابن أبي لأنني متأكد بأنه كان يخون أمي معها خلال السنوات القليلة الماضية، إذ كان قد تركنا مرة حينما كنت في العاشرة أو الحادية عشرة من العمر، وادعى أنه لم يعد يستطيع التعامل معنا على الإطلاق، وأظن أنه كان بصحبتها حينها. لكنه عاد لاحقاً، إلا أنه حينما تركنا بشكل نهائي حاول أن يؤكد لنا بأن الذنب كان ذنبنا نحن. لقد كان ذنبنا أنه عاد إلينا، وذنبنا أنه غادر؛ لأنه لا يستطيع أن يكون مسؤولاً عن أسرة".

فعقبَت على كلامي بالقول: "ثم تزوج امرأة لديها ولد! حدّثني عن ذلك الولد".

فكرت: *إنه الفتى الذي لن أكونه*، ثم قلت لها: "إنه مجرد ولد". لأنني لم أكن أريد أن أتحدث عن جوش ريموند، ثم تابعت: "سأغطس بحثاً عن القاع، فهل تريدين أن تبقي هنا؟ أيزعجك ذلك؟".

فردت: "سأكون بخير. اذهب أنت وسأبقى هنا". ثم أخذت تسبح بعيداً عني.

أخذت نفساً عميقاً ثم غطست، وشعرت بالامتنان لظلمة الماء والدفء الذي كان يحيط بجسمي، وهكذا أخذت أسبح لأتخلص من فكرة جوش ريموند وأبي الخائن ووالدَي فيوليت اللذين يتدخلان بكل شيء، ومع ذلك كانا يتعاملان معها

كصديقين لها. وتذكرت أمي الحزينة التي هجرها زوجها، وتذكرت آلامي، فأغمضت عينيّ وتخيلت فيوليت مكان الماء وهي تحيط بي من كل جانب، ثم فتحت عينيّ واندفعت نحو الأسفل، في حين أبقيت إحدى ذراعي خارج الماء كسوبرمان.

شعرت من خلال الضغط الذي تعرضت له رئتاي بأنني أصبحت بحاجة إلى الهواء، لكنني تابعت الغوص، وأحسست بأن ذلك الضغط يشبه الضغط الذي كنت أحس به حينما أحاول أن أبقى مستيقظاً بالرغم من إحساسي بالظلام الذي يلفني، وعندها أحاول أن أستعيد جسدي من دون أن أطلب ذلك، حيث تصبح يداي يدَي ذلك الجسد، وساقاي ساقيه.

أخذت أغوص أعمق فأعمق، وأحسست بضغط أكبر على رئتيّ اللتين بدأتا تؤلمانني، وداهمني إحساس بعيد بالذعر، إلا أنني هدّأت من روعي قبل أن أغطس بجسدي نحو مكان أعمق؛ إذ كنت أريد أن أعرف إلى أي عمق يمكنني أن أصل، ثم *إنها كانت تنتظرني*، وكانت فكرة انتظارها لي هي كل ما كان يدور بخلدي وقتها، غير أنني في الوقت ذاته كنت أحس بالظلمة وهي تغادرني من بين أصابعي، بالرغم من أنها كانت تحاول أن تحكم قبضتها علي.

وهنا فكرت:

أقل من 2 بالمئة من نسبة المنتحرين في الولايات المتحدة ينتحرون غرقاً، ولعل ذلك يرجع إلى أن جسم الإنسان لا يغرق بطبيعته، إلا أن الدولة الأولى على مستوى العالم بنسبة الانتحار غرقاً هي روسيا- سواء أكان ذلك بالصدفة أم بغير ذلك- التي تتفوق على الدولة التي تليها في ذلك وهي اليابان بنسبة تعادل الضعف. أما جزر كايمان التي يحيط بها البحر الكاريبي من كل جانب ففيها أقل نسبة انتحار بالغرق على مستوى العالم.

كان يعجبني أن أغوص أعمق حيث يصبح الماء أثقل، كما كنت أشعر بأن الغوص في الماء أفضل من الجري؛ لأن الماء يحجب كل شيء، ثم إنه يمثّل قوتي الخاصة وطريقتي في التحايل على حالة النوم، إذ كنت أعتمد على الماء لإيقاف تلك الحالة حينما تنتابني.

كنت أريد أن أصل إلى نقطة أعمق من تلك التي وصلت إليها؛ لأنني كلما غصت أعمق كان ذلك أفضل بالنسبة إليّ، ولذلك كنت أريد أن أواصل الغوص، إلا أن شيئاً ما منعني من ذلك، وهذا الشيء كان التفكير بفيوليت. كنت أحس بألم في رئتيّ، لكنني أخذت أحدق إلى الظلام حيث يجب أن أجد القاع بترقب، لكنني لم أجده. وهكذا، أخذت أنظر نحو الأعلى مرة أخرى باتجاه النور، وشعرت بأنه كان ضعيفاً وخافتاً للغاية، لكنه كان موجوداً وكان ينتظرني برفقة فيوليت، هناك عند السطح فوق رأسي.

احتجت إلى قوة هائلة كي أدفع بجسدي نحو الأعلى، لأنني كنت بحاجة إلى الهواء حينها بشكل ملح، وهنا عاودني الشعور بالذعر، حيث داهمني هذه المرة بشكل أقوى من المرة السابقة، غير أنني كنت قد يممت وجهي شطر السطح، وكنت أنادي على جسمي: *تعال! تعال أرجوك!* وبالرغم من أن جسدي كان يرغب في تلبية طلبي إلا أنه كان متعباً، وهنا أخذت أقول في سري: *أنا آسف، آسف جداً يا فيوليت! لن أتركك وحدك مرة أخرى. لم أكن أعرف ما الذي كنت أفكر فيه. إنني قادم إليك.*

وحينما خرج رأسي من الماء أخيراً، رأيتها جالسة على الضفة وهي تبكي، وحالما رأتني هتفت: "أحمق!".

أحسست بابتسامتي تختفي، وأخذت أسبح نحوها وقد رفعت رأسي فوق الماء، لأنني خشيت أن أغطس مرة أخرى، حتى ولو لثانية، لئلا يجن جنونها.

إلا أنها هتفت بي: "أحمق!". فكان صوتها هذه المرة أعلى، وكانت واقفة بملابسها الداخلية وهي واجمة، وقد لفّت ذراعيها حول نفسها في محاولة منها لتحافظ على حرارة جسمها ولتغطي جسدها ولتبتعد عني، وهنا بادرتني بالقول: "ما هذا الجنون؟ هل تدرك كم أخفتني؟ لقد بحثت عنك في كل مكان. لقد غطست إلى أعمق نقطة يمكنني الوصول إليها قبل أن ينفد الهواء من رئتيّ، وعندها كان علي أن أعود، وقد كررت تلك العملية ثلاث مرات".

كنت أريد منها أن تنطق باسمي لأنني كنت سأعرف حينها أن الأمور ستكون على ما يرام بيني وبينها، وأنني لم أتمادَ في تصرفي معها، وأنني لن أخسرها

إلى الأبد. لكنها لم تنطق باسمي، ولذا بدأت أشعر بإحساس بارد ومظلم أخذ يكبر ويتوسع في تجويف بطني، وأحسست بأن كل نقطة في تلك المنطقة أصبحت باردة ومظلمة؛ تماماً كالماء الذي غطست فرأيته. كنت قد وجدت الحافة الخارجية للفتحة الزرقاء حيث يظهر هناك القاع فجأة، لكنني خرجت من تلك المنطقة وتوجهت إلى الأعلى إلى أن أصبحت بجوار فيوليت، وأخذ الماء يقطر من جسمي فوق الضفة.

أخذت فيوليت تدفعني بقوة مرة واثنتين، فعدت إلى الوراء ولكنني لم أفقد موضع قدميّ، ثم وقفتُ بينما كانت تضربني، وبعدها شرعت بالبكاء وبدأت ترتجف.

كنت أريد أن أقبلها، لكنني لم أكن قد رأيتها بمثل هذه الحالة من قبل، و لم أكن أعرف ما الذي قد تقوم به إن حاولت لمسها، وأخذت أقول لنفسي: *صدقني يا فينش إنها لا تبكي عليك*، وهذا ما جعلني أبتعد عنها مسافة ذراع لأقول لها: "أخرجي كل ما بداخلك وكل ما تحملينه من هموم، فأنت غاضبة مني ومن والديك ومن الحياة ومن إليانور. تعالي إليّ، ودعيني أحمل معك هذا الحمل من دون أن تهربي". وكنت أقصد بذلك ألا تتقوقع على نفسها وتنزوي على ذاتها وتمنعني من الوصول إليها ومساعدتها.

فما كان منها إلا أن هتفت بي: "اللعنة عليك يا فينش".

فقلت: "هذا أفضل. أكملي، لا تتوقفي عند هذا الحد الآن. لا تقفي على رصيف الانتظار كما يفعل غيرك. فقد كتب لك أن تعيشي بعدما نجوت من حادث مروع بالفعل. ولهذا أنت الآن... هنا. إنك *تعيشين* فقط كما يعيش أي شخص آخر، لذا عليك أن تنهضي، وأن تقومي بأشياء كثيرة. عليك أن تغسلي قلبك، وأن تكرري تلك العملية مرات ومرات إلى أن يكف عقلك عن التفكير في ذلك الأمر".

لكنها أخذت تبعدني عنها بقوة مرة بعد مرة، ثم قالت لي: "كفّ عن لعب دور الشخص الذي يعرف ما أشعر به". وكانت حينها تضربني بقبضتيها بقوة، لكنني بقيت واقفاً من دون أن تتزحزح قدماي من مكانيهما، متقبلاً كل ما كانت تفعله.

وما كان مني إلا أن قلت لها: "أعرف أن هنالك الكثير في قلبك، ولعلها سنوات من التعب كنت تحاولين إخفاءها بابتسامة في محاولة منك لعدم تذكرها".

وهنا أخذت تضربني أكثر فأكثر، ثم غطت وجهها بيديها فجأة وهتفت: "إنك لا تعرف إحساسي، إذ إنني أشعر بأن تلك الشخصية الغاضبة القابعة في داخلي تحاول أن تفلت مني، وكأنها كانت تحاول أن تهرب لأن حجمها قد تضاعف، وعندها بدأت تصعد لتصل إلى رئتي فصدري فحلقي، أما أنا فأحاول أن أدفعها لتعود إلى الداخل، لأنني لا أريدها أن تخرج، ولا أستطيع أن أخرجها".

سألتها: "لَم لا؟".

فأجابت: "لأنني أكرهها، لأنها لا تشبهني؛ لكنها ستبقى في داخلي ولن تدعني وشأني، وكل ما بوسعي التفكير فيه هو أنني أريد أن ألجأ إلى شخص ما، إلى أي كان، ليخلصني من تلك الأفكار، لأنني غاضبة من كل ما يعتمل في صدري".

فصرخت في وجهها مرة أخرى: "إذاً، لا تخبريني. اكسري شيئاً ما، حطّمي شيئاً ما، ارمي شيئاً ما، أو اصرخي. ولكن أخرجي كل ما في نفسك". ثم صرختُ وصرختُ، وبعدها أمسكتُ بحجر ورميته على السّور الذي يحيط بالحفرة فتحطم.

ثم ناولتها حجراً، فوقفت وأطبقت عليه براحة يدها، وكأنها لم تكن تدري ما يجب عليها القيام به. فما كان مني إلا أن أخذت الحجر منها، ورميته بعنف نحو السور، ثم أعطيتها حجراً آخر، فبدأت ترمي الحجارة نحو السور، الواحد تلو الآخر، وهي تصرخ وتضرب الأرض بقدميها، وبدت كمن فقد رشده. أخذنا نقفز فوق الضفة ونحن نقوم بسحق الأشياء حولنا، ثم التفتت نحوي فجأة وهتفت: "من نحن؟ وما الذي نفعله هنا بالضبط؟".

عند ذلك لم أتمالك نفسي. إذ بالرغم من هيجانها، وبالرغم من أنه كان من الممكن أن تكرهني في تلك اللحظة، إلا أنني سحبتها نحوي وقبّلتها بالطريقة التي كنت أتمنى أن أقبّلها بها دوماً، وحمّلت قبلتي كلّ مشاعري. في البداية، شعرت بتوترها؛ إذ لم تكن ترغب بأن تبادلني تلك القبلة، فحطمت هذه الفكرة فؤادي.

ولكن قبل أن أبتعد عنها شعرت بها تنحني وتذوب فيّ كما أذوب فيها تحت شمس إنديانا الدافئة. ثم بقيت بين أحضاني ولم تقرر المغادرة إلى أي مكان آخر. وهكذا، أدركت أن الأمور ستتم على ما يرام، وقلت لنفسي: *لقد كسبت. فقد خضعنا لهذا التدفق البطيء... وانجرفنا معه في الداخل والخارج... ولم نعد نستطيع الخروج من بين حوافه المتعرجة المترددة الفجة التي كانت تحيط بنا من كل صوب.*

في تلك اللحظة أبعدتها عني.

فقالت لي: "ماذا دهاك يا فينش؟". كانت منفعلة وغاضبة، وأخذت تحدق إليّ بعينيها الخضراوين الواسعتين.

قلت لها: "تستحقين من هو أفضل مني؛ إذ ليس بوسعي أن أعدك بأنني سأبقى معك. ليس لأنني لا أريد ذلك، بل لأنه يصعب علي أن أشرح لك؛ لأنني شخص قد خانته الحياة وحطّمته حيث لم يعد بإمكان أحد إصلاح ما تحطم داخلي. ثم إنني متعب، لكنني ما زلت أحاول. إلا أنني لا أستطيع أن أحب أحداً لأنني بذلك سأظلم الشخص الذي سيبادلني الحب. لن أجرحك كما كنت أريد أن أؤذي المتسكع، غير أنه ليس بمقدوري أن أعدك بأنني لن أجعلك تتمزقين إلى أن تتحولي إلى ألف جزء؛ تماماً كما حدث لي، لذا عليك أن تعرفي ما تقدمين عليه قبل أن تخوضي فيه".

فردت علي: "لقد بدأنا بالخوض في هذا يا فينش، هذا إن لم تكن قد لاحظت ذلك. كما أنني محطمة أيضاً، إن كنت لم تلاحظ هذا أيضاً". ثم صمتت قليلاً قبل أن تتابع كلامها قائلة: "ما الذي تسبب لك بتلك الندبة؟ أريد أن تروي لي القصة الحقيقية هذه المرة".

قلت لها: "إن القصة الحقيقية مملة، إذ انتابت والدي حالة مزاجية كئيبة من تلك الحالات التي كانت تنتابه، فكانت تلك المرة قاسية جداً لدرجة أنها كانت بعيدة عن أي أمل بأن يعود إلى وضعه الطبيعي، كما كان حجمي أصغر بكثير مما أنا عليه اليوم، وكنت لا أدري كيف أتجنب كل ذلك". كانت تلك الإجابة تشتمل على بعض الأمور التي لم أكن أريد أن أخبرها إياها، ومع ذلك تابعت: "أتمنى لو كان بوسعي أن أعدك بقضاء أيام جميلة ومشرقة، لكنني لا أستطيع أن أمثّل دور ريان كروس".

فردت علي: "إن كانت الحياة قد علمتني شيئاً، فلا بد أنه ليس بمقدور أحد أن يعد أحداً آخر بأي شيء. ثم إنني لا أريد ريان كروس، لذا دعني أفكر في ما أريده الآن". ثم أخذت تقبلني، وكانت قبلتها من ذلك النوع الذي أفقدني تركيزي وسعيي لمتابعة الأمور. وحين افترقت شفاهنا، لم أعد أدري إن كانت قد مرت ساعات أم دقائق.

وعندها قالت لي: "بالمناسبة، إن ريان كروس مهووس بالسرقة، فهو يسرق أشياء فقط ليشعر بالمتعة والتسلية، ثم إنه يسرق كل ما يقع تحت يده، وليس مجرد الأشياء التي يحتاج إليها، ولذلك تبدو غرفته كغرفة أحد الأشخاص المصابين بوسواس كنز الأشياء والذين يعرضهم برنامج *الكانزون*. أقول لك ذلك لأنك حسبما يبدو تعتقد أن ريان شاب مميز".

فقلت لها: "أعتقد أنني أحبك يا فوق البنفسجية المتميزة!".

وهنا لم تشعر هي بالحاجة إلى أن تقول لي إنها تحبني أيضاً، فما كان مني إلا أن قبّلتها مرة أخرى وأنا أتساءل إن كنت أجرؤ على التمادي معها أكثر من ذلك، وعلى الذهاب أبعد من ذلك؛ لأنني لم أكن أريد أن أفسد تلك اللحظة. وبما أنني كنت ذلك الشخص الذي يفكر ملياً بالموضوع، وبما أنها كانت تختلف عن سائر البنات، وبما أنني لم أكن أريد أن أدمر كل ذلك، أخذت أركز على تقبيلها على ضفة بحيرة بلو هول وتحت أشعة الشمس، ووجدت ذلك كافياً في ذلك الحين.

فيوليت

يوم الـ

حينما اقتربت الساعة من الثالثة أصبح الهواء بارداً من جديد، لـذا عـدنا بالسيارة إلى بيته لنستحم ولننعم بالدفء. كان بيته خاوياً؛ لأن كل من فيه كـان يأتي ويذهب حينما يحلو له. وحالما دخلنا أحضر الماء من الثلاجـة، مـع كـيس يحتوي على رقائق مملحة، ثم تبعته إلى الطابق العلوي، وكنت وقتها لا أزال أشـعر بالبلل، كما كنت أرتجف.

أصبح كل ما في غرفته أزرق اللون. وأعـني بـذلك الجـدران والسـقف والأرضية، كما كان قد جمع كل قطع الأثاث في زاوية واحدة، فبـدت الغرفـة مقسمة إلى قسمين. ثم اكتشفت أن الفوضى في غرفته أصبحت أقل، إذ لم أجـد ملاحظات أو كلمات على الجدران. وهكذا شعرت مع كل هذا الأزرق الـذي يحيط بـي وكأنني في حوض السباحة، أو وكأنني قد عدت إلى بحيرة بلو هول.

كنت أول من استحم بيننا؛ إذ وقفت تحت المياه الساخنة المتدفقـة لأنعـم ببعض الدفء. وحينما خرجت من الحمام بعدما أحطت جسمي بمنشفة، كـان فينش قد قام بتشغيل الموسيقى على الطاولة الدوارة القديمة.

وبخلاف الوقت الذي قضاه في السباحة في البحيرة، لم يستغرق حمامه أكثـر من دقيقة، حيث خرج قبل أن أتمكن من ارتداء ثيابـي، وقـد أحـاط خصـره بمنشفة، ثم قال لي: "لم تسأليني عما كنت أفعله عند حافـة النافـذة". ثم وقـف

فشعرت بأنه كان على استعداد لإخباري بأي شيء، لكنني ولسبب ما لم أكن واثقة من أنني كنت أريد أن أعرف.

لكنني مع ذلك سألته: "ما الذي كنت تفعله عند حافة النافذة؟". فخرج ذلك السؤال مني همساً.

فرد بقوله: "الشيء نفسه الذي كنت تفعلينه، إذ كنت أريد أن أختبر ذلك الشعور، كنت أريد أن أتخيل نفسي وأنا أقفز من هناك، كنت أريد أن أترك ورائي كل ما عشته من قذارة وبشاعة. ولكنني حينما بدأت بتخيل ذلك فعلياً لم تعجبني الفكرة، وبعد ذلك رأيتك".

وهنا أمسك بيدي، وجعلني أدور حول نفسي ثم أرتمي في حضنه، وأخذنا نتمايل ونرقص قليلاً، إلا أننا بقينا واقفين في مكانينا، وقد شد أحدنا الآخر إلى صدره. أخذ قلبي ينبض بشدة لأنني إن ملت برأسي نحو الخلف فسيقبلني كما كان يفعل في ذلك الحين، كنت أحس بشفتيه وهما ترتفعان في ابتسامة عند زاويتيهما، لذا فتحت عينيّ في اللحظة التي فتح هو فيها عينيه، فكانت عيناه زرقاوين، بل شديدتي الزرقة، وبغاية الشراسة والضراوة والإشراق، لدرجة أنهما تراءتا لي بلون أسود. أما شعره المبلل فكان قد تهدل فوق جبينه، وقد وضع رأسه فوق رأسي، وعندها أدركت أن منشفته ملقاة على الأرض، وأنه عارٍ تماماً.

وضعت أصابعي فوق رقبته، وأبقيتها كذلك إلى أن أحسست بنبضه الذي كان سريعاً ومحموماً؛ تماماً كنبضي حينها.

قال لي: "لسنا مضطرين إلى القيام بذلك".

فأجبته: "أعرف".

بعد ذلك، أغمضت عينيّ حينما سقطت منشفتي أنا أيضاً، ووصلت الأغنية إلى نهايتها، إلا أنني بقيت أسمعها؛ حتى بعدما أصبحنا في السرير وتحت الملاءة. وأخذت أغانٍ أخرى تنطلق من ذلك الجهاز.

فينش

يوم الـ

كان جسمها مؤلفاً من الأوكسجين والكربون والهيـدروجين والنتـروجين والكالسيوم والفوسفور، أي العناصر نفسها الموجودة لدى باقي البشر، إلا أنني لم أستطع إلا أن أفكر في أن جسمها يحتوي على ما هو أكثر من ذلك، وأن لـديها عناصر أخرى لم يكن أحد قد سمع بها من قبل، حيث كانت تلك العناصر تميزهـا عن غيرها من البشر. وداهمني الرعب هنيهة حينما خطـرت لي تلـك الفكـرة، وفكرت في سري: *ما الذي سيحدث إن اختفى عنصر من تلك العناصر أو توقف عن العمل فجأة؟* لكنني استبعدت تلك الفكرة لأركز على ملمس بشـرتها إلى أن اختفت جميع الجزيئات من أمامي، فلم أعد أرى سوى فيوليت.

وبينما كانت الأغنية تصلنا من الجهاز الموجود فوق الطاولة الدوارة، سمعت جملة رأيت فيها نفسي بشكل آخر، حيث جاء في الأغنية:

لقد جعلتني أحبك...

وهكذا أخذت هذه الجملة تتكرر في رأسي مرات ومرات بينما كنا مستلقيين.

لقد جعلتني أحبك

لقد جعلتني أحبك

لقد جعلتني أحبك

لقد جعلتني أحبك...

كنت أريد أن أنهض وأدوّن ذلك على ورقة وأعلّقها على الجدار، لكنني لم أفعل.

بعد ذلك، وبينما كنا مستلقيين ومتعانقين، قالت لي فجأة: "علي أن أذهب إلى البيت". لكننا بقينا مستلقيين لفترة أطول، ثم كررت ثانية: "عليّ أن أذهب إلى البيت".

وفي السيارة، تشابكت يدانا من دون أن ننبس بكلمة حول ما حدث. لذا، وبدلاً من أن أقود السيارة إلى بيتها، اتجهت نحو المنعطف، وعندما وصلنا إلى برج بورينا انتبهت وسألتني عما سنفعله هناك.

فسحبت البطانية والوسادة من المقعد الخلفي وقلت: "سأحكي لك قصة".

فسألتني: "هناك في الأعلى؟".

فأجبتها: "نعم".

صعدنا السلم الفولاذي واتجهنا نحو القمة. لا بد أن الهواء كان بارداً، لأنه كان بوسعي أن أشاهد بخار أنفاسي، إلا أنني كنت أشعر بالدفء طيلة الوقت الذي قضيناه في الصعود. وحينما وصلنا، تجاوزنا الشجرة، ثم فرشت البطانية واستلقينا فوقها وتدثرنا بها، وبعدها أخذت أقبّل فيوليت.

كانت فيوليت تبتسم وهي تبعدني عنها وتقول: "إذاً، احكِ لي حكاية". فاستلقينا على ظهرينا، ثم وضعت رأسها فوق كتفي، وفجأة بدت لنا النجوم صافية وساطعة، وكأنني طلبت منها أن تكون كذلك، حيث لاحت لنا ملايين النجوم بتلك الصورة البهية.

قلت لها: "كان هنالك عالم فلك بريطاني مشهور اسمه السير باتريك مور، وقد كان ضيفاً في برنامج تلفزيوني يعرف باسم *السماء ليلاً* كان يعرض على قناة بي بي سي، وقد استمر ذلك البرنامج لمدة تقارب خمسة وخمسين عاماً. على أية حال، أعلن السير باتريك مور في الأول من نيسان من العام 1976 عبر ذلك البرنامج أن شيئاً استثنائياً بات وشيك الحدوث وسيظهر في السماء في ذلك اليوم، إذ سيصادف عند حوالي الساعة 9:47 صباحاً بالضبط مرور كوكب بلوتو خلف كوكب المشتري مباشرة، فيكون بينه وبين الأرض على خط مستقيم، وفي ذلك ظاهرة غريبة أهم ما فيها أن قوة جذب هذين الكوكبين مجتمعة لا بد أن تنعكس على قوة المد والجزر التي

ستعاكس جاذبية الأرض بشكل مؤقت؛ مما سيجعل الناس يشعرون بخفة وزنهم. وقد أطلق ذلك العالم على تلك الظاهرة اسم أثر جاذبية كوكبي بلوتو والمشتري.

وهنا أحسست بثقل جسم فيوليت على ذراعي، فبقيت أسأل نفسي للحظات إن كانت قد استغرقت في النوم.

ثم تابعت: "أخبر باتريك مور المشاهدين بأنه يمكنهم أن يختبروا تلك الظاهرة، وذلك بالقفز في الهواء لحظة وصول هذين الكوكبين واصطفافهما في خط مستقيم واحد بالضبط، كما أخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فسيشعرون بخفة في وزنهم وكأنهم يطفون على سطح الماء".

وهنا تحركت فيوليت قليلاً، فتابعت:

"وحينما أصبحت الساعة 9:47 صباحاً، أمر هذا العالم الجميع بأن يقفزوا ثم انتظر. وبعد مرور دقيقة، أخذت لوحة الهواتف المركزية في القناة تضيء بفعل ملايين الاتصالات التي وردت من الناس الراغبين في إخبار ذلك العالم بأنهم قد شعروا بتلك الظاهرة. إذ اتصلت سيدة من هولندا لتخبره بأنها قد سبحت مع زوجها في أرجاء الغرفة، كما اتصل رجل من إيطاليا وأخبره بأنه كان قد أعد طاولة مع أصدقائه لكنهم جميعاً ارتفعوا في تلك اللحظة عن الأرض، وكذلك الطاولة. وقد اتصل رجل آخر من الولايات المتحدة وأخبره أن أولاده حلقوا كالطائرات الورقية في حديقة بيته الخلفية".

عند ذلك رفعت فيوليت رأسها وأخذت تنظر إلي ثم سألتني: "هل حدثت تلك الأمور بالفعل؟".

أجبتها: "بالطبع لا، فقد كانت تلك كذبة نسيان".

فما كان منها إلا أن ضربت ذراعي واستلقت على الأرض ثم قالت: "كدت أصدق ذلك بسببك".

فقلت لها: "لقد حكيت لك هذه الحكاية لتعرفي أن هذا ما أحس به الآن، فأنا أشعر بأن بلوتو قد اصطف مع المشتري والأرض على خط واحد ولهذا أصبحت أطفو".

سكتت قليلاً ثم قالت: "إنك غريب الأطوار جداً يا فينش. إلا أن تلك كانت أروع قصة سمعتها في حياتي".

فيوليت

صباح اليوم التالي

استيقظت قبله، فاكتشفت أن البطانية كانت تغطينا بالكامل وكأنها خيمة، فاستلقيت هناك هنيهة، وأنا مستمتعة بملمس ذراعه حولي وصوت تنفسه. كان ساكناً وهادئاً للغاية، إذ بالكاد كنت أشعر بوجوده. أخذت أراقب طريقة ارتعاش جفنيه أثناء نومه، فتساءلت إن كان يحلم بي أم لا.

في تلك اللحظة، فتح عينيه وكأنه شعر بأنني كنت أراقبه، وقال:

"إنك هنا بالفعل".

قلت: "إنني معك".

فقال: "وهذا ليس أثر جاذبية كوكبي بلوتو والمشتري".

قلت: "كلا".

فرد علي وهو يبتسم بخبث: "إذاً، سمعت بأن كوكب بلوتو على وشك أن يصبح على خط واحد مع المشتري والأرض، ولهذا كنت أسأل نفسي إن كنت تريدين أن تنضمي إلي بتجربة الطفو والسباحة". ثم شدني إليه فتغير وضع البطانية، أما أنا فأخذت أرنو نحو البريق والبرد.

وحينها خطر ذلك ببالي.

كان الوقت صباحاً.

وبما أن الشمس قد ارتفعت إلى كبد السماء، وبما أنها بدأت تهبط نحو نقطة

معينة، اكتشفت بأنني لم أعد إلى البيت، و لم أتصل بوالديّ لأخبرهما أين كنت، بما أننا كنا في قمة برج بورينا، حيث قضينا تلك الليلة.

هتفت: "ها قد حل الصباح". وشعرت حينها بأنني على وشك أن أمرض.

فجلس فينش وقد اصفر وجهه وقال: "تباً".

قلت: "يا إلهي... يا إلهي... يا إلهي".

مكتبة الرمحي أحمد

قال: "اللعنة... اللعنة... اللعنة".

وهكذا، أحسسنا بأن سنوات طويلة قد مرت علينا ونحن نهبط السلم الـــذي يبلغ عدد درجاته خمسة وعشرين ألف درجة. وحالما هبطنا، اتصلت بوالدي بينما كان فينش يخرج السيارة من المكان المخصص لركن السيارات على عجل، فهتفت حينما فتح الخط: "أمي؟ هذه أنا". فانفجرت أمي بالبكاء في الطرف الآخر مـــن الخط، ثم أتى والدي ليحدثني وقال لي: "هل أنت بخير؟ هل أنت سالمة؟".

فقلت: "أجل، أجل، أنا آسفة. سأصل بعد قليل لأنني قريبة من البيت".

لقد حطم فينش كل الأرقام القياسية للسرعة حتى يوصلني إلى البيت، لكنه لم يقل لي كلمة واحدة، ولعل السبب في ذلك هو أنه كان يركـــز علـــى القيـــادة. وكذلك لم أخاطبه أنا بأي كلمة، إلى أن استدرنا عند الزاوية الـــتي تصـــل إلى الشارع الذي كنت أقيم فيه، وعندها خطرت ببالي تلك الفكرة مجدداً والتي تدور حول ما أقدمت عليه، فهتفت وأنا أضع يدي على فمي: "أوه يا إلهي!". فتوقـــف فينش ونزلنا من السيارة وأسرعنا بالسير. كان باب البوابـــة مفتوحـــاً، وسمعـــت أصواتاً من الداخل تعلو وتنخفض.

وعندما وصلنا قلت لفينش: "عليك أن تذهب وتدعني أتحدث إليهما".

ولكن في تلك اللحظة بالذات ظهر أبـــي وبدا وكأنه كبر عشرين سنة خـــلال ليلة وضحاها، وأخذ يرمقني بعينيه ليتأكد إن كنت بخير، ثم جـــذبني إليـــه وعـــانقني بشدة، لدرجة أنه كاد يخنقني بعناقه، ثم خاطبني وأنـــا في حضـــنه قـــائلاً: "ادخلـــي يا فيوليت وودعي فينش". فبدا لي أمره قاطعاً وذلك نظراً إلى الطريقة التي خاطبني بها، إذ شعرت وكأنه يقول لي: *ودعي فينش لأنك لن تريه مرة أخرى في حياتك.*

غير أني سمعت فينش خلفي يقول: "لم ننتبه إلى الوقت، و لم يكن الـــذنب في ذلك ذنب فيوليت، بل ذنبـــي أنا. لذا، أرجوك ألا تعتب عليها".

كانت أمي قد وصلت حينها، فخاطبتُ أبـــي قائلة: "الذنب ليس ذنبه".

إلا أن أبـــي لم يكن يصغي إليّ، لأنه كان ينظر من فوق رأسي إلى فينش، ثم قال له: "لو كنت مكانك يا بني لغادرت هذا المكان". وحينما لم يتحرك فيـــنش من مكانه، اقترب والدي منه، فكان علي أن أسد عليه الطريق.

وهنا سحبت أمي أبـــي من ذراعه وهي تهتف: "جيمس!" وذلك لتمنعه من تجاوزي والهجوم على فينش، ثم أخذنا أنا وأمي ندفع أبـــي نحو البيت. بعد ذلك، حان دور أمي لتخنقني وهي تعانقني بشدة، وأخذت تبكي فوق رأسي، فلم أعـــد أستطيع رؤية أي شيء لأنني كنت حينها أختنق، ثم سمعت أخيراً صـــوت سـيارة فينش.

وفي الداخل، وبعدما هدأنا جميعاً إلى حد ما، جلست قبالة والدي، فكـــان والدي من أدار دفة الحديث، بينما بقيت أمي تحدق إلى الأرضية بعدما وضـــعت يديها بوهن فوق ركبتيها.

وهكذا أخذ أبـــي يقول لي: "إن هذا الفتى مضطرب يا فيوليت، إذ لا يمكن لأحد أن يتوقع تصرفاته، ثم إنه معتاد على التعامل مع الأمور التي تثير الغضب منذ أن كان صغيراً، لذا ليس الشخص المناسب لتقضي وقتك معه".

فما كان مني إلا أن قلت: "وكيف عرفت؟". لكنني عندها تذكرت الأرقـــام التي أعطاها إياها فينش، والتي كتبها بخط أنيق للغاية وبعنايـــة كـــبيرة، فقلـــت لأبـــي: "هل اتصلتما بوالدته؟".

فردت أمي: "ما الذي كان من المفترض بنا أن نقوم به؟".

فأخذ أبـــي يهز رأسه وهو يقول: "لقد كذب علينا بشأن أبيه، فقد حصل الطلاق في السنة الماضية، ثم إن فينش يرى أباه مرة واحدة في الأسبوع".

عندها، أخذت أتذكر ما قاله فينش لي حول أن الكذب لا يكون كـــذباً إن بدا حقيقياً، فهتفت أمي: "لقد اتصلت أمه بوالده".

سألتها: "من اتصل...".

فردت أمي: "السيدة فينش، إذ قالت إنه يعرف كيف يتصرف، وإنه من الممكن أن يكون على علم بمكان ابنه".

كان عقلي يحاول متابعة كل ما يجري حوله، إذ كان يحاول أن يفكر ملياً بتلك المشكلات التي تحتاج إلى حل سريع، وأخذ يفكر بطريقة تساعدني على إخبار والدي بأن فينش ليس من ذلك النوع من الشباب المخادعين الكذابين كما يريانه، وأن ذلك بحد ذاته كذبة. عند ذلك قال لي أبي: "لَم لم تخبرينا بأنه الشاب الذي كان معك في برج الجرس؟".

فأجبته: "كيف... هل أخبركما والده عن هذا الموضوع أيضاً؟". وعندها بدأ وجهي يحمر، وبدأت يداي تؤلمانني كما يحدث لي عندما أغضب؛ حتى إن لم يكن لدي الحق في ذلك.

فردت أمي: "عندما لم تعودي إلى البيت بحلول الساعة الواحدة صباحاً، ولم تجيبي على هاتفك، اتصلنا بأماندا لنرى إن كنت في بيتها أم لا، أو إن كانت قد التقتك، فأخبرتنا أنك على الأرجح مع فينش؛ ذلك الفتى الذي أنقذت حياته".

كان وجه أمي مبللاً بالدموع وهي تتحدث، كما كانت عيناها حمراوين، ثم أكملت قائلة: "إننا لا نحاول أن نقسو عليك هنا يا فيوليت، بل إننا نسعى للقيام بالشيء المناسب".

وهنا كنت أريد أن أسألها: *المناسب بالنسبة إلى من؟*

لكنني بدلاً من ذلك صرخت: "إنكما لا تثقان بي".

فردّت علي أمي وقد بدت مجروحة وغاضبة في آن واحد: "إنك تعرفين تماماً أننا كنا لطيفين معك زيادة عن اللزوم، حيث كنا نفكر في كل الأمور، ولكن عليك أن تفكري قليلاً وتستوعبي ما يحصل، ثم إننا لم نبالغ في حمايتك، ولم نحاول أن نخنقك، وكل ما حاولنا فعله هو أن نتأكد أنك بخير".

فصرخت: "وأنه لم يحدث لي أي مكروه كما حدث لإليانور. لَم لا تحبسانني في البيت إلى الأبد كي لا تقلقا علي بعد اليوم؟".

أخذت أمي تهز برأسها وهي تنظر إليّ، أما أبي فأخذ يكرر ما قاله سابقاً: "لن تريه بعد اليوم، ولن تخرجي معه بالسيارة أبداً، وسأتحدث إلى معلمك يوم

الاثنين إن لزم الأمر؛ إذ بوسعك أن تكتبي تقريراً أو أن تقومي بأي شيء آخر للتعويض عن ذلك المشروع. هل هذا مفهوم؟".

وعندها صرخت قائلة من جديد: "أعذار مخففة".

فسألني: "عفواً؟".

فقلت: "نعم، هذا مفهوم".

أخذت أراقب الشارع من نافذة غرفة نومي وكأنني كنت أتوقع أن أرى فينش وقتها. فلو ظهر لي، كنت سأنزل إليه من النافذة، وسأطلب منه أن يأخذني بجولة في السيارة، وأن ينطلق بأقصى سرعة ممكنة، وأن يأخذني إلى أبعد مكان يمكنه الوصول إليه.

إلا أنني جلست هناك لفترة طويلة من دون أن يأتي. وكان صوت أبي وأمي وهما يتشاجران يصل إلي من الطابق الأول، إلا أنني كنت على يقين من أنهما لن يثقا بي بعد ذلك اليوم.

فينش

ما حدث بعد ذلك

رأيت سيارته قبل أن أراه، إذ كنت قد سرت بالسيارة متجاوزاً بيتي، ثم تابعت إلى حيث لا أدري، إلا أن شيئاً ما جعلني أوقف السيارة فجأة وأخرج منها.

هتفت: "إنني هنا. هلم إلي!".

فاندفع أبي من غرفة الجلوس ككبش على أهبة نطح من يقف في طريقه، وهرعت أمي وروزماري ولحقتا به. بدأت أمي بالاعتذار، مني أو منه لست أدري، حيث أخذت تقول: "ما الذي كان يجب أن أفعله؟ أتاني اتصال هاتفي عند الساعة الثانية صباحاً، فعرفت أن الأمر طارئ وملح... ثم إن كيت لم تكن في البيت... ولم يكن أمامي أي خيار...".

إلا أن والدي لم يخاطبني بأي كلمة، وذلك لأنه لكمني لكمة رماني بها إلى المطبخ ثم إلى الباب، لكنني وقفت، ونفضت عني الألم. ولهذا حين رفع يده ليضربني مجدداً بدأت أضحك، وهذا ما أفقده صوابه لدرجة أن يده التي كانت تهم بضربي توقفت في منتصف طريقها؛ وهي متجهة لتهوي على جسدي، فعرفت حينها أنه بدأ يفكر ويقول في سره: *إنه أكثر جنوناً مما توقعت.*

وهنا قلت له: "إن كل ما في الأمر هو أنك تستطيع أن تمضي الساعات الخمس التالية أو الأيام الخمس التالية وأنت تضربني لتجعل مني هباءً منثوراً، لكنني لن أحس بذلك، بل إنني لم أعد أحس بضرباتك".

بعد ذلك، سمحت له بأن يجرب ضربة عنيفة أخيرة معي، ولكنني أمسكت بيده فيما كانت تتحرك باتجاهي، وقلت له: "فقط لتعرف أنك لن تجرب ذلك معي مرة أخرى".

و لم أكن أتوقع أن تجدي تلك الكلمات نفعاً، لكن لا بد أن ثمة شيئاً ما كان في صوتي، لأنه أسقط يده فجأة، وعندها خاطبت أمي قائلاً: "عذراً، فقد أقلقناكم جميعاً. لقد أصبحت فيوليت في بيتها، وهي بأمان الآن، أما أنا فسأذهب إلى غرفتي".

كنت أنتظر من أبي أن يلحق بي، لذا بدلاً من إقفال الباب ووضع خزانة الأدراج أمامه، تركته مفتوحاً، وانتظرت من أمي أن تأتي لتطمئن علي، إلا أن أحداً لم يأت؛ لأن غرفتي كانت أشبه بمنزل مستقل مخصص لي في نهاية الأمر، أي لم أكن بحاجة إلى الخروج من بيتي لأختلط بهم.

وهكذا، كتبت لفيوليت رسالة اعتذار جاء فيها: **أتمنى أن تكوني بخير، وألا يكونا قد تعاملا معك بقسوة. كنت أتمنى لو لم يحدث ذلك، لكنني لم أندم على أي شيء حدث قبل ذلك.**

فردت علي برسالة جاء فيها: **إنني بخير، ولكن هل أنت بخير؟ هل رأيت أباك؟ وأنا لم أندم على ذلك أيضاً؛ بالرغم من أنني أتمنى لو أننا عدنا باكراً كي أرجع إلى البيت في الوقت المحدد، لأن والديّ يريدان مني ألا أراك مرة أخرى بعد اليوم.**

فكتبت لها: **ما علينا إلا أن نقنعهما كي يغيرا رأيهما. بالمناسبة، أعتقد أنني معك يا فوق البنفسجية رأيت شيئاً، شيئاً يشبه اليوم الرائع.**

وفي اليوم التالي، كنت عند باب بيت فيوليت حيث قرعت الجرس، ففتحت لي السيدة ماركي، غير أنها بدلاً من أن تسمح لي بالدخول وقفت عند عتبة الباب وشدت الباب خلفها، ثم ابتسمت معتذرة وقالت: "آسفة يا تيودور". وأخذت تهز برأسها، فكانت بتلك الحركة قد شرحت لي كل شيء، وكأنها تقول لي: *أعتذر لأنه لا يمكنني أن أسمح لك بالاقتراب من ابنتي مرة أخرى، وذلك لأنك شخص مختلف عن الباقين، ولأنك غريب الأطوار، ولأنك شخص لا يمكن الوثوق به.*

ثم سمعت صوت السيد ماركي من الداخل وهو يقول: "أهذا هو؟".

لكنها لم تجبه، بل أخذت تتفحص وجهي بعينيها، وكأن أحداً ما قد طلب منها أن تبحث فيه عن كدمات، ولعلها كانت تبحث عن شيء أعمق من ذلك، أو تبحث عن أي كسور في وجهي. كانت نظرتها لطيفة، لكن كان في تلك النظرة شيء جعلني أشعر أنني لم أكن موجوداً هناك، وهذا ما جعلها تسألني: "هل أنت بخير؟".

فأجبتها: "بالطبع أنا بخير. ثم إنك لن تكتشفي أي شيء هنا. ولا بد أنني سأصبح بأحسن حال إن استطعت التحدث إليك لأشرح لك موقفي، ولأعتذر عما بدر مني، ولأرى فيوليت أيضاً. فقط أعطيني من وقتك دقيقتين لا أكثر، لعلي إن دخلت...".

كان كل ما أريده هو أن أحظى بفرصة الجلوس والحديث إليهما، وإخبارهما أن الأمر لم يكن على تلك الدرجة من السوء كما كانا يريانه، وأن ذلك لن يتكرر مرة أخرى، ولأؤكد لهما أنهما لم يكونا مخطئين حين منحاني ثقتهما.

إلا أن السيد ماركي أطل أخيراً من فوق كتف زوجته، وعبس في وجهي قائلاً: "اغرب عن وجهي".

وهكذا أغلقا الباب في وجهي، فبقيت عند العتبة واقفاً مطروداً ووحيداً.

وفي البيت، كتبت في محرك البحث: **EleanorandViolet.com** فوصلتني رسالة: **الخادم غير موجود،** فكتبت اسم الموقع مرات ومرات، وفي كل مرة كانت تصلني الرسالة ذاتها، فقلت في نفسي: *لقد تركتني... تركتني... تركتني.*

ومن خلال موقع فيسبوك كتبت لها: **هل أنت هنا؟**

فيوليت: **أجل.**

أنا: **أتيت لأراك.**

فيوليت: **أعرف، لكنهما كانا غاضبين منك كثيراً.**

أنا: **أخبرتك أنني أحطم كل شيء.**

فيوليت: **لم تفعل ذلك وحدك، فكلانا فعلنا ذلك. غير أن الذنب ذنبي أنا، لأنني لم أكن أفكر حينها.**

أنا: **إنني مستلق هنا وأحلم لو كان بوسعي أن أرجع بالوقت إلى صباح البارحة. فأنا أريد للكواكب أن تقف على خط مستقيم واحد مرة أخرى.**

فيوليت: **إذاً، ما عليك إلا أن تنتظر لبعض الوقت.**

فكتبت لها: **إن ذلك هو الشيء الوحيد الذي لا أملكه. ثم مسحت ما كتبته.**

فينش

كيف تنجو من الرمال المتحركة

في تلك الليلة، دخلت خزانتي الواسعة التي كانت دافئة ومريحة كمغارة، ودفعت ثيابي المعلقة باتجاه الزاوية، ووضعت غطاء سريري على الأرضية، ثم وضعت إبريقاً من المياه الشافية التي جلبتها من مودلافيا عند عتبة الخزانة، ووضعت صورة لفيوليت على الجدار، وكانت عبارة عن لقطة أخذتها لها أثناء ركوبها بالمركبة الدوارة بلو فلاش، وبجانب الصورة وضعت لوحة الرخصة التي أخذتها من موقع الحادث. بعد ذلك أطفأت النور، ووضعت حاسوبي المحمول فوق ركبتي، ثم وضعت لفافة تبغ لم أشعلها بعد في فمي، وذلك لأن الهواء كان خانقاً جداً في ذلك المكان الضيق.

كان ذلك معسكر فينش التهذيبي للتدرب على البقاء وشظف العيش. وقد أمضيت وقتاً في هذا المكان من قبل، ولهذا كنت أعرف ذلك التمرين كما كنت أعرف ظاهر يدي التي كانت كبيرة جداً، وقد قررت أن أبقى في هذا المكان طيلة الفترة التي كنت بحاجة فيها إلى الانعزال مهما كلف الأمر.

أخذت أكتب:

يرى بعض المغفلين الذين لا يصدقون الأساطير أنه من المستحيل أن يغرق المرء في الرمال المتحركة، ولكن عليهم أن يقنعونا بهذا الكلام بعد قصة الأم الشابة التي ذهبت إلى أنتيغوا لحضور حفل زفاف أبيها (على زوجته الثانية)، فغرقت في رمال الشاطئ بينما كانت تراقب غروب الشمس، كما عليهم أن يقنعونا بذلك

بعد قصة الفتيان المراهقين الذين ابتلعتهم حفرة مليئة برمال متحركة من صنع البشر داخل أملاك رجل أعمال من إلنوي.

يبدو لي أنه يتعين على المرء أن يبقى ساكناً بشكل كامل كي ينجو من الرمال المتحركة، لأنه حينما يدب في قلبه الإحساس بالرعب فإن ذلك سيجعل جسده يندفع نحو الأسفل إلى أن يغرق فيها. وعليه، ربما إن بقيت ساكناً بلا حراك واتبعت الخطوات الثماني للنجاة من الرمال المتحركة، عندها يمكنني أن أتخلص من تلك المعضلة.

والآن، إليكم الخطوات:

1. *ابتعد عن الرمال المتحركة:* حسناً، فات الأوان، أكمل.
2. *خذ معك عصا غليظة حينما تذهب إلى منطقة فيها رمال متحركة:* إن النظرية هنا تقوم على فكرة استخدام العصا لاختبار الأرض أمامك، وأيضاً يمكنك أن تستخدم العصا لتخرج نفسك من تلك الرمال إن غرقت فيها. إلا أن المشكلة في هذه الفكرة هي أنك لا تكون دوماً على علم بأنك قد دخلت منطقة تحتوي على رمال متحركة إلا بعد أن يفوت الأوان، ولكن تعجبني فكرة الاستعداد، لذا أعتقد أنني سأترك هذه الخطوة وسأنتقل إلى الخطوة التي تليها.
3. *تخلص من كل شيء إذا وجدت نفسك وسط رمال متحركة:* فإن كنت تحمل شيئاً ثقيلاً، فلا بد أن يعجّل من سرعة ابتلاع الرمال المتحركة لك. لذا، عليك أن تتخلص من حذائك وكل شيء تحمله معك. ومن الأفضل أن تقوم بذلك حينما تكون على علم مسبق بأنك ستخوض في أرض تحتوي على رمال متحركة (راجع الخطوة الثانية). إذاً، من الضروري حينما تتجه إلى مكان من المحتمل أن تلاقي فيه رمالاً متحركة أن تتجه إليه وأنت عارٍ. وانتقالي إلى الخزانة يعتبر جزءاً من عملية التخلص من كل شيء.
4. *عليك بالاسترخاء:* وهذا يتعلق بمقولة: ابقَ هادئاً وبلا حراك تماماً كي لا تغرق. معلومة إضافية: يساعد الاسترخاء خاصية الطفو في جسمك

على القيام بعملها. أي بتعبير أصح؛ إن ذلك سيكون الوقت المناسب للاسترخاء، لذا دع أثر جاذبية كوكبي بلوتو والمشتري يسيطر عليك.

5. *تنفس بعمق:* ويجب لهذه الخطوة أن تتم بالتزامن مع الخطوة رقم 4، فاللعبة تكمن في الاحتفاظ بأكبر قدر ممكن من الهواء داخل رئتيك. ولهذا، كلما حبست الهواء في رئتيك أكثر استطعت أن تعوم أكثر.

6. *نم على ظهرك:* إذا بدأت بالغرق، فما عليك سوى أن تقلب جسمك إلى الخلف وأن تفرد ذراعيك وساقيك نحو أبعد مسافة يمكنها أن تصل إليها، كما عليك أن تسحب ساقيك، وأن تحررهما من أي شيء، وبمجرد أن تتحرر من كل ذلك، يمكنك أن تنتقل نحو الأرض الصلبة، أي إلى بر الأمان.

7. *خذ وقتك:* فالحركات العنيفة لا بد أن تضرك. لذا، عليك أن تتحرك ببطء وبحذر إلى أن تحرر نفسك من تلك الرمال.

8. *خذ فترات استراحة:* يمكن أن تستغرق عملية الخروج من الرمال المتحركة وقتاً طويلاً، لذا عليك أن تأخذ فترات استراحة حينما تشعر أنك بحاجة إلى الهواء، أو حينما يبدأ التعب بالتسلل إلى جسمك. وعليك أن تبقي رأسك مرفوعاً، مما يزيد من فرصة حصولك على الهواء لمدة أطول.

فيوليت

بعد ذلك بأسبوع

عدت إلى المدرسة، وكنت أتوقع أن يكون الجميع قد سمعوا بكل ما جرى، فسرت عبر القاعات ووقفت قرب خزانتي، ثم جلست في الصف، وانتظرت من المعلمين والزملاء أن ينظروا إلي نظرة العارف، أو أن يقولوا لي: "إن إحداهن قد فقدت عذريتها". إلا أنني شعرت بخيبة أمل حينما لم يفعل أي منهم شيئاً من ذلك القبيل.

غير أن الشخص الوحيد الذي اكتشف الأمر هو بريندا، حيث جلسنا في المقهى أنا وهي وأخذنا نأكل من طبق البوريتو[1] الذي حاول أحد العاملين في مطبخ إنديانا أن يحضره لنا، فسألتني عما قمت به خلال العطلة الأسبوعية، غير أنني كنت قد ملأت فمي بالبوريتو، لذا حاولت أن أقرر إن كان يجب علي ابتلاع ذلك الطعام أو إخراجه من فمي، وهذا يعني أنني لم أجب عن سؤالها مباشرة، فقالت لي: "أوه يا إلهي! لقد نمت معه!".

عند ذلك، توقفت لارا والبريانات الثلاث عن تناول طعامهن، والتفت خمسة عشر أو عشرون رأساً باتجاهنا، وذلك لأن صوت بريندا يصبح عالياً بالفعل حينما تقصد ذلك. ثم قالت لي: "إنك تعرفين أنه لن ينطق بحرف واحد عن الموضوع أمام أي شخص لأنه رجل مهذب؛ هذا إن خطر ببالك أن تسأليني عمن أخبرني بذلك". وبعدها، فتحت غطاء زجاجة الشراب وشربت نصف محتوياتها دفعة واحدة.

---

(1) طبق مكسيكي. (المترجمة)

حسناً، لقد كنت أتساءل في سري عمن نقل لها الخبر، ثم إنها التجربة الأولى بالنسبة إلي، ولكنها ليست كذلك بالنسبة إليه. ثم إنه فينش الذي أثق به، إلا أن الشيء الذي كنت متأكدة منه هو أن الشبان يتحدثون عن تلك الأمور. إذ بالرغم من أن ما حصل... لم يكن مبالغاً فيه كما قد يُخيَّل للبعض، إلا أنه كان يمثل تجربة حقيقية ناضجة.

وأثناء خروجنا من المقهى، وكي أغير الموضوع، أخبرت بريندا عن مجلة *الأصل*، وسألتها إن كانت ترغب في الانضمام إليها.

فما كان منها إلاّ أن ضيقت عينيها وكأنها تحاول أن تكتشف إن كنت أمزح معها أم لا.

فقلت لها: "إنني جادة، كما أن هنالك الكثير من الأمور التي تركتها كي أفكر فيها. لكنني أعرف تماماً أنني أريد أن تكون هذه المجلة مبتكرة".

وهنا أرجعت بريندا رأسها إلى الوراء، وضحكت ضحكة شيطانية وقالت: "حسناً". ثم تابعت وهي تلتقط أنفاسها بعد الضحك: "أنا معك".

عندما رأيت فينش في حصة الجغرافيا الأمريكية بدا لي متعباً وكأنه لم ينم طيلة الليل على الإطلاق، فجلست بجانبه بعدما عبرت غرفة الصف لأصل إليه تاركة خلفي أماندا والمتسكع وريان. لكنه بعد ذلك جذبني نحو فسحة الدرج، وأخذ يقبلني وكأنه كان يخاف من أن أختفي من حياته؛ مما جعل التيارات الكهربائية تحرقني أكثر، فرغبت في أن تغلق المدرسة أبوابها إلى الأبد كي لا نضطر إلى المجيء إلى هنا أبداً، ثم أخذت أقنع نفسي بأن الأمر لن يكلفنا أكثر من أن ننطلق بسيارته، ثم نتجه غرباً أو شرقاً، شمالاً أو جنوباً، حيث تصبح إنديانا بقعة بعيدة عنا. وعند ذلك يمكننا أن نتجول في البلاد، وأن نوسع جولاتنا لتصبح على مستوى العالم، ولن يكون في تلك الجولات سوانا أنا وتيودور فينش.

ولكن في تلك الفترة، وطيلة ما تبقى من ذلك الأسبوع، لم نكن نستطيع أن نرى بعضنا إلا في المدرسة، ولم نستطع تبادل القبل إلا عند فسحة الدرج أو في الزوايا المظلمة؛ إذ كان يتعين علينا أن نسير في طريقين مختلفين بعد الظهر. أما في الليل فكنا نتحدث عبر الشابكة.

فينش: **ألم يتغير أي شيء؟**

أنا: **إن كنت تقصد بذلك والديّ فسأقول لك: لا.**

فينش: **ما هي فرص المسامحة والنسيان التي قد يعطياننا إياها؟**

في الحقيقة، كانت حظوظنا في ذلك قليلة، إلا أنني لم أكن أريد أن أقول له ذلك، لأن لديه ما يقلقه وزيادة. إذ منذ تلك الليلة أسدل عليه شيء فأصبح وكأنه يقف خلف ستارة.

أنا: **إنهما بحاجة إلى المزيد من الوقت فقط.**

فينش: **إنني أكره قصة روميو وجوليت في هذا المقام، لكنني أريد أن أراك بمفردك، وأن أشعر بأن جميع من في ثانوية بارتليت ليسوا حولنا.**

أنا: **إن أتيت إلى هنا وتسللت إلى البيت أو جعلتك تتسلل إلى غرفتي فلا بد أن يحبسني أبواي في البيت بسبب تصرف كهذا إلى الأبد.**

وهكذا، أمضينا الساعة التي أعقبت ذلك في الأخذ والرد والتفكير في سيناريوهات جامحة يمكننا من خلالها أن نرى بعضنا، فكان من بين تلك السيناريوهات اختطاف مزيف لشخص غريب، وتشغيل جهاز الإنذار من الأعاصير الذي تسمع أصداؤه في سائر أنحاء المدينة، أو حفر نفق تحت الأرض يمتد من الجهة التي يتواجد فيها بيته في المدينة إلى الجهة التي أقيم فيها.

كانت الساعة قد أصبحت الواحدة صباحاً حينما أخبرته أنه عليّ أن آوي إلى فراشي، لكنني بقيت مستلقية على الفراش، وبقيت عيناي مفتوحتين. كان عقلي متيقظاً، والأفكار تخطر فيه على عجل؛ تماماً كما كان حاله قبل الربيع الماضي، ولهذا أشعلت الضوء وأخذت أكتب الأفكار المتعلقة بمجلة *الأصل*، ومنها أبواب عنونتها بالعناوين التالية: اسأل أحد الأبوين، قائمة تشغيل مخصصة للكتب، التسجيلات الصوتية الشهرية، قوائم خاصة بالأماكن التي يمكن أن تهم الفتيات أمثالي. ومن الأشياء التي كنت أرغب في ابتكارها قسم مخصص للجولات يستطيع القراء من خلاله أن يرسلوا صوراً أو مقاطع فيديو عن المواقع الرائعة والصغيرة والغريبة والشاعرية والاستثنائية التي يحبونها.

أرسلت رسالة إلكترونية إلى بريندا، كما أرسلت ملاحظة لفينش لأرى إن كان لا يزال مستيقظاً، وبعد ذلك شعرت بأنني قد تجاوزت الحدود قليلاً حينما

كتبت لجوردان غريبينوالديت وشيلبـي بادجيت وآشلي دانستون وللبريانات الثلاث وللمراسلة ليتيشيا لوبيز لأدعوهن للمشاركة في مجلتي. كما دعوت لارا صديقة بريندا وغيرها من الفتيات اللواتي أعرف عنهن أنهن كاتبات أو فنانات ناجحات أو لديهن شيء مميز يمكنهن أن يعبرن عنه، حيث أتت رسالتي لهن على النحو التالي: *عزيزاتي كاميلي وبريتني وريبيكا وإيميلي وسعيدة وبريسيللا وأناليز*... لقد كنا أنا وإليانور نعمل على موقع EleanorandViolet.com، ولكن بالنسبة إلي كلما زادت الأصوات كان ذلك أفضل.

فكرت في إرسال رسالة إلى أماندا، فكتبت لها رسالة وتركتها في مجلد المسودات، لكنني حذفتها عندما نهضت من نومي في صباح اليوم التالي.

ويوم السبت، تناولت طعام الفطور مع والديّ، ثم أخبرتهما أنني سأذهب في جولة على الدراجة لأصل إلى بيت أماندا، غير أنهما لم يسألاني عن السبب الذي دفعني لرؤية تلك الإنسانة التي لم أكن أحبها فعلاً، أو عمّا كنا نخطط للقيام به، أو متى سأعود إلى البيت؛ إذ كانا يثقان بأماندا مونك لسبب كنت أجهله.

سرت بالدراجة إلى أن وصلت إلى بيتها، ثم تابعت في أحياء المدينة لأصل إلى بيت فينش؛ هكذا بتلك البساطة، بالرغم من أنني شعرت بألم غريب في صدري لأنني كذبت على والديّ في ذلك اليوم. وحينما وصلت إلى بيت فينش، جعلني أزحف عبر مخرج الطوارئ ثم أتسلق النافذة كي لا ألتقي والدته أو شقيقتيه.

هتفت له وأنا أزيل الغبار عن بنطالي الجينز: "هل تظن أنهن رأيننا؟".

فرد علي: "أشك في ذلك، لأنهم ليسوا في البيت أصلاً". ثم أخذ يضحك حينما قرصته من ذراعه، لكنه بعد ذلك وضع يديه على وجهي وأخذ يقبلني، وعندها اختفى ذلك الإحساس بالألم من صدري.

وبما أن سريره كان يعج بأكوام من الثياب والكتب، أخرج غطاء سرير من خزانته فاستلقينا على الأرضية بعدما تدثرنا بالبطانية، ثم خلعنا ثيابنا تحت تلك الأغطية وبدأت الحرارة تتسرب إلى جسدينا. بعدها، أخذنا نتحدث كالأطفال، فيما كانت البطانية تغطينا حتى رأسينا، إذ استلقينا تحتها وأخذنا نهمس لبعضنا وكأن أحداً ما يستطيع أن يسترق السمع ويعرف ما كنا نتحدث عنه. وعندها

أخبرته لأول مرة عن موضوع مجلة *الأصل*، إذ قلت له: "أعتقد أنـــه يمكنـــها أن تصبح مجلة مهمة، وكل ذلك بفضلك. فحينما التقيتك كنت قد ألغيت كل تلك الأمور، و لم أعتقد أنها يمكنها أن تغير أي شيء في حياتي".

فرد علي بالقول: "أولاً، إنك تقلقين حيال أي شيء يبدو لك كحاشـــية أو أي شيء يملأ الوقت والفراغ، إلا أن الكلمات التي تكتبينها ستبقى حـــتى بعـــدما ترحلين. ثانياً، أعرف أنك كنت قد مللت من أشـــياء كـــثيرة، لكنـــك كنـــت ستتوصلين إلى هذه الفكرة سواء ألتقيتني أم لا".

لكنني ولسبب أجهله كرهت ما شعرت به حين قال لي ذلك؛ وكأن الكون سيبقى على حاله حتى إن لم أتعرف إلى فينش. غير أننا بعد الحديث عـــن ذلـــك الموضوع بقينا تحت البطانية، وأخذنا نتحدث عن سائر الأماكن في العالم التي كنا نرغب في التجول فيها. وهكذا، تحول الموضوع إلى جميع الأماكن التي نرغـــب في أن نقوم فيها بما نقوم به الآن وذلك في مختلف بقاع العالم.

وهنا قال لي فينش: "سنقوم بذلك على الطريق". وأخذ يرسم دوائر كسولة على كتفي نزولاً إلى ذراعي ثم صعوداً على ردفي، وبعد ذلك قال: "ســـنتجول في كل ولاية من الولايات، وبعد أن نمر بها جميعاً، سنعبر المحيط ونبدأ بجولتنـــا فيـــه، وسنطلق عليه اسم: *بحر التجوال*".

فقلت: "بل جنون التجوال".

فرد: "أيام التجوال".

ومن دون العودة إلى الحاسوب، أخذنا نعد قائمة بالأماكن التي كنـــا نريـــد الذهاب إليها، حيث أخذ كل منا يذكر مكاناً بدوره. ولكـــن ولســـبب كنـــت أجهله، عاودني ذلك الإحساس مرة أخرى، فشعرت بأن فينش يخفي شيئاً وكأنـــه كان يختفي خلف ستارة، ثم عاودني ذلك الإحساس بـــالألم، و لم أســـتطع إلا أن أفكر في كل ما كنت أقوم به هنا، وفي بيتي، حيث أتيت إلى هنا مـــن دون علـــم والديّ، كما أنني كذبت عليهما أيضاً.

وفجأة قلت له: "ربما علي أن أغادر".

فقبلني وقال: "بل ربما عليك أن تبقي لفترة أطول".

فبقيت.

فيوليت

عطلة الربيع

الزمان: وقت الظهيرة، المكان: حرم جامعة نيويورك، في مدينة نيويورك، بولاية نيويورك.

هتفت أمي: "إننا سعيدان لقضاء هذا الوقت بصحبتك يا حبيبتي، إذ من الأنسب لنا جميعاً أن نبتعد". وقد كانت تعني بكلمة نبتعد هنا الابتعاد عن البيت، لكنني كنت أعرف أنها كانت تقصد شيئاً أبعد من ذلك، ألا وهو الابتعاد عن فينش.

كنت أحمل معي دفتر جولاتنا، حيث يمكنني أن أكتب ملاحظات حول الأبنية والأشياء الأثرية وأي شيء مهم في المدينة قد أرغب في أن أشاركه إياه. أما والداي فكانا يتناقشان حول طريقة التقديم كي يتم قبولي في الجامعة خلال فصل الربيع من السنة القادمة.

في ذلك الحين، كنت قد أصبحت قلقة جداً لعدم رد فينش على رسائلي الثلاث الأخيرة، لذا أخذت أسأل نفسي إن كانت تلك هي الطريقة التي سيعاملني بها إن انتقلت إلى نيويورك أو إلى أي مكان آخر خلال السنة القادمة. وقد كنت أحاول أن أركز على الكلية وعلى الحياة عموماً، غير أن كل ما كنت أقوم به حينها هو التفكير فيه، لذا سألت نفسي إن كان سيأتي معي أم ستنتهي علاقتنا حتماً بنهاية الدارسة في الثانوية.

فجأة، هتفت أمي: "سيتم الأمر قبل أن نعي أنه قد تم، ثم إنني لست مستعدة لذلك، ولا أظن أنني سأكون مستعدة لذلك أبداً".

فقلت لها: "لا تسارعي إلى البكاء يا أمي. لقد وعدتني بــألا تفعلــي. ثم إن لدينا وقتاً طويلاً لنقضيه معاً قبل أن أرحل، كما أننا لم نعرف بعد أين ســينتهي بــي المطاف".

فخاطبها والدي بقوله: "إن هذا مجرد عذر لتأتي لزيارتها ولتقضــي وقتــاً في التجول في هذه المدينة". غير أن عينيه دمعتا هو أيضاً.

كنت أشعر بأجواء الترقب وثقلها تحيط بنا بالرغم من أنهما لم يصرّحا بــذلك، والسبب في ذلك يعود إلى عدم اعتيادهما على ذلك مع ابنتــهما الكــبرى. فهمــا لم يصطحباها إلى كليتها ويتمنيا لها سنة أولى سعيدة، كما أنهما لم يطلبا منها أن تعــتني بنفسها وأن تعود إلى البيت لرؤيتنا، وألا تنسى أن الهاتف يقرب كل بعيــد. وكــان شعورهما بأن الحياة قد خانتهما على وشك أن يداهمهما، لذا كان علي أن أعوض عن ذلك مرة أخرى، لأنني كنت كل من تبقى لديهما في هذه الحياة.

وقبل أن نتخلص نحن الثلاثة من ذلك الإحساس، هتفت وسط الحرم الجامعي مخاطبة والدي: "أبــي، ماذا تعرف عن تاريخ جامعة نيويورك؟".

كانت لدي غرفة مستقلة في الفندق، وكانت ضيقة، وفيها نافذتان وخزانــة أدراج مع خزانة ضخمة للتلفاز شعرت أنها يمكن أن تسقط فوقي وتهشم عظــامي وأنا نائمة.

كانت النوافذ مغلقة بإحكام، وبالرغم من ذلك كانت أصــوات ضــجيج المدينة تصلني، والتي تختلف تمام الاختلاف عن الأصوات التي أسمعها في بارتليــت؛ إذ كنت أسمع أصوات صفارات الإنذار، والصراخ، والموسيقى، وسيارات القمامة وهي تهدر في الطرقات ذهاباً وإياباً.

كانت وكيلة أمي قد سألتني أثناء العشاء: "هل لديك شاب مقرب في المكان الذي تعيشين فيه؟".

فأجبتها: "ليس لدي أحد مقرب بشكل خاص". عندها، تبــادل والــداي نظرات الارتياح والاقتناع بأن فكرتهما في إبعاد فينش عني كانت صائبة.

كان الضوء الوحيد في غرفتي ينبعث من حاسوبـــي المحمـــول، إذ كنـــت أتصفح دفترنا الذي أصبح يعج بالكلمات، ثم أخذت أتصفح رسائلنا على موقـــع فيسبوك، والتي أصبحت كثيرة وقتها، فكتبت رسالة أخرى أوردت فيهـــا علـــى لسان فيرجينيا وولف ما يلي: **"فلنتجول ونحن ندور لنصل إلى الكراسي المطليـــة بالذهب... أما من أحد يقبلنا أيها القمر؟ أشكلنا قبـــيح ونحـــن نجلـــس هنـــاك معاً...؟"**.

فينش

اليوم الرابع والستون على حالة اليقظة

هطل الثلج مرة أخرى في آخر يوم أحد من عطلة الربيع، فكسا كل شـــيء باللون الأبيض لمدة ساعة أو أكثر. وهكذا قضينا فترة الصباح مع والدتي، حيـــث ساعدت ديكا في اللعب في الحديقة وبناء رجل نصفه من وحل ونصفه من ثلج، ثم سرنا على بعد ستة أبنية وصولاً إلى التلة التي تقع خلف مدرستي الابتدائية، وبعدها ذهبنا للتزلج، وأخذ كل منا يسابق الآخر، إلا أنني تركت ديكا تفوز في كل مرة، لأن ذلك كان يشعرها بالسعادة.

وفي طريق عودتنا إلى المنزل قالت لي ديكا: "كان من الأفضل ألا تســـمح لي بالفوز عليك".

فقلت لها: "كلا". ثم وضعت ذراعي حول كتفيها، لكنها لم تبتعد عني هذه المرة، بل هتفت قائلة:

"لا أريد أن أذهب إلى بيت أبـــي".

قلت: "وأنا أيضاً، لكنك تدركين جيداً أن ذهابنا يعني له الكثير؛ بالرغم من أنه لا يبدي ذلك لنا". كان قد سبق لأمي أن كررت ذلك على مسمعيّ أكثر من مرة. وبالرغم من أنني لم أكن أصدق ما كنت أقوله، إلا أنني كنت أعتقد أن ديكا قد تصدق ذلك. إذ بالرغم من أنها قاسية، إلا أنها كانت على استعداد لتصـــديق أي شيء.

وبعد الظهر توجهنا إلى بيت أبـــي، حيث جلسنا في الـــداخل مـــوزعين في أرجاء غرفة الجلوس، وأخذنا نتابع مباراة هوكي على شاشة مســطحة عملاقــة أخرى كانت قد علقت على الجدار.

كان والدي يصرخ بشكل متكرر على التلفاز ويصــغي إلى كيــت وهــي تتحدث عن كولورادو، أما جوش ريموند فقد جلس عند مرفق أبــي وأخذ يحدق إلى المباراة وهو يمضغ كل لقمة خمساً وأربعين مضغة، وقد عرفت ذلــك لأنــي كنت أشعر بملل كبير حينها، لذا أخذت أعد كم مرة كان يمضغ فيها طعامه.

وفجأة، نهضت وذهبت إلى الحمام؛ وذلك لأصفي ذهني ولأرســل رســالة إلى فيوليت التي جاءت إلى بيتي يومها، ثم جلست أنتظر ردها على رسالتي وأنا أقوم بفتح الصنابير وإغلاقها. بعد ذلك، غسلت يدي ووجهي، وأخذت أفــتش في الخــزائن، وكنت قد بدأت برف الحمام حينما أخذ هاتفي يصدر طنيناً، معلناً وصــول رســالة منها جاء فيها: **أعدت إلى البيت؟ هل يتعين علي أن أتسلل إلى بيتك؟**

فكتبت لها: **لم أعد بعد، بل إنني حالياً في الجحيم، لكنني سأغادر هذا المكان بأسرع وقت ممكن.**

أخذنا نتبادل الرسائل لفترة قصيرة، ثم انطلقت عبر الممــر باتجــاه الضــجة والناس، فوصلت إلى غرفة جوش ريموند التي كان بابها مفتوحاً وكــان هــو في الداخل. وعندما طرقت الباب أتاني صوته الحاد وهو يرد قائلاً: "ادخل".

دخلت ما يجب أن يطلق عليه أكبر غرفة خصصت لفتى في السابعة من عمره على كوكب الأرض، إذ كانت غرفته تشبه المغارة، لذا أخذت أسأل نفســي إن كان يحتاج إلى خارطة تدله على الاتجاهات فيها، كما أنها كانت تغص بالألعــاب من كل الأشكال والأنواع التي يستطيع المرء تخيلها، ومعظم تلك الألعاب يحتــاج إلى بطاريات ليتم تشغيله.

وهنا خاطبته قائلاً: "أهذه غرفة تحتلها يا جوش ريموند!". وأنا أحــاول ألا أزعج نفسي بتلك الفكرة، وذلك لأن الغيرة إحساس حقير وكريه يدمر المرء مــن الداخل، ثم إنني لم أكن بحاجة إلى اتخاذ ذلك الموقف؛ أنا الشاب البالغ من العمــر ثمانية عشر عاماً تقريباً، والذي أصبحت لديه حبيبة جذابة، حتى إن لم يعد والداها

يسمحان لها برؤيتي. كما أنني لم أكن بحاجة إلى إظهار أي قلق تجاه ربيب أبـــي الذي كانت لديه آلاف الألعاب التركيبية.

فرد علي بالقول: "حسناً". ثم أخذ يفتش في خزانة كانت تحتوي على المزيد من الألعاب، وحينما رأيت ما لديه من ألعاب، ومن بينها حصانان خشبيان قديمان أحدهما أسود والآخر رمادي كانا موضوعين فوق حاملين خشبيين، وكانا منسيين في إحدى الزوايا، تذكرت عندها أنهما يعودان إلي، إذ كانا الحصانين نفسـيهما اللذين اعتدت أن أتخيل نفسي وأنا أركبهما لساعات حينما كنت بعمر أصغر من عمر جوش ريموند، حيث كنت أتخيل نفسي كلينت إيستوود؛ تلـك الشخصـية الخيالية التي أتذكر أنني قد رأيتها في أحد الأفلام القديمة التي كان أبـي يتابعها عبر شاشة التلفاز الصغير غير المسطح الذي كان في بيتنا، والذي بقينـا نحـتفظ بـه ونستخدمه حتى اليوم، ويا لها من مصادفة!

قلت للصبـي: "إنهما حصانان جميلان". وتذكرت أن اسـم الأول كـان مدنايت[1] والثاني سكوت[2].

فأدار رأسه نحوي، ورمش بعينيه مرتين ثم قال: "إنهما جميلان".

فسألته: "ماذا يدعيان؟".

فرد: "ليس لديهما اسمان".

وفجأة رغبت في أخذ الحصانين والتوجه نحو غرفة الجلوس كي أضرب بهما رأس أبـي بعنف، ثم قررت أن آخذهما معي إلى البيت لأعتني بهما كـل يـوم، ولأمتطيهما وأجري بهما في سائر أنحاء المدينة.

لكنني بدلاً من ذلك سألته: "من أين حصلت عليهما؟".

فرد: "لقد أحضرهما لي أبـي".

عندها، كنت أريد أن أقول له: *إنه ليس أباك، بل أبـي، فلنتفق على ذلـك منذ الآن، إذ لديك أب يعيش في مكان ما، كما أن أبـي ليس بـالأب الرائـع، لكن ليس لدي أب سواه.*

---

(1) منتصف الليل. (المترجمة)

(2) الكشاف. (المترجمة)

غير أنني نظرت إلى ذلك الطفل، وإلى وجهه النحيل وذقنه الرفيع وكتفيه الضعيفتين، وقلت في سري إنه بالرغم من أنه في السابعة إلا أنه كان يبدو أصغر من عمره. ثم تذكرت ما يحس به المرء إن قيل له ذلك، وبعدها تذكرت أيضاً كيف يبدو الأمر حينما يكبر طفل في كنف والدي.

ولذلك قلت له: "أتعرف؟ لقد كان لدي حصانان، إلا أنهما لم يكونا بجمال حصانيك، غير أنهما بقيا لدي بحالة جيدة، وكنت قد أطلقت على أحدهما اسم مدنايت والآخر سكوت".

فنظر إلى الحصانين وهو يقول: "مدنايت وسكوت؟ إنهما اسمان مناسبان".

فقلت له: "بوسعك أن تسميهما بهذين الاسمين إن أحببت".

فسألني: "أحقاً؟". وهو ينظر إلي بعينين تشبهان عيني البوم.

أجبته: "بالطبع".

وأخيراً، وجد جوش ريموند اللعبة التي كان يبحث عنها، والتي كانت عبارة عن سيارة، ثم أمسك بيدي حينما كنا خارجين من باب غرفته.

وحينما عدنا إلى غرفة الجلوس، وجدنا أبي يبتسم ابتسامة من كان يلعب في المركز الرياضي وهو يستعد أمام الكاميرا ليلتقطوا صورة له، ثم أخذ يهز برأسه لي وكأننا كنا صديقين ويقول: "عليك أن تحضر حبيبتك إلى هنا". وكان يقول ذلك وكأن شيئاً لم يحدث بيننا، وكأننا كنا أنا وهو أعز صديقين.

فأجبته قائلاً: "حسناً، لكنها تنشغل أيام الآحاد".

وعندها، بدأت أتخيل شكل الحوار الذي سيدور بين أبي والسيد ماركي.

إن ابنك القاصر قد سرق قلب ابنتي، لذا من المحتمل أن تكون ابنتي في هذه اللحظة مستلقية في حفرة بفضله.

برأيك، ما الذي حدث بينهما؟ إنه قاصر ومجرم ومحطم عاطفياً، ونذل غريب الأطوار، وهو الإحباط بحد ذاته. لذا، كن ممتناً لأن الله منحك ابنتك يا سيدي، لأنك لن ترغب بابن كابني، ولن يقبل به أي كان، صدقني!

وهكذا، رأيت أبي وهو يبحث عن شيء ليقوله: "حسناً، يمكنك أن تأتي لزيارتي في أي يوم، أليس كذلك يا روزماري؟ ما عليك سوى أن تأتي بها في أي

وقت يناسبك". كان أبـــي في أحسن أحواله، ولهذا أخذت روزماري تهز برأسها وتبتسم بسرور، لكنه ضرب ذراع الكرسي بيده وقـــال: "أحضـــرها إلى هنـــا، وسأشوي من أجلها شرائح اللحم، كما سنعد لها طبقاً من الفاصولياء والتوابـــل فوقه من أجلك".

حاولت حينها ألا أنفجر وسط الغرفة، كما حاولت أن أحافظ على هدوئي وأن أضبط نفسي، لكنني أخذت أعد بأقصى سرعة ممكنة.

ولحسن الحظ، عاد بث المباراة فانشغل بها أبـــي، لذا جلست لبضع دقـــائق أخرى، ثم شكرت روزماري على الوجبة التي قدمتها لنا، وطلبت من كيـــت أن تعيد ديكا إلى المنزل، وقلت لهما إنني سأراهما هناك.

سرت في شوارع المدينة إلى أن وصلت إلى بيتي، فركبت السيارة وانطلقـــت بها. ومن دون أن أحمل أي خارطة، أخذت أسير ساعات على غير هـــدى عـــبر الأراضي المكسوة بالأبيض، ثم اتجهت شمالاً، وبعدها غرباً، ثم جنوبـــاً، فشـــرقاً، حيث كنت أسير بالسيارة بالسرعة تسعين. وبحلول شروق الشـــمس كنـــت في طريق العودة إلى بارتليت حيث اجتزت قلب مركز المدينة، وأنا أدخن لفافة التبغ الرابعة من ماركة أمريكان سبيريت. كنت أقود السيارة بسرعة جنونية، لكن تلك السرعة لم تكن كافية برأيي، ولذلك شعرت فجأة أنني أكره هـــذه الســـيارة لأن سرعتها كان تنقص حينما كنت أريدها أن تنطلق أسرع، فأسرع.

أخذ النيكوتين يخدش حلقي بما أنه لم يكن معتاداً عليه أصلاً، وشعرت بأنني بحاجة إلى التقيؤ، لذا توقفت عند حافة الطريق ونزلت من السيارة، وبعدها انحنيت ووضعت يدي على ركبتي، ثم انتظرت، وحينما لم أشعر بالرغبة في ذلك، نظرت إلى الطريق الممتد أمامي وبدأت أجري. كنت أجري بسرعة هائلة، مخلفاً الســـيارة ورائي، بل كنت أجري بقوة وسرعة، وشعرت بأن رئتيّ على وشك الانفجـــار، لكنني رغم ذلك أخذت أجري بقوة وسرعة أكبر، إذ كنت أتحدى رئتيّ وســـاقيّ أن تخونني، لكنني لم أكن أتذكر إن كنت قد أقفلت السيارة أم لا، وكنت أكـــره تلك الحالة، لأن فكري أصبح مشغولاً بباب السيارة وبذلك القفل، ولهذا أخذت

أجري بقوة أكبر، ولم أعد أتذكر أين كانت سترتي، هذا إن كنت قد أحضرت معي سترة أصلاً، لذا أخذت أقول لنفسي:

ستكون الأمور بخير

ستكون الأمور بخير

لن ينهار كل شيء.

ستكون الأمور بخير

ستكون الأمور جيدة.

أنا بخير، وبخير، وبخير.

وفجأة أصبحت محاطاً بالأراضي الزراعية من كل جانب مرة أخرى، فاجتزت مجموعة من المشاتل التجارية التي كانت مغلقة لأن اليوم كان يوم أحد، إلا أنني ركضت نحو مدخل السيارات التابع لأحد المشاتل لأنه بدا لي كمؤسسة صغيرة مستقلة لمشروع تجاري تمتلكه أسرة ما، فقد كان المكان عبارة عن بيت ريفي أبيض اللون مؤلف من طابقين ويقع خلف ذلك المشتل.

كان هنالك الكثير من الشاحنات والسيارات عند مدخل ذلك البيت، إلا أنني سمعت صوت ضحك من داخله، فسألت نفسي: ترى، ما الذي سيحدث إن دخلت وجلست وتصرفت وكأنني في بيتي؟ فأسرعت نحو الباب الأمامي وطرقته، وكنت حينها أتنفس بصعوبة، إذ كان علي أن أنتظر إلى أن أسترد أنفاسي قبل أن أطرق الباب، لكنني قلت لنفسي: *كلا، فأنا في عجلة من أمري*، وهذا ما جعلني أطرق الباب مرة ثانية طرقة أقوى من ذي قبل.

فتحت لي الباب امرأة ذات شعر أبيض ووجه ناعم ومستدير فيه غمازتان، وقد بقيت على وجهها آثار الضحك الناجم عن الحديث الذي خلفته وراءها، حيث أخذت تنظر إلي عبر المنخل، ثم فتحته لأننا في الريف، ولأنها كانت في ولاية إنديانا، ولأن لا أحد يخاف من جيرانه هنا. وإن هذه العادة من بين الأمور التي تجعلني أحب العيش هنا، لذا كنت أرغب في معانقتها بسبب الدفء الذي شعرت به في معاملتها لي، إلا أن ابتسامتها الحائرة وهي تحاول أن تكتشف إن كانت قد رأتني قبل ذلك أم لا جعلتني أحجم عن ذلك.

لذا اكتفيت بالقول: "مرحباً".

فردت: "أهلاً". وكان بوسعي وقتها أن أتخيل ما يوحي به منظري، إذ كان وجهي أحمر، وكنت بلا معطف، وكنت مبللاً بالعرق، كما كنت ألهث وأحاول أن أستعيد أنفاسي.

أخذت أستجمع أنفاسي بأسرع ما يمكنني، ثم قلت: "عذراً على الإزعاج، لكنني كنت في طريقي إلى البيت وصادف أن مررت بمشتلكم، وأعلم أنكم لا تفتحون أبوابكم اليوم، وأن لديكم ضيوفاً، لكنني أسأل إن كان بوسعي أن أقطف بعض الأزهار لحبيبتي؛ لأن الأمر طارئ".

فتغضن وجهها تعبيراً عن الاهتمام ثم سألتني: "الأمر طارئ؟ يا إلهي!".

فقلت: "لعلها كانت كلمة غير مناسبة، وأعتذر إن أرعبتك بها، إلا أننا الآن في فصل الشتاء، ولست أدري إن كنت سأبقى حتى الربيع، ثم إن اسمها على اسم زهرة[1]، كما أن والدها يكرهني، وأريدها أن تعرف أنني أفكر فيها، وأن هذا الفصل ليس فصلاً للموت بل للحياة".

عند ذلك أتى رجل من خلف تلك المرأة، وكان قد وضع منديلاً مطوياً داخل قميصه، وقال مخاطباً المرأة: "ها أنت هنا، كنت أسأل نفسي أين ذهبت". ثم أخذ يهز لي رأسه.

فقالت: "إن لدى هذا الشاب حالة طارئة".

شرحت وضعي للرجل مرة أخرى، فنظرت المرأة إليه ثم نظر هو إلي، ثم نادى شخصاً في الداخل وطلب منه أن يحرك عصير التفاح، ثم خرج فأخذ منديله يتحرك قليلاً مع حركة الريح الباردة، أما أنا فسرت بجانبه، واضعاً يدي في جيبي. وحينما وصلنا إلى باب المشتل، أخرج سلسلة مفاتيح الأبواب من حزامه.

أخذت أتحدث بسرعة عجيبة وأنا أشكره وأقول له إنني سأدفع له الضعف، كما عرضت عليه إرسال صورة لفيوليت مع الأزهار- ولعلها كانت أزهار بنفسج- وذلك حينما أقدمها لها.

---

(1) فيوليت: زهرة البنفسج. (المترجمة)

فما كان منه إلا أن وضع يده على كتفي وقال: "لا تقلق بشأن ذلك يا بني، لأنني أريد منك أن تأخذ كل ما تريده".

حينما دخلت المشتل استقبلتني رائحة الأزهار العطرة والمنعشة، فرغبت في البقاء هناك، حيث يكون الدفء والإشراق محاطاً بالحياة وليس بالموت. كما تمنيت أن أطوّر علاقتي بهذين الزوجين الطيبين، وأن أطلب منهما أن يناديانى يا *ولدي*، كما يمكن أن تأتي فيوليت لتعيش هنا أيضاً؛ لأن المكان واسع بما فيه الكفاية ليضمنا نحن الاثنين.

أخذ الرجل يساعدني في انتقاء البراعم الأكثر نضارة، إذ لم يقتصر الأمر على أزهار البنفسج فقط، بل تعداه ليصل إلى أزهار الأقحوان والورود والنرجس وغيرها من الأنواع التي لم أعد أتذكر أسماءها. ثم قام مع زوجته التي كان اسمها مارغريت آن بوضع الأزهار في دلو تم تبريده ليستخدم في نقل الورود، وذلك لحماية الأزهار من الجفاف. حاولت أن أدفع لهما، لكنهما رفضا أخذ المال مني، لذا وعدتهما بإعادة الدلو في أسرع وقت ممكن.

وحالما فرغنا من ذلك كان ضيوفهما قد تجمعوا في الخارج لمشاهدة الفتى الذي كان عليه أن يأخذ الأزهار ليقدمها للفتاة التي يحبها.

قام رجل يدعى هنري بنقلي بسيارته إلى سيارتي، ولست أدري لم توقعت أن يستغرق الطريق منا ساعات طويلة، إلا أنه لم يستغرق سوى بضع دقائق. وحينما التف بسيارته ليصل إلى الجانب الآخر من الطريق حيث تقف سيارتي بصبر بعدما تركتها وحيدة، قال لي: "إنها ستة أميال يا بني. هل ركضت كل هذه المسافة؟".

فأجبته: "أجل يا سيدي، أعتقد أنني فعلت. وأعتذر لأنني جعلتك تترك عشاءك لتوصلني".

قال لي: "لا تقلق أيها الشاب، ولا تهتم بذلك على الإطلاق. ولكن هل ثمة عطل في سيارتك؟".

فأجبته: "كلا يا سيدي، كل ما هنالك أنها لم تكن تسير بالسرعة الكافية".

فهز لي رأسه وكأن جوابي كان يحمل كل المعاني التي يمكن أن يفهمها المرء، بالرغم من أنه لم يكن كذلك، ثم قال لي: "أبلغ سلامنا لتلك الفتاة، ولكن عليك الآن أن تقود سيارتك لتعود بها إلى البيت، أسمعت؟".

* * *

كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة عندما وصلت إلى بيتها، فجلست داخل السيارة لفترة من الزمن بعدما فتحت زجاج النوافذ وأطفأت المحرك، وأخذت أدخن آخر لفافة تبغ بقيت لدي، وذلك لأنني لم أكن أريد أن أزعجها بعدما أصبحت في هذا المكان. كانت نوافذ البيت مضاءة، وكنت أعرف أنها كانت هناك بصحبة والديها اللذين يحبانها ويكرهانني، إلا أنني لم أكن أريد أن أتطفل عليهم.

لكنها أرسلت لي رسالة وكأنها عرفت مكاني، إذ كتبت لي فيها:

إنني سعيدة بعودتك. متى يمكنني أن أراك؟

فكتبت لها: **اخرجي من البيت.**

وخلال دقيقة واحدة أصبحت خارج البيت، وكانت ترتدي ثياب النوم التي رسمت عليها قرود، وثوباً طويلاً بنفسجي اللون، وتنتعل خف فرويد. أما شعرها فقد ربطته كذيل حصان. عندها، خرجت من السيارة ومشيت نحوها وأنا أحمل الدلو المبرد المخصص لنقل الورود، فهتفت بي: "ما الذي دهاك يا فينش؟ ولماذا تصدر عنك رائحة دخان؟". ثم التفتت خلفها مخافة أن يراها أحد والديها.

كان الهواء في الليل متجمداً، وقد بدأت بعض كرات الثلج تتساقط مرة أخرى، لكنني كنت أشعر بالدفء حينها، ومع ذلك قالت لي: "إنك ترتجف برداً". فأجبتها:

"حقاً!؟". لأنني لم ألاحظ ذلك بما أنني لم أعد أشعر بأي شيء.

سألتني: "كم أمضيت من الوقت خارج البيت؟".

فأجبتها: "لست أدري". لأنني لم أعد أتذكر فجأة.

فهتفت: "لقد هطل الثلج اليوم وسيهطل مرة ثانية". وكانت عيناها حمراوين، فبدت لي وكأنها كانت تبكي، ولعل ذلك مرده إلى أنها كانت تكره

الشتاء بالفعل، وعلى الأرجح لأننا كنا نقترب من الذكرى السنوية الأولى للحادث.

وهنا أمسكت بالدلو وقلت لها: "وهذا هو السبب الذي دفعني لأحضر لك هذا".

فسألتني: "ما هذا؟".

فقلت: "افتحيه وسترين".

فوضعت الدلو على الأرض وفتحت القفل، وبقيت للحظات تستنشق عبير الأزهار، ومن ثم التفتت نحوي وقبلتني من دون أن تنبس ببنت شفة، وحينما ابتعدت عني قالت لي: "لقد اختفى الشتاء إلى الأبد، فلقد جئتني بالربيع يا فينش".

جلست لفترة طويلة في السيارة خارج بيتي خائفاً من انتهاء مفعول السحر. فقد كنت أشعر بالحميمية داخل السيارة، كما كانت فيوليت تعاملني بحميمية، كما كان اليوم قد انقضى. أما ما كان يثير هيامي وعشقي فهو عيناها وهما تلتمعان حينما كنا نتحدث أو حينما تحدثني عن شيء تريد أن تطلعني عليه، وكذلك ثغرها وهو ينطق بالكلمات وهي ترددها لنفسها أثناء قيامها بالقراءة أو التركيز، وكذلك الطريقة التي كانت تنظر بها إلي وكأنني الشخص الوحيد الذي كانت تراه، وكأنها تستطيع اختراق لحمي وعظامي وكل ما بداخلي لتصل إلى شخصيتي الحقيقية؛ تلك التي لم أتعرف إليها بنفسي.

فينش

اليومان 65 و66

في المدرسة انتبهت إلى نفسي حينما كنت أحدق خارج النافذة، فأخـــذت أفكر: *كم مضى من الوقت وأنا كذلك؟* ثم نظرت حولي لأتأكد إن كان أحد قد رآني؛ إذ توقعت أن من حولي يحدقون إليّ، إلا أن أحداً منهم لم يكن ينظـــر إلي، وكان ذلك يتكرر معي في كل حصة، حتى في حصة الرياضة.

وفي حصة اللغة الإنكليزية، فتحت كتابـــي لأن المعلم كان يقرأ، والجميـــع يرددون معه. وبالرغم من أنني كنت أسمع الكلمات، إلا أنني كنت أنساها فـــور نطقهم بها، لذا كنت أسمع شذرات من الأشياء، و لم تكن تصلني كلمات كاملة.

وهنا أخذت أقول لنفسي:

عليك بالاسترخاء

تنفس بعمق

قم بالعد.

وبعد انتهاء الحصة، توجّهت نحو برج الجرس من دون أن أعبأ بمن كان ينظر إليّ وقتها. وهكذا تمكنت من فتح الباب الذي يصل إلى الدرج بسهولة، فســألت نفسي إن كانت فيوليت هناك أيضاً. وحالما وصلت إلى الأعلى وأصبحت عنـــد النافذة حيث يهب الهواء العليل والمنعش، فتحت الكتاب مرة أخـــرى، وقـــرأت المقطع ذاته مرات ومرات، وأنا أفكر في أنني إن ابتعدت عـــن النـــاس فسيصـــبح

بمقدوري أن أركز أكثر، ولكنني كلما فرغت من قراءة سطر وانتقلت إلى السطر الذي يليه كنت أنسى السطر الذي قبله.

وعند الغداء جلست مع شارلي. وبالرغم من أنني كنت محاطاً بأشخاص آخرين، إلا أنني كنت أشعر بالوحدة؛ إذ كانوا يتحدثون إليّ ومن حولي، إلا أنني لم أكن أسمعهم. لذا تظاهرت بأنني منشغل بأحد كتبي، غير أن الكلمات أخذت تتراقص فوق الصفحة، وعندها رسمت على وجهي ابتسامة كي لا يلاحظني أحد. وهكذا ابتسمت وأخذت أهز برأسي، وأتقنت ذلك الدور جيداً، إلى أن قال لي شارلي: "ماذا دهاك يا رجل؟ لقد أحبطتني بالفعل".

وفي حصة الجغرافيا الأمريكية وقف السيد بلاك عند اللوح، وأخذ يذكرنا مرة أخرى بأن هذا هو الفصل الأخير لنا في المدرسة بما أننا كنا في السنة النهائية، وبأن علينا ألا نتوانى أو نتكاسل. وبينما كان يتحدث، أخذت أكتب، غير أن الشيء الذي حدث أثناء محاولتي أن أقرأ هو أن الكلمات كانت تتراءى لي في البداية، ثم تختفي. وفجأة، جلست فيوليت بجانبي، فلمحتها وهي تسترق النظر إلى ورقتي، لذا غطيت الورقة بيدي.

من الصعب علي أن أصف تلك الحالة، ولكنني أتخيل ما كنت أقاسيه لحظتها بأنه كان أشبه بالوقوع وسط دوامة، إذ كان كل شيء مظلماً ومتماوجاً، إلا أن حركة التماوج كانت بطيئة ولم تكن سريعة، وكنت أحس بثقل يسحبني نحو الأسفل، وكأن ذلك الثقل كان مربوطاً بقدميّ من دون أن أراه، وهنا قلت لنفسي: *إن ذلك يشبه إحساس المرء حينما يقع في مصيدة أو يغرق في رمال متحركة.*

إن جزءاً من عملية الكتابة يعتمد على المخزون الذي تراكم لدي من كل شيء خبرته في حياتي، وكأنني كنت أعاين قائمة مراجعة وردت فيها العناصر التالية: حبيبة رائعة: موجودة، أصدقاء محترمون: موجودون، سقف يأويني: موجود، طعام آكله: موجود.

لن أصبح قصيراً أو أصلع على الأغلب؛ حتى لو عاني أبـي أو أجدادي من تلك المشكلة. كما أني أعزف على الغيتار بشكل جيد، ولدي صوت أجمل من العادي، ويمكنني أن أكتب الأغاني؛ تلك الأغاني التي لا بد لها أن تغير العالم.

كان كل شيء يعمل عمله بانتظام، لكنني كنت أمر بما كتب على تلك القائمة مرات ومرات خشية أن أكون قد نسيت شيئاً، إذ كنت أحاول أن أفكر في أمور أخرى غير الأمور الكبيرة لكي أكتشف الأمور التي كانت تختفي خلف التفاصيل الصغيرة. فعلى الجانب الأهم، وجدت أن وضعي ضمن عائلتي يمكنه أن يصبح أفضل، غير أنني لم أكن الابن الوحيد الذي كان يعتقد ذلك، إذ لم ترم بـي عائلتي في الشارع على الأقل. أما وضعي في المدرسة فكان بخير؛ إذ كان باستطاعتي أن أدرس أكثر، لكنني لم أكن بحاجة إلى ذلك بالفعل لأن المستقبل غير مضمون، غير أنه يمكنه أن يكون في ذلك عنصراً مفيداً.

أما من الناحية الأقل أهمية فيمكنني أن أقول إنني أحب عيني لكنني أكره أنفي، غير أنني لا أعتقد أن أنفي هو الذي يشعرني بذلك. كما أن أسناني جميلة، لذا فأنا أحب شكل فمي عموماً، خاصة حينما يلتحم مع فم فيوليت. أما قدماي فكبيرتان، إلا أنهما على الأقل ليستا صغيرتين للغاية، وإلا لكنت قد تعرضت للسقوط مرات كثيرة. ثم إنني أحب غيتاري، وسريري، وكتبي لاسيما المقصوصة منها.

كنت أفكر في كل شيء، إلا أن الثقل كان كبيراً في نهاية المطاف، وكأنه كان قد أطبق على بقية جسدي وأخذ يغرقني.

وفجأة رن الجرس فقفزت، وهذا ما جعل كل من حولي يضحك، باستثناء فيوليت التي كانت تراقبني بعناية. كنت قد رتبت مواعيدي كي أقابل السقط وقتها، لكنني كنت أخشى أن يلاحظ حدوث شيء ما، وهكذا أوصلت فيوليت إلى الصف ثم أمسكت بيدها وقبلتها وابتسمت لها أجمل ابتسامة كان بإمكاني رسمها على وجهي لئلا تكتشف ما كان يعتمل في صدري حينها. وبما أن صفها كان في الجهة المقابلة لمكتب الإرشاد، وبما أنني لم أكن أركض لأصل إلى هناك، لذا وصلت إلى المكتب بعد خمس دقائق من الموعد المحدد لي.

كان السقط يريد أن يعرف ما حدث لي، وسبب ظهور التعب علـــي، وإن كان ذلك يتعلق بأنني كنت سأبلغ الثامنة عشرة خلال فترة قريبة أم لا.

أخبرته أن لا علاقة لذلك بما يحدث لي. فبالنهاية، من لا يريد أن يبلغ الثامنة عشرة من العمر؟ ويكفي أن يسألوا أمي عن ذلك بما أنها مستعدة للتضحية بـــأي شيء مقابل عدم وصولها إلى سن الحادية والأربعين. مكتبة الرمحي أحمد

وهنا سألني: "إذاً، ما الأمر؟ ما الذي يحدث لك يا فينش؟".

كان علي أن أخبره شيئاً، لذا أخبرته أن السبب في ذلك هو والدي، وبالطبع لم تكن تلك كذبة كاملة، بل إنها نصف الحقيقة، لأن ذلك كان جزءاً من الصورة الكلية الكبيرة. وهكذا قلت: "إن أبـــي لا يريد أن يكون أباً لي". فأخذ الســـقط يصغي بجدية كبيرة وباهتمام بعدما صالب ذراعيه المكتنزتين فوق صدره المكتنـــز أيضاً، وهذا ما أشعرني أن الوضع ليس على ما يرام. وهكذا، بدأت أحكـــي لـــه المزيد من الحقائق فقلت: "لم يكن سعيداً مع عائلته، لذا قرر أن يبيعنا حتى يكـــوّن أسرة جديدة تعجبه أكثر منا، وكان له ما أراد، إذ إن زوجته لطيفة وتبتسم دوماً، أما ابنه الجديد الذي يمكن أن تكون له صلة به أو قد لا تكون بينهما أية صلة قربى فهو ولد صغير البنية ومن السهل التعامل معه، كما أنه لا يشغل حيزاً كبيراً ضمن البيت. اللعنة! ها قد أصبحت أحبهما أنا أيضاً".

ظننت وقتها أنني تكلمت أكثر من اللازم، ولكن بدلاً من أن يقوم الســـقط بتشجيعي على التغلب على ذلك الموضوع، قال لي: "خلت أن والـــدك تـــوفي في حادثة أثناء رحلة صيد".

بقيت للحظة غير قادر على تذكر ما كان يتحدث عنه، ثم بدأت أهز برأسي بعد فوات الأوان، وقلت: "هذا صحيح، لقد توفي، لكنني أتحدث عما حدث قبل أن يتوفى".

عند ذلك، أخذ السقط يعبس في وجهي، وبدلاً من أن ينعتني بالكاذب قال لي: "عذراً، يجب عليك أن تتأقلم مع ذلك في حياتك".

كنت أريد أن أزعق في وجهه حينها، لكنني قلت في سري: *أخفِ ألمك ولا تثر أي انتباه كي لا يلاحظك أحد*، وهكذا استجمعت ما تبقى من طاقتي، تلـــك

الطاقة التي كلفتني أسبوعاً أو أكثر ربما لأحصل عليها، وقلت: "إنه يقدم أفضل ما عنده، أقصد أنه قدم أفضل ما عنده حينما كان على قيد الحياة. ثم إن أفضل ما لديه كان مقرفاً، ولكن في النهاية لا يمكنني إلا أن أقول إن الأمر يتعلق به أكثر مما يتعلق بي. أعني في الحقيقة من الذي لم يكن يحبني؟".

وعندما جلست قبالته وأمرت وجهي بأن يرسم ابتسامة، أخذ عقلي يتلو ما ورد في رسالة الانتحار التي كتبها فلاديمير ماياكوفسكي شاعر الثورة الروسية الذي انتحر برصاصة حينما كان في السادسة والثلاثين من العمر:

إن قاربي الحبيب
قد انكسر على صخور الحياة اليومية
وقد دفعت ديوني
فلم أعد بحاجة لأعدّ
الآلام التي عانيت منها بسبب غيري
وكذلك الأمر بالنسبة إلى المصائب
والإهانات.
حظاً طيباً لكل من بقي.

وفجأة، انحنى السقط فوق مكتبه وأخذ يحدق إلي بنظرة يمكن أن يقال عنها إنها كانت نظرة ذعر، مما يعني أنني لا بد أنني تلوت تلك الكلمات من الرسالة بصوت عالٍ من دون قصد مني.

وهكذا، اتخذ صوته نبرة بطيئة ومتروية كتلك التي يبديها رجل يبعد شخصاً عن حافة النافذة، حيث قال لي: "هل صعدت اليوم إلى برج الجرس مرة أخرى؟".

فهتفت: "يا إلهي! هل لديكم كاميرات مراقبة هناك؟".

فقال: "أجب عن سؤالي".

فقلت له: "أجل يا سيدي، لكنني كنت أقرأ، أو أحاول أن أقرأ هناك. كنت بحاجة إلى مكان أشعر فيه بصفاء الذهن، لأنني لم أستطع أن أصل إلى تلك الحالة في الأسفل مع كل ذلك الضجيج".

telegram @ktabpdf

رد علي: "فينش! أتمنى أن تدرك أنني صديق لك، وهذا يعني أنني أرغب في مساعدتك، إلا أن هذا الأمر يتعلق بجانب قانوني، ثم إنني مرتبط بالتزام".

فأجبته: "إنني بخير. وصدقني حين أقول لك إنني إن قررت أن أنتحر، فستكون أنت أول من سأخبره بذلك، كما سأحجز لك مقعداً في الصف الأول، أو سأتريث على الأقل حتى يصبح لديك ما يكفي من المال لرفع دعوى قضائية".

ملاحظة لنفسي: الانتحار ليس بالأمر المضحك، لا سيما بالنسبة إلى رموز السلطة الذين يعتبرون أنفسهم مسؤولين عنك بطريقة ما.

عندها لجمت نفسي وقلت: "عذراً على قلة الذوق، لكنني بخير فعلاً".

فسألني: "ماذا تعرف عن مرض اضطراب العاطفة ثنائي القطب؟".

فكنت على وشك أن أقول: *ما الذي تعرفه عنه أنت؟* لكنني أخذت نفساً وابتسمت، ثم قلت: "أهو مرض جيكل-هايد؟[1]". فبدا صوتي خافتاً ومتزناً، ولعلي كنت أشعر بالملل بعض الشيء، بالرغم من أن عقلي وجسدي كانا في حالة تأهب.

فرد علي بالقول: "يطلق عليه البعض اسم الاكتئاب الهوسي، وهو اضطراب عقلي يتسبب في ظهور تقلب حاد في المزاج والطاقة. كما أنه يعتبر من الأمراض الوراثية، ولكن يمكن علاجه".

واصلت التنفس بعمق بالرغم من أن الابتسامة اختفت من وجهي، إلا أن هذا ما حدث: إذ أخذ قلبي ودماغي ينبضان بإيقاعين مختلفين، وأصبحت يداي باردتين، كما أصبحت رقبتي من الخلف حارة، أما حلقي فقد جف تماماً؛ لأن الشيء الوحيد الذي كنت أعرفه عن مرض اضطراب العاطفة ثنائي القطب هو أنه وصمة عار، ومرض يطلق على الأشخاص المجانين، ثم إنني كنت أعرف عن هذا المرض لأنني درست علم النفس في السنة الثالثة، كما تابعت أفلاماً، وكان أبي أمامي خير مثال على ذلك لمدة استمرت ثمانية عشر عاماً تقريباً؛ بالرغم من أنه من الصعب وصم أبي بتلك الوصمة مباشرة، لأنه قد يقتل من يحاول القيام

---

(1) اسم بطل شخصية رواية الدكتور جيكل والسيد هايد التي كتبها الكاتب الاسكتلندي روبرت لويس ستيفنسون. (المترجمة)

بذلك. ثم إن وصمة كوصمة: "ثنائي القطب" تعني أن *هذا* هو *السبب الذي جعلك تصبح كذلك. ثم إن هذا أنت*، ثم إنهم يبررون ذلك بوصفهم تلك الحالة بالمرض.

أخذ السقط يتحدث عن الأعراض والهوس والحالات الذهانية وذلك عندما قرع الجرس، فوقفت بفظاظة كانت أكبر مما كنت أقصد؛ الأمر الذي جعل كرسي يميل ويرتطم بالجدار ثم يقع على الأرض. ولو كنت معلقاً بالسقف وكنت أنظر إلى الأسفل لتمكنت حينها من رؤية كيف يمكن أن يعتبر تصرفي هذا تصرفاً عدوانياً، خاصة حينما يبدر عن شخص له مثل حجمي. ولكن قبل أن أتمكن من إخباره بأن ذلك مجرد حادث عرضي، كان السقط قد وقف على قدميه.

فما كان مني إلا أن رفعت يدي إلى الأعلى في إشارة استسلام، ومن ثم مددت يدي كغصن الزيتون، إلا أن الأمر استغرق منه حوالي دقيقة أو اثنتين قبل أن يبعد يديّ من أمامه. ولكن بدلاً من أن يتركهما، شد ذراعي للأمام إلى أن أصبحنا أنا وهو وجهاً لوجه، أو لنقل وجهاً لذقن- وذلك بالنظر إلى فرق الطول بيننا- ثم قال لي: "إنك لست وحدك". وقبل أن أتمكن من قول أي شي، تذكرت *أنني وحيد في الحقيقة، وهذا جزء من المشكلة، ثم إننا جميعاً وحيدون في هذا العالم، وأسرى داخل أجسادنا وعقولنا، ومهما كان هناك أشخاص حولنا في حياتنا فلن نتمكن من رؤية هذه الحياة إلا كشيء عابر وسطحي.*

غير أنه أحكم قبضته لدرجة أنني خفت معها أن تنكسر عظام ذراعي، ثم قال لي: "ثم إننا لم نفرغ من النقاش بعد".

وفي صباح اليوم التالي وبعد حصة الرياضة، أخذ المتسكع يسير بالقرب مني ويقول بصوت منخفض: "مجنون". فسمعه عدد من الشبان الذين كانوا يتجولون بالقرب منا، إلا أنني لم أكترث لكل ذلك، أو بمعنى أصح، لم أكن أفكر في ذلك لأن كل ما حدث قد حدث وانتهى.

لكن وبغمضة عين وجدت نفسي قد دفعته نحو الخزانة، ووضعت يدي حول رقبته، وبدأت أخنقه إلى أن تحوّل لونه إلى اللون البنفسجي. كان شارلي يقف

خلفي، لذا أخذ يحاول أن يبعدني عنه، ثم ظهر كابيل وهو يحمل مضربه، لكنني واصلت ما بدأت به، لأن ما شدني وقتها هو الطريقة التي أخذت فيها عروق المتسكع تنبض، وكيف بدا رأسه كمصباح كهربائي مضيء ومشرق.

وهكذا، حاول هؤلاء الأربعة أن يبعدوني عنه وذلك لأن قبضتي كانت حديدية حول رقبته، لذا أخذت أفكر حينما ابتعدت عنه: *أنت من وضعني في هذا الموقف، وأنت من قام بذلك، ثم إن الذنب ذنبك، الذنب ذنبك.*

بعد ذلك، سقط المتسكع على الأرض. وبينما كانوا يبعدونني عنه، نظرت إليه وقلت له: "لن أسمح لك بأن تنعتني بذلك مرة أخرى".

فيوليت

10 آذار

أخذ هاتفي يرن بعد الحصة الثالثة. كان فينش هو المتصل، حيث أخبرني أنه ينتظرني خارج المدرسة قرب النهر، وقال لي إنه يرغب في الذهاب بالسيارة جنوباً لإيفانسفيل وذلك لمشاهدة بيوت الأعشاش؛ وهي عبارة عن أكواخ بناها فنان من إنديانا من أغصان الأشجار، ولذلك فهي تشبه أعشاش الطيور، لكنها كانت مخصصة للبشر ومزودة بنوافذ وأبواب، لذا كان فينش يرغب بالتأكد إن بقي من تلك الأعشاش شيء. وحينما نصل إلى هناك، سيصبح بإمكاننا أن نعبر الحدود إلى كنتاكي، وأن نلتقط صوراً لكل منا، حيث يضع الواحد منا قدماً في كنتاكي والأخرى في إنديانا.

وهنا سألته: "ألا يمثل نهر أوهايو كامل الحدود؟ إذاً علينا أن نقف على جسر...".

لكنه أصر على رأيه وكأنه لم يسمع ما قلته له وذلك عندما قال: "في الحقيقة، علينا أن نقوم بذلك في إلنوي وميتشيغان وأوهايو".

عندها سألته: "لَمَ لم تذهب إلى صفك؟". وكنت وقتها أزين شعري بزهرة من الزهور التي قدّمها لي.

فقال: "لقد طردت من المدرسة، لذا قررت أن آتي إلى هنا".

هتفت: "طردت؟!".

فرد: "هيا بنا، فأنا أضيع الآن الوقود وضوء النهار".

قلت له: "إن الرحلة إلى إيفانسفيل تستغرق أربع ساعات يا فينش، لذا سيكون الظلام قد حل حينما نصل إلى هناك".

فرد علي: "لن يكون كذلك إن انطلقنا الآن. تعالي، هيا، انزلي واركبي في السيارة، ثم إنه بوسعنا أن نقضي الليلة هناك". كان يتحدث بسرعة كبيرة، وكأن كل شيء كان يقوم على مشاهدتنا لبيوت الأعشاش. وحينما سألته عما حدث، قال لي إنه سيخبرني في ما بعد، وإن عليه أن ينطلق فوراً وبأسرع وقت ممكن.

قلت له: "إنه يوم ثلاثاء من أيام الشتاء، ثم إننا لن ننام في بيت من بيوت الأعشاش، أي يمكننا أن نذهب إلى هناك يوم السبت. وإذا انتظرتني إلى أن ينتهي دوامي في المدرسة فيمكننا عندئذ أن ننطلق إلى أي مكان آخر أقرب من المنطقة الحدودية بين إنديانا وكنتاكي".

فجاءني رده: "أتعرفين؟ ما رأيك في أن ننسى هذا الموضوع؟ ثم لمَ لا أذهب إلى هناك بمفردي؟ أعتقد أنني سأذهب إلى هناك وحدي على أية حال". وهكذا، بدا لي صوته عبر الهاتف محبطاً، ثم أغلق الخط في وجهي.

كنت لا أزال أحدق إلى هاتفي حينما مر بي ريان مع سوز هانيز وقد أمسك كل منهما بيد الآخر، فسألني: "هل أمورك على ما يرام؟".

أجبته: "كل أموري بخير". وأنا أتساءل في سري عما حدث للتو.

فينش

اليومان 66 و67

لم أجد بيوت الأعشاش، كما كان الظلام قد حل حينما توقفت وسط مدينة نيوهارموني التي تتميز بأبنيتها المطلية بألوان مشرقة، فبدأت أسأل أي شخص أصادفه عن تلك البيوت التي كنت أبحث عنها لكنها اختفت، وأخبرني معظم من سألتهم بأنهم لم يسمعوا عنها من قبل، إلا أن رجلاً عجوزاً من بينهم قال لي: "أشعر بالأسى لأجلك لأنك قطعت كل هذه المسافة، لذا اعذرني إن قلت لك إن تلك البيوت قد اختفت بفعل عوامل الطقس وغيرها من العوامل".

قلت في سري: *هذا ما يحدث لنا جميعاً*. ثم إن بيوت الأعشاش قد بلغت متوسط العمر المتوقع لها، وهذا ما جعلني أفكر في العش الطيني الذي بنيناه لعصفور الكاردينال، إذ بعد مرور كل تلك السنين كنت أسأل نفسي إن كان لا يزال قائماً أم لا. كما أخذت أتخيل عظام ذلك العصفور الواهنة داخل قبره الصغير، فشعرت بأن تلك الفكرة كانت أكثر فكرة إيلاماً على وجه البسيطة.

كان جميع من في البيت نائمين، لذا صعدت إلى الطابق العلوي، وبقيت أنظر إلى نفسي في مرآة الحمام لفترة طويلة، وشعرت بأنني كنت أختفي أمام ناظري.

فقلت لنفسي:

إنني أختفي، ولعلي قد اختفيت وانتهى الأمر.

وبدلاً من أن أشعر بالذعر، أسرتني الفكرة؛ وكأنني كنت مجرد قرد في مختبر، فسألت نفسي: ما الذي يخفي القرد عن الأعين؟ ثم إن لم يكن بمقدور المرء أن يراه، فهل بوسعه أن يلمسه إن حرك يده حول المكان الذي كان القرد فيه؟ عندها، وضعت يدي على صدري فوق قلبي بالضبط، فأحسست باللحم والعظام ونبض قلبي الذي كان شديداً وغير منتظم، لكنه كان ما يبقيني على قيد الحياة.

بعد ذلك، توجهت نحو خزانتي فدخلتها وأغلقت الباب. وفي الداخل، حاولت ألا أشغل حيزاً كبيراً أو أصدر أي ضجة، لأنني إن فعلت فسأوقظ العتمة، إلا أنني كنت أريدها أن تنام، لذا أخذت أتنفس بانتباه لئلا أصدر أي صوت عالٍ لدى تنفسي؛ لأنني إن فعلت ذلك، فلن أعرف ما الذي ستفعله العتمة بي أو بفيوليت أو بأي شخص أحبه.

وفي صباح اليوم التالي، تفقدت رسائلي التي وردت عبر البريد الصوتي الخاص بالبيت، أي الخاص بالخط الأرضي الذي تشاركني به أمي وشقيقتاي، فوجدت رسالة من السقط وجّهها إلى أمي عصر اليوم السابق، جاء فيها: "سيدة فينش، معك روبرت إيمبري من ثانوية بارتليت. كما تعرفين، أنا أعمل في مجال الإرشاد مع ابنك، ولهذا يجب أن أتحدث إليك بشأن تيودور، ويؤسفني أن أخبرك بأن الأمر في غاية الأهمية، لذا أرجو أن تتصلي بي". وكان قد ترك لها رقمه.

قمت بتشغيل الرسالة مرتين بعد ذلك، ثم حذفتها.

وبدلاً من الذهاب إلى المدرسة، صعدت إلى الطابق العلوي وجلست في خزانتي؛ لأنني إن غادرت، فلا بد من أن أموت، وعندها تذكرت بأنني قد طردت، لذا لم يكن بإمكاني أن أذهب إلى المدرسة على أية حال.

كان أروع ما في الخزانة هو أنها لم تكن مساحة مكشوفة، لذا كنت أجلس فيها بهدوء تام وسكينة وأتنفس بحذر.

وفجأة، جالت في فكري سلسلة أفكار بدت لي وكأنها أغنية لم أستطع التخلص من ترديدها في داخلي. إذ كنت أكرر تلك الأفكار بالترتيب نفسه: *إنني*

محطم، إنني محتال، لذا يستحيل أن يحبني أحد. إنها فقط مسألة وقت وستكتشف فيوليت كل ذلك. *لكنك حذرتها، ثم ماذا تريد هي منك؟ فلقد أخبرتها بما جرى معك.*

أخذ عقلي يصم نفسه بوصمة ذلك المرض: *اضطراب العاطفة ثنائي القطب... ثنائي القطب... ثنائي القطب... ثنائي القطب.*

بعد ذلك، بدأت سلسلة الأفكار تكرر نفسها مرة أخرى: *إنني محطم، إنني محتال، لذا يستحيل أن يحبني أحد...*

جلست صامتاً أثناء تناول العشاء. ولكن، بعد اللازمة اليومية لأمي التي تبدأ بـ: *أخبريني بما تعلمته اليوم يا ديكا، أخبرني بما تعلمته اليوم يا تيودور،* خيّم الصمت على أمي وديكا أيضاً، إلا أنهما لم تلاحظا أنني كنت سارحاً في أفكاري، لذا تناولنا طعامنا في صمت مطبق. وبعد ذلك، وجدت الحبوب المنومة في خزانة الأدوية الخاصة بأمي، فحملت زجاجة كاملة إلى غرفتي، وتناولت نصف محتوياتها، ثم أسرعت بعد ذلك إلى الحوض الموجود في حمام غرفتي، وانحنيت لأشرب الماء وأسرّع عملية ابتلاع الدواء، وأنا أقول في سري: *سأختبر ما حدث لسيزار بافيس، سأكتشف إن كانت هناك أية بهجة باسلة في ذلك.* ثم تمددت فوق أرضية الخزانة بعدما استبقيت الزجاجة في يدي، وحاولت أن أتخيل جسدي وهو ينطفئ تدريجياً، وينال منه الخدر بشكل كامل، فشعرت بثقل ينتابني؛ بالرغم من أنني أحسست به يأتيني بسرعة هائلة.

وبالكاد أصبحت قادراً على رفع رأسي، وشعرت بأن قدميّ تبعدان عني مئات الأميال، كما شعرت بأن الحبوب التي ابتلعتها تقول لي: *ابقَ هنا ولا تتحرك، ودعنا نقوم بعملنا.*

وهكذا، حلّت عليّ غشاوة من الظلام، وبدت كالسديم، وأخذت تسودّ وتسودّ، وأخذ جسدي يهبط نحو الأسفل باتجاه الأرض تحت وطأة السواد والسديم، ولم أجد أي بهجة في كل ذلك، بل بدا لي الأمر كما يحدث للمرء حينما يخلد إلى النوم.

لكنني أجبرت نفسي على النهوض، ثم سحبت نفسي نحو الحمام حيث وضعت أحد أصابعي في حلقي فتقيأت، إلا أن كمية القيء كانت قليلة؛ بالرغم من أنني كنت قد تناولت طعامي للتو، فكررت المحاولة مرة ثم مرتين. وبعد ذلك، ارتديت حذائي الرياضي وأخذت أجري، وشعرت حينها بأن أطرافي كانت ثقيلة، وبأنني كنت أجري وسط رمال متحركة، إلا أنني كنت أتنفس وقد عزمت على ذلك.

أخذت أجري ضمن المسار المنتظم الذي حددته لنفسي والذي كنت أقطعه كل ليلة، حيث سرت عبر الشارع الوطني فوصلت إلى المشفى. ولكن بدلاً من المرور قربها مرور الكرام، اجتزت المساحة المخصصة لركن السيارات جرياً، ثم دفعتُ بجسدي عبر أبواب الطوارئ وقلت لأول من رأيته هناك: "لقد ابتلعت حبوباً و لم أستطع إخراجها من بطني، لذا أرجوكم أخرجوها مني".

كان من خاطبته ممرضة، فوضعت يدها على ذراعي وهتفت بشيء ما لرجل كان يقف خلفي. كان صوتها لطيفاً وهادئاً، وبدت لي معتادة على استقبال أشخاص آتين من جولة جري ويرغبون في تنظيف أمعائهم. بعدها، قام ممرض بأخذي إلى غرفة ثانية بمساعدة ممرضتين.

بعد ذلك اسودت الدنيا أمامي، ثم صحوت في ما بعد وشعرت بأنني خاوٍ ومتيقظ، فدخلت علي امرأة، وبدت لي وكأنها قد قرأت أفكاري حين قالت: "لقد استيقظت، جيد. فنحن نريد منك أن تملأ بعض الأوراق؛ إذ بحثنا عن بطاقة هويتك، إلا أنك لم تكن تحمل ما يثبت من أنت". ثم ناولتني لوحاً ثبتت فوقه الأوراق، فكانت يدي ترتجف حينما أخذته منها.

بقيت الاستمارة خالية إلا من اسمي وعمري، إذ كتبت في ذلك الفراغ: *جوش ريموند، العمر 17 عاماً*، لكن يدي بدأت ترتجف أكثر، فأدركت أنني كنت أضحك، وفكرت في سري: يا لها من نكتة ظريفة يا فينش! ثم إنك لم تمت بعد.

حقيقة: معظم حالات الانتحار تتم بين ساعات الظهيرة والساعة السادسة مساء.

غالبًا ما ينتحر الشباب الذين يزينون أجسادهم بالأوشام بواسطة مسدس.

أما الأشخاص الذين يتميزون بلون عينين بني فيختارون الشنق أو السم على الأرجح.

ثم إن مدمني القهوة أقل عرضة للانتحار من الأشخاص الذين لا يدمنون على شرب القهوة.

انتظرت إلى أن غادرتني الممرضة، فارتديت ملابسي وتسللت من الغرفة. نزلت الدرج، ثم خرجت من المشفى؛ إذ لم تكن هناك أي حاجة إلى بقائي في ذلك المكان بعد ذلك، لأن ما كانوا سيفعلونه بعد ملء الاستمارة هو أنهم سيرسلون من سيقوم بمراقبتي وطرح الأسئلة علي، ثم سيجدون والديّ بطريقة ما، وإن لم يتمكنوا من الوصول إليهما، فسيخرجون كومة من الاستمارات وسيجرون اتصالاتهم، ولن يُسمح لي بالمغادرة قبل أن يعرفوا عني ما يريدونه، ثم إنهم على وشك الوصول إلى تلك المعلومات، لكنني كنت أسرع منهم بكثير.

كنت أشعر بوهن كبير لذا لم أقوَ على الجري، وهذا ما جعلني أسير على قدمي إلى أن وصلت إلى البيت.

فينش

اليوم 71

كان أعضاء مجموعة *الحياة هي الحياة* مجتمعين وجالسين على الأرض ضمن قاعة ملحقة بمشتل في مدينة قريبة من ولاية أوهايو، ولا بد أن تبقى هذه المدينة بلا اسم؛ لأن تلك المجموعة لم تكن مجموعة مهتمة بالطبيعة، بل هي عبارة عن مجموعة لدعم المراهقين الذين يفكرون في الانتحار، أو الذين قد جربوه أو نجوا منه، وقد تعرفت إلى تلك المجموعة عبر الإنترنت.

ركبت *الصغيرة* وتوجّهت نحو أوهايو. كنت متعباً، كما كنت أتجنب لقاء فيوليت؛ إذ كان من المضني أن أقوم بتعديل وضعي وأهتم بها في آن واحد؛ لأنه كان علي أن أكون بغاية الحذر معها؛ وكأنني كنت أبحث عن طريق وسط حقل ألغام، وأنا محاط بعناصر من جيش العدو من سائر الجوانب. لذا فكرت في سري: *يجب ألا أسمح لها برؤيتي*، ثم أخبرتها بأنني أصبت بمرض ولا أريد للعدوى أن تنتقل إليها.

كان اجتماع مجموعة *الحياة هي الحياة* يتم داخل قاعة كبيرة لها نوافذ ذات إطارات خشبية، وشبكات تبريد بارزة من الجدران. وهكذا، جلسنا حول طاولتين طويلتين تم لصقهما ببعضهما، وكأننا كنا على وشك حل وظيفة أو إجراء اختبار. وقد وُضِع على طرفي الطاولة إبريقا ماء، مع أكواب زاهية الألوان من ماركة ديكسي، بالإضافة إلى أربعة أطباق من البسكويت.

كان مرشد هذه المجموعة شاباً يعرف باسم ديميتريوس، ويمتاز ببشرته السمراء وعينيه الخضراوين. وبما أننا كنا أعضاء جدداً في هذه المجموعة، لذا أخذ يخبرنا بأنه سيحصل على شهادة الدكتوراه من الكلية المحلية، وبأن مجموعة *الحياة هي الحياة* قد دخلت عامها الثاني عشر؛ بالرغم من أنه أصبح مديراً لها منذ أحد عشر شهراً فقط. وهنا وددت أن أسأله عمّا حل بالمرشد الذي كان قبله، إلا أنني لم أفعل، لأنني خشيت أن تكون قصته محزنة.

اصطف أعضاء تلك المجموعة في طابور فبدوا كطلاب مدرسة بارتليت، إلا أنني لم أكن أعرف أحداً منهم، وهذا بالتحديد ما جعلني أركب سيارتي وأنطلق بها لمسافة خمسة وعشرين ميلاً كي أصل إلى هنا. وقبل أن أجلس على مقعدي اقتربت مني فتاة وقالت: "إنك طويل بالفعل".

فقلت لها: "إنني أضخم مما يبدو عليه من هم في مثل عمري".

ابتسمت لي بطريقة أعتقد أنها كانت تظنها فاتنة، فأضفت قائلاً: "إن مورثات العمالقة موجودة في عائلتي، لذا يجب أن أنضم إلى السيرك بعد الثانوية، لأن الأطباء أخبروني بأن طولي سيتجاوز سبع أقدام حينما أبلغ العشرين من العمر".

كنت أريدها أن تبتعد عني لأنني لم آتِ إلى هذا المكان لأقيم علاقات صداقة. ولحسن الحظ، ابتعدت عني بعد ذلك، فجلست وانتظرت، وتمنيت لو لم آتِ إلى هذا المكان. ثم أخذ الجميع يتناولون قطع البسكويت التي لم أمسك أياً منها لأنني كنت أعرف أن الأسماء التجارية لقطع الحلوى تلك كانت تحتوي أو لا تحتوي على شيء مقرف يعرف باسم فحم العظام؛ وهو شكل من الأشكال التي تتخذها عظام الحيوانات، وهذا ما جعل نفسي تعاف حتى النظر إلى تلك الحلويات أو إلى الأشخاص الذين كانوا يتناولونها، لذا أخذت أنظر من النافذة، إلا أن الأشجار التي كانت في ذلك المشتل كانت واهنة وبنية اللون وشبه ميتة، وهذا ما جعلني أطيل النظر إلى ديميتريوس الذي كان يجلس في الوسط حيث يستطيع الجميع رؤيته.

أخذ ديميتريوس يقرأ معلومات كنت أعرفها عن الانتحار والمراهقين، ثم توزعنا في القاعة، وأخذ كل منا يعرف بنفسه، ويذكر اسمه وعمره وما شخّصه

الأطباء لدينا؛ وإن كانت لدينا تجربة مباشرة في محاولة الانتحار. بعد ذلك، بدأ كل منا يردد عبارة: "______ هي الحياة"، حيث كان يتعين على كل شخص أن يضع في الفراغ ما يخطر بذهنه في تلك اللحظة ويشعر بأنه شيء مبهج، كأن يقال: "البيسبول هي الحياة"، أو "المدرسة هي الحياة"، أو "الأصدقاء هم الحياة"، أو "العلاقة الحميمة هي الحياة"، أي كان بوسعنا أن نختار أي شيء يذكرنا كم كنا محظوظين لأننا بقينا على قيد الحياة.

كان هنالك عدد من الأعضاء الذين كانت تبدو عليهم نظرة الفراغ والكآبة التي تظهر على وجوه من يدمنون على المخدرات، لذا أخذت أسأل نفسي عما كانوا يتعاطونه وساعدهم على البقاء والتنفس، وهنا قاطعت فتاة أفكاري بقولها: "*يوميات مصاص الدماء*[1] هي الحياة"، فضحكت عندها فتاتان، وهتفت أخرى قائلة: "كلبتي هي الحياة؛ حتى إن كانت تأكل أحذيتي".

وحينما أتى دوري، عرفت عن نفسي باسم جوش ريموند، وبأنني في السابعة عشرة من العمر، وأنه ليست لدي أي تجربة مع الانتحار؛ باستثناء تجربتي الجبانة الأخيرة مع الحبوب المنومة، ثم قلت: "أثر جاذبية كوكبي بلوتو والمشتري هو الحياة" إلا أن كل الموجودين لم يفهموا ما كنت أعنيه.

وفي تلك اللحظة بالذات، فتح الباب ودخلت إحداهن مع هبة ريح باردة. كانت تلك الفتاة تعتمر قبعة وتضع وشاحاً وترتدي قفازين وقد لفت نفسها بالثياب فبدت كالمومياء. وحينما وجدت لنفسها مقعداً التفتنا إليها جميعاً، بينما كان ديميتريوس يبتسم ابتسامة مريحة، ثم خاطبها قائلاً:

"هلمي ولا تقلقي، فلقد بدأنا للتو".

فما كان من تلك المومياء إلا أن جلست وحلت وشاحها وخلعت قفازيها وقبعتها، ثم أشاحت بوجهها عني، فرأيت شعرها الأشقر الذي ربطته كذيل حصان وهو يتأرجح حينما كانت تعلق أنشوطة حقيبتها على كرسيها، ثم عادت إلى الخلف، وأخذت تعدِّل وضع خصلات شعرها التي تهدلت على وجنتيها اللتين أصبحتا ورديتين بفعل البرد، لكنها بقيت مرتدية معطفها. وعندها، سمعت صوت

---

(1) اسم مسلسل. (المترجمة)

أماندا مونك تقول لديميتريوس عند الطاولة: "آسفة". إلا أنها حالما رأتني شحب لون وجهها كلياً وعلى الفور.

فما كان من ديميتريوس إلا أن هز برأسه لها وقال: "هيا يا راشيل". إلا أن أماندا التي كانت تلعب دور راشيل وقتها أخذت تتحاشى النظر إلي، ثم نطقت بصوتها الخشبي: "اسمي راشيل، وأنا في السابعة عشرة من عمري. إنني مصابة بمرض الشره، وحاولت أن أنتحر مرتين بواسطة الحبوب، وأنا أخفي شخصيتي الحقيقية خلف الابتسامات والثرثرة، إلا أنني لا أشعر بالسعادة مطلقاً، ووالدتي هي التي أصرت على مجيئي إلى هنا، وبالنسبة إلي التكتم هو الحياة". فشعرت بأنها توجّه الجملة الأخيرة لي، ثم أشاحت بوجهها عني.

بعد ذلك أكملنا الدور، وحينما فرغنا منه تبيّن لي أنني الشخص الوحيد المتواجد في ذلك المكان الذي لم يحاول أن ينتحر بالفعل، وهذا ما أشعرني بالتفوق والتميز على الآخرين. وبالرغم من أنه لم يكن يجدر بي أن أشعر بذلك، إلا أنني لم أتمكن من منع نفسي من التفكير بتلك الطريقة. وهكذا، أخذت أفكر في سري: *حينما أحاول بالفعل فلن أخسر*، فحتى ديميتريوس لديه قصة، ثم إن هؤلاء الأشخاص قد أتوا إلى هنا ليحصلوا على المساعدة، وهم الآن على قيد الحياة بالرغم من كل شيء.

إلا أن الأمر برمته كان مأساوياً. فرغم الأفكار التي انتابتني حول فحم العظام، والقصص التي سمعتها حول قطع الشرايين عند المعصم، والشنق، ورؤيتي أماندا مونك بذقنها المستدق قليلاً والبارز بعدما انكشف سرها وأصبحت تشعر بالخوف، كنت أريد أن أضع رأسي على الطاولة لتبدأ عملية السقوط لمسافة طويلة. كنت أريد أن أنأى بنفسي عن كل هؤلاء الشباب الذين لم تكن لهم يد في أي شيء سوى أنهم ولدوا بأدمغة مختلفة وعروق ودماء مختلفة، ولآباء وأمهات لم يأتوا معهم إلى هذا المكان ليتناولوا حلوى فحم العظام وليشاركونا بقصصهم وحكاياهم؛ لأنهم لم يقوموا بذلك أصلاً، ولم تسنح لهم الفرصة لتجربة ذلك من الأساس. كنت أريد أن أنأى بنفسي عن وصمة العار التي كان من الواضح أن الجميع يشعرون بها بسبب المرض العقلي الذي كان كل منهم يعاني منه، وذلك

مقارنة بالأمراض التي تصيب الرئتين أو الدم مثلاً. كنت أريد أن أنأى بنفسي عن كل تلك الوصمات؛ إذ كان من بينهم من قال: *"أعاني من وسواس قهري"*، *"أنا مكتئب"*، *"حاولت أن أقطع شرياني لأنتحر"* وكأن تلك العبارات هي التي كانت تحدد هويتهم. أحد هؤلاء المساكين كان يعاني من مرض فرط النشاط والعجز عن التركيز ومن وسواس قهري واضطراب الشخصية الحدي واضطراب العاطفة ثنائي القطب، وفوق كل ذلك كان يعاني أيضاً من نوع من أنواع مرض القلق. لم أكن أعرف ما هو مرض اضطراب الشخصية الحدي، إلا أنني كنت الشخص الوحيد الذي عرف عن نفسه بأنه تيودور فينش فقط.

وفجأة هتفت فتاة ذات ضفيرة سوداء وسميكة كانت تضع نظارة وقالت: "توفيت شقيقتي بمرض سرطان الدم. لا بد أنكم تتوقعون كم الزهور والتعاطف إثر وفاتها". ثم رفعت معصميها ووضعتهما فوق الطاولة حيث أصبح بوسعنا أن نرى الندبات على يديها، وبعد ذلك تابعت قائلة: "ولكن حينما كنت على وشك أن أموت، لم يرسل لي أحد زهوراً، ولم يحضر أحد أي طعام، لذا اكتشفت أنني أنانية ومجنونة لأنني كنت أضيع حياتي حينما توقفت حياة أختي".

لقد جعلني كلام تلك الفتاة أفكر في إليانور ماركي، ثم أخذ ديميتريوس يتحدث عن الأدوية الموجودة في الأسواق والتي تساعد المرء في التغلب على وضع كهذا. وبعدها، قام الجميع باقتراح أسماء أدوية وعقاقير تفيد في تحسين وضع الشخص الذي يعاني من تلك الحالة، ثم ذكر شاب كان يجلس في الطرف المقابل من الطاولة أن الشيء الوحيد الذي يكرهه هو الإحساس بأنه يشبه أي شخص آخر، حيث علق على ذلك قائلاً: "أرجو ألا تسيئوا فهمي، فأنا أفضل أن أبقى هنا على أن أموت، ولكنني في بعض الأحيان أشعر بأن كل شيء كان في السابق يرفع معنوياتي قد انتهى واختفى".

بعد ذلك، توقفت عن الإصغاء.

وحينما انتهت الجلسة، سألني ديميتريوس عن رأيي بها، فأخبرته بأنها فتحت عينيّ وعرفتني على أمور كثيرة، ثم ذكرت له أشياء أخرى لأشعره بالرضى عن العمل الذي قام به، وبعد ذلك تبعت أماندا التي أصبح اسمها راشيل إلى المكان

المخصص لركن السيارات قبل أن تنطلق بسيارتها، وقلت لها: "لن أخبر أحداً بأي شيء".

فردت: "ذلك أفضل. فأنا جادة للغاية في ما أقوم به". وكانت عيناها وهي تقول ذلك تقدح شرراً، أما وجهها فقد أصبح أحمر من شدة الانفعال.

فقلت لها: "وإن حدث أن أفشيت سرك، فما عليك سوى أن تقولي لهم إنني مجنون، وسوف يصدقونك، لأنهم يعتقدون أن كل ما أقوم به مجرد هراء. كما أنني طردت من المدرسة أيضاً، ألا تتذكرين هذا؟". فأشاحت بوجهها بعيداً عني، وعندها أكملت: "أما زلت تفكرين في الانتحار؟".

فردت علي: "إن لم أكن أفكر فيه فلن تجدني هنا". ثم رفعت رأسها وقالت: "ماذا عنك؟ ألم تكن على وشك أن ترمي نفسك من برج الجرس قبل أن تقنعك فيوليت بالعدول عن الفكرة؟".

أجبتها: "نعم ولا".

فسألتني: "لَم تفعل هذا؟ ألم تضجر من أولئك الأشخاص الذين يتحدثون عنك؟".

فأجبتها بسؤال: "بمن فيهم أنت؟".

فما كان منها إلا أن صمتت، وهكذا قلت لها:

"إنني أفعل ذلك لأنه يذكرني بضرورة مجيئي إلى هنا، وبأنني ما زلت هنا ولديّ رأي في الموضوع".

عندها، وضعَت ساقاً في السيارة وهتفت: "أعتقد أنك أصبحت تعرف الآن بأنك لست المجنون الوحيد". فكانت تلك العبارة أروع ما نطقت به عني في حياتها.

فيوليت

18 آذار

مضى يوم من دون أن أسمع أي أخبار عن فينش. ثم مضى يومان، ثم ثلاثة، من دون أن أعرف أخباره. وحينما وصلت إلى البيت بعد المدرسة يوم الأربعاء كان الثلج يهطل، حيث أصبحت الشوارع مكسوة باللون الأبيض، وكنت قد سقطت عن ليروي ست مرات. وحين وصلت إلى البيت وجدت والدتي في مكتبها، وعندها سألتها إن كان بوسعي أن أستعير سيارتها.

فاحتاجت إلى هنيهة حتى تجد صوتها، ثم قالت: "إلى أين ستذهبين؟".

فقلت: "إلى بيت شيلبي". كانت شيلبي بادجيت تسكن في الجانب الآخر من المدينة، لذا دهشت من السرعة والسهولة التي خرجت فيها الكلمات من فمي؛ إذ كنت أتصرف وكأن طلبي قيادة سيارتها ليس بالمسألة ذات الأهمية، في الوقت الذي مضى فيه عام كامل من دون أن أقود خلالها أية سيارة، غير أن أمي أخذت تحدق إليّ، وأطالت التحديق وهي تناولني مفاتيح السيارة وتتبعني إلى الباب وإلى الممر من بعده، وهناك انتبهت إلى أنها لم تكن تحدق إليّ فحسب، بل كانت تبكي أيضاً.

ثم هتفت وهي تمسح دموعها: "آسفة". وتابعت: "كل ما هنالك أننا لسنا واثقين... لم نكن نتوقع أن نراك وأنت تقودين سيارة مرة أخرى، فلقد غير الحادث الكثير من الأمور، وذهب بالكثير من الأشياء. إلا أن قيادة السيارة ليست

بالمسألة المهمة ضمن إطار الحياة الواسع. ولكن، يجب على أي فتاة في مثل عمرك ألا تفكر مرتين في أمر كهذا، إلا لتكون حذرة تجاه...".

كانت أمي حينها تثرثر، ولكنها بدت لي سعيدة، وهذا ما أشعرني بالذنب لأنني كنت أكذب عليها، لذا عانقتها قبل أن أجلس خلف عجلة القيادة، ثم لوّحت لها بيدي مودعة وابتسمت، وبعدها قمت بتشغيل المحرك وهتفت بصوت عالٍ: "حسناً". وهنا انطلقت ببطء، وكنت لا أزال ألوح لها وأبتسم، إلا أنني كنت أتساءل في سري عما كنت أفعله حينها. مكتبة الرمحي أحمد

أخذت أرتعد في بداية الأمر؛ لأن زمناً طويلاً قد مر على قيادتي السيارة آخر مرة، ولم أكن يوماً على يقين إن كنت سأقود السيارة في حياتي مرة أخرى، وهكذا شعرت بالأسى لأنني أخذت أدوس على الفرامل كثيراً، لكنني فكرت حينها في إليانور، وتخيلتها تجلس بجانبي وتسمح لي بالقيادة إلى البيت بعدما حصلتُ على رخصة القيادة. أذكر أنها قالت لي يومها: *يمكنك أن توصليني إلى أي مكان الآن يا شقيقتي الصغيرة، بل ستصبحين السائق الشخصي لي، حيث سأجلس في الخلف، وأرفع قدمي وأستمتع بالمناظر، بينما تتولين أنت أمور القيادة.*

نظرت إلى مقعد الراكب، وكان بوسعي أن أراها وهي تبتسم لي من دون أن تنظر إلى الشارع، وكأنها لم تكن بحاجة إلى النظر إليه، وذلك لأنها كانت تثق بي وتعرف أنني أدرك ما كنت أقوم به من دون أي حاجة إلى مساعدتها. كان بوسعي أن أراها وهي تستند إلى الباب، وقد وضعت ركبتيها تحت ذقنها، وأخذت تضحك على شيء ما، أو تغني مع الموسيقى. أجل، كان بوسعي أن أسمعها وهي تغني.

وفي الوقت الذي وصلت فيه إلى حي فينش، كنت قد أصبحت أقود السيارة بكل سلاسة، كأي شخص مضت عليه سنوات وهو يقود السيارات. وعندما طرقت على الباب فتحت لي امرأة لا بد أنها كانت أمه؛ لأن زرقة عينيها كانت بلون زرقة عيني فينش، فاستغربت أن ألتقيها في هذا الحين، واليوم تحديداً بعد مضي كل ذلك الوقت.

وهناك مددت يدي إليها وقلت: "أنا فيوليت، سررت بلقائك. لقد أتيت إلى هنا لأرى فينش". وعندها خطر ببالي أنها لم تسمع عني من قبل، فأضفت: "فيوليت ماركي".

فصافحتني وقالت: "بالطبع يا فيوليت، أجل. لا بد أنه الآن في طريق عودته إلى البيت من المدرسة". عندها فكرت في سري: *إذاً، هي لم تعرف بأمر طرده.* كانت والدته ترتدي بزة رسمية، لكنها كانت ترتدي أيضاً جوربين رقيقين، فرأيت فيها شيئاً من جمال باهت يدل على التعب، ثم قالت لي: "تفضلي بالدخول! فلقد وصلت إلى البيت للتو أنا أيضاً".

تبعتها إلى المطبخ، حيث رأيت محفظتها فوق طاولة الفطور بجوار مجموعة من المفاتيح، كما رأيت حذاءها على الأرض، ثم سمعت صوت التلفاز يصدر من غرفة أخرى، فأخذت السيدة فينش تنادي: "ديكا؟".

وفوراً أتى الرد من مكان بعيد: "ماذا؟".

فردت السيدة فينش: "إنني أتفقدك فقط". ثم ابتسمت لي، وأخذت تعرض علي شيئاً لأشربه كالماء أو العصير، بينما كانت تصب لنفسها كأساً من الشراب من زجاجة ذات غطاء فليني كانت موضوعة في الثلاجة. أخبرتها بأنني أفضل أن أشرب الماء، فسألتني إن كنت أحب معه الثلج، أم أفضله بلا ثلج، فطلبت منها ألا تضيف لي الثلج، بالرغم من أنني كنت أفضل أن أشرب الماء بارداً.

وهنا دخلت كيت ولوحت لنا قائلة: "مرحباً".

فحييتها وقلت: "مرحباً. لقد أتيت لأرى فينش".

ثم أخذت الأم وابنتها تثرثران معي وكأن كل شيء كان طبيعياً؛ أي وكأن فينش لم يطرد من المدرسة. بعد ذلك، أخرجت كيت شيئاً من المجمدة، وحددت درجة حرارة الفرن، ثم طلبت من أمها ألا تنسى الطعام حين تسمع صوت الصفارة، ثم شدت معطفها حولها.

بعد ذلك قالت لي: "إنه في الطابق العلوي على الأغلب، ويمكنك أن تصعدي إليه".

طرقت باب غرفته فلم يفتح لي أحد، فطرقت مرة أخرى وقلت: "فينش، هذه أنا".

فسمعت صوت جرجرة رجليه ثم فتح الباب. كان فينش يرتدي القسم السفلي من ثياب النوم من دون القميص، كما كان يضع نظارة فوق عينيه، أما شعره فقد تفرق في الجهات كافة، ففكرت في سري: *إنه فينش الطالب المهووس بالدراسة*، إلا أنه ابتسم لي ابتسامة من طرف فمه وقال: "إنك الشخص الوحيد الذي تمنيت أن أراه، والذي له أثر جاذبية كوكبي بلوتو والمشتري". ثم تنحى عن طريقي ليتسنى لي الدخول.

كان ورق الجدران الذي كان على الباب قد نزع فبدت الغرفة جرداء، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الطبقات الموجودة على السرير. وهكذا، بدت الغرفة كغرفة زرقاء خاوية في مشفى، وكأنها تستعد ليتم ترتيبها لاستقبال المريض التالي. غير أن ما لفت نظري أكثر هو وجود صندوقين بنيين من الحجم المتوسط مركونين عند الباب.

أخذ قلبي يدق دقات قصيرة وغريبة، فقلت له: "تبدو الغرفة وكأنها... وكأنك راحل".

فأجاب: "كلا. فكل ما قمت به هو التخلص من بعض الأشياء، لأنني قررت أن أمنح بعضاً منها لمؤسسة غودويل الخيرية".

قلت له: "هل تشعر أنك على ما يرام؟". وهنا حاولت ألا أبدو كحبيبة تكثر اللوم والعتاب، ولهذا لم أقل له: *لَمِ لا تريد أن تقضي وقتك بصحبتي؟ لَمِ لا ترد على اتصالاتي؟ ألم تعد تحبني؟*

إلا أنه قال لي: "أعتذر يا فوق البنفسجية، فأنا ما زلت أشعر بأنني مريض، وهذا الإحساس حينما تفكرين فيه تشعرين بأنه شيء غريب يصعب التعبير عنه. إنه كشيء تعود أصوله إلى البحار، إذ حينما يشعر بحار أو راكب بدوار البحر بفعل العاصفة، يتم إرساله إلى الدور السفلي ليتخلص من الأحوال الجوية السيئة".

قلت له: "لكنك أصبحت أفضل الآن، أليس كذلك؟".

فرد علي: "بقي وضعي متقلباً لفترة، لكنني أصبحت أفضل الآن، أجـــل". ثم ابتسم وارتدى قميصه وقال: "أترغبين في أن تري قلعتي؟".

فسألته: "أهو سؤال ملغوم؟".

فرد علي: "إن كل رجل يحتاج إلى قلعة يا فوق البنفسجية، إلى مكان يخرج فيه مارد خياله من القمقم ليتحول ذلك الخيال إلى خيال جامح. إننا نحن الرجـــال نحتاج إلى مكان لا يسمح فيه بالتعدي على الغير، كما لا يسمح للبنات بدخوله".

فقلت له: "إن كان ذلك المكان من النوع الذي لا يسمح للفتيات بدخوله، فلمَ ستسمح لي برؤيته إذاً؟".

فأجاب: "لأنك لست كغيرك من البنات".

ثم فتح باب خزانته، فبدت لي جميلة من الداخل. إذ كان قد ابتكـــر مغـــارة خاصة به داخلها، واستكمل ذلك عبر إضافة الغيتار والحاسوب ودفاتر الموسيقى، مع أقلام وأكوام من الأوراق القابلة للصق. أما صورتي فقد كانت معلقـــة فـــوق الجدار الأزرق مع لوحة الرخصة، ثم قال لي:

"قد يراها البعض أشبه بمكتب، لكنني أفضل أن أسميها قلعة".

بعد ذلك عرض علي أن أجلس فوق غطاء السرير، فجلسنا جنباً إلى جنب، وكتفاً إلى كتف، وكان ظهر كل منا مستنداً إلى الجدار، لكنه أخذ يهـــز برأســـه مشيراً إلى الجدار المقابل، وحينها رأيت القصاصات الورقية على ذلك الجدار الذي بدا كحائط الأفكار الخاص به، إلا أن القصاصات التي كانت موجـــودة عليـــه لم تكن كثيرة، كما لم تكن موضوعة بشكل فوضوي.

وعندها قال لي:

"وهكذا اكتشفت أنني أفكر بشكل أفضل في هذا المكان، حيث تخرج تلك الأفكار هنا في بعض الأحيان ما بين الموسيقى التي تعزفها ديكا وصراخ أمي على أبـــي عبر الهاتف. إنك لمحظوظة لأنك تقطنين في بيت لا يســـوده الصـــراخ". ثم كتب على ورقة: ***بيت بلا صراخ*** وعلقها على الحائط، وبعد ذلك نـــاولني قلمـــاً ومجموعة من الأوراق القابلة للصق، وقال لي:

"ألا تحبين أن تجربـــي؟".

فقلت: "أأكتب أي شيء؟".

فأجابني: "أي شيء، حيث سنلصق الأفكار الإيجابية على الجدار، بينما سنضع الأفكار السلبية هناك على الأرض". وأشار إلى كومة من الأوراق الممزقة، ثم قال: "من الضروري حمل تلك الأوراق إلى الأسفل، فلا حاجة إلى إبقائها هنا بعد مغادرتك، إذ يمكن أن تتحول الكلمات إلى عناصر بلطجة، ألا تتذكرين باولا كليري؟". أخذت أهز رأسي موافقة، فتابع: "كانت في الخامسة عشرة من عمرها عندما انتقلت إلى الولايات المتحدة من أيرلندا وبدأت تواعد شاباً أحمق كانت فتيات أخريات يعشقنه، وهذا ما جعلهن ينعتنها بالفاجرة وبكلمات أسوأ من تلك الصفة و لم يتركنها وشأها إلى أن شنقت نفسها عند فسحة الدرج".

وهنا كتبت كلمة ***بلطجي*** وناولت الورقة إلى فينش الذي قام بتمزيقها إلى مئة قطعة ورماها فوق الكومة، بعد ذلك كتبت ***فتيات حقيرات*** ثم مزقت الورقة إلى أجزاء صغيرة، وبعدها كتبت ***حوادث، شتاء، جليد، جسر*** ثم مزقت الورقة إلى أن تحولت إلى هباء منثور.

بعد ذلك، أخذ فينش يخربش شيئاً على ورقة، ثم رمى ها على الحائط بقوة، فكانت كلمة: ***مرحباً***، ثم خربش كلمة أخرى، فكانت كلمة: ***مجنون***، لكنه سمح لي برؤيتها قبل أن يمزقها، ثم كتب كلمة: ***الانتماء*** التي وضعها على الجدار، وبعدها كلمة: ***وصمة التي مزقها، ومن ثم كتب: دفء، السبت، التجول، أنت، صديق مقرب***، وجميعها ألصقها على الحائط، بينما رمى بكلمات: ***بارد، الأحد، الجمود، أي أحد آخر*** إلى الكومة.

بعد ذلك كتب كلمات: ***ضروري، محبوب، مفهوم، نال السماح***، وألصقها على الجدار، فكتبت من بعده: ***أنت، فينش، تيودور، ثيو، تيودور فينش***، وألصقتها كلها على الجدار.

بقينا لمدة طويلة نلعب تلك اللعبة، بعد ذلك سمح لي برؤيته وهو يؤلف أغنية من تلك الكلمات، حيث قام في البداية بإعادة ترتيبها ضمن نسق معين يمكن أن يفهم معناه، ثم تناول الغيتار وأخذ يداعب أوتاره إلى أن توصل إلى لحن، ثم شرع بالغناء. وقد حاول أن يستخدم في أغنيته كل الكلمات التي ألصقناها، فما كان مني إلا أن

صفقت له في الختام، وعندها انحنى القسم العلوي من جسده نحوي بما أنه كان لا يزال جالساً على الأرض، فقلت له: "عليك أن تدوِّن هذه الأغنية لكي لا تنساها".

فقال: "لم أدوِّن أغنية طيلة حياتي".

قلت له: "إذاً، ما الذي تفعله كل أوراق النوتات الموسيقية تلك؟".

فرد: "إنها مجرد أفكار لأغنيات، ومجرد نوتات عشوائية، أي إنها مجرد أشياء لا بد أن تتحول إلى أغانٍ. إنها أشياء يمكن أن أكتبها يوماً ما، أو بدأت بكتابتها فعلاً، لكنني لم أنهِها لأنها لم تكن كافية، وذلك لأنه إذا كتب لأغنية البقاء فلا بد لها أن تجري مجرى الدم في عروقك".

ثم كتب: *أنا، أريد، أن، أقوم، بعلاقة، حميمة، مع، فوق البنفسجية، المتميزة.*

فكتبت: *قد يحدث ذلك*، فمزق الورقة على الفور.

ثم كتبت: *حسناً.*

فمزق هذه الورقة أيضاً.

فكتبت: *نعم!*

فألصق هذه الورقة على الجدار، ثم أخذ يقبلني، حيث كانت ذراعه تحيط بخصري، وقبل أن أدرك ذلك شعرت بنفسي ممددة على ظهري ورأيته وهو ينظر إلي. نسيت لهنيهة أننا كنا فوق أرضية خزانة، لأن كل ما كان بوسعي التفكير فيه هو فينش، هو وأنا، فينش وفيوليت، فيوليت وفينش. وأخيراً، عاد كل شيء إلى وضعه الطبيعي.

بعد ذلك أخذت أحدق إلى السقف، وحينما نظرت إليه، رأيت في عينيه نظرة غريبة، فسألته: "ما بالك يا فينش؟". فوجدت أن عينيه كانتا مثبتتين على شيء ما فوقنا، فلكزته في صدره وأنا أهتف: "فينش!".

وأخيراً استدار نحوي وقال: "مرحباً". وكأنه تذكر لتوه أنني كنت معه، ثم اعتدل وأخذ يفرك وجهه بيديه، وبعدها أمسك بالأوراق القابلة للصق وكتب: *الاسترخاء*، ثم: *تنفس بعمق*، وبعدها: *فيوليت هي الحياة.*

بعد ذلك، ألصق الأوراق على الجدار، وأمسك بغيتاره مرة أخرى، فوضعت رأسي فوق رأسه وهو يعزف ويبدّل بين الأوتار بعض الشيء، إلا أنني لم أستطع

أن أبدد من تفكيري أن شيئاً ما قد حدث، وأنه قد رحل لفترة وعاد إليّ جزء منه فقط.

وهنا سمعته يقول: "لا تخبري أحداً عن قلعتي يا فوق البنفسجية، اتفقنا؟".

فقلت: "كما سبق أن أخفيت عن أسرتك أمر طردك من المدرسة".

فكتب: ***مذنب***، ورفع الورقة قبل أن يمزقها إرباً.

فهتفت: "حسناً". ثم كتبت: ***الثقة، الوعد، السر، الأمان*** وألصقت تلك الكلمات على الجدار.

فقال: "آآآآآه، إذاً عليّ أن أبدأ من جديد الآن". ثم أغمض عينيه، وأخذ يعزف الأغنية مرة ثانية، ويضيف إليها كلمات جديدة، فبدت لي حزينة في المرة الثانية، وكأنه قد انتقل إلى نوتة كئيبة.

وهنا هتفت: "تعجبني قلعتك السرية يا تيودور فينش". ووضعت رأسي هذه المرة على كتفه، وأخذت أنظر إلى الكلمات التي كتبناها وأراقب الأغنية التي ابتكرناها، ثم أخذت أنظر إلى لوحة الرخصة مرة أخرى، فشعرت بحاجة غريبة للالتصاق به، وكأنه كان يهرب مني، ووضعت يدي على ساقه.

فهتف لي: "تنتابني تلك الحالات المزاجية في بعض الأحيان، ولا يمكنني أن أتخلص منها". وكان وقتها لا يزال يداعب أوتار الغيتار من دون أن تفارق البسمة شفتيه، إلا أن صوته أصبح جدياً، خاصة حينما تابع بالقول: "إنها حالات مزاجية سوداوية كئيبة، أشعر وكأنها تشبه الوقوف في عين العاصفة، حيث يكون كل شيء هادئاً ومُعمياً للأبصار في الوقت ذاته. كم أكره تلك الحالات!".

وهنا شبكت أصابعي بأصابعه لأجعله يتوقف عن العزف وقلت: "وأنا يتقلب مزاجي أيضاً، لكن هذا أمر طبيعي، بل إن هذا ما يجب أن يحدث لنا، أعني نحن المراهقين". ولأثبت له صحة كلامي كتبت: ***مزاج عكر*** قبل أن أمزق تلك الورقة.

عندها قال: "حينما كنت صغيراً، أصغر من أختي ديكا، كان هنالك عصفور كاردينال يطير في حديقة بيتنا الخلفية، ويرتطم بزجاج أبواب البيت، وقد كرر ذلك مرات عديدة إلى أن لقي حتفه. وفي كل مرة كنت أظن أنه قد مات، لكنه كان ينهض من جديد ويحلق مرة أخرى، وكان ثمة عصفورة كاردينال صغيرة قد

حطت رحالها وأخذت تراقبه وهو يطير من شجرة إلى أخرى، وكنت أظنها قرينته. على أية حال، طلبت من والديّ أن يساعداه لئلا يرتطم بالزجاج، إذ خلت أنه من الممكن أن يدخل بيتنا وأن يعيش بيننا، فاتصلت كيت بجمعية أودوبون المتخصصة بحماية الطيور، وأخبرها الرجل الذي تكلم معها بأنه يعتقد أن ذلك العصفور على الأرجح كان يحاول أن يعود إلى شجرته، وقصد بذلك تلك الشجرة التي كان يقف عليها قبل أن يأتي أحدهم ويقطعها ليبني بيتاً مكانها".

حكى لي فينش يومها عن اليوم الذي مات فيه عصفور الكاردينال، وكيف وجد جثته فوق السطح الخلفي للفناء، وكيف قام بدفنه في عش بناه من الطين.

ثم علّق قائلاً: "لم يكن هناك أي شيء آخر كان من الممكن أن يبقيه على قيد الحياة لفترة أطول". ثم أخبر والديه بما فعله في ما بعد، وأخبرني بأنه كان يلومهما دوماً لأنه يعرف أنه كان بوسعهما أن يطيلا في عمر العصفور لو أنهما سمحا له بالدخول كما سبق له أن طلب منهما.

وختم تلك القصة بالقول: "يومها انتابتني أول حالة مزاجية سوداوية من هذا النوع، إذ لا أتذكر ما الذي حدث بعد ذلك، على الأقل حتى فترة قريبة".

عندها، عاودني الإحساس بالقلق فقلت له: "هل سبق لك أن أخبرت أحداً عن ذلك؟ هل يعرف أبواك أو كيت أو حتى أحد المرشدين؟".

فرد: "والدي: كلا، كيت: لا أعتقد. وقد كنت أتحدث بشأن تلك الحالات مع أحد المرشدين في المدرسة".

أخذت أجول بنظري في الخزانة، حيث بدأت بغطاء السرير الذي كنا نجلس فوقه، ثم نظرت إلى الوسائد، ثم إبريق الماء وألواح الشوكولا، ثم خطرت لي الفكرة فقلت: "هل تعيش هنا يا فينش؟".

فرد عليّ بالقول: "لقد كنت أعيش هنا من قبل. وأخيراً أصبح هذا المكان مناسباً، لكنني سأنهض من نومي في أحد الأيام وأشعر بأنني خرجت من هذا المكان". ثم ابتسم لي، فبدت لي ابتسامته جوفاء، وعندها قال: "لقد حفظت سرك، فاحفظي سري".

حينما وصلت إلى البيت فتحت باب خزانتي ودخلت إليها، فوجدت أنها كانت أكبر من خزانة فينش، إلا أنها كانت مليئة بأكداس من الثياب والأحذية والحقائب والستر، وعندها حاولت أن أتخيل كيف سيكون شكل الحياة إن قررت أن أعيش في هذا المكان، وأن أحس بأنه لا يمكنني أن أخرج منه. تمددت على الأرض وأخذت أحدق إلى السقف. كانت الأرضية قاسية وباردة، لكنني أخذت أكتب في ذهني: *كان هناك فتى يعيش في خزانة...* إلا أن تلك العبارة كان لها وقع عميق، أعمق مما تخيلت.

لم أكن أهاب الأماكن المغلقة، لكنني حينما فتحت الباب وعدت إلى غرفتي شعرت وكأنني أتنفس من جديد.

وعند العشاء سألتني أمي: "هل استمتعت بوقتك مع شيلبي؟". ثم رفعت حاجبيها وهي تنظر إلى أبي وقالت: "لقد قادت فيوليت السيارة إلى بيت شيلبي اليوم بعد المدرسة، والسر يكمن في عبارة *قادت السيارة*".

فما كان من والدي إلا أن ضرب كأسه بكأسي وقال: "إنني فخور بك يا في، ولعل الوقت قد حان لنتناقش بأمر شراء سيارة خاصة بك".

لقد كانت بهجة والديّ عارمة بخصوص ذلك الأمر، لدرجة أنني شعرت بالذنب أكثر من ذي قبل لأنني كذبت عليهما. ولهذا أخذت أسأل نفسي كيف ستكون ردة فعلهما إن أخبرتهما أين كنت في الحقيقة، وأني كنت أقوم بعلاقة حميمة مع فتى طلبا مني ألا أراه داخل تلك الخزانة التي كان يعيش فيها.

فينش

اليوم 75

"لقد اختفى إيقاع المعاناة" - سيزار بافيس.

لقد

تمزقت.

فيوليت

20 آذار

بعد حصة الجغرافيا الأمريكية، طلبت أماندا من المتسكع أن يسبقها بعد أن وعدته بأنها ستلحق به، و لم أكن قد خاطبته بكلمة منذ أن طرد فينش من المدرسة، إلا أنني سمعت أماندا تقول لي: "يجب أن أخبرك شيئاً".

وبما أنني لم أتكلم معها هي أيضاً منذ ذلك الحين أجبتها بالقول: "وما هو؟".

فردت: "أتكتمين السر؟".

فقلت: "سأتأخر عن صفي يا أماندا".

فقالت: "عديني أولاً".

فقلت: "حسناً، أعدك".

فقالت لي بصوت منخفض لدرجة أنني بالكاد استطعت أن أسمع ما كانت تقوله: "لقد رأيت فينش في تلك المجموعة التي أتردد عليها، إذ أصبحت أرتاد تلك المجموعة منذ فترة من الزمن؛ بالرغم من أنني لست بحاجة إلى ذلك، إلا أن أمي هي التي أجبرتني على الذهاب إلى هناك".

فسألتها: "أي مجموعة؟".

فأجابت: "إن اسمها: الحياة هي الحياة، وهي عبارة عن مجموعة لدعم المراهقين الذين فكروا في الانتحار أو كانت لديهم محاولات فاشلة معه".

فسألتها: "ألم تقولي لي إنك رأيت فينش هناك؟ متى كان ذلك؟".

فردت: "يوم الأحد. وقد قال إنه انضم إلى تلك المجموعة لأنه حاول أن يبتلع مجموعة من الأقراص، وإنه اضطر إلى دخول المشفى إثر ذلك، فاعتقدت أنك يجب أن تعرفي ذلك عنه".

بقيت حتى الحصة الأخيرة لأنه كان لديّ اختبار، وبعد ذلك أمسكت بدراجتي ليروي وانطلقت بها مباشرة إلى منزل فينش الذي لم يكن يعرف أنني ذاهبة إلى بيته. لذا حينما وصلت لم يفتح لي أحد الباب. غير أنني وجدت بعض الحصى الصغيرة عند مدخل السيارات، فأخذتها ورميت بها على نافذته، وكان قلبي يقفز مع كل ضربة من ضربات الحصى على زجاج النافذة. بعد ذلك، جلست فوق عتبة الباب على أمل أن تصل أمه أو إحدى شقيقتيه كي أتمكن من الدخول، لكنني بقيت على تلك الحالة لمدة ثلث ساعة، إذ بقي المنزل مغلقاً وساكناً كما كان حينما وصلت، وهذا ما جعلني أتوجّه أخيراً إلى بيتي.

وحينما دخلت غرفتي، لم أكلف نفسي عناء خلع معطفي ووشاحي، لأنني قمت على الفور بفتح حاسوبي المحمول وإرسال رسالة عبر موقع فيسبوك إلى فينش، فرد عليّ مباشرة، وكأنه كان بانتظاري، حيث كتب لي: **غداً ذكرى ميلادي...**

كنت أريد أن أسأله أين كان عندما أتيت، وهل كان في البيت طيلة تلك الفترة، وهل كان يعرف أنني أنا من كان يقف خارج بيته، كما كنت أريد أن أسأله عن المشفى، لكنني خفت أن أسأله فيصمت ويختفي، لذا كتبت له عوضاً عن ذلك: **كيف سنحتفل بهذه المناسبة؟**

فينش: **إنها مفاجأة.**

أنا: **لكنها ذكرى ميلادك وليست ذكرى ميلادي.**

فينش: **لا فرق. تعالي إلى بيتي عند الساعة السادسة، ولا تأكلي قبل ذلك الموعد، بل تعالي جائعة.**

فيوليت

يوم 21 آذار وما بعده

طرقت باب غرفته لكنه لم يفتح لي، فطرقته مرة أخرى وهتفت: "فينش؟". ثم مرة ثانية فثالثة. وأخيراً، سمعت صوت شيء يجرّ، وصوت شيء يتحطم عند وقوعه، فقلت في سري: *تباً*. ثم فتح الباب، ورأيت فينش يرتدي بزة رسمية، وقد قص شعره فأصبح قصيراً؛ إذ كان قد قصّه قصّة ناعمة، وما بين هذا والشعيرات الخفيفة التي نبتت فوق ذقنه، بدا لي مختلفاً وأكبر من عمره، بل ومثيراً أيضاً.

ابتسم لي فينش ابتسامة من زاوية فمه ثم قال: "إنك يا فوق البنفسجية الشخص الوحيد الذي أود رؤيته". ثم تنحى عن الطريق لأتمكن من الدخول.

كانت الغرفة لا تزال جرداء كغرف المشافي، فانتابني إحساس كئيب؛ لأنه كان قد دخل المشفى من دون أن يخبرني بذلك، ثم إن هنالك شيئاً له علاقة باللون الأزرق كاد يخنقني.

قلت له: "إنني بحاجة إلى التحدث إليك".

قبّلني قبلة ترحيبية، فرأيت في عينيه إشراقاً أكثر من الإشراق الذي لمحته فيهما في تلك الليلة، أو لعل ذلك يعود إلى عدم وضعه نظارة يومها، لأنه في كل مرة كان يغير فيها من شكله، كنت أحتاج إلى بعض الوقت حتى أعتاد عليه. ثم قبّلني مرة أخرى واتكأ بطريقة مثيرة على الباب، وكأنه كان يدري كم كان شكله جذاباً.

سألني: "بادئ ذي بدء، يجب عليّ أن أعرف رأيك برحلات الفضاء والطعام الصيني".

فأجبته: "أتريد أن يأتيك رأيي بالترتيب الذي ذكرته؟".

فرد: "ليس بالضرورة".

فقلت: "أعتقد أن الأولى ممتعة والثاني رائع".

فرد علي: "جيد جداً. والآن اخلعي حذاءكِ".

فخلعت حذائي، مما جعلني أقصر بمقدار إنش أو اثنين.

وعندها قال: "اخلعي ثيابك أيتها القزمة!".

فضربته بعنف، فما كان منه إلا أن قال لي:

"إذاً، في ما بعد. لن أنسى ذلك، اتفقنا! والآن، أرجو منك أن تغمضي عينيك".

أغمضت عينيّ، وفي داخلي توصّلت إلى أفضل طريقة لأستحضر من خلالها صورة لمجموعة *الحياة هي الحياة*، لكنه بدا لي أنه يشبه نفسه مرة أخرى، حتى لو كان شكله مختلفاً، لدرجة أنني أخذت أقنع نفسي بأنني حينما أفتح عينيّ فسأجد الجدران مطلية باللون الأحمر، وستعود قطع الأثاث إلى مكانها، وسأجد السرير مرتباً لأنه المكان الذي ينام فينش فيه.

سمعت صوت باب الخزانة وهو يفتح، ثم شعرت بفينش وهو يقودني إلى الأمام بضع خطوات وهو يقول: "أبقي عينيك مغمضتين!". لذا، مددت يديّ أمامي بطريقة فطرية، فأنزلهما فينش على جانبي، وهناك سمعت عزف فرقة Slow Club؛ تلك الفرقة التي أحبها والتي كانت ألحانها تتميز بالجرأة والمتعة الممزوجة بالألم والغرابة اللافتة للنظر، *مثل فينش، أو مثلي ومثل فينش*، هكذا أخذت أفكر في سري.

ساعدني فينش على الجلوس، فشعرت بأنني أجلس فوق كومة من الوسائد. وسمعته وشعرت به وهو يحوم حولي حينما أغلق الباب، وبعدها أصبحت ركبتاه ملاصقتين لركبتيّ، وشعرت فجأة بأنني عدت إلى سن العاشرة مرة أخرى؛ إلى تلك الأيام التي كنت أتسلى فيها ببناء القلاع.

وفجأة هتف لي: "افتحي عينيك!".

ففتحتهما.

وفجأة، وجدت نفسي في الفضاء، حيث كان كل شيء يتلألأ أمامي كمدينة الزمرد[1]، حيث رسمت على الجدران والسقف كواكب ونجوم، فيما ظلت الأوراق التي ألصقناها على أحد الجدران، أما غطاء السرير الأزرق فكان تحت أقدامنا، وهكذا كانت الأرضية تتلألأ هي أيضاً بكاملها. كانت الأطباق والآنية الفضية والمناديل قد وضعت بجانب علب الطعام، كما وضعت زجاجة من الشراب داخل إناء يحتوي على ثلج.

هتفت: "كيف فعلت...".

فأشار فينش إلى المصباح الكهربائي المثبت في السقف، والذي كان لون الضوء المنبعث منه أسود، وقال وهو يرفع يده إلى السماء: "إن لاحظت فستجدين أن المشتري وبلوتو قد أصبحا على خط مستقيم واحد تماماً مع الأرض. إذاً، هذه غرفة جاذبية كوكبي المشتري وبلوتو، حيث يمكن لكل شيء أن يطفو ويسبح إلى أجل غير مسمى".

غير أن الكلام الوحيد الذي استطعت أن أنطق به كان: "أوه، يا إلهي!". لأنني كنت قلقة على هذا الشاب الذي كنت أحبه أكثر مما كنت أتخيل، إلى أن جاءت هذه اللحظة التي أخذت فيها أحدق إلى النظام الشمسي، فكان ذلك أروع شيء فعله شخص من أجلي. كان ذلك أشبه بفيلم جميل يشعر المرء فيه بالعظمة والضعف في آن معاً، ولهذا تمنيت أن تمتد هذه الليلة إلى الأبد، غير أن معرفتي بأن ذلك لن يكون جعلتني أشعر بالحزن.

كان قد طلب الطعام من مطعم هابي فاميلي، لكنني لم أسأله كيف وصل إليه، وإن كان قد ذهب إلى هناك بالسيارة بنفسه، أو طلب من كيت أن تأتيه بالطعام، إلا أنني أقنعت نفسي بأنه هو من قطع كل تلك المسافة، لأنه لا يمكن أن يكون قد بقي داخل هذه الخزانة إن لم يكن يريد البقاء فيها.

بعد ذلك، فتح فينش زجاجة الشراب، وأحببت طعمها الذي يلذع أنفي وحلقي وهو في طريقه إلى معدتي.

---

(1) مدينة خيالية. (المترجمة)

رفعت الزجاجة وقلت له: "من أين أتيت بهذه؟".

فأجاب: "لدي طرقي الخاصة".

قلت: "إنها رائعة! ليس هذه فقط، بل كل هذا. إلا أن كل هذا قد تم إعداده بمناسبة ذكرى ميلادك، وليس ذكرى ميلادي، لذا ينبغي لي أن أقيم حفلة كهذه على شرفك".

وعندها قبلني، فبادلته القبلة.

كان الجو مشحوناً بأمور لم ننطق بها، لذا كنت أسأل نفسي إن كان يحس بذلك هو أيضاً، ثم أصبح لطيف المعشر، وصارت شخصيته شبيهة بشخصية فينش الحقيقية، لذا أقنعت نفسي بأن أترك الأمور تسير كما هي، من دون أن أمعن التفكير فيها، إذ لعل أماندا كانت مخطئة، ولعلها أخبرتني عن تلك المجموعة فقط لتزعجني، ولعلها اختلقت تلك الفكرة اختلاقاً من دون أن يكون لها أصل في الحقيقة.

ملأ فينش طبقينا، فأخذنا نتحدث حول كل الأمور بينما كنا نتناول طعامنا، غير أن الأمر الوحيد الذي تجنبنا التطرق إليه هو كيف كانت حاله في تلك الأيام الماضية. وهكذا، حدّثته عن كل ما فاته في حصة الجغرافيا الأمريكية، وتحدثنا عن الأماكن التي كنا نريد أن نتجول فيها، ثم قدمت له هدية ذكرى ميلاده، والتي كانت النسخة الأولى من ديوان: *الأمواج*، والتي كنت قد وجدتها في أحد المتاجر الصغيرة المخصصة لبيع الكتب في نيويورك، فكتبت له عليها الإهداء التالي: ***لقد جعلتني أشعر بأنني كالذهب، وبأنني كنت أطفو أيضاً. أحبك! فوق البنفسجية المتميزة.***

فهتف: "هذا هو الكتاب الذي كنت أبحث عنه في متجر بوكماركس حينما كنا في حديقة سيارات المكتبات المتجولة، كما كنت أبحث عنه في كل مرة كنت أتجول فيها في متجر لبيع الكتب".

ثم قبلني فبادلته القبلة.

عندها، بدأت أشعر بأن قلقي أخذ يختفي شيئاً فشيئاً، وأحسست بالاسترخاء والسعادة، بل كانت سعادتي تفوق أي سعادة كنت قد شعرت بها منذ فترة من

الزمن، لأنني أحسست بأنني كنت أعيش اللحظة في ذلك المكان.

وبعد أن فرغنا من تناول الطعام، خلع فينش سترته، ثم تمددنا جنباً إلى جنب فوق الأرضية، ثم أخذ يقرأ لي بعض المقاطع من الكتاب بصوت عالٍ حينما بدأ بمعاينته، فأخذت أحدق إلى السماء. وفي الختام، وضع الكتاب على صدره وقال لي: "أما زلت تتذكرين السير باتريك مور؟".

قلت: "أتقصد عالم الفلك البريطاني الذي كان لديه برنامج تلفزيوني؟". ثم رفعت ذراعي نحو السقف وهتفت: "ذلك الرجل الذي علينا أن نشكره لاكتشافه أثر جاذبية كوكبي المشتري وبلوتو؟".

فرد علي: "علينا أن نشكر نفسينا عملياً، ولكن أجل، إنه هو. لقد شرح ذلك الرجل خلال إحدى الحلقات فكرة الثقب الأسود الضخم الموجود في مركز مجرتنا، وذلك لأن استيعاب هذا الأمر يعتبر أمراً مهماً. وهو أول شخص تحدث عن وجود الثقب الأسود بطريقة يستطيع الشخص العادي أن يستوعبها، أعني أنه شرح ذلك بطريقة يمكن للمتسكع أن يفهمها".

وهنا ابتسم لي، فابتسمت له، فتابع قائلاً: "تباً! ماذا كنت أقول؟".

فأجبته: "كنت تتحدث عن السير باتريك مور".

فرد: "صحيح. لقد طلب السير باتريك مور من مساعديه إعداد خارطة لدرب التبانة فوق أرضية استوديو التلفزيون، وبينما كانت الكاميرات تدور سار ذلك الرجل نحو المركز وهو يتحدث عن النظرية العامة للنسبية التي اكتشفها أينشتاين، حيث تطرق إلى بعض الحقائق حولها، ومنها أن الثقوب السوداء عبارة عن بقايا أجرام كانت موجودة في غابر الزمان، ثم إنها تتمتع بالكثافة لدرجة أن الضوء لا يمكنه أن يخترقها. وهي موجودة داخل كل مجرة، وتمثل أكبر قوة مدمرة في الكون، وذلك لأن الثقب الأسود يبتلع كل شيء يقترب منه أثناء مروره في الفضاء من نجوم ومذنبات وكواكب أخرى، أعني أنه يبتلع كل شيء. لذا، حينما تتجاوز الكواكب أو الضوء أو النجوم أو أي جرم آخر نقطة اللاعودة، يطلق على تلك الحالة اسم أفق الحدث، أي تلك النقطة التي يصبح الهروب منها أمراً من سابع المستحيلات".

قلت له: "يبدو هذا المكان أشبه ببحيرة بلو هول".

فرد: "أجل، أعتقد أنه كذلك. إذاً، وبينما كان السير باتريك مور يشرح تلك المعلومات، قام بأعظم عمل بطولي في تاريخ البشرية، حيث وقف في منتصف الثقب الأسود، غير أنه اختفى هناك".

قلت: "كانت تلك مؤثرات خاصة".

فرد: "كلا، بل كان ذلك أحقر شيء، إذ ظهر بعد ذلك المصور ومن كان معه في الاستوديو وأعلنوا للناس أنه اختفى". وهنا أمسك بيدي.

فقلت: "وكيف حدث ذلك؟".

فأجاب: "إنه السحر".

وابتسم لي

فابتسمت له.

ثم قال: "إن ابتلاع ثقب أسود لأي امرئ يبدو لي أظرف طريقة للموت. فهذه الطريقة لا تشبه حالة الموت التي يعرفها المرء أو يسمع عنها؛ إذ لا يستطيع العلماء أن يحددوا إن كان من المقدر للمرء أن يقضي في ذلك المكان أسابيع وهو يطفو ويسبح ضمن أفق الحدث قبل أن يفنى جسده، أو إن كان سيطير ضمن دوامة عظيمة من الأجرام الصغيرة قبل أن يموت حرقاً. يعجبني أن أفكر في كيفية إحساس المرء إن ابتلعه شيء ما؛ كذلك الثقب الأسود مثلاً. ولكن، فجأة يصبح كل شيء بلا أهمية، حيث يغادرني الإحساس بالقلق حيال ما سيحدث لنا والمكان الذي سنذهب إليه أو إن كان موتنا سيتسبب بالإحباط وخيبة الأمل لشخص آخر مرة أخرى. إن كل ذلك يختفي... دفعة واحدة".

قلت: "إذاً، لا يوجد شيء".

فرد: "ربما، أو لعل هناك عالماً آخر بأكمله، عالماً لا يمكننا أن نتخيله".

وهنا أحسست بيده الدافئة والثابتة وهي تحيط بيدي، إذ لعله سيواصل عملية التغيير، لكن ذلك لم يكن ليحدث على الإطلاق.

قلت له: "إنك أعز صديق لدي يا تيودور فينش". بل لقد أصبح أعز عندي من إليانور نفسها.

وفجأة بدأت بالبكاء، وشعرت بأنني حمقاء لأنني كنت أكره أن أبكي، إلا أنني لم أستطع منع نفسي من ذلك. وهكذا، أخذ إحساسي بالقلق يغادرني وينسكب فوق أرضية خزانة فينش.

فما كان من فينش إلا أن تقدم مني وضمني إلى صدره قائلاً: "والآن، ما الذي حدث؟".

فقلت: "لقد أخبرتني أماندا".

فرد: "بم أخبرتك؟".

قلت: "عن المشفى والحبوب، عن مجموعة *الحياة هي الحياة*".

وهنا شعرت بجسده وهو يتصلب بالرغم من أنه لم يتركني، ثم هتف: "أهي من أخبرك؟".

فقلت: "إنني قلقة عليك، وأريدك أن تكون بخير، إلا أنني لست أدري ما الذي ينبغي لي فعله من أجلك".

فقال: "لست مضطرة إلى القيام بأي شيء". وبعد ذلك تركني، وابتعد عني وجلس، وأخذ يحدق إلى الجدار.

قلت له: "ولكن، يتوجب عليّ القيام بشيء ما لأنك قد تكون بحاجة إلى مساعدة، فأنا لم أسمع يوماص عن شخص يدخل الخزانة ويبقى فيها. عليك أن تتحدث عن هذا الموضوع مع مرشدك النفسي، أو مع كيت إن أحببت. كما يمكنك أن تتحدث إلى والديّ بهذا الشأن إن كنت ترغب في ذلك".

فهتف: "أجل، وهذا ما لن يحدث". وهنا أخذت أسنانه وعيناه تلمع تحت ضوء الأشعة فوق البنفسجية.

أجبته: "إنني أحاول أن أساعدك".

فرد: "لست بحاجة إلى المساعدة. فأنا لست إليانور، لذا لا تحاولي أن تنقذيني لأنك لم تتمكني من إنقاذها".

عندها، بدأ الغضب ينتابني فقلت: "هذا ليس عدلاً".

فرد: "كل ما قصدته هو أنني بخير".

فهتفت: "أحقاً؟!". ورفعت يدي نحو الأعلى مشيرة إلى كل ما هو موجود داخل الخزانة.

فنظر إلي وابتسم ابتسامته القاسية والرائعة، فقلت له: "هل تدرك أنني مستعدة لبذل أي شيء مقابل أن تكون لي ليوم واحد فقط؟ فأنا أعيش وأعيش فقط ولا أشعر بأي قلق، وأنا سعيدة بما أنا عليه".

ثم تابعت: "لأنه ليس لدي ما أقلق من أجله". بعد ذلك نظر إليّ فقلت: "ثم ما الذي يمكن لفيوليت أن تقلق من أجله؟ ها هي إليانور قد ماتت وبقيت فيوليت، وهي محظوظة لأن الحياة أمامها. إن فيوليت محظوظة، أجل إنها محظوظة".

عندها هتف: "اسمعي، إنني أنا المجنون، وغريب الأطوار، ومن يفتعل المشاكل، ويبدأ بالشجار، ومن يحبط الناس، لذا لا تغضبي فينش مهما فعلت. أوه، ها قد انتابته تلك الحالة مرة أخرى، فدخل إحدى حالاته المزاجية. إنه فينش المزاجي، والغاضب، والذي لا يستطيع أحد أن يتوقع تصرفاته. إنني فينش المجنون، إلا أنني لا أمثل مجموعة من الأعراض، ولست الشخص الذي تسبب له أبواه الحقيران بجرح أو تضرر بسبب مستحضر كيماوي كان أحقر منهما، فأنا لست بمعضلة، ولست مجرد حالة تم تشخيصها، ولا أمثل أي مرض، ولا حتى أي شيء يمكن إنقاذه، لأنني مجرد إنسان". وهنا ابتسم لي ابتسامته الرائعة مرة أخرى وقال: "أقسم إنك الآن نادمة أشد الندم على صعودك إلى تلك النافذة في ذلك اليوم بالذات".

فصحت به: "لا تقل ذلك، ولا تكن هكذا!".

عندها اختفت ابتسامته وقال: "لا أستطيع أن أمنع نفسي من ذلك، فتلك هي شخصيتي، ولقد حذرتك بأن ذلك ما سيكون". وبعدها، أصبح صوته بارداً بدلاً من أن يكون غاضباً، فكانت تلك الحالة أسوأ؛ لأنه بدا لي أنه قد تجرد من الإحساس، وأخذ يقول: "أتعرفين؟ أحس بأن هذه الخزانة قد أصبحت ضيقة الآن، وكأنه لم يعد فيها متسع من المكان حسبما أرى".

فوقفت وقلت: "إذاً، بعدما وصلنا إلى هنا أعلن أنه ليس بمقدوري أن أساعدك في ذلك".

ثم صفعت الباب خلفي وأنا خارجة، وكنت على يقين من أنه لن يلحق بي، بالرغم من أنني أخذت أردد في سري: *إن كان يحبك فعلاً، فلن يعدم وسيلة.*

وفي البيت، وجدت والديّ في غرفة المعيشة يتابعان التلفاز، حيث قابلتني أمي بالقول: "عدت مبكرة". ثم نهضت من مكانها على الأريكة لتترك لي مكاناً، فخاطبتهما قائلة:

"ثمة شيء لا بد لكما أن تطّلعا عليه". فما كان من أمي إلا أن اعتدلت في جلستها في المكان ذاته، وأطفأ والدي التلفاز، وهذا ما أشعرني بإحساس مريع على الفور، لأنهما كانا ينعمان بأمسية سعيدة وهادئة قبل أن أدخل عليهما، أما الآن فقد أصبح القلق بادياً عليهما؛ لأنه كان بوسعهما أن يكتشفا من صوتي أن الأمور لم تكن على ما يرام مهما حاولت أن أخفي عنهما ذلك.

بدأت حديثي بالقول: "في أول يوم في المدرسة بعد عطلة الكريسمس صعدت إلى نافذة برج الجرس، وهناك التقيت فينش، إذ كان هو هناك أيضاً، إلا أنه هو من أقنعني بالنزول، لأنني حينما أدركت أين صرت، بدأت أشعر بالخوف، و لم أستطع أن أتحرك من مكاني، وكنت على وشك السقوط لو لم يكن هو متواجداً هناك، غير أنني لم أسقط، ويعود الفضل في ذلك له. أما الآن، فقد أصبح هو على حافة تلك النافذة، ولا أقصد هنا المعنى الحرفي للكلام". ثم خاطبت أبي قبل أن يقفز من مكانه متوجهاً نحو الهاتف: "وعلينا أن نساعده".

غير أن أمي هتفت بي قائلة: "إذاً، هل كنت ترينه خلال تلك الفترة؟".

فقلت: "أجل. وأنا آسفة، وأعرف أنكما غاضبان مني ومحبطان بسببي، إلا أنني أحبه لأنه أنقذ حياتي. ويمكنكما أن تخبراني لاحقاً كم كنتما تشعران بالتعاسة بسببي وكم أحبطُكما بفعلي هذا، ولكن علي الآن أن أفعل ما بوسعي لأتأكد من سلامته ومن أنه بخير".

وهكذا أخبرتهما بكل شيء. بعد ذلك، توجهت أمي نحو الهاتف واتصلت بوالدة فينش، ثم تركت لها رسالة، وحينما أعادت السماعة إلى مكانها قالت لي: "سنفكر أنا ووالدك بطريقة مناسبة، إذ ثمة طبيب للأمراض العقلية في الكلية وهو صديق لوالدك، وسيتحدث إليه حول هذا الموضوع الآن. أجل، لقد خيبت أملنا بك، إلا أنني سعيدة لأنك أخبرتنا بما حدث؛ إذ كان تصرفك في محله حينما أخبرتنا".

بقيت مسهدة في غرفة نومي لمدة ساعة على الأقل، لأنني كنت مضطربة إلى درجة منعتني من النوم. إذ كلما كنت أغفو كنت أبدأ بالتقلب في فراشي، أما أحلامي فكانت عبارة عن تشوشات تعيسة ومشوهة. بعد ذلك استيقظت، واستدرت ثم غفوت مجدداً، فسمعت في أحلامي ذلك الصوت الواهن والبعيد للحصى وهي ترتطم بالنافذة.

إلا أنني لم أنهض من سريري لأن الجو كان بارداً، وكنت شبه نائمة، ثم إن الصوت لم يكن حقيقياً على أية حال، وهذا ما دفعني للقول في منامي: *ليس الآن يا فينش... ارحل!*

بعد ذلك، استيقظت بشكل كلي وأخذت أفكر: *ماذا إن كان هنا بالفعل؟ ماذا إن خرج من خزانته بالفعل وقاد سيارته إلى هنا ليراك؟* غير أنني حينما نظرت من النافذة وجدت الشارع خالياً.

أمضيت النهار بصحبة والديّ، إلا أنني كنت أتفقد حسابي على الفيسبوك بهوس كبير في انتظار رسالة جديدة من فينش، حيث كنت أتظاهر بالتركيز على وظائفي ومجلة *الأصل*، إذ قام المشاركون فيها بالرد علي، حيث أتتني كل الردود من الفتيات. أجل، أجل، أجل، لقد كانت رسائلهن في صندوق بريدي الوارد تنتظر رداً مني.

أما أمي فقد كانت تتجه نحو الهاتف بين الفينة والأخرى وتحاول أن تتصل بالسيدة فينش، وحينما لم تتمكن من الوصول إليها بحلول فترة الظهيرة، قرر والداي التوجه إلى بيت فينش، إلا أن أحداً لم يفتح لهما الباب، فاضطرا إلى ترك رسالة عند الباب. وقد كان حظ طبيب الأمراض العقلية نوعاً ما أفضل، إذ تمكن من التحدث إلى ديكا التي تركته منتظراً على الخط وذهبت لتتفقد غرفة فينش وخزانته، ثم عادت لتخبره أن فينش لم يكن هناك. عندها، أخذت أسأل نفسي إن كان قد اختبأ في مكان ما، فأرسلت له رسالة نصية عبّرت له فيها عن اعتذاري، إلا أنه لم يرد عليها حتى بعد حلول منتصف الليل.

مكتبة الرمحي أحمد

ويوم الاثنين، التقيت ريان في القاعة، ثم أوصلني إلى حصة الأدب الروسي وسألني: "هل وصلتك أخبار ورسائل من سائر زملائك؟".

فأجبته: "وصلتني رسالتان".

فسألني: "وماذا عن فينش؟ هل ستوافينه إلى المكان ذاته؟". كان يحاول أن يبدو لطيفاً، لكنني شعرت بشيء ما في كلامه، ولعله الأمل بأن أخبره بأنني لن أوافيه وبأننا انفصلنا.

غير أنني قلت له: "لست أدري ما الذي سيفعله، ولا أظنه يعرف ما الذي يريده". فهز لي برأسه، ونقل كتبه من يد إلى أخرى حيث أصبحت يده التي لم تكن تمسك بأي كتاب قريبة من يدي، فكنت بين الفينة والأخرى أحس بملمس بشرته، ومع كل خطوة خطوناها كان يظهر أمامنا حوالي خمسة أشخاص ينادونه باسمه ويسألونه عن أحواله، كما كانت أعينهم تنتقل منه إليّ، فكنت أسأل نفسي: ترى، ما الذي كانوا يرونه فيّ.

وفجأة قال لي:

إن إيريك كروس سيقيم حفلة، وعليك أن تأتي معي إليها.

فتساءلت في سري إن كان يتذكر بأننا أنا وإليانور كنا قد خرجنا من حفلة أخيه حينما وقع لنا الحادث، ثم أخذت أتساءل عن الوضع إن خرجت معه مجدداً، وكيف سيكون حال الفتاة التي يمكنها أن تعود إلى شخص طيب ومتوازن كريان بعدما أصبحت تخرج مع تيودور فينش، ثم إن أحداً لن يطلق على ريان كروس لقب المجنون أو يصفه بأوصاف حقيرة في غيابه، كما أنه يرتدي الثياب المناسبة، وينتقي من الألفاظ ما يناسب المقام، وسيرتاد الكلية المناسبة في نهاية الأمر.

حينما دخلت الصف لحضور حصة الجغرافيا الأمريكية لم يكن فينش هناك بالطبع، لأنه كان قد طرد من المدرسة، لذا لم أستطع التركيز على كل ما كان السيد بلاك يقوله. كما أن شارلي وبريندا لم تصلهما أي أخبار عن فينش منذ يومين، لكن لم يبدُ عليهما أنهما كانا قلقين عليه، لأن ذلك حاله دائماً، وتلك هي طريقته في التعاطي مع الأمور؛ فذلك هو سلوكه على الدوام.

بدأ السيد بلاك ينادي علينا الواحد تلو الآخر، ويسألنا عن التقدم الذي أحرزناه في إعداد التقارير حول مشاريعنا، ولكنه حينما وصل إليّ قلت له: "إن فينش ليس هنا".

فقال: "أعرف ذلك حق المعرفة... إنه ليس هنا ولن يعود... إلى المدرسة.... ولكن، إلى أين وصلتِ... في العمل يا آنسة ماركي؟".

أخذت أفكر في كل الأشياء التي يمكنني أن أذكرها هنا، كأن أقول مثلاً إن تيودور فينش يعيش في خزانته، وأعتقد أنه يعاني من مشكلة خطيرة، ثم إننا لم نتمكن من القيام بأي جولة خلال الفترة الأخيرة؛ بالرغم من أنه ما زالت لدينا أربع أو خمس مناطق لم نزرها بعدما كنا قد حدّدناها على الخارطة.

غير أنني اكتفيت بالقول: "لقد عرفنا الكثير من الأمور في ما يتعلق بهذه الولاية، فأنا لم أزر سائر معالم إنديانا قبل أن أبدأ في هذا المشروع، لكنني الآن أصبحت أعرف هذه الولاية جيداً".

فبدا على السيد بلاك السرور بعد الذي قلته، ولهذا انتقل إلى الطالب التالي، فما كان مني إلا أن أرسلت رسالة نصية إلى فينش من تحت الطاولة كتبت له فيها: **أرجوك، أريد أن أطمئن عليك.**

وحينما لم يصلني أي رد منه بحلول يوم الثلاثاء، ركبت دراجتي وانطلقت إلى بيته، ففتحت لي فتاة صغيرة الباب. كان شعرها أسود قصيراً إلا أنها كانت قد فرقته إلى قسمين ولفت طرفيه من كل قسم، كما كانت عيناها زرقاوين كعيني فينش وكيت، فقلت لها: "لا بد أنك ديكا". إلا أنني بدوت كأولئك الكبار الذين أمقتهم حينما قلت لها ذلك.

سألتني: "من أنت؟".

فأجبتها: "فيوليت، صديقة شقيقك، هل هو موجود؟". ففتحت الباب أكثر وأفسحت لي مكاناً لأدخل.

وحينما وصلت إلى الطابق العلوي مررت بحائط غرفة فينش، ثم وصلت إلى الباب فطرقته، ولم أنتظر رداً، بل دفعت الباب ودخلت، وعلى الفور شعرت بأن أحداً لم يكن في الغرفة. إذ لم تكن الغرفة جرداء فحسب، بل كان يلفها شيء من

السكون المطبق بشكل غريب، وكأنها كانت مجرد صدفة فارغة تركها حيوان خلفه.

أخذ قلبي ينبض بسرعة فهتفت: "فينش؟". ثم طرقت على باب الخزانة، ثم دخلتها فلم أجده، إلا أنني اكتشفت اختفاء غطاء السرير مع الغيتار ومكبر الصوت ودفاتر الموسيقى وأكوام من دفاتر الأوراق القابلة للصق الفارغة، وكذلك إبريق الماء وحاسوبه المحمول، والكتاب الذي أهديته إياه، ولوحة الرخصة، وصورتي أيضاً. أما الكلمات التي كتبناها وعلقناها، وكذلك الكواكب والنجوم التي صنعها فقد بقيت في مكانها، غير أنها بدت لي صماء وساكنة سكون الموتى، لأن توهجها كان قد خفت واختفى.

لم يكن بوسعي أن أفعل أي شيء سوى أن أتجول وأتجول في المكان، وأن أبحث عن أثر ما أو أي شيء كان قد تركه لأتمكن من خلاله من معرفة المكان الذي مضى إليه. وأخيراً، أخرجت هاتفي واتصلت به، إلا أن اتصالي تحوّل إلى البريد الصوتي مباشرة، فتركت له رسالة صوتية قلت له فيها: "هذه أنا يا فينش، وأنا أحدثك من خزانتك، إلا أنك لست هنا. أرجو أن تعاود الاتصال بي لأنني قلقة عليك، وأنا نادمة، وأحبك، لكنني لا أندم على حبي لك؛ لأنني لن أندم على ذلك ما حييت".

ثم بدأت أفتح الأدراج في غرفته، والخزائن الموجودة في حمامه، فوجدت أنه ترك بعض الأشياء، لكنني لم أعرف إن كان ذلك يعني أنه سيعود، أم كانت مجرد أشياء لم يعد يريدها.

كنت أمر بالقرب من صوره المعلقة في الممر والتي تم التقاطها في المدرسة، وأحسست حينها بأن عينيه كانتا تتبعانني حينما كنت أنزل الدرج بسرعة كبيرة لدرجة كدت معها أسقط. كان قلبي يخفق بشدة، حتى إنني كنت أسمع دقاته التي لم يتناهَ إلى سمعي صوت غيرها. وفي غرفة المعيشة، وجدت ديكا تشاهد التلفاز فقلت لها: "هل والدتك في البيت؟".

فردت: "لم تصل بعد".

فقلت: "هل تعرفين أن أمي قد تركت لها رسائل؟".

فردت: "إنها لا تتفقد الهاتف كثيراً، لذا من المحتمل أن تكون كيت قد اطلعت على تلك الرسائل".

فسألتها: "وهل كيت موجودة؟".

فردت: "لم تصل بعد. هل وجدت ثيو؟".

فأجبتها: "كلا، إنه ليس في غرفته".

فقالت لي: "إنه يفعل ذلك أحياناً".

فسألتها: "أيترككم ويغادر؟".

فقالت: "سيعود. لأنه يعود دائماً". ففكرت في سري: *ذلك طبعه وطريقة تعامله مع الأمور.*

غير أنني كنت أريد أن أقول لها ولشارلي ولبريندا ولكيت ولأمه: *ألا يهتم أحدكم بالسبب الذي يجعله يأتي ويغادر؟ ألم يفكر أحدكم في أن ثمة مشكلة ما حيال ذلك؟*

لكنني عوضاً عن ذلك توجهت نحو المطبخ، وتفقدت الثلاجة، والمنضدة التي كانت في منتصف المطبخ لأتأكد من أنه لم يترك رسالة هناك؛ لأن هذين المكانين من أنسب الأماكن لترك الرسائل. بعد ذلك، فتحت الباب الذي يؤدي إلى المرأب فوجدت ذلك المكان خالياً، إذ لم أجد فيه سيارته *الصغيرة*.

عدت إلى ديكا مجدداً، وطلبت منها أن تخبرني إن عرفت أي شيء عن أخيها، وأعطيتها رقمي. وحينما خرجت من بيته إلى الشارع بحثت عن سيارته هناك، لكنني لم أجدها.

فما كان مني إلا أن أخرجت هاتفي وعاودت الاتصال به، لكنني انتقلت مباشرة إلى البريد الصوتي مرة أخرى، فهتفت: "أين أنت يا فينش؟".

فينش

اليوم 80

A muthaf#@*ing رقم قياسي عالمي

في القصيدة التي كتبها روبرت لويل تحت عنوان: "الخاتمة"، سأل: "ولكن، لمَ لا تقول ما الذي حدث؟".

لم أكن أدري بماذا أجيبك يا سيد لويل، ولعل أحداً لن يستطيع الإجابة عن سؤالك؛ لأن كل ما أعرفه هو ذلك السؤال: أي مشاعر لدي هي المشاعر الحقيقية؟ وأي من الشخصيات التي أتقمصها هي شخصيتي الحقيقية؟ ثمة شخصية واحدة لدي لطالما أحببتها، وكانت تلك الشخصية طيبة ومتيقظة طالما أنها باقية في تلك الحالة.

غير أنني لم أستطع أن أمنع الموت من النيل من عصفور الكاردينال، وهذا ما يجعلني أشعر بالمسؤولية تجاه ما حدث، لأنني أعتبر نفسي، بل أنا وعائلتي مسؤولين عن موته، لأن بيتنا قد بني في المكان الذي كانت فيه شجرته، تلك الشجرة التي كان يحاول العودة إليها. ولكن، لعله لم يكن بمقدور أي كان أن يمنع وقوع ذلك.

وهنا تذكرت ما كتبته فيرجينيا وولف يوماً:

"لقد كنت على الدوام وفي كل الأوقات تقدم لي كل ما بوسع المرء أن يقدمه... وإن كان بوسع شخص ما أن ينقذني فلا بد أن تكون أنت ذلك الشخص".

قبل أن يموت سيزار بافيس الذي كان قد كتب ما يلي: *"إننا لا نتذكر الأيام، بل نتذكر اللحظات"*.

أتذكر أنني جريت في طريق أوصلني إلى مشتل الأزهار.

أتذكر ابتسامتها وضحكتها حينما كنت في أفضل حال، وحينما كانت تنظر إليّ وكأنني الشخص الكامل الذي لا يخطئ، وأتذكر كيف نظرت إليّ بالطريقة ذاتها حتى حينما لم أكن كاملاً بل حينما أخطأت.

أتذكر يدها وهي بيدي، وكيف كان ملمسها؛ وكأنها كانت بعضاً مني.

فيوليت

ما تبقى من شهر آذار

وصلتني أول رسالة منه يوم الخميس حيث جاء فيها: **إن الشيء المميز حيال كل ذلك هو أن تلك الأيام كلها كانت أياماً مميزة.**

وفور قراءتي لتلك الرسالة اتصلت بفينش، إلا أنه كان قد أغلق هاتفه لتوه، فتم تحويل المكالمة إلى البريد الصوتي. لكنني بدلاً من أن أترك له رسالة صوتية، كتبت له رسالة نصية قلت له فيها: **لقد قلقنا جميعنا عليك أشد القلق، وأنا قلقت عليك كثيراً، إذ أصبح حبيبي شخصاً مفقوداً، لذا رجاء اتصل بي.**

وبعد مرور بضع ساعات وصلتني منه رسالة نصية أخرى جاء فيها: **لست مفقوداً على الإطلاق، بل وجدت نفسي.** فأجبته على الفور برسالة: **أين أنت؟** لكنه لم يجبني هذه المرة.

كان أبي بالكاد يتحدث إلي، بينما كانت أمي تكلم السيدة فينش التي أخبرتها بأن فينش بقي على تواصل معها ليعلمها أنه بخير، وكي لا تقلق عليه، كما وعدها بأن يتفقدها ويأتي لزيارتها كل أسبوع، مما يوحي بأنه سيرحل لفترة من الزمن، لذا لم يكن هناك أي داع للاتصال بطبيب الأمراض العقلية (مع خالص الشكر والامتنان لكل هذا الاهتمام)، كما لا داعي للاتصال بالشرطة، لأنه كان يقوم بذلك في بعض الأحيان، أي أن حبيبي لم يكن مفقوداً.

غير أنه كان كذلك.

وهنا سألت: "هل أخبرها إلى أين ذهب؟". وبمجرد طرحي لذلك السؤال رأيت فجأة القلق والتعب باديين في عيني أمي، لذا حاولت حينها أن أتخيل ما يمكن أن يحدث إن كنت مكان فينش الذي اختفى، وأدركت أن والديّ سيقومان بتكليف كل شرطي في الولايات الخمس للبحث عني.

وهنا ردت عليّ أمي بالقول: "إن أخبرها بمكانه فهي لم تخبرني، لذا لست أدري ما الذي يمكننا فعله بعد كل هذا. إن كان والداه ليسا قلقين عليه... حسناً، أعتقد أن علينا أن نتيقن من أن فينش يعني ما يقوله وأنه على خير ما يرام".

غير أنني كنت أسمع كل الأشياء التي سكتت عنها وهي: *إن كان فينش ابني، فسأخرج للبحث عنه بنفسي لأعيده إلى البيت.*

أما في المدرسة فكنت الشخص الوحيد الذي لاحظ غياب فينش، وذلك لأنه بالنسبة إلى الجميع كان مجرد شخص مثير للمتاعب تم طرده من المدرسة، ولهذا نسيه معلموه وزملاؤه.

كان الجميع يتصرفون وكأن شيئاً لم يحدث، بل وكأن كل شيء كان على ما يرام. وهكذا أصبحت أحضر حصصي، وأعزف في حفلات الأوركسترا، ثم عقدت أول اجتماع خاص بمجلة *الأصل*، حيث ضم ذلك الاجتماع اثنتين وعشرين عضوة؛ إذ كن جميعاً إناثاً؛ باستثناء آدم صديق بريانا بوردو، وكذلك ماكس شقيق ليزي ميدي. كما سمعت عن كليّتين لم أكن أعرفهما وهما جامعة ستانفورد التي لم تعجبني، وجامعة كاليفورنيا ولوس أنجلوس التي أعجبتني، ولهذا رفعت السماعة لأتصل بفينش، إلا أن بريده الصوتي كان قد امتلأ، لذا لم أزعج نفسي بترك رسالة نصية له؛ إذ كنت في كل مرة أكتب له فيها يحتاج إلى وقت طويل كي يرسل لي رداً. وحينما يفعل، يأتي رده بلا أية إجابة عن أي شيء كنت قد سألته عنه.

وهكذا، بدأت أستشيط غضباً منه.

ولكن بعد مرور يومين كتب لي فينش: **إنني فوق أعلى غصن.**

وفي صباح اليوم التالي كتب لي: **لقد كتبت اسمينا بالطلاء.**

وفي وقت متأخر من تلك الليلة كتب لي: **إنني أحب اللافتات.**

وبعد ظهر اليوم التالي كتب لي: **توهج فوق البنفسجية.**

وفي اليوم الذي يليه كتب لي: **بحيرة ودعاء. من الرائع أن يشعر المرء بالروعة في عزلته.**

وبعدها لم يصلني منه أي شيء.

فيوليت

نيسان

صادف يوم الخامس من نيسان يوم أحد، ولهذا انطلقت بالسيارة مع والديّ إلى جسر الشارع أ، ونزلت إلى قاع النهر الذي كان قد جف والذي انخفض منسوبه لأضع بعض الزهور في المكان الذي توفيت فيه إليانور، فلمحت على الأرض لوحة رخصة مطمورة بالوحل. بدا لي للحظة وكأنني أعرفها، ولكن كانت تحيط بها حديقة صغيرة؛ إذ قام أحدهم بزرع بعض الأزهار حولها، ولا بد أنه فينش.

انتابتني القشعريرة عند رؤيتي لذلك المنظر، ولم يكن ذلك بسبب الهواء الذي كان رطباً؛ إذ كانت قد مرت سنة على وفاة إليانور، بالرغم من أن والديّ لم يتحدثا عن الموضوع كثيراً أثناء وقوفنا هناك، وهكذا تجاوزنا الموضوع.

وفي طريق عودتنا إلى البيت، أخذت أتساءل في سري: متى كان فينش هناك؟ ومتى وجد لوحة الرخصة لأول مرة؟ ومتى عاد من هناك؟

انتظرت من أبويّ أن يسألا عن الحديقة أو أن يتحدثا عن إليانور أو أن يناديا عليها باسمها في ذلك اليوم الذي لم يكن يشبه بقية الأيام. وحينما لم يفعلا ذلك، هتفت: "لقد كانت الفكرة فكرتي، فأنا التي كنت أود رؤية عرض بوي باريد خلال عطلة الربيع، ورغم أن إليانور لم تكن معجبة بتلك الفرقة، إلا أنها قالت لي: *إن كنت تريدين رؤية عرض بوي باريد فلنذهب لرؤيتهم بالفعل، ولنتبعهم إلى أي*

مكان في الجزء الأوسط الغربـــي من البلاد. وقد كانت بارعة في ذلك، إذ كانت تمضي أبعد من غيرها، وتعظّم الأمور وتجعلها أكثر بهجة مما هي عليه". ثم قلت في سري: *وهي في ذلك تشبه شخصاً أعرفه*.

وهنا شرعت بغناء أغنيتي المفضلة من بين أغاني بوي باريد؛ تلك الأغنية التي كانت أكثر أغنية تذكرني بها، فأخذت أمي تنظر إلى أبـــي الذي كان يركز على الطريق، ثم شاركتني بالغناء.

وحينما عدنا إلى المنزل، جلست إلى مكتبـــي وأخذت أفكـــر في الســـؤال الذي طرحته عليّ أمي وهو: *لم أريد أن أؤسس مجلة؟*

أخذت أحدق إلى اللوحة التي كانت معلقة على الجـــدار، فاكتشـــفت أن ملاحظاتي كانت قد ملأت اللوحة والحائط ووصلت إلى الخزانة، ففتحت دفتـــر الجولات وأخذت أقلب صفحاته، وفي أول صفحة فارغة صادفتها فيـــه كتبـــت: ***الأصل: اسم، المعنى: أصل شيء ما، وهو الشيء الذي يعتبر أساس النمو والتطور اللذين يأتيان لاحقاً.***

ثم قرأت تلك الجملة وأضفت عليها: ***الأصل للجميع...***

غير أنني حذفت ذلك.

ثم حاولت من جديد فكتبت: ***الهدف من الأصل هـــو التســـلية والمعرفـــة ومساعدة الشخص ليكون بأمان...***

لكنني حذفت ذلك أيضاً.

أخذت أفكر في فينش وأماندا، ثم نظرت إلى باب الخزانة حيث كـــان لا يـــزال بوسعي أن أرى الثقوب التي أحدثتها المسامير التي استخدمتها لتثبيت التقويم الخـــاص بـــي، فبدأت أفكر في إشارات X الكبيرة السوداء التي كنت أشطب بها الأيام، وذلك لأن كل ما أردته حينها من تلك الأيام هو أن تنقضي وتصبح جزءاً من الماضي.

وهكذا، فتحت صفحة جديدة وكتبت فيها: ***مجلة الأصل، الأصل الذي تبدأ منه.***

ثم مزقت تلك الورقة من الدفتر وعلقتها على الحائط.

* * *

لم يكن فينش قد أرسل لي أي رسالة منذ شهر آذار، إلا أنني لم أعد أقلق عليه كما كنت في السابق، بل أصبحت غاضبة منه، وذلك لأنه رحل من دون أن يقول أي كلمة، كما كنت غاضبة من نفسي لأنه تخلى عني بكل سهولة، ولأنني لم أتمكن من إقناعه بالبقاء. وهكذا، أخذت أقوم بكل الأشياء المعتادة التي تقوم بها كل فتاة انفصلت عن حبيبها، وأوّلها تناول المثلجات من العلب الكرتونية، والاستماع إلى الموسيقى التي تُشعِر الفتاة أن الحياة أفضل من دون الحبيب، واختيار صور جديدة لصفحتي على موقع فيسبوك. كما كانت "غرّتي" قد طالت بما فيه الكفاية، فأصبحت أشبه فيوليت القديمة، بالرغم من أن مشاعري قد اختلفت عما كانت عليه في السابق. وفي الثامن من شهر نيسان، جمعت الأشياء القليلة التي أعطاني إياها، ووضعتها في صندوق، ورميت الصندوق في قعر خزانتي، وهكذا تخليت عن فوق البنفسجية المتميزة، وعدت فيوليت ماركي مجدداً.

كانت خارطتنا لدى فينش، وكانت تساعده في جولاته أينما حل، لذا قمت في العاشر من نيسان بشراء خارطة جديدة كي أتمكن من إتمام ذلك المشروع الذي كان يتوجب عليّ أن أنهيه سواء أتم ذلك بحضور فينش أو غيابه. وهكذا، لم تعد لدي في ذلك الحين سوى ذكريات عن تلك المناطق، كما لم يكن عندي أي شيء منها سوى صورتين ودفترنا، إلا أنني لم أكن أدري كيف يمكنني أن أرتب كل ما شاهدناه وقمنا به معاً ضمن نص شامل يستطيع الجميع فهمه، وذلك لأن كل ما قمنا به وكل الأماكن التي زرناها لم تكن واضحة ومفهومة بالنسبة إلي.

وفي الحادي عشر من شهر نيسان استعرت سيارة أمي، لكنها لم تسألني إلى أين سأذهب، بل قالت لي حينما ناولتني المفاتيح: "اتصلي بي، أو أرسلي رسالة نصية حينما تصلين إلى وجهتك، وكذلك حينما تكونين في طريق عودتك إلى البيت".

توجهت نحو كراوفوردسفيل، حيث قمت بمحاولة خجولة لزيارة متحف السجن الدوار، لكنني شعرت بأنني سائحة حينما دخلت ذلك المكان، فاتصلت بأمي لأطمئنها، ثم عدت إلى البيت. كان يوم سبت دافئاً، وكانت الشمس مشرقة يومها، لذا شعرت بأن الوقت ربيع، ثم تذكرت أن الربيع قد حل بالفعل. وبينما كنت أقود السيارة، كنت أبحث عن سيارة ساتورن في الطريق، لذا كنت في كل

مرة أرى فيها سيارة ساتورن أشعر بأن قلبي يكاد يقفز من صدري؛ بالرغم من أني كنت أقول لنفسي: *لقد انتهيتِ منه، وتجاوزته، وخرجت من تلك الحالة.*

أخذت أتذكر ما قاله لي حينما أخبرني عن عشقه لقيادة السيارات، وحركتها الأمامية التي تشبه انطلاق المرء نحو مكان ما، كما أخذت أتخيل شكل وجهه لو رآني خلف عجلة القيادة في ذلك الحين. أجل، تخيلته وهو يقول لي: "أعرف أن هذه الرغبة كانت دوماً تستعر داخلك يا فوق البنفسجية".

حينما انفصل ريان عن سوز طلب مني أن أخرج بصحبته فوافقت، شرط أن نبقى صديقين. وفي اليوم السابع عشر من شهر نيسان تناولت معه طعام العشاء في مطعم غازلايت الذي يعتبر من أرقى المطاعم في مدينة بارتليت.

لم أتناول من وجبتي سوى النزر اليسير، وقد بذلت جهدي لأركز على ريان، وتحدث كل منا عن خططه للدارسة في الجامعة، وعن بلوغه الثامنة عشرة (وذلك لأن ذكرى ميلاده كانت في ذلك الشهر، أما ذكرى ميلادي ففي شهر أيار). وبالرغم من أن ذلك الحديث لم يكن أروع حديث تكلمت فيه مع أحد ما، إلا أنه كان رائعاً، حيث كان الموعد طبيعياً، ومع شاب لطيف وطبيعي، لذا لم يكن من الممكن أن يوصف ذلك الموعد بأي شيء آخر في ذلك الحين. وعندها أخذت أفكر في أنني كنت أصف ريان؛ تماماً كما كان الجميع يصفون فينش. وفجأة، أعجبت بصلابته وبحس الاستمرارية لديه، وكأن ما كنت أراه هو ما كنت سأحصل عليه، كما لو أنه كان يقوم بما هو متوقع منه بالضبط كي يكون دوماً عن حسن ظن الآخرين به، ويستثنى من ذلك موضوع السرقة بالطبع.

وحينما أوصلني ريان إلى باب بيتي سمحت له بتقبيلي، وحينما اتصل بي في صباح اليوم التالي أجبت على اتصاله.

وبعد ظهر يوم السبت، زارتني أماندا في بيتي وسألتني إن كنت أرغب في التسكع معها، فخرجنا للعب كرة المضرب في الشارع؛ تماماً كما كنا نفعل خلال الفترة الأولى من انتقالي إلى هذا المكان. بعد ذلك، مشينا إلى أن وصلنا إلى مطعم دايري كوين حيث طلبنا طبق حلوى كان يقدم في ذلك المطعم. وفي تلك الليلة،

ذهبنا أنا وأماندا إلى مقهى كواري، ثم أرسلنا رسالة نصية إلى بريندا وشيلبي ولارا والبريانات الثلاث ليوافيننا إلى هناك. وبعد مرور ساعة على اجتماعنا في ذلك المكان، انضمت إلينا جوردان غريبينوالديت مع ثلة من فتيات مجلة *الأصل*، فرقصنا إلى أن حان موعد العودة إلى البيت.

ويوم الجمعة الذي صادف يوم الرابع والعشرين من شهر نيسان، ذهبت مع بريندا إلى السينما. وحينما دعتني إلى النوم في بيتها ذهبت معها، فأرادت أن تحدثني عن فينش، إلا أنني أخبرتها بأنني أحاول أن أجعله جزءاً من الماضي، فتبيّن لي أنها لم تكن تعرف عنه أي شيء هي أيضاً، لذا تركتني وشأني، ولكن ليس قبل أن تقول لي: "لكنك كما تعرفين لا تشبهين نفسك. فمهما كان السبب الكامن وراء رحيله وتركه لك، لا بد أن يكون مقنعاً".

سهرنا معاً حتى الساعة الرابعة فجراً، ونحن نعمل من أجل مجلة الأصل، حيث كنت أعمل على حاسوبي المحمول، أما بريندا فقد تمددت على ظهرها فوق الأرضية ورفعت ساقيها على الجدار، وأخذت تقول لي: "يمكننا أن نقدم لقرائنا دليلاً ليصلوا إلى سن البلوغ والرشد كما فعل شيرباس على قمة إيفريست، حيث نقدم لهم معلومات صحيحة عن الحياة الجامعية، والحب". ثم تنهدت وتابعت: "أو يمكننا على الأقل أن نطلعهم على الحقيقة بخصوص ما يتوجب عليهن القيام به حينما يتصرف الشبان معهن بكل حقارة".

فسألتها: "هل تعرفين أصلاً ما الذي يتوجب عليك فعله إن حدث ذلك؟".

فأجابتني: "إطلاقاً".

كانت قد وصلتني خمس عشرة رسالة إلكترونية من فتيات كن زميلات لي في المدرسة أعربن فيها عن رغبتهن بالمشاركة في مجلتي؛ *وذلك لأن فيوليت ماركي بطلة برج الجرس ومؤسسة موقع EleanorandViolet.com (وهو موقع المدونة المفضلة لدى جيما سترلينغ) قد أنشأت مجلة جديدة*. أخذت أقرأ تلك الرسائل بصوت عال، وبعدما فرغت من قراءتها قالت لي بريندا: "إذاً، هذه هي الشهرة".

وخلال تلك الفترة، أصبحت بريندا الصديقةَ المقربة لدي.

فيوليت

26 نيسان

الزمان: يوم السبت، التوقيت: حوالي الساعة العاشرة والنصف صباحاً.

وصلت كيت فينش إلى بيتنا، وبدا عليها أنها لم تنم منذ أسابيع. وحينما طلبت منها أن تدخل هزت برأسها وقالت: "هل تعرفين أين يمكن أن يكون ثيو؟".

فقلت لها: "لم يعد يتواصل معي منذ مدة طويلة".

فأخذت تهز برأسها ثم قالت: "حسناً". وبعدها عادت للهز برأسها وهي تقول: "حسناً، حسناً. لقد كان يتواصل معي أو مع أمي كل يوم سبت، إما عبر البريد الإلكتروني أو البريد الصوتي حينما يكون على علم بأنه لا يمكنه أن يتواصل معنا مباشرة. أعني أنه كان يتواصل معنا كل يوم سبت، إلا أنه لم يصلنا أي شيء منه البارحة، ثم وصلتنا رسالة إلكترونية غريبة هذا الصباح".

حاولت أن أكبت إحساسي بالغيرة لأنه كان يتواصل مع أهله ولا يتواصل معي، فقد كانت تلك عائلته، أما أنا فلست أكثر من فتاة كانت أهم شخص في حياته لفترة من الزمن على الأقل. ولكن على كل حال استوعبت الفكرة، وتقبلت أنه قد طوى صفحتي، وكذلك فعلت أنا.

ثم سلمتني كيت ورقة كانت فيها رسالة إلكترونية أرسلت عند الساعة التاسعة وثلاث وأربعين دقيقة صباحاً، جاء فيها:

إنني أتذكر حينما ذهبنا إلى إنديانابوليس لنتناول الطعام في مطعم البيتزا، ذلك المطعم الذي كانت فيه آلة أرغن تبدو وكأنها قد زرعت في الأرضية. لا بد أن كيت وقتها كانت في الحادية عشرة من العمر، وأنا في العاشرة، أما ديكا فكانت طفلة رضيعة، وكانت أمي معنا وكذلك أبي. وحينما بدأ العزف على الأرغن وكان الصوت عالياً لدرجة أن الطاولات بدأت تهتز، بدأت ألوان الأضواء تتغير، أتتذكرين ذلك؟ كان ذلك أشبه بحالة الشفق القطبي، إلا أن ما بقيت أتذكره من ذلك اليوم هو أنتم جميعاً، فقد كنا سعداء يومها، وكنا طيبين. كان كل واحد منا يتسم بالطيبة والسعادة، ثم غادرتنا الأوقات السعيدة لفترة من الزمن، إلا أنها ستعود إلينا، إذ لا تزال أمي في الحادية والأربعين من عمرها، أي لم تتقدم في العمر كثيراً، أما ديكا فأشعر بالجمال بين ثنايا كلماتها القاسية في بعض الأحيان؛ وذلك لأن الأمر يتوقف على الطريقة التي تقومين بها بقراءة تلك الكلمات. أما أنت يا كيت فأطلب منك أن تراعي قلبك، وتذكّري أنك أفضل من كل الشبان. بل إنك واحدة من الفتيات المميزات الموجودات على الساحة. بل أنتن جميعاً كذلك.

بعد ذلك قالت لي كيت: "خلت أنه باستطاعتك أن تعرفي السبب الذي دفعه لكتابه هذه الرسالة، أو ربما وصلتك أي رسالة منه".

فقلت لها: "لا أعرف السبب، ولم يصلني أي شيء منه، أعتذر". ثم سلمتها الرسالة الإلكترونية، ووعدتها بإخبارها إن حدثت أعجوبة وتواصل معي، وهكذا مضت بحال سبيلها، وأغلقت الباب خلفها، ثم استندت إلى الباب لأنني شعرت بالحاجة إلى التقاط أنفاسي.

عندها أتت أمي عاقدة الحاجبين وسألتني: "هل أنت بخير؟".

كنت على وشك أن أقول لها *بالتأكيد، أجل، أنا بخير*. ولكنني شعرت بنفسي أنحني نحوها، وأعانقها، وأضع رأسي على كتفها، وأسمح لفيض أمومتها بأن يلفني لبضع دقائق، ثم صعدت إلى غرفتي وقمت بتشغيل الحاسوب ومن ثم تسجيل الدخول إلى موقع فيسبوك.

وهناك وجدت رسالة جديدة كانت قد وصلتني عند الساعة التاسعة والدقيقة السابعة والأربعين صباحاً، أي بعد أربع دقائق من إرساله الرسالة الإلكترونية إلى عائلته.

جاء في رسالته:

هذه الكلمات موجودة في ديوان الأمواج: "إن كان مقدراً لذلك البحر أن يبقى إلى الأبد، وإن كان مقدراً لتلك الفتحة أن تبقى إلى الأبد، وإن كان مقدراً لتلك اللحظة أن تبقى إلى الأبد... فإنني أحس بنفسي أشع في العتمة... وأنني منظمة، وأنني مستعدة. تلك هي حالة التوقف المؤقتة، اللحظة المظلمة، فقد رفع عازفو الكمان أقواسهم... وهذا هو ندائي، وهذا هو عالمي. كل ما فيه قد تم تقريره، وهو على أهبة الاستعداد... ثم إنني متجذرة، لكنني أتدفق... فقلت: *تعال... تعال!*".

فما كان مني إلا أن كتبت أول شيء خطر ببالي وهو: ***"فقلت: ابق... ابق!"***.

وأخذت بعدها أتفقد صندوق الوارد كل خمس دقائق، إلا أنه لم يرسل لي أي رد، فاتصلت به مرة أخرى، لكن بريده الصوتي كان لا يزال ممتلئاً، فقطعت الاتصال واتصلت ببريندا، فأجابتني من أول رنة بالقول: "مرحباً، كنت على وشك الاتصال بك، فقد وصلتني رسالة إلكترونية غريبة من فينش هذا الصباح".

كانت رسالة بريندا قد تم إرسالها لها عند الساعة التاسعة وإحدى وأربعين دقيقة صباحاً، حيث جاء فيها وبكل بساطة ما يلي: **سيحبك أحد الشبان لما أنت عليه قطعاً، لذا لا تيأسي.**

أما الرسالة التي وصلت إلى شارلي فقد تم إرسالها عند الساعة التاسعة وخمس وأربعين دقيقة وجاء فيها: **سلام يا نذل.**

فبدا لي أن مصيبة ما قد حلت.

إلا أنني أخذت أقنع نفسي بأن سبب ذلك هو حزني لهجرانه لي، ولأنه اختفى من دون أن يودعني.

ولهذا رفعت السماعة لأتصل بكيت، فاكتشفت أنني لم أسجل رقمها عندي، لذا أخبرت أمي بأنني سأعود إلى البيت، ثم خرجت وركبت السيارة وتوجهت إلى بيت فينش.

كانت كيت وديكا والسيدة فينش في البيت، وحالما رأتني أمه بدأت بالبكاء، وقبل أن أتمكن من منعها من البكاء عانقتني بقوة وبدأت تقول: "إننا سعيدات

بحضورك إلينا يا فيوليت، لعل بإمكانك أن تكتشفي السر في ذلك، فلقد أخبرت كيت أنك قد تعرفين أين يختفي فينش".

وبينما كانت خصلات شعر السيدة فينش تغطي وجهي أخذت أنظر إلى كيت نظرات متوسلة تقول: *أرجوك ساعديني!*

فصاحت بأمها: "أمي". ثم لمستها مرة واحدة من كتفها، فابتعدت السيدة فينش عني، وأخذت تمسح عينيها وتعتذر لي لأن عاطفتها قد غلبتها.

ثم سألتُ كيت إن كان بوسعي أن أتحدث إليها على انفراد، فقادتني عبر أبواب زجاجية جرارة، حيث خرجنا إلى فناء البيت، وهناك أشعلت لفافة تبغ، أما أنا فأخذت أسأل نفسي: ترى، هل هذا الفناء هو الفناء ذاته الذي وجد فيه فينش عصفور الكاردينال ميتاً؟

وفجأة عبست كيت في وجهي وسألتني: "ما الذي يحدث؟".

فقلت لها: "لقد أرسل لي رسالة اليوم، بعد دقائق من إرساله الرسالة الإلكترونية التي وجّهها إليكم، كما أرسل رسالة إلكترونية لكل من بريندا شانك- كرافيتس ولشارلي دوناهيو". إلا أنني لم أكن أريد أن أطلعها على الرسالة التي أرسلها إلي، بالرغم من أنني كنت أعرف أنه ينبغي لي أن أقوم بذلك، ولهذا أخرجت هاتفي، ثم وقفنا في ظل شجرة، وأخذت أريها السطور التي كتبها لي.

وحالما أريتها الرسالة قالت لي: "لم أكن أعرف أن لديه حساباً على موقع فيسبوك". ثم تابعت القراءة بصمت، وحينما فرغت منها نظرت إليّ نظرة تائه وقالت: "حسناً، ما معنى كل هذا الكلام؟".

قلت لها: "إنه ديوان اكتشفناه أنا وهو للشاعرة فيرجينيا وولف، وقد كنا نستعير أبياتاً من ذلك الديوان ونرسلها إلى بعضنا".

فسألتني: "ألديك نسخة من ذلك الديوان؟ إذ لعل الحل يكمن في الجزء الذي يسبق أو يلي هذه الأبيات".

أجبتها: "لقد جلبته معي". ثم أخرجته من حقيبتي، وكنت قد وضعت إشارة عند تلك الكلمات، فجعلتها تطلع على المقطع الذي اقتبس تلك السطور منه، حيث كان قد استخرج تلك الكلمات من سلسلة متعاقبة من الكلمات، واختار أبياتاً معينة

من بين مجموعة من الصفحات، ثم قام بترتيب تلك الأبيات بطريقته الخاصة، كما يقوم بترتيب كلمات أغانيه من الكلمات التي كان يكتبها على الأوراق اللاصقة.

كانت كيت قد نسيت أمر سيجارتها، فأصبح رمادها بطول ظفر إصبعها، وفجأة سمعتها تقول لي: "لا يمكنني أن أفهم ما الذي يفعله هؤلاء الأشخاص!". وهي تشير إلى الديوان، ثم تابعت: "إذ ليس ثمة ما يمكن أن يدلنا على مكان تواجده". غير أنها تذكرت فجأة سيجارتها، فسحبت منها نفساً طويلاً، وعندما زفرته قالت: "من المفترض أن يذهب إلى جامعة نيويورك، فهل عندك علم بهذا؟".

سألتها: "من هو؟".

فأجابت: "ثيو". ورمت سيجارتها على أرض الفناء وسحقتها بحذائها، ثم تابعت: "فلقد حصل على قبول مبكر".

جامعة نيويورك، بالطبع! يا لهذا القدر الذي كتب لنا أن نجتمع هناك. ولكن الآن لن يذهب إلى هناك أي منا.

قلت لها: "ليس لدي علم بذلك، إذ لم يخبرني عن الكلية التي سيذهب إليها مطلقاً".

ردت: "لم يخبرني ولم يخبر أمه بذلك أيضاً. ولقد اكتشفنا ذلك حينما حاول أحد الأشخاص من جامعة نيويورك أن يتواصل معه خلال الخريف، فكنت أول من تسلم الرسالة التي أرسلها له ذلك الشخص". ثم تكلفت ابتسامة وتابعت: "لذا، كل ما أعرفه عنه هو أنه حالياً في نيويورك".

سألتها: "هل تعرفين إن كانت والدتك قد وصلتها تلك الرسائل التي أرسلتها أمي وطبيب الأمراض العقلية إليها؟".

فردت: "لقد تحدثت ديكا عن الطبيب، إلا أن أمي لم تتفقد هاتف البيت على الأغلب. كما أنه لا بد لي أن أفتح تلك الرسائل إن كانت قد أُرسلت أصلاً".

فسألتها: "أتقصدين أنها لم تكن موجودة؟".

ردت: "أجل".

فكرت في سري: *لأنه مسحها.*

مكتبة الرمحي أحمد

دخلنا البيت فوجدنا السيدة فينش مستلقية على الأريكة وقد أغمضت عينيها، بينما كانت ديكا تجلس بالقرب من أوراق تم ترتيبها على الأرضية، لذا لم أتمكن من منع نفسي من مراقبتها، لأن لديها ما يشبه فينش وأوراقه القابلة للصق، وقد لاحظت كيت ذلك فقالت: "لا تسأليني عما تفعله أختي؛ لأن ذلك لا بد أن يكون مشروعاً آخر من مشاريعها الفنية".

سألتها: "هل تسمحين لي بإلقاء نظرة على غرفته بما أنني هنا؟".

فردت: "لك ذلك، فقد تركنا كل شيء فيها على حاله، إلى أن يعود إلى البيت".

فقلت في سري: *هذا إن عاد.*

وفي الطابق العلوي، أغلقت باب غرفته ووقفت هناك لفترة. كانت رائحة الغرفة لا تزال تشبهه، أي كانت عبارة عن خليط من رائحة الصابون والسجائر، وكانت تتصف بتلك السمة العنيدة والمتصلبة التي يتميز بها تيودور فينش. فتحت النافذة لأسمح لبعض الهواء بتهوية الغرفة، وذلك لأن الرائحة كانت كريهة وعفنة، ثم أغلقتها خشية أن تختفي رائحة الصابون والسجائر وتختفي معها صورة فينش. أخذت أتساءل إن كان أي من أفراد عائلته قد وطئ هذه الغرفة منذ رحيله، وذلك لأنها بدت لي وكأن أحداً لم يلمسها، حيث بقيت الأدراج مفتوحة بالشكل الذي كانت عليه منذ آخر مرة جئت فيها إليها.

أخذت أفتش في خزانة الأدراج والمكتب مرة أخرى، ثم فتشت في الحمام، إلا أنني لم أجد أي أثر يدلني على مكانه. بعد ذلك أخذ هاتفي يرن، فقفزت من مكاني. كان ريان هو المتصل، ولذلك تجاهلته، ومضيت نحو الخزانة حيث تم استبدال المصباح الكهربائي الأسود بمصباح عادي قديم. أخذت أبحث بين الرفوف وما تبقى من الثياب التي خلفها وراءه، ثم سحبت قميصه الأسود وأخذت أستنشق رائحته، وبعد ذلك وضعته في حقيبتي وأغلقت باب الخزانة وأنا داخلها، ثم جلست على الأرض وقلت بصوت مسموع: "حسناً يا فينش، ساعدني على الخروج من هنا. لا بد أنك قد تركت شيئاً".

تركت نفسي تستشعر إحساس الصغر والضيق داخل الخزانة التي كانت تطبق علي، ثم بدأت أفكر في خدعة الثقب الأسود التي خرج بها السير باتريك

مور وذلك حينما تحول إلى سراب، فخطر ببالي أن ذلك يشبه خزانة فينش تماماً، إذ كانت كالثقب الأسود، حيث دخلها فينش واختفى.

بعد ذلك، أخذت أتفحص السقف، وأعاين السماء السوداء التي صنعها، غير أنها بدت لي أشبه بالسماء أثناء الليل ليس إلا. ثم أخذت أنظر إلى الجدار الذي وضعنا عليه أوراقنا، فقرأت كل ورقة منها و لم أجد بينها أي جديد أو أي ورقة تمت إضافتها لاحقاً.

كان على الجدار القصير المقابل للباب رف أحذية فارغ، وكان فينش يعلق عليه غيتاره عادة، فجلست هناك، وأخذت أعاين الجدار الذي كنت أتكئ عليه، فوجدت أوراقاً قد ألصقت هناك أيضاً، إلا أنني لست أدري لِم لم ألاحظها في المرة السابقة.

لم تكن الأوراق تشتمل إلا على سطرين، وكانت كل كلمة من هذين السطرين قد كتبت على ورقة منفصلة، حيث كتب في الورقة الأولى: ***طويل، يبقى، لا، شيء، وقت، هناك، يصنع، كان، إلى، هو.***

أما الورقة الثانية فقد كتب فيها: ***الماء، أنت، يذهب، إلى، هي، يناسب، إذا، الـ، ذلك.***

مددت يدي نحو كلمتي "لا شيء" ثم جلست بعدما صالبت ساقي وانحنيت نحو الأمام، وأخذت أفكر بتلك الكلمات، فتذكرت أنني قد سمعتها قبل ذلك، ولكن بترتيب مختلف.

وهكذا، أخذت الكلمات الموجودة في السطر الأول وانتزعتها من الجدار وبدأت بتحريكها وتغيير مواقعها.

لا شيء كان له لزمن طويل هناك ليجعله يبقى.

يبقى لزمن طويل ويجعله هناك ولا شيء كان له.

لم يكن هناك أي شيء ليجعله يبقى لزمن طويل.

بعد ذلك ركزت على السطر الثاني، فانتزعت كلمة: "يذهب"، من على الجدار ووضعتها في بداية الجملة، ثم انتزعت كلمة "إلى" ووضعتها بعدها، وتابعت إلى أن خرجت بهذه الجملة: ***اذهب إلى الماء إن كان يناسبك ذلك.***

وحينما نزلت إلى الطابق السفلي لم أجد سوى ديكا والسيدة فينش التي أخبرتني أن كيت قد خرجت للبحث عن ثيو، وقالت إنها لا تعرف متى ستعود، لذا لم يكن أمامي أي خيار آخر سوى أن أتحدث إلى والدة فينش، فسألتها إن كانت لا تمانع في الصعود إلى الطابق العلوي، فصعدت الدرجات وكأنها كانت عجوزاً، ولهذا أخذت أنتظرها عند قمة الدرجات.

ترددت والدة فينش حينما وصلنا إلى فسحة الدرج، ثم سألتني: "ما الأمر يا فيوليت؟ إذ لا أظن أنني قادرة على تحمل المفاجآت".

فقلت لها: "إنه مفتاح اللغز الذي يدلنا على مكان تواجده".

فتبعتني إلى غرفته ووقفت هناك هنيهة، حيث أخذت تنظر إلى الغرفة وكأنها تعاينها للمرة الأولى، ثم سألتني: "متى طلى كل شيء باللون الأزرق؟".

وبدلاً من أن أجيبها أشرت لها إلى الخزانة وقلت: "ادخلي إلى هناك".

فوقفنا داخل خزانته، إلا أنها أغلقت فمها من الدهشة وذلك لأنها بدت لها جرداء للغاية، إذ كانت قد أُفرغت من معظم محتوياتها. وهكذا، ربضت أمام الجدار لأجعلها تشاهد الأوراق الملصقة.

فهتفت: "كان السطر الأول أول شيء قاله إثر موت عصفور الكاردينال".

قلت لها: "أعتقد أنه قد عاد إلى أحد الأماكن التي تجولنا فيها، والتي يتواجد فيها ماء". وقد كانت **تلك الكلمات موجودة في ديوان *الأمواج***، وقد كتب ذلك على حسابه على الفيسبوك عند الساعة التاسعة وسبع وأربعين دقيقة صباحاً، أي في التوقيت المطابق لتوقيت خرافة المشتري وبلوتو. أما الماء فيمكن أن يكون مقلع حجارة بلومينغتون إمباير أو الأعمدة السبعة أو النهر الذي يجري أمام الثانوية أو قد يدل ذلك على آلاف الأماكن الأخرى. أخذت السيدة فينش تحدق إلى الجدار ببلاهة، وبالرغم من أنه كان من الصعب علي أن أعرف إن كانت تسمعني أصلاً، إلا أنني قلت لها: "بإمكاني أن أدلك على الاتجاهات وأخبرك أين يمكنك أن تبحثي عنه بالضبط؛ إذ ثمة موقعان يمكن أن يكون قد مضى إليهما، إلا أن لدي فكرة رائعة قد تكشف لنا المكان الذي ذهب إليه".

فما كان منها إلا أن التفتت إلي ووضعت يدها على ذراعي ثم شدت عليها بقوة، لدرجة أنني بدأت أشعر بأنها ستترك أثراً، ثم سألتني: "لا أحب أن أطلب

منك ذلك، ولكن هل بوسعك أن تذهبـــي معي؟ لأنني قلقة للغاية، ولا أعتقد أنه بوسعي... أعني، في حال حدث شيء ما هناك، أو إن كان هو قـــد..." وهنـــا أخذت تبكي مجدداً بطريقة فظة وكريهة، لذا كنت مستعدة لكي أعدها بأي شيء مقابل أن تكف عن البكاء، لكنها قالت لي: "إنني بحاجة إليك لتعيديه إلى البيت".

فيوليت

26 نيسان (القسم الثاني)

لم أذهب من أجلها أو من أجل والده أو من أجل كيت أو من أجل ديكا، بل ذهبت من أجلي، ولعل ذلك يرجع إلى أنني كنت أعرف نوعاً ما ما سأجده، ولعل ذلك يعود إلى معرفتي بأن كل ما سأجده لا بد أن أتحمل وزره، فقد غادر فينش خزانته بسببي، وكنت أنا من دفعه للخروج منها؛ وذلك عندما أخبرت والديّ عن مشكلته وخنت الثقة التي منحني إياها، أي لم يكن ليغادر الخزانة لولا قيامي بذلك. كما أنني أخذت أقنع نفسي بأن فينش لا بد أنه يرغب في أن آتي إليه في مخبئه.

اتصلت بوالديّ لأخبرهما أنني سأتأخر في العودة إلى البيت، وأن هنالك شيئاً يتوجب عليّ القيام به، ثم أغلقت الخط في وجه أبي الذي كان لا يزال يسألني عن شيء ما، وبعدها انطلقت بالسيارة. كنت أقود بسرعة أعلى بكثير من السرعة التي كنت أقود بها عادة، إلا أنني تذكرت الطريق من دون أن أنظر إلى الخارطة. كنت واجمة بشكل مخيف ومقلق، وكأن شخصاً آخر كان يقوم بقيادة السيارة بدلاً مني، كما أنني لم أقم بتشغيل الموسيقى في السيارة، ولذلك لأتمكن من التركيز للوصول إلى ذلك المكان.

"إن كان مقدراً لذلك البحر أن يبقى إلى الأبد، وإن كان مقدراً لتلك الفتحة أن تبقى إلى الأبد".

لم يكن هناك أي شيء ليجعله يبقى.

كان أول شيء وقعت عليه عيناي هو سيارته التي كانت مركونة في طرف الشارع، بإطاراتها نفسها، ومقدمتها وخلفيتها نفسها، وذلك فوق السد، فتوقفت خلفها وأطفأت المحرك، وبقيت جالسة في السيارة.

كان بوسعي أن أنطلق بالسيارة بعيداً في ذلك الحين، ولكنني إن فعلت ذلك، فإن تيودور فينش سيظل في مكان ما من هذا العالم، بل سيعيش ويتجول؛ حتى إن قام بذلك من دوني، لذا وضعت أصابعي على مفتاح تشغيل المحرك.

لكنني بقيت أقول لنفسي:

انطلقي بالسيارة بعيداً.

خرجت من السيارة، فكانت الشمس دافئة أكثر من عادتها في شهر نيسان في إنديانا، كما كانت زرقاء؛ بعد كل ذلك اللون الرمادي الذي كانت تظهر لنا به خلال الأشهر القليلة المنصرمة، باستثناء أول يوم دافئ مر علينا في تلك السنة، وهذا ما جعلني أترك السترة في السيارة.

مررت باللافتات التي كتب عليها: يمنع التعدي على أملاك الغير، كما مررت بالبيت الذي أقيم في مكان بعيد عن الطريق، ومشيت في الممر المخصص للسيارات، ثم صعدت السد وهبطت نحو بحيرة مستديرة وواسعة ذات مياه زرقاء تحيط بها الأشجار، فلم أعرف كيف لم أنتبه إلى ذلك في المرة الأولى؛ لأن زرقة الماء كانت كزرقة عينيه.

كان المكان مهجوراً وهادئاً، لدرجة أنني كنت على وشك أن ألتفت إلى الوراء وأعود إلى السيارة.

ولكنني في تلك اللحظة رأيتها.

رأيت ثيابه على الضفة بعدما طويت بشكل أنيق ووضعت فوق بعضها، حيث وضع القميص بياقته المكوية فوق بنطال الجينز الذي وضع بدوره فوق السترة الجلدية التي وضعت هي الأخرى فوق جزمة سوداء، فبدا لي ذلك أروع ترتيب كان يقوم به، إلا أنني لم أر ذلك إلا هناك، على ضفة البحيرة.

بقيت بلا حراك لفترة طويلة، لأنني إن وقفت هناك فلا بد أن يظل فينش مختبئاً في مكان ما.

ثم ركعت بالقرب من كومة الثياب ووضعت يدي فوقها؛ وكأنني بقيامي بذلك كنت سأعرف أين يتواجد ومنذ متى وصل إلى هذا المكان. كانت الثياب دافئة بفعل حرارة الشمس، كما وجدت هاتفه داخل فردة الجزمة، إلا أنه كان قد توقف عن العمل تماماً. أما في الفردة الأخرى، فوجدت نظارة الدراسة ومفاتيح السيارة، وداخل السترة الجلدية وجدت خارطتنا وقد طويت بأناقة تشبه الأناقة التي طويت بها ملابسه، لذا وضعت تلك الخارطة في حقيبتي من دون تفكير.

بعد ذلك همست: "ماركو".

ثم وقفت.

ثم هتفت بصوت أعلى: "ماركو".

ثم خلعت حذائي ومعطفي ووضعت مفاتيحي وهاتفي بجانب كومة ملابس فينش الأنيقة، وتسلقت الحافة الصخرية، وبعدها غطست في الماء الذي قطع أنفاسي لأنه كان بارداً وليس دافئا، وأخذت أسبح في دوائر، ثم اتجهت نحو الأعلى إلى أن تمكنت من التنفس، وبعد ذلك أخذت شهيقاً عميقاً ثم غطست إلى حيث أصبح الماء صافياً على نحو غريب.

غطست إلى أعمق نقطة يمكنني الوصول إليها، حيث اتجهت مباشرة نحو القاع، فأخذ لون الماء يصبح أغمق كلما غطست نحو الأعماق، لكنني سرعان ما شعرت بحاجتي إلى السباحة نحو السطح لأملأ رئتيّ بالهواء، ثم غطست مرة ثانية وثالثة، فكنت أغطس إلى أعمق نقطة يمكنني الوصول إليها بلا وجل، وذلك قبل أن ينفد الهواء من رئتيّ، ثم سبحت من أحد طرفي الفتحة باتجاه الطرف الآخر، ذهاباً وإياباً، وبعدها صعدت إلى السطح، ومن ثم غطست مرة أخرى، وفي كل مرة كنت أكتشف أنه بوسعي أن أبقى لفترة أطول بقليل عن المرة التي سبقتها، إلا أن تلك الفترات كانت لا تقارن بالفترات التي كان فينش يقضيها تحت الماء، لأنه كان يستطيع أن يحبس أنفاسه لعدة دقائق.

أجل، *كان يستطيع* أن يحبس أنفاسه.

لأنني كنت أعرف أنه رحل. كنت أعرف أنني لن أجده في أي مكان، لأنه غير موجود في أي مكان.

ولكن وبالرغم من أنني كنت أعرف ذلك، إلا أنني غطست وسبحت، ثم غطست وسبحت، ثم صعدت نحو الأعلى وهبطت نحو الأسفل، وسبحت ذهاباً وإياباً، إلى أن صعدت زحفاً فوق الضفة أخيراً حينما أدركت أنه لم يعد بمقدوري القيام بذلك مرة أخرى، فوصلت إلى الضفة منهكة وبرئتين منتفختين ويدين مرتعشتين.

وعندما اتصلت بالرقم 911 فكرت: *إنه موجود في مكان ما، وهو ليس ميتاً، بل وجد عالماً مختلفاً لتوه.*

وصل عمدة مقاطعة فيغو مع رجال الإطفاء والإسعاف، أما أنا فجلست على الضفة بعدما تدثرت ببطانية أعطاني إياها أحدهم، وأخذت أفكر في فينش والسير باتريك مور والثقوب السوداء والزرقاء والمسطحات المائية التي لا قرار لها، كما أخذت أفكر في النجوم المنفجرة وآفاق الحدث، وبمكان مظلم للغاية لدرجة أن الضوء لا يمكنه أن يخرج منه إذا نفذ إليه.

ثم وصل بعض الغرباء الذين أخذوا يتجمهرون حول المكان، ففكرت في سري في أنهم لا بد أن يكونوا مُلّاكاً لهذه الأرض وذلك البيت، كما كان معهم أطفال، لذا قامت المرأة التي معهم بتغطية أعين الأطفال، ثم أرسلتهم إلى مكان بعيد، وطلبت منهم أن يعودوا إليها في ما بعد، وألا يخرجوا من المنطقة من دون موافقتها على ذلك مهما حدث. أما زوجها فقد قال: "تباً للأولاد". وبالطبع، لم يكن يقصد أولاده، بل الأولاد عموماً، أو لنقل الأولاد من أمثال فينش وأمثالي.

تقدم ثلاثة غواصين أو أربعة، وبدوا لي متشابهين، لذا أردت أن أخبرهم بألا يغطسوا لأنهم لن يجدوا أي شيء، وذلك لأنه لن يكون هناك.

بقيت أفكر بتلك الطريقة حتى حينما أخرجوا الجثة وكانت منتفخة ومزرقة، إلا أنني قلت لنفسي: *إنه ليس هو، بل إنه شخص آخر، فذلك الشيء المنتفخ والمزرق وذو البشرة الميتة لا علاقة له بشخص أعرفه.* وقد قلت لهم ذلك، فسألوني إن كانت لدي القوة للتعرف عليه، فقلت لهم: "إنه ليس هو، لأن ذلك مجرد شيء منتفخ وميت، لذا لا يمكنني أن أتعرف عليه لأنني لم أره من قبل". ثم أشحت بوجهي عنهم.

فما كان من العمدة إلا أن ربض بجانبي وقال: "علينا أن نتصل بوالديه".

ثم سألني عن الرقم، فقلت له: "أنا من سيتصل؛ لأن أمه هي التي طلبت مني أن آتي إلى هنا، إذ كانت تريد مني أن أجده ثم أتصل بها".

إلا أن هذا ليس هو، ألا ترى ذلك؟ لأن الأشخاص من أمثال تيودور فينش يتحولون فقط.

اتصلت بالخط الذي لا تستخدمه عائلته على الإطلاق، فردت أمه من الرنة الأولى، وكأنها كانت تجلس بانتظار اتصالي، وهذا ما أثار غضبي لسبب لم أستطع أن أعرفه، وكدت أغلق الهاتف وأرمي به في الماء.

أخذت تهتف: "آلو... آلو؟". فأحسست بنبرة صوتها العالية التي تحمل مزيجاً من الأمل والذعر، ثم تابعت: "أوه يا إلهي... آلو؟!".

قلت لها: "سيدة فينش؟ معك فيوليت، لقد وجدته، فقد كان في المكان الذي خلت أنه فيه، لكنني أعتذر". وهكذا، بدا صوتي وكأنني أتكلم تحت الماء، أو وكأنه آتٍ من المقاطعة المجاورة، فأخذت أقرص الجزء الداخلي لذراعي، إلى أن تشكلت لدي بقع حمراء، لأنني شعرت فجأة بأنني لم أعد أحس بأي شيء.

وعند ذلك صرخت أمه صرخة لم أكن قد سمعتها قبل ذلك، حيث كانت منخفضة ومريعة وصادرة من حنجرتها، ولذلك أردت للمرة الثانية على التوالي أن أرمي بالهاتف في الماء حتى لا أسمع ذلك الصوت، لكنني وجدت نفسي أكرر ما قلته: "أعتذر". مرات ومرات ومرات، وكأنني آلة تسجيل، إلى أن انتزع العمدة الهاتف من يدي.

وعندما بدأ يتكلم استلقيت على الأرض، وكنت حينها متدثرة بالبطانية، فقلت وأنا أنظر إلى السماء: "عسى أن تذهب عينك للشمس، وروحك للريح... إن فيك جميع الألوان بكامل سطوعها وإشراقها".

فيوليت

3 أيار

وقفت أمام المرآة وأخذت أتفحص وجهي. كنت متشحة بالسواد؛ إذ كنت أرتدي تنورة سوداء، وقميص فينش الأسود الذي وضعت فوقه زناراً، كما انتعلت صندلاً أسود. كان وجهي يبدو كما عهدته، لكنه كان قد اختلف؛ إذ لم يعد وجه تلك المراهقة الخالية من الهموم التي حصلت على قبول من أربع كليات، والتي لديها أبوان رائعان وأصدقاء طيبون وما زالت الحياة أمامها، بل أصبح وجه فتاة وحيدة وحزينة كانت قد تعرضت لمأساة. لذا، أخذت أسأل نفسي إن كان وجهي سيعود إلى سابق عهده مرة أخرى أم لا، أو إن كنت سأرى دوماً في صورتي المنعكسة على المرآة فينش وإليانور وأتعذب بإحساسي بالخسارة، إلى جانب حرقة قلبي وإحساسي بالذنب، والموت.

ولكن، هل يمكن لأحد أن يكتشف ذلك؟ وهكذا، التقطت صورة لنفسي بواسطة هاتفي، حيث رسمت على وجهي ابتسامة مصطنعة عندما اتخذت وضعية التصوير. وحينما نظرت إليها رأيت فيوليت ماركي. لذا، كان بإمكاني أن أنشرها على صفحتي على موقع فيسبوك على الفور، إذ يستحيل أن يكتشف أحد أنها التقطت بعد ما جرى وليس قبله.

كان والداي يرغبان بمرافقتي إلى الجنازة لكنني رفضت، لذا كانا يحومان حولي كثيراً ويراقبانني. وفي كل مرة كنت ألتفت فيها كنت أجد القلق في

أعينهما، كما كنت أتضايق من النظرات التي كانا يتبادلانها، وهنالك شيء آخر غير ذلك؛ ألا وهو الغضب. لم يغضبا مني منذ ذلك الحين، لأنهما كانا غاضبين من السيدة فينش، بل ومن فينش نفسه أيضاً، بالرغم من أنهما لم يتفوها بأي شيء حيال ذلك، غير أن أبي كان بحكم العادة أكثر انفتاحاً وإقراراً من أمي، لذا سمعته خلسة يتحدث عن *تلك المرأة*، وكيف أنه يود أن يقدم لها النصح، وذلك قبل أن تسكته أمي وتقول له: *قد تسمعك فيوليت.*

كانت عائلته تجلس في الصف الأول، وكانت السماء تمطر، وكانت تلك هي المرة الأولى التي أرى فيها أباه الذي كان طويلاً وعريض المنكبين ووسيماً كنجوم السينما. أما المرأة التي تشبه الفأرة فلا بد أنها زوجة أبيه لأنها كانت تقف بجانبه، وقد أحاطت بذراعها فتى صغيراً، وإلى جانب ذلك الفتى رأيت ديكا ثم كيت ثم السيدة فينش، وكان الجميع يبكون بمن فيهم الأب.

كانت مقبرة غولدن آكرز أكبر مقبرة في المدينة، لذا وقفنا فوق قمة التلة بالقرب من النعش، فكانت تلك الجنازة الثانية التي أحضرها خلال عام واحد؛ بالرغم من أن فينش كان يرغب بأن تحرق جثته. وفيما أخذ رجل الدين يتحدث، بدأت عائلة المتوفّى تبكي، فبكى الجمي، بمن فيهم أماندا مونك مع بعض المشجعات. كما حضر ريان والمتسكع الجنازة، وحضر معهما حوالي مئتي طالب من المدرسة، كما رأيت أيضاً المدير فيرتس والسيد بلاك والسيدة كريزني والسيد إمبري من مكتب الإرشاد، إلا أنني وقفت إلى جانب والديّ اللذين أصرا على المجيء، وكذلك إلى جانب بريندا وشارلي، وقد حضرت والدة بريندا أيضاً، وكانت تضع يدها على كتف ابنتها طيلة الجنازة.

كان شارلي يقف وقد شبك ذراعيه أمام صدره وهو يحدق إلى النعش. أما بريندا فكانت تنظر إلى المتسكع وبقية المحتشدين الذين يبكون، غير أن عينيها كانتا خاليتين من الدموع وغاضبتين، لكنني كنت أعرف مشاعرها؛ إذ كانت تحدق إلى أولئك الذين كانوا ينعتونه بالمجنون من دون أن يكترثوا لأمره لأن كل ما كان يهمهم هو أن يسخروا منه أو أن ينشروا إشاعات عنه، وها قد أتوا إلى جنازته كالندابين المحترفين

الذين يستطيع المرء أن يستأجرهم في دول مثل تايوان أو دول الشرق الأوسط، وذلك ليغنوا وليبكوا وليمرغوا وجوههم بالتراب، ولم يكن حال عائلته أفضل.

وبعدما فرغ رجل الدين من كلامه، توجّه الجميع نحو أفراد أسرته ليصافحوهم وليعزوهم، فتقبل أفراد أسرته التعازي وكأنها كانت مكسباً لهم، إلا أن أحداً لم يوجه لي أي كلمة.

وهكذا، وقفت صامتة وأنا أرتدي قميص فينش الأسود ورحت أفكر. فطيلة الوقت، لم يذكر رجل الدين مسألة الانتحار، كما أشار أفراد عائلته إلى موته على أنه حادث؛ لأنهم لم يجدوا رسالة مناسبة منه يعرب لهم فيها عن رغبته في الانتحار، وهذا ما جعل رجل الدين يتحدث عن مأساة الشخص الذي يموت شاباً، وعن الحياة القصيرة، وعن الاحتمالات غير مفهومة، فوقفت وأنا أفكر في أن ذلك لم يكن حادثاً على الإطلاق، وأن مصطلح "ضحية عملية انتحار" كان غريباً، وذلك لأن كلمة ضحية توحي بأنه لم يكن لديه أي خيار. ولعل فينش كان من ذلك النوع الذي كانت لديه خيارات، أو لعله لم يحاول أن يقتل نفسه بل كان يغطس بحثاً عن القاع. لكن، كيف لي أن أعرف؟ وهل سأعرف يوماً ما؟

بعد ذلك أخذت أفكر وأقول في سري: *لا يمكنك أن تفعل ذلك بي، فأنت من علمني معنى الحياة، وأنت من قال لي إنه علي أن أخرج من تلك الحالة لأرى الواقع أمامي وأستفيد منه من دون أن تكون لدي رغبة في تبديد عمري، بل أن أسعى إلى البحث عن الجبل الخاص بي؛ لأن جبلي كان بانتظاري، وكل ذلك لا بد أن يضيف إلى حياتي معنى. لكنك رحلت بعد ذلك، ولا يمكنك أن تفعل ذلك بي، لاسيما بعدما عرفت ما قاسيته نتيجة فقداني لإليانور.*

حاولت أن أتذكر آخر كلمات قلتها له، لكنني لم أفلح؛ لأنها كانت كلمات غاضبة وعادية وغير مميزة. ولكن، ما الذي كنت سأقوله له لو عرفت أنني لن أراه مرة أخرى؟

عندما بدأ الحشد يتفرق ويغادر، وجدني ريان وقال لي: "أتصل بك لاحقاً؟". وأتى كلامه بصيغة سؤال، لذا أجبت عليه بهزة من رأسي، فهز لي رأسه أيضاً ثم غادر.

أما شارلي فقد تمتم قائلاً: "ما الذي تفعله ثلة الكاذبين هذه؟". فلم أعرف إن كان يتحدث عن زملائنا أم عن عائلة فينش أم عن كامل الحشد.

ثم أتى صوت برين حاداً وهي تقول: "لو كان فينش يراقب كل هذا لقال: ما الذي تتوقعونه؟!".

كان السيد فينش هو من استخرج وثائق الوفاة الرسمية للجثة، وقد أشارت الوثيقة إلى أن فينش كان قد توفي قبل سبع ساعات من انتشال جثته.

قلت لبريندا: "هل تعتقدين ذلك؟". فأخذت بريندا ترمش لي بعينيها، لكنني تابعت: "أحب أن أفكر في أنه أينما حل لا يمكنه أن يرانا، لأنه في مكان أفضل من عالمنا. ثم إنني أحب أن أعيش في عالم ابتكره تيودور فينش". وعند ذلك فكرت في سري: *لقد عشت في ذلك العالم لبعض الوقت.*

وقبل أن تتمكن بريندا من الإجابة، وجدت والدة فينش تقف إلى جانبي فجأة، ثم أخذت تحدق إلى وجهي بعينيها المحمرتين. وبعد ذلك عانقتني بشدة ولم تتركني؛ وكأن ذلك لم يخطر ببالها مطلقاً، ثم أخذت تبكي وتقول: "آه يا فيوليت. آه يا فتاتي العزيزة، هل أنت بخير؟".

فما كان مني إلا أن ربّت عليها كما أربت على طفل صغير، ثم حضر السيد فينش فعانقني بذراعيه الطويلتين، ووضع ذقنه على رأسي، فلم أعد أقوى على التنفس، إلا أنني شعرت بشخص يسحبني بعيداً عنه بعد ذلك، وهنا سمعت صوت والدي وهو يقول: "أعتقد أننا سنوصلها إلى البيت". فأتى صوته جافاً وفظاً وبارداً. وهكذا سمحت لأبي بأن يوصلني إلى السيارة.

وفي البيت، أخذت أتناول طعام العشاء بضيق، وأصغي إلى والديّ وهما يتحدثان عن عائلة فينش بصوت منضبط وهادئ النبرة؛ وقد حرصا على ذلك كي لا يزعجاني.

حيث قال والدي: "كنت أتمنى لو كان بمقدوري تقديم النصح لتلك العائلة اليوم".

فردت أمي: "لم يكن يحق لها أن تطلب من فيوليت الذهاب إلى هناك".

ثم رمقتني وتابعت حديثها بطريقة منمقة: "هل تريدين المزيد من الخضار يا حبيبتي؟".

فقلت لها: "لا، شكراً".

وقبل أن يشرعا بالحديث عن فينش وعن أنانيته لدى انتحاره، وأنه قتل نفسه بيده بينما ماتت إليانور من *دون تعمد*- وهذا برأيهما تصرف مدمر وكريه وأحمق- طلبت منهما أن يعذراني؛ بالرغم من أنني كنت بالكاد قد لمست طعامي. كما لم يكن من واجبي المساعدة في غسل الأطباق، ولهذا صعدت إلى الطابق العلوي وجلست في خزانتي. كان التقويم الخاص بي موضوعاً في ركن قصي، ففتحته هذه المرة وسويت وضعه حيث أصبح مستوياً، وأخذت أنظر إلى تلك الأيام التي لم أقم بشطبها، والتي كانت كثيرة، بل كانت أكثر من أن أعدها؛ لأنها كانت تمثل تلك الأيام التي قضيتها بصحبة فينش.

ولهذا أخذت أقول:

أكرهك

لو كنت فقط أعرف.

لو كنت بالنسبة إليك كل شيء.

لقد خذلتك.

لو كان بمقدوري أن أفعل شيئاً

لكنت قد فعلته

فهل كان الذنب ذنبي؟

لَم لم تكتفِ بي؟

عد إلي

فأنا أحبك

أنا آسفة.

فيوليت

أيار - الأسبوع الأول والثاني والثالث

في المدرسة، بدا وكأن جميع الطلاب كانوا في فترة حزن؛ إذ كان الكثيرون منهم يرتدون ثياباً سوداء، وكانت شهقات البكاء تسمع في كل صف، وقد قام أحد الطلاب بتكبير صورة فينش المدرسية ووضعها في إحدى الخزائن الزجاجية الكبيرة الموجودة في الممر الرئيس بالقرب من مكتب المدير. وتركت تلك الخزانة مفتوحة كي يتسنى للجميع وضع رسائل فيها تعبر عن مشاعرهم حياله. وكانت كلها تبدأ بعبارات مثل: ***عزيزي فينش، إننا جميعاً نحبك، ولقد افتقدناك... نحن نحبك ونفتقدك.***

كان بودي أن أمزق كل تلك الأوراق وأجعلها في كومة مع غيرها مع العبارات الكاذبة؛ لأن القمامة هي المكان المناسب لتلك الترهات.

أخذ المعلمون يذكّروننا بأنه لم يبقَ من أيام الدراسة سوى خمسة أسابيع أخرى، لذا كان علي أن أشعر بالسعادة، غير أنني لم أكن حينها أشعر بأي شيء على الإطلاق؛ إذ كانت تلك حالي في تلك الأيام. فقد بكيت عدة مرات، إلا أنني كنت أشعر بالخواء في معظم الأحيان؛ وكأن ما كان يجعلني أحس أو أتألم أو أضحك أو أحب قد استؤصل بعملية جراحية، وكأنني أصبحت جوفاء من الداخل كصدفة خاوية.

أخبرت ريان أننا لا يمكننا أن نكون سوى صديقين، وهو لم يكن يريد أن يلمسني أيضاً، بل لم يكن هناك أي شاب آخر يرغب في ذلك؛ وكأنهم قد

أصبحوا جميعاً يخافون مني لأنني قد أكون معدية، وفي ذلك جزء من ظاهرة الانتحار عبر المصادقة.

كنت أجلس مع بريندا ولارا والبريانات لتناول طعام الغداء وذلك إلى أن جاء يوم الأربعاء عقب جنازة فينش، حيث تقدمت أماندا ووضعت صينيتها على الطاولة وقالت لي من دون أن تنظر إلى الفتيات الأخريات: "أشعر بالأسى على فينش".

وللحظة، خيّل لي أن بريندا ستقوم بضربها، بل كنت أرغب في أن يحدث ذلك فعلاً، أو على الأقل كنت أود أن أرى ما الذي يمكن أن يحدث إن فعلت هي ذلك. ولكن حينما اعتدلت برين في مكانها، لم يعد أمامي سوى أن أهز برأسي لأماندا وأقول لها: "أشكرك".

فردت: "كان يجدر بي ألا أنعته بالمجنون. كما أريد منك أن تعرفي أنني انفصلت عن المتسكع".

فتمتمت بريندا: "هذا لا يكفي، لأنه أتى بعد فوات الأوان". ثم وقفت فجأة، وضربت على الطاولة، مما جعل كل شيء فوقها يهتز، ثم أمسكت بصينيتها وأخبرتني أنها ستراني لاحقاً، ثم تركتنا هناك.

يوم الخميس التقيت السيد إمبري، وذلك لأن المدير فيرتس وأعضاء الهيئة التدريسية طلبوا من جميع أصدقاء تيودور فينش وزملائه أن يلتقوا المرشد ولو لمرة واحدة على الأقل، بالرغم من أن الوالدين- كما كان أبي وأمي يشيران إليهما- كانا يصران على أن ما حصل مجرد حادث؛ مما يعني أن لنا مطلق الحرية للبكاء عليه بطريقة طبيعية وصحية ولا تشوبها أية شائبة، ولا حاجة عندها إلى الشعور بالخجل أو الإحراج لأن مسألة الانتحار ليست موجودة أصلاً.

طلبت مقابلة السيد إمبري بدلاً من السيدة كريزني لأنه كان مرشد فينش. وعند دخولي عليه عبس في وجهي من خلف مكتبه، فخطر ببالي فجأة أنه ربما يلومني كما كنت ألوم نفسي.

كان عليّ ألا أقترح طريق جسر شارع أ، فلو أننا ذهبنا من الطريق الآخر لكانت إليانور الآن بيننا.

تنحنح السيد إيمبري وقال: "إنني أشعر بالأسى لما حصل لفينش؛ فقد كان فتى طيباً، وقد خذله الجميع، وكان يجب أن ينال قسطاً أوفر من المساعدة".

لفت كلامه انتباهي، فأضاف:

"إنني أشعر بالمسؤولية تجاهه".

عندها، وددت أن أرمي حاسوبه وكتبه على الأرض وأقول له: *لا يمكنك أن تشعر بالمسؤولية تجاهه، لأنني أنا المسؤولة، ولا تحاول أن تأخذ هذا الدور مني.*

لكنه تابع: "غير أنني لست كذلك؛ لأنني قمت بما شعرت أنه بوسعي القيام به، فهل كان بوسعي أن أقدم له ما هو أكثر من ذلك؟ ربما نعم، لأنه بوسعنا أن نقدم المزيد على الدوام، ومن الصعب الإجابة عن هذا السؤال، ثم إنه لا جدوى من طرح مثل هذا السؤال في نهاية الأمر. ولعلك تشعرين بتلك المشاعر ولديك الأفكار ذاتها".

قلت له: "أعرف أنه كان بوسعي أن أقدم أكثر مما قدمت، بل كان عليّ أن أعرف ما الذي كان يحدث".

فرد عليّ بالقول: "لا يمكننا أن نعرف ما الذي يحاول الآخرون إخفاءه عنا، لاسيما حين يقطعون مسافات طويلة لإخفائه". ثم أخرج السيد إيمبري كتيباً صغيراً من الكتب الموجودة فوق مكتبه وقرأ لي ما ورد فيه: "إنك من الناجين، ومع الصفة غير المرحب بها التي يوحي بها ذلك، إن نجاتك- أي نجاتك *على الصعيد العاطفي*- لا بد أن تعتمد على مدى تعلمك التأقلم مع مأساتك. أما الأخبار السيئة فتكمن في ما يلي: إن النجاة من تلك الحالة ستكون ثاني أسوأ تجربة تخوضها في حياتك، بينما تكمن الأخبار الجيدة في أن الأسوأ قد مضى".

وبعد ذلك ناولني الكتاب المعنون: *أنقذونا: كتيب للناجين من الانتحار.*

ثم قال لي: "أريد منك أن تقرئي هذا الكتاب، كما أريد منك أن تأتي للتحدث إلي، وأن تتحدثي إلى والديك وأصدقائك. ونحن لا نريد منك أن تخفي كل ذلك وتتقوقعي على ذاتك، فقد كنت الأقرب إليه، وهذا يعني أنك ستشعرين بكل مشاعر الغضب والفقدان والإنكار والحزن التي قد تنتاب المرء لدى وفاة أي شخص، إلا أن هذه الحالة مختلفة، لذا لا تكوني قاسية على نفسك".

فقلت: "إن عائلته تقول إن ذلك كان مجرد حادث".

فرد: "ولعله كان كذلك. ثم إن الناس يتعاملون مع المسألة بالطريقة التي يمكنهم أن يتعاملوا بها معها. لذا، إن ما يهمني هو أنت، لأنك لست مسؤولة عن وفاة أي شخص، سواء أكان شقيقتك، أو حتى فينش. فما حدث لشقيقتك يتلخص في أنه لم يكن أمامها أي خيار، ولعل فينش قد شعر بانعدام الخيارات أمامه؛ بالرغم من أنها كانت موجودة". ثم أخذ يعبس وهو ينظر باتجاه نقطة كانت فوق كتفي، وكان بوسعي أن أعرف أنه كان يقلب الأمر في عقله، إذ كان حينها يراجع كل محادثة أو لقاء أجراه مع فينش، كما كنت أفعل منذ أن حدث ما حدث.

غير أن الشيء الوحيد الذي لم أكن أقدر- ولم أكن أريد- أن أذكره له هو أنني كنت أرى فينش في كل مكان؛ في ممرات المدرسة، وفي الشارع، وفي حينا... كما كان وجه أحدهم يذكرني به، بل إن مشية أحدهم وضحكته كانتا تذكرانني بمشيته وضحكته؛ وكأنني كنت محاطة بألف فينش. لذا كنت أسأل نفسي إن كانت هذه الظاهرة طبيعية، إلا أنني لم أطرح عليه سؤالاً كهذا.

وفي البيت، استلقيت على سريري وقرأت الكتاب بأكمله الذي لم يستغرق مني وقتاً طويلاً؛ بما أن صفحاته لم تتجاوز ستاً وثلاثين صفحة. بعد ذلك، اكتشفت أن ما طبع في ذهني من ذلك الكتاب هو هذين السطرين: *إن الأمل يكمن في تقبل الحياة كما هي الآن، لأنها تتغير على الدوام. فإن استطعت القيام بذلك فلا بد للسلام والطمأنينة اللذين تسعى إلى بلوغهما أن يعقبا ذلك.*

تتغير على الدوام.

وأنا تغيرت إلى الأبد.

وعلى العشاء، عرضت الكتاب الذي أعطاني إياه السيد إمبري على أمي، فقرأته وهي تتناول الطعام من دون أن تنبس بكلمة، بينما كنا أنا ووالدي نحاول أن نتحدث عن الكلية.

حيث سألني أبي: "هل اتخذت أي قرار بشأن الكلية التي سترتادينها يا في؟".

فقلت: "ربما سأسجل في جامعة كاليفورنيا ولوس أنجلوس". وكنت أريد أن أطلب من أبـي أن يختار لي كلية، إذ لا فرق بينها، فجميع الكليـات أصـبحت متشابهة بالنسبة إلي.

إلا أنه قال لي: "ربما علينا أن نبلغهم بذلك في أسرع وقت".

قلت: "أظن ذلك. سأتأكد من قيامي بذلك على النحو الصحيح".

وهنا نظر والدي إلى والدتي نظرة مستنجد، إلا أنها بقيت تقرأ بعدما نسيت أمر طعامها، فما كان منه إلا أن سألني: "هل فكرت في تقديم أوراقك إلى جامعة نيويورك للحصول على قبول جامعي لفصل الربيع؟".

فقلت: "كلا، ولكن أعتقد أنه يجب علي أن أفكر في ذلك الآن. عن إذنكمـا". فقد كنت أريد أن أبتعد عن الكتيب، وعن أبويّ، وعن أي حديث يتعلق بالمستقبل.

بدا والدي مرتاحاً، وقال لي: "إذنك معك، بإمكانك أن تذهبـي". وشـعر بالسرور لذهابـي، كما شعرت أنا بذلك للسبب نفسه، إذ أصبح الأمر أسـهل على هذا النحو؛ لأنني إن لم أذهب فلا بد أن نواجه بعضنا، ونواجه مـا حصـل لإليانور، وذلك الأمر الذي حدث لفينش. لذا شكرت ربـي لأنني لم أكن أمـاً وقتها، وتساءلت في سري: ترى، هل سأكون أماً يوماً ما؟ إذ يا له من إحسـاس مريع أن تحب شخصاً لا يمكنك أن تمد له يد العون.

في الحقيقة، كنت أعرف تماماً ما يعنيه ذلك الشعور.

* * *

وفي اجتماع المدرسة الشامل الذي عقد يوم الخميس الثاني الذي مـر بعـد جنازة فينش، أحضروا لنا خبيراً في الفنون العسكرية من إنديانابوليس ليحدثنا عن الأمان وكيف ندافع عن أنفسنا؛ وكأن الانتحار شيء يمكنه أن يباغتنا في الشارع. بعد ذلك عرضوا علينا فيلماً عن المراهقين والمخدرات. وقبل أن يطفئوا الأنـوار، أعلن المدير فيرتس أن الفيلم يحتوي على بعض الرسـوم البيانيـة، إلا أنـه مـن الضروري بالنسبة إلينا أن نعاين الحقائق المتعلقة بتعاطي المخدرات.

وحينما بدأ عرض الفيلم، انحنى شارلي نحوي وأخبرني بأن السبب الوحيـد الذي دفعهم لعرض هذا الفيلم هو تلك الشائعة التي سرت حول فينش وهي أنـه

كان يتعاطى شيئاً، وأن ذلك كان السبب في وفاته. إلا أن الأشخاص الوحيدين الذين كانوا يعرفون أن ذلك لم يكن صحيحاً هم شارلي وبريندا وأنا.

وحينما تناول أحد الممثلين المراهقين جرعة زائدة، خرجت من المدرج، ثم تقيأت في إحدى سلات القمامة.

وفجأة سمعت أحدهم يقول لي: "هل أنت بخير؟". كانت تلك أماندا التي جلست على الأرض واتكأت على الجدار.

فقلت لها: "لم أرك في الداخل". ثم ابتعدت عن سلة القمامة، فردت عليّ: "لم أستطع أن أكمل خمس دقائق من ذلك الفيلم".

فما كان مني إلا أن جلست على الأرض على بعد قدمين منها، ثم سألتها: "ما الذي يخطر ببالك حينما تفكرين بـ...؟".

فسألتني: "بماذا؟".

فأجبتها: "بقتل نفسك. إنني أريد أن أعرف ذلك الإحساس، وما يفكر فيه المرء حين يشعر بذلك. كما أريد أن أعرف السبب الذي يدفع المرء للتفكير في ذلك".

أخذت أماندا تحدق إلى يديها، ثم قالت: "لا يمكنني أن أخبرك إلا عن مشاعري شخصياً؛ إذ إنني أشعر بأنني بشعة ومقرفة وغبية وصغيرة وبلا قيمة، وبأنني منسية، وبأنه لم يعد أمامي أي خيار، وكأن الانتحار بات الأمر المنطقي الوحيد الذي يستطيع المرء أن يقوم به، إذ ما الذي تبقى بعد كل ذلك؟ وسيخطر ببالك أن أحداً لن يفتقدك إن مت، بل لن يشعروا برحيلك وستستمر الحياة من دون أن يحدث عدم وجودي فيها أي فرق، بل لعله من الأفضل ألا أكون موجودة فيها".

قلت لها: "لكن تلك المشاعر لا تنتابك دوماً. أعني أنك أماندا مونك، تلك الفتاة المشهورة التي تتمتع بشعبية، والتي يعاملها والداها بلطف، وكذلك شقيقاها". ثم فكرت في سري: *إن الجميع يعاملونك بلطف لأنهم يخشون منك.*

فردت علي بالقول: "في تلك اللحظات لا يهمني كل ذلك، بل يبدو لي أن كل ذلك يحدث لشخص آخر، لأن كل ما أحس به في داخلي هو الظلمة، تلك الظلمة

مكتبة الرمحي أحمد

التي تستحوذ على كل شيء، لدرجة أنك لا تفكرين في ما قد يحدث للأشخاص الذين ستتركينهم، لأن كل ما تفكرين فيه حينها هو نفسك فقط". وهنا لفّت ذراعيها حول ركبتيها وتابعت قائلة: "هل ذهب فينش إلى طبيب يوماً؟".

فأجبتها: "لست أدري". إذ كان هنالك الكثير من الأمور التي لم أكن أعرفها عنه حتى ذلك الحين، وأظنني لن أعرفها عنه أبداً، ولهذا قلت لها: "لا أعتقد أن أهله يرغبون في الإقرار بأنه كان يعاني من مشكلة ما".

فردت: "لقد كان يحاول أن يصلح من حاله من أجلك".

كنت أعرف أنها تريد بقولها هذا أن ترفع من معنوياتي، إلا أن ذلك جعل معنوياتي تهبط إلى الحضيض.

وفي اليوم التالي، وتحديداً خلال حصة الجغرافيا الأمريكية، وقف السيد بلاك عند اللوح حيث كتب: الرابع من حزيران، ووضع خطاً تحت ذلك ثم قال: "لقد حان الوقت... يا قوم... سيتعين عليكم أن تقدموا مشاريعكم في وقت قريب... لذا ركزوا... ركزوا... ركزوا. وأرجو أن تعرضوا... علي أي... سؤال يخطر ببالكم، وإلا فإنني... أنتظر منكم... أن تتقدموا بالمشاريع في الوقت المحدد... إن لم تستطيعوا القيام بذلك قبل الموعد".

وحينما رن الجرس قال لي: "أريد أن... أتحدث إليك يا فيوليت". فجلست على مقعدي بالقرب من المقعد الذي جلس عليه فينش يوماً، وأخذت أنتظره. وبعدما غادر آخر طالب الصف، أغلق السيد بلاك الباب وغرق في كرسيه ثم قال: "أردت أن أتحقق... منك لأرى... إن كنت بحاجة إلى أي مساعدة... ولأخبرك أيضاً... ألا تترددي في تقديم أي شيء... توصلت إليه حتى الآن... لأنني... أتفهم ذلك بوضوح... ولأن هناك أعذاراً... مخففة".

أعذار مخففة... تلك هي حالي، تلك هي فيوليت ماركي، فيوليت المسكينة التي تغيرت إلى الأبد بسبب أعذارها المخففة، لذا يجب أن يتعامل معها الجميع بحذر؛ لأنها هشة وضعيفة ويمكنها أن تنكسر إن توقعت منها أن تقوم بما يقوم به أي شخص آخر.

فما كان مني إلا أن قلت له: "أشكرك، لكنني بخير". كان بوسعي أن أقوم بذلك، أجل كان بمقدوري أن أريهم بأنني لم أعد تلك الدمية الصينية التي يتعين عليهم أن يتعاملوا معها بحذر وعناية. لكنني كنت أتمنى لو تمكنا أنا وفينش من إتمام سائر جولاتنا، وتوثيق كل منها بشكل أفضل، فقد كنا منشغلين وقتها لدرجة أنه لم يتسنَّ لي أن أقدّم عن تلك الجولات سوى دفتر لم أملأ منه إلا نصف صفحاته، مع بعض الصور، وخارطة قمنا بتعيين المواقع عليها.

وفي المساء، أخذت أعذّب نفسي وأقرأ الرسائل التي تبادلناها عبر موقع فيسبوك. حيث قمت بتحميل الرسائل منذ البداية، ومن ثم فتحت دفترنا وبدأت بالكتابة بالرغم من أنني كنت أعرف أنه لن يقرأ ما كنت سأكتبه.

وهكذا كتبت:

رسالة إلى شخص انتحر

الكاتبة: فيوليت ماركي

أين أنت؟ ولم غادرت؟ أظنني لن أتمكن من معرفة السبب. هل كان ذلك بسبب الغضب الذي جعلتك تشعر به؟ أم لأنني حاولت أن أساعدك؟ أم لأنني لم أجبك حينما رميت بالحجارة على شباكي؟ ما الذي كان سيحدث إن أجبتك؟ ما الذي كنت ستقوله لي؟ وهل كان بمقدوري أن أقنعك بالبقاء أو أثنيك عما قمت به؟ أم كان ذلك سيحدث على أية حال؟

هل تعرف أن حياتي قد تغيرت إلى الأبد الآن؟ كنت أعتقد أن حياتي قد تغيرت لأنك دخلتها وأريتني ولاية إنديانا، وأجبرتني من خلال ذلك على الخروج من غرفتي والانطلاق نحو العالم؛ إذ حتى حينما توقفنا عن التجول، بل حتى حينما كنت تجلس فوق أرضية خزانتك، كنت تريني العالم، لذا لم أكن أعرف أن حياتي ستتغير إلى الأبد بسببك؛ لأنك أحببتني ثم هجرتني بشكل نهائي.

لذا، أعتقد أنه ليس ثمة ما يعرف بأبلغ بيان؛ بالرغم من أنك جعلتني أصدق ذلك، كما أعتقد أن كل ما كان بيننا مجرد مشروع دراسي.

إلا أنني لن أسامحك ما حييت على هجرك لي، لكنني أتمنى منك أن تسامحني، فأنت من أنقذ حياتي.

وفي النهاية كتبت وبكل بساطة: ***لَم لم أتمكن من إنقاذ حياتك؟***

ثم اعتدلت في جلستي، فتذكرت أن الأوراق اللاصقة التي تحدد أبواب مجلة *الأصل* وأهدافها كانت فوق مكتبي، فأضفت إليها باباً جديداً وهو: اسأل من كان بها خبيراً، ثم انتقلت ببصري إلى الورقة التي تصف ماهية المجلة، فوقعت عيناي على السطر الأخير فيها: ***الأصل الذي تبدأ منه.***

وفجأة، نهضت من مقعدي وبدأت أبحث في غرفتي. في البداية، لم أستطع أن أتذكر ما الذي فعلته بالخارطة، لذا انتابني ذلك الإحساس بالذعر الذي يشبه تدفق شيء أبيض في الجسم، مما جعلني أرتجف، إذ ما الذي سيحدث إن كنت قد فقدتها؟ إن هذا يعني أن جزءاً آخر من فينش قد رحل عني.

غير أنني وجدتها في حقيبتي خلال جولتي التفتيشية الثالثة؛ وكأنها قد ظهرت لي من لا شيء، ففتحتها وأخذت أنظر إلى ما تبقى من مواقع كنا قد أحطناها بدائرة، ووجدت خمسة أماكن كان يتعين علي أن أتجوّل فيها وحدي، كما تبيّن لي أن فينش كان قد كتب أرقاماً بالقرب من كل مكان من تلك الأماكن، مما أعطاها نوعاً من الترتيب من حيث موعد الزيارة.

فيوليت

ما تبقى من جولات

الجولة الأولى والثانية

اسم المدينة: ميلتاون، تعداد السكان 815 نسمة، تقع بالقرب من حدود كنتاكي، لذا كان علي أن أقف وأسأل أحدهم عن الطريق المؤدي إلى أشجار الأحذية، وهكذا أشارت لي امرأة باتجاه مكان يعرف باسم ديفيلز هولو، إلا أن الخروج من الطريق المعبد لم يستغرق وقتاً طويلاً، إذ سرعان ما أصبحت أسير بسيارتي في طريق قذر وضيق، متجهة نحو الأعلى بحسب ما أرشدتني ميرا. وحينما خلت أنني أضعت الطريق، وصلت إلى تقاطع لأربع جهات محاط بالغابات.

أوقفت السيارة وخرجت منها. كان بوسعي أن أسمع صوت أطفال وهم يصرخون ويضحكون من مسافة قريبة، أما الأشجار فكانت تنتصب واقفة من الجهات الأربع، إلا أن أغصانها كانت تغص بالأحذية؛ إذ كانت تشتمل على مئات بل آلاف الأحذية التي كان معظمها معلقاً من طرفه بواسطة الأربطة، فبدت وكأنها زينة ثقيلة. وقد أخبرتني ميرا بأنها لم تكن تعرف كيف بدأت تلك العادة، أو من الذي ترك أول فردة حذاء، إلا أن الناس كانوا يقطعون مسافات طويلة ليزينوا تلك الأشجار بأحذيتهم، ويقال إن لاري بيرد لاعب البيسبول الشهير كان قد ترك زوج أحذية على شجرة موجودة في هذا المكان.

كان الأمر بسيطاً، إذ يكفي أن تترك زوج أحذية هناك، ولهذا أحضرت معي زوج أحذية أخضر اللون من ماركة تشاك تايلورز من خزانتي، وزوجاً أصفر من ماركة كيدز من خزانة إليانور، ثم وقفت وقد رفعت وجهي نحو الأعلى، في محاولة مني لتحديد الموضع الذي سأترك فيه زوجي الحذاء. وهكذا، قررت أن أعلق الزوجين معاً على الشجرة الأصلية، وهي الشجرة التي تحمل أكبر عدد من الأحذية، والتي كان البرق قد ضربها أكثر من مرة، إذ تمكنت من معرفة ذلك من منظر الجذع الذي بدا لي ميتاً ومسوداً.

أخرجت قلم شاربي[1] من جيبي وكتبت: ***فوق البنفسجية المتميزة*** مع التاريخ، وذلك على أحد طرفي فردة حذاء شانك تايلورز، ثم علّقت الفردتين في مكان منخفض من الشجرة الأصلية التي بدت لي أوهن من أن يتمكن أحد من تسلقها، لذ قفزت قليلاً لأصل إلى الغصن، وهذا ما جعل فردتي الحذاء تتأرجحان وتتمايلان قبل أن تستقرا في ذلك المكان، ثم علقت حذاء إليانور بالقرب من حذائي.

كان ذلك كل ما فعلته هناك، إذ لم يكن هنالك أي معلم آخر يمكنني رؤيته في ذلك المكان، ثم إن الطريق كان طويلاً للمرور بالسيارة قرب جميع الأشجار التي علقت عليها أحذية قديمة، إلا أنني أقنعت نفسي بعدم النظر إلى ذلك الموضوع بتلك الطريقة، إذ قد يكمن السحر في هذا المكان أيضاً. وهكذا، أخذت أنظر إلى تلك الأشجار وقد غطيت عينيّ لأحميهما من أشعة الشمس. وقبل عودتي إلى السيارة، رأيتهما على أعلى غصن من الشجرة الأصلية، وكانا قد عُلّقا هناك وحدهما. أجل رأيت فردتي حذاء رياضي بأربطة لامعة، وقد كتب الحرفان ت ف[2] بلون أسود على كلتا الفردتين، كما رأيت علبة سجائر من ماركة أمريكان سبيريت زرقاء معلقة بإحدى الفردتين من الداخل.

لقد كان هنا.

---

(1) قلم تعيين دائم لا يمكن محوه. (المترجمة)

(2) أول حرف من اسم بطل الرواية، وأول حرف من اسم عائلته (تيودور فينش). (المترجمة)

أخذت أنظر حولي لعلي أراه على الفور، إلا أنه لم يكن في المكان أحد سواي بالإضافة إلى بعض الأطفال الذين كان يضحكون ويتصايحون من مكان قريب. ولكن، متى أتى إلى هذا المكان؟ هل حدث ذلك بعدما غادر؟ أم حدث قبل ذلك؟

بقي شيء ما يلح علي وأنا واقفة هناك، حيث أخذت أفكر في سري وأقول: *إنه على أعلى غصن... أعلى غصن*، فمددت يدي إلى هاتفي، إلا أنني اكتشفت أن هاتفي بقي في السيارة، لذا جريت تلك المسافة القصيرة، ثم فتحت باب السيارة، واتكأت على المقعد، فأصبح نصف جسمي في الداخل، والنصف الآخر في الخارج، وهكذا بدأت أفتح الرسائل النصية التي أرسلها لي فينش، وبما أنه لم تكن لدي رسائل كانت قد وصلتني منه حديثاً، لم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً كي أجد رسائله، وهكذا وجدت رسالة كتب لي فيها: **إنني فوق أعلى غصن**، فنظرت إلى التاريخ، ووجدت أنه أرسلها بعد أسبوع من مغادرته.

لقد كان هنا.

ثم قرأت من بين الرسائل رسائل جاء فيها: **لقد كتبت اسمينا بالطلاء، إنني أحب اللافتات، توهج فوق البنفسجية، من الرائع أن يشعر المرء بالروعة في عزلته.**

بعد ذلك وجدت الخارطة، فأخذت أتتبع بإصبعي الطريق المؤدي إلى المكان التالي، وبدا لي أنه يبعد عن مكان تواجدي مسافة لا بد لي من أن أمضي ساعات وأنا أقود السيارة لأجتازها، إذ كان يقع شمال غرب مونسي، ولهذا تحققت من الوقت، ثم أدرت المحرك ومضيت بالسيارة، وقد كان لدي إحساس بأنني أعرف إلى أين أتجه، إلا أنني كنت أتمنى ألا يكون الأوان قد فات.

كانت أكبر كرة مطلية في العالم تقع ضمن أراضٍ تعود ملكيتها لمايك كارميتشيل. وبخلاف أشجار الأحذية، تم تخصيص تلك المنطقة لتتحول إلى مزار سياحي، إذ لم يكن لتلك الكرة موقع إلكتروني خاص بها فحسب، بل كانت مدرجة في *كتاب غينيس للأرقام القياسية*.

كانت الساعة قد تجاوزت الرابعة بقليل حينما وصلت إلى مقاطعة ألكساندريا، وكان مايك كارميتشيل وزوجته يتوقعان قدومي لأنني اتصلت بهما وأنا على الطريق. توقفت في المكان الذي توجد الكرة فيه والذي يشبه مخزن حبوب، وطرقت على الباب وقد بدأ قلبي ينبض بسرعة.

وحينما لم يفتح لي أحد الباب، حاولت أن أفتح الباب بواسطة المقبض، إلا أنني اكتشفت أنه كان مقفولاً، لذا سرت نحو البيت، وأصبح نبض قلبي أسرع لأنني كنت أفكر في سري: ماذا إن جاء أحدهم إلى ذلك المكان قبلي؟ وماذا إن قام بطلاء شيء ما فوق ما يمكن أن يكون فينش قد كتبه؟ عندها سيكون كل شيء قد اختفى من دون أن أدري، وكأنه لم يأتِ إلى هذا المكان على الإطلاق.

طرقت الباب الأمامي بقوة بدت لي أقوى مما كنت أقصد. في بداية الأمر، خلت أنهما لم يكونا في البيت، ثم خرج إليّ رجل ذو شعر أبيض وابتسامة تشير إلى توقعه قدومي، وأخذ يتحدث إلي وهو يصافحني ويطلب مني أن أناديه بمايك.

ثم سألني: "من أين أنت أيتها الصبية؟".

فأجبته: "من بارتليت". ولم أذكر له أنني قدمت لتوي من ميلتاون.

فرد علي: "إنها مدينة جميلة. نحن نزورها في بعض الأحيان، حيث نذهب إلى مطعم غازلايت".

أصبحت أسمع نبض قلبي في أذنيّ لأنه كان عالياً للغاية، وأخذت أتساءل عمّا إذا كان بوسعه أن يسمعه أيضاً، ثم تبعته إلى مخزن الحبوب، فقال لي: "لقد أنشأت كرة الطلاء هذه منذ حوالي أربعين سنة، إذ خطرت الفكرة ببالي حينما كنت أعمل في مخزن الطلاء، وحصل هذا حينما كنت في الثانوية، أي قبل أن تولدي، أو ربما قبل أن يولد أبواك، إذ كنت ألعب بالكرة في هذا المخزن مع صديق لي، فضربت كرة البيسبول علبة طلاء، وعندها خطر ببالي هذا السؤال: ترى، ما الذي سيحدث إن طليت تلك الكرة ألف مرة؟ وهذا ما فعلته". ثم أخبرني مايك بأنه تبرع بتلك الكرة لمتحف بيت الأطفال في نايتستاون، إلا أنه قرر عام 1977 أن يصنع كرة أخرى.

ثم أومأ لي برأسه إلى مخزن الحبوب، وبعدها فتح الباب، فدخلنا غرفة كبيرة ومشرقة تفوح منها رائحة الطلاء، وقد علقت في وسطها كرة ضخمة يعادل

حجمها حجم كوكب صغير، وكانت علب الطلاء تغطي الأرضية والجدران، وعلى أحد الجدران رتبت صور الكرة خلال مراحلها المختلفة، وهنا أخذ مايك يخبرني كيف أنه كان يحاول أن يطلي تلك الكرة كل يوم، إلا أنني قاطعته وقلت: "آسفة، لكن صديقاً لي زار هذا المكان منذ فترة قريبة، وأريد أن أعرف إن كنت تتذكره أم لا، وإن كان قد كتب شيئاً على تلك الكرة".

ثم بدأت أصف له فينش، فأخذ مايك يفرك ذقنه ويهز رأسه ويقول: "أجل، أجل، لقد تذكرته. لقد كان شاباً لطيفاً، إلا أنه لم يبق طويلاً. كما أنه أخذ الطلاء من هناك". ثم أشار إلى علبة طلاء بنفسجي اللون، إذ كان قد كتب على غطاء العلبة: لون الطلاء: *بنفسجي*[1].

نظرت إلى الكرة، فلم أجد فيها ذلك اللون البنفسجي لأنها كانت صفراء بلون الشمس، ولهذا شعرت بخيبة أمل، لكنني نظرت إلى الأرضية، وكلي أمل بأن أرى الكلام مكتوباً هناك بذلك اللون.

وعندها هتفت: "لقد طليت الكرة بعد ذلك". لقد تأخرت كثيراً على فينش. أجل، تأخرت وظلمته مرة أخرى.

فرد علي مايك بقوله: "إنني أعطي الطلاء لكل من يرغب في كتابة شيء ما على تلك الكرة، ثم يقوم بطلائها قبل مغادرته، وهكذا تصبح جاهزة ليكتب عليها الشخص التالي؛ حيث تكون كلوح نظيف ينتظره. هل تودين أن تضيفي طبقة عليها؟".

كنت على وشك أن أرفض، لكنني لم آتِ بأي حركة تدل على أنني سأغادر، لذا أخذت منه أسطوانة الطلاء عندما ناولني إياها. وحينما سألني عن اللون الذي أريده، طلبت منه لوناً أزرق كلون السماء. وبينما كان يفتش لي عن اللون بين العلب، وقفت في مكاني وأحسست أنني أصبحت عاجزة عن الحركة أو حتى التنفس، إذ بدت لي خسارتي تلك وكأنني قد فقدت فينش مرة أخرى.

---

(1) بنفسجي أو زهرة البنفسج، كلاهما في الإنكليزية يشار إليهما بكلمة (Violet)، وهو اسم بطلة هذه الرواية. (المترجمة)

بعد قليل، عاد إليّ مايك بعدما وجد لوناً يشبه لون عيني فينش الذي لم يكن يعرفه أو حتى يتذكره، فغمست الأسطوانة بالطلاء، ثم غطيت اللون الأصفر بالأزرق، وشعرت بإحساس مريح حيال تلك الحركة البسيطة التي لا تحتاج إلى تفكير، والتي منحتني إياها تلك الأسطوانة.

وعندما فرغت من طلاء الكرة، عدت إلى الوراء أنا ومايك وأخذنا نعاين العمل الذي أنجزته، فقال لي: "ألا ترغبين بكتابة أي شيء عليها؟".

قلت: "حسناً، يكفيني أنني قمت بطلائها بهذا اللون". ثم إن أحداً لم يكن ليعرف بأنني أتيت إلى هذا المكان.

بعد ذلك ساعدت مايك في ترتيب علب الطلاء وتنظيف المكان بعض الشيء، فأخذ يخبرني بمعلومات عن الكرة، كوزنها الذي يعادل أربعة آلاف باوند تقريباً، وأنها تتألف من 20 ألف طبقة طلاء، ثم ناولني دفتراً أحمر مع قلم، وقال لي: "عليك أن توقعي قبل أن ترحلي".

أخذت أقلب صفحات الكتاب إلى أن وجدت أول مساحة فارغة يمكنني أن أكتب فيها اسمي مع التاريخ وتعليق صغير، إلا أن عينيّ مسحتا الصفحة، فاكتشفت أن عدد الأشخاص الذين زاروا هذا المكان خلال شهر نيسان كان قليلاً، ثم عدت صفحة إلى الوراء، فوجدت توقيعه. أجل، لقد كان هنا، وقد جاء في توقيعه: ***تيودور فينش، 3 نيسان. "اليوم يومك، فقد خرجت إلى الأماكن العظيمة! أي خرجت وأصبحت بعيداً!"***.

أخذت أمرر أصابعي فوق الكلمات، تلك الكلمات التي كان قد خطها منذ بضعة أسابيع فقط، حينما جاء إلى هنا وكان حياً يرزق. ثم أخذت أقرأ تلك الكلمات مرات ومرات، وبعدها وقعت باسمي على أول سطر فارغ رأيته وكتبت: ***"إن جبلك ينتظر، لذا... امضِ في سبيلك!"***.

وفي طريقي إلى بارتليت أخذت أغني ما استطعت تذكره من أغنية الدكتور سيوس التي سبق أن غناها فينش، وحينما مررت بإنديانا بوليس، فكرت في أن أبحث عن المشتل الذي قطف لي منه فينش الزهور في فصل الشتاء، لكنني عوضاً عن ذلك تابعت القيادة شرقاً؛ لأنه لم يكن بوسع القائمين على ذلك المشتل أن

يخبروني أي شيء عن فينش أو عن سبب وفاته أو عن أي شيء كان قد كتبه على كرة الطلاء، غير أن الشيء الوحيد الذي رفع معنوياتي هو تلك الفكرة التي خطرت ببالي ومفادها أن أي شيء كان فينش قد كتبه لا بد أن يبقى هناك تحت طبقات الطلاء.

وجدت أمي وأبي في غرفة المعيشة، حيث كان أبي يستمع إلى الموسيقى عبر سماعتي الأذنين، بينما كانت أمي تصحح الأوراق، فقلت لهما: "علينا أن نتحدث عن إليانور من دون أن ننسى أنها كانت موجودة". عندها، أبعد والدي السماعتين عن أذنيه فتابعت: "لا أريد أن نتظاهر بأن كل شيء على ما يرام بينما الحال ليس كذلك، ولا أن نتظاهر بأننا بخير بينما لسنا كذلك. إنني أفتقدها، ولا يمكنني أن أصدق أنني هنا وأنها ليست هنا، كما أنني نادمة لأننا خرجنا في تلك الليلة، وأريد منكما أن تعرفا ذلك، ثم إنني أشعر بالندم لأنني طلبت منها أن تتجه نحو الجسر في طريق عودتنا إلى البيت، فهي ما كانت لتتخذ ذلك الطريق لولا اقتراحي ذلك عليها".

وحينما حاولا أن يقاطعاني صرخت بصوت أعلى: "لا يمكننا أن نعود بالزمن إلى الوراء، وليس بوسعنا أن نغيّر أي شيء حدث وانتهى، وليس بمقدوري أن أعيدها إلى الحياة أو أعيد فينش إلى الحياة، ولا يمكنني أن أغيّر حقيقة أنني خرجت خلسة من البيت لأراه في الوقت الذي أخبرتكما فيه أن كل شيء كان قد انتهى بيننا. لم أعد أريد أن أتسلل على رؤوس أصابعي بحثاً عنها أو عنه أو عنكما بعد اليوم، لأن ذلك يصعّب عليّ عملية تذكر الأشياء التي لا أرغب في تذكرها، كما يصعب عليّ تذكر شقيقتي. ففي بعض الأحيان، أحاول أن أتذكر صوتها كي أستطيع سماعه مجدداً، وخاصة حينما كانت تقول: "مرحباً يا قوم!"، وذلك عندما يكون مزاجها عالياً، أو حينما تقول: "في-و-ليت" عندما تكون منزعجة. ولسبب ما، يبدو لي هذان المثالان من أسهل الأمثلة، لذا أحاول أن أركز عليهما، إلا أنني حينما أتذكرها لا تمحى من ذاكرتي؛ لأنني في قرارة نفسي لا أريد أن أنسى طريقة كلامها".

كانت أمي قد شرعت بالبكاء بصوت هادئ ومكتوم للغاية، أما وجه أبي فقد تحوّل إلى اللون الأبيض الأقرب إلى الرمادي الشاحب.

لكنني تابعت قائلة: "سواء أأعجبكما ذلك أم لم يعجبكما لقد كانت إليانور هنا، وها قد رحلت الآن, إلا أنه يجب علينا ألا نجعلها ترحل بشكل تام، وذلك يعود لنا. وسواء أأعجبكما ذلك أم لم يعجبكما أود أن أخبركما بأنني أحببت تيودور فينش، فقد كان طيباً معي؛ بالرغم من أنكما تعتقدان أنه لم يكن كذلك، وبالرغم من أنكما تكرهان والديه، بل ولعلكما تكرهانه هو أيضاً. ورغم أنه كان قد هجرني وكنت أتمنى لو أنه لم يفعل ذلك، إلا أنني لا أستطيع أن أعيده إلى الحياة، ولعل الذنب في ذلك كان ذنبي. لذا، قد يبدو في الأمر خير وشر، ولكنه مؤلم، إلا أنني أحب أن أفكر فيه لأنني حينما أفعل ذلك أشعر بأنه لم يرحل بشكل كامل. إذ لا ينبغي أن يموت من نحبهم في داخلنا؛ حتى إن ماتوا بالفعل".

كان أبي يجلس كتمثال من رخام، أما أمي فنهضت وتعثرت وهي في طريقها إليّ، لكنها جذبتني نحوها، فأخذت أفكر في سري: *هذا هو الإحساس الذي كانت تشعر به قبل أن يحدث ما حدث؛ إذ كانت ترى نفسها قوية وصلبة، وكأنه كان بوسعها أن تتحمل السير وسط الإعصار بمفردها*. لكنها استمرت بالبكاء، غير أنها كانت تتمتع بالصلابة والواقعية، ولذلك قرصتها لأتأكد من أنها بخير، إلا أنها تظاهرت بأنها لم تلحظ ذلك.

ثم قالت لي: "لم يكن الذنب ذنبك في كل ما حدث".

وعندها بدأت بالبكاء، كما أخذ والدي يبكي أيضاً، إذ تدحرجت دمعة رزينة فوق خده في ذلك الحين، ثم وضع رأسه بين يديه فهرعنا نحوه أنا وأمي في هبة رجل واحد، وهكذا اجتمعنا نحن الثلاثة في مكان واحد، حيث أخذنا نبكي ونتمايل إلى الأمام والخلف، وأخذ كل منا دوره في تهدئة الآخرين عبر القول لهما: "لا بأس، نحن بخير، إننا جميعاً بخير".

فيوليت

ما تبقى من جولات
الجولة الثالثة والرابعة

تعتبر سينما بندلتون بايك السينما المكشوفة الأخيرة من هذا النوع. وما تبقى من تلك السينما يقع ضمن حقل تغطيه الأعشاب في أطراف مدينة إنديانابوليس، وقد تحوّل ذلك الحقل إلى ما يشبه المقبرة. ولكن خلال ستينيات القرن الماضي كانت السينما المكشوفة من الأماكن الأكثر شعبية؛ إذ لم تكن مجرد مكان يعرض أفلاماً، بل كانت تستخدم كحديقة للأطفال فيها مركبة دوارة صغيرة، بالإضافة إلى بعض الألعاب الأخرى والمواقع التي يمكن زيارتها.

غير أنه لم يبقَ من تلك السينما سوى الشاشة، لذا ركنت سيارتي بجانب الطريق وقربتها من الجانب الخلفي منها. كانت السماء ملبدة بالغيوم في ذلك اليوم؛ إذ كانت الشمس قد اختفت وراء غيوم رمادية وكثيفة. وبالرغم من أن الجو كان دافئاً إلا أنني كنت أرتجف، وذلك لأن ذلك المكان أثار مخاوفي. فحينما دست على الأعشاب والقاذورات، حاولت أن أتخيل فينش وهو يركن سيارته حيث ركنت سيارتي، ويتجه نحو الشاشة التي كانت تسد الأفق كهيكل عظمي؛ تماماً كما فعلت أنا بالضبط.

وعندها تذكرت أنه كتب لي رسالة قال فيها: **إنني أحب اللافتات.**

وهذا بالضبط ما كانت عليه الشاشة، إذ كانت أشبه بلوحة إعلانية عملاقة، أما خلفيتها فقد غطتها كتابات جدارية وخربشات، وهكذا أخذت أبحث عن طريقي بين زجاجات الشراب المكسورة وأعقاب السجائر.

وفجأة دخلت تلك الحالة التي يحس بها المرء عقب فقدانه شخصاً عزيزاً، وذلك حينما يشعر بأن أحدهم قد ضربه على بطنه فانقطعت أنفاسه إلى غير رجعة؛ وهذا ما جعلني أرغب في الجلوس فوق الأرض التي كانت مليئة بالقمامة والقاذورات في ذلك الحين، وذلك لأبدأ بنوبة بكاء إلى أن أصبح عاجزة عن البكاء أكثر من ذلك.

غير أنني عوضاً عن ذلك اتجهت نحو أحد طرفي الشاشة وأنا أقنع نفسي بأنني قد لا أجد شيئاً، وأخذت أعد خطواتي إلى أن وصلت بالعد إلى الرقم ثلاثين، وعندها التفت ونظرت نحو الأعلى، فرأيت تلك الواجهة البيضاء الواسعة وقد كتب تحتها بأحرف حمراء اللون: ***لقد كنت هنا. ت ف.***

عند ذلك لم تعد ركبتاي قادرتين على حملي، فهويت على الأرض فوق القذارة والأعشاب والقمامة، ثم أخذت أسأل نفسي: ماذا كنت أفعل حينما كان هو هنا؟ هل كنت في صفي؟ أم كنت مع أماندا أو ريان؟ أم كنت في البيت؟ أين كنت حينما كان يتسلق اللافتة ليكتب تلك العبارة، ويترك شيئاً وينهي مشروعنا؟

بعد ذلك، نهضت والتقطت صورة لهيكل الشاشة بواسطة هاتفي، ثم صعدت نحو اللافتة، وأخذت أقترب منها أكثر فأكثر إلى أن أصبحت الأحرف كبيرة فوقي، فأخذت أسأل نفسي: من أي مسافة يمكن رؤية تلك الأحرف؟ وهل يستطيع شخص ما يقف على بعد أميال منها قراءتها؟

كانت هناك علبة طلاء بخاخ أحمر اللون موضوعة على الأرض، وكان غطاؤها قد أغلق بطريقة أنيقة، فأمسكت بتلك العلبة على أمل أن أجد رسالة أو أي شيء يدلني على أنه تركها لي، إلا أنها كانت مجرد علبة.

لا بد أنه قد تسلق تلك الأعمدة المعدنية المتشابكة التي تثبت تلك الشاشة. وهكذا، وضعت قدمي فوق إحدى درجات السلم، ووضعت علبة الطلاء تحت إبطي، ثم رفعت نفسي نحو الأعلى. كان يتعين عليّ أن أصعد إلى طرف لأصل بعد ذلك إلى الطرف الآخر إلى أن وصلت إلى النهاية، وهناك كتبت: ***وأنا كنت هنا أيضاً. ف.م***[1].

---

(1) أول حرف من اسم بطلة الرواية وأول حرف من اسم عائلتها (فيوليت ماركي). (المترجمة)

وعندما فرغت من ذلك، اعتدلت في وقفتي، فوجدت أن كلماته قد كتبت بأناقة وبخط أجمل من خطي، إلا أن الجملتين بدتا متناسقتين معاً. وهكذا أخذت أفكر: ها قد عدنا معاً، وهذا هو مشروعنا، فقد بدأناه معاً، وسننهيه معاً. وبعد ذلك، التقطت صورة أخرى لأنني خشيت أن يهدم هذا الأثر.

تقع مدينة مونستر في أقصى نقطة يمكن الوصول إليها في الشمال الغربي، إلا أنها تبقى تابعة لإنديانا، وتعرف باسم *بلدة النوم* التابعة لشيكاغو، وذلك لأنها لا تبعد عن تلك المدينة سوى ثلاثين ميلاً. وتحيط بهذه المدينة الأنهار من كل جانب، وفي ذلك شيء قد يعجب فينش. أما دار العبادة في جبل كارميل فتقع ضمن أراضٍ واسعة ومظلمة، وتظهر عادية وسط غابة غنّاء.

همت على وجهي في ذلك المكان إلى أن ظهر لي رجل بدأ الصلع ينال منه وكان يرتدي ثوباً بني اللون، فهتف لي: "هل بوسعي أن أساعدك أيتها الشابة؟".

عندها، أخبرته أنني جئت إلى هذا المكان من أجل مشروع دراسي، إلا أنني لم أكن أدري بالضبط إلى أين يتعين علي الذهاب، فأخذ يهز لي برأسه وكأنه قد فهم ذلك، ثم أرشدني إلى مكان بعيد عن دار العبادة قال إنه يدعى: "الأضرحة".

أخذ رجل الدين يحدثني عن كيفية قيام رجال دين من الجيش البولندي ببناء دار العبادة، ونحت اللوحات التأبينية، وتخصيص الأراضي التي كنا نسير فوقها لدار العبادة؛ وذلك بعدما أتوا إلى الولايات المتحدة عقب الحرب العالمية الثانية، فحققوا بذلك حلمهم في بناء دار عبادة في ولاية إنديانا. وعندها، تمنيت لو كان فينش معي لنهتف معاً: *من الذي يحلم ببناء دار عبادة في إنديانا؟*

غير أنني تذكرته حينما كان يقف بجانبي عند تلة هوزير، ثم أخذ يتبسم للأشجار ذات المنظر البشع، والأراضي الزراعية الكريهة، والأطفال البشعين؛ وكأنه كان يرى أرض الأحلام. حيث قال لي يومها: *أصدقت ذلك أم لم تصدقي، لا بد لهذا المكان أن يكون جميلاً...*

لذا، قررت أن أرى هذا المكان بعينيه.

كانت الأضرحة عبارة عن سلسلة من المغاور التي صنعتها الصخور الإسفنجية والبلورات. ولهذا كانت جدرانها الخارجية تلمع تحت الضوء، أما الصخر الإسفنجي فكان يعطي المكان شكلاً يشبه صدفة المحارة أو الكهف؛ مما يجعله يبدو أثرياً ومصطنعاً في آن واحد. بعد ذلك، اجتزنا أنا ورجل الدين عتبة مقنطرة، حيث كان هنالك تاج للقنطرة مع نجوم مطلية مقابل قمة الواجهة، ومن ثم تركني لأمضي في سبيلي هناك.

وفي الداخل، وجدت نفسي ضمن سلسلة من الممرات التي كانت قد شقت تحت الأرض، ورصفت بصخور إسفنجية وبلورية من النوع ذاته، كما كانت مضاءة بمئات الشموع. أما الجدران فكانت تزينها منحوتات رخامية، بالإضافة إلى النوافذ ذات الزجاج المعشق، ومعدنَي الكوارتز والفلوريت المتبلور اللذين كانا يمتصان الضوء ويحتجزانه، فبدا التأثير جميلاً وغريباً، وكأن المكان برمته كان على أهبة التوهج.

خرجت لأنعم بقسط من الهواء البارد مرة أخرى، ثم دخلت مغارة ثانية، فوجدت فيها سلسلة من الأنفاق تشتمل على نوافذ من الزجاج المعشق من الطراز ذاته، وكذلك على بلورات وضعت ضمن الجدران الصخرية، إلى جانب بعض التماثيل.

مررت بقاعة تم ترتيبها، حيث رأيت صفوفاً من المقاعد، وبعدها مشيت نحو قاعة كانت تتوهج من الأرضية وحتى السقف، ويوجد فيها تمثال كبير.

وداخل راحة التمثال الممدودة رأيت حجراً عادياً لم يكن يظهر عليه أي نوع من اللمعان، فبدا لي غريباً عن هذا المكان؛ مما دفعني للإمساك به واستبداله بالشيء الذي أحضرته معي، ألا وهو خاتم نحتت عليه فراشة كان في ما مضى لإليانور. بعد ذلك، بقيت في ذلك المكان لبرهة ثم خرجت إلى ضوء النهار، فاستقبلني درجان كانا قد بنيا جنباً إلى جنب، مع لوحة كتب عليها: الرجاء احترام هذا المكان. يمكنكم الصعود على ركبكم. شكراً لتعاونكم.

أخذت أعد حتى وصلت إلى الدرجة الثامنة والعشرين، فلم أجد أي أحد في الجوار، لذا كان بإمكاني أن أصعد كل تلك الدرجات. لكنني فكرت في فينش

الذي زار هذا المكان قبلي، وتذكرت أنه لم يكن ليغش في ذلك، وهكذا وضعت ركبتيّ على الدرج وأكملت صعودي.

وحينما وصلت إلى القمة، ظهر رجل الدين وساعدني في الوقوف على قدميّ ثم سألني: "هل استمتعت بمشاهدة الأضرحة؟".

فقلت: "إنها جميلة، لاسيما تلك القاعة التي يشع منها ضوء أسود".

فهز برأسه وقال: "إنها الأشعة فوق البنفسجية، ثم إن الناس يقطعون مئات الأميال ليروها".

ففكرت: *الأشعة فوق البنفسجية*، ثم شكرته. وفي طريقي إلى السيارة، تذكرت الحجر الذي كان لا يزال بيدي، ففتحت راحة يدي لأراه، وإذا بي أرى ذاك الحجر الذي أعطاني فينش إياه، ثم أعطيته إياه في ما بعد، وها قد أعاده إليّ الآن، وكانت *عبارة حان دورك* لا تزال مكتوبة عليه.

* * *

وفي تلك الليلة، التقيت بريندا وشارلي عند قاعدة برج بورينا، كما دعوت ريان وأماندا للانضمام إلينا. وبعدما صعدنا إلى القمة جلسنا نحن الخمسة في حلقة، وكنا نحمل شموعاً بأيدينا. كانت بريندا هي التي أضاءت شموع الجميع؛ شمعة تلو الأخرى. وبينما كانت تشعلها، أخذ كل منا يخبر الآخرين بشيء عن فينش.

وحينما حان دور برين، أغمضت عينيها وقالت: "اقفز، اقفز إلى الأعلى وانطلق بسرعة نحو السماء! إنني أقفز معك، وأحترق معك!".

ثم فتحت عينيها وابتسمت لنا وهي تقول: "كان ذلك لهيرمان ميلفيل[1]". ثم ضغطت على شيء ما في هاتفها، فأصبحت الموسيقى تملأ أرجاء المكان في تلك الليلة، وكانت تلك الموسيقى عبارة عن ألحان من أروع الألحان التي عزفها فينش لفرقة سبليت إينز، ذا كاش، وجوني كاش، وغيرها.

بعد ذلك، قفزت بريندا من مكانها وبدأت ترقص وتلوّح بذراعيها وتركل بساقيها، ثم قفزت قفزات أعلى وأعلى، ثم هبطت أرضاً، ثم فوق، وبعدها تحت.

---

(1) روائي وكاتب وشاعر أمريكي. (المترجمة)

إذ كانت تقفز بكلتا قدميها في وقت واحد كطفل في نوبة غضب، وبعدها أخذت تعكس الحركة؛ تماماً مثل فينش من دون أن تدري، كما حدث لي مرة في قسم الأطفال في متجر بوكماركس الخاص ببيع الكتب.

أخذت برين تغني مع الموسيقى، فرحنا نضحك عليها جميعاً. أما أنا فكان عليّ أن أستلقي على ظهري وأمسك بطرفي جسمي، وذلك لأن الضحك قد أتاني وقتها على حين غرة، إذ كانت تلك هي المرة الأولى الذي أتذكر أنني ضحكت فيها بهذا الشكل منذ مدة طويلة طويلة.

ساعدني شارلي في الوقوف على قدميّ، ثم بدأ يقفز هو أيضاً مع أماندا، أما ريان فأخذ يقوم بتلك القفزة الغريبة التي تتألف من خطوة ثم قفزة، ومن ثم أخذ يتمايل، فانضممت إليهم؛ حيث أخذت أقفز وأعكس الحركة وأشتعل في كل بقعة تحت تلك القبة السماوية.

وحينما وصلت إلى البيت كنت لا أزال في حالة يقظة تامة، ولهذا فرشت الخارطة وأخذت أعاينها، فوجدت المكان الأخير المتبقي الذي كان علي أن أزوره، إلا أنني رغبت في أن أحتفظ بتلك الجولة لنفسي وأن أتوقف عندها، وذلك لأن ذهابي إلى هناك يعني وصول المشروع إلى نهايته؛ مما يعني أنه لم يعد هناك أي شيء تركه فينش لي ويمكنني أن أجده، كما أنني لم أجد أي شيء منه باستثناء الأدلة التي تفيد بأنه شاهد تلك الأماكن من دوني.

كان اسم الموقع المتبقي هو فارمارزبيرغ، وكان يبعد خمسة عشر ميلاً عن برايريتون وعن بلو هول، لذا حاولت أن أتذكر ما خططنا لرؤيته هناك، وعليه توصّلت إلى نتيجة مفادها أن الرسالة النصية الأخيرة التي أرسلها لي لا بد أن تتوافق مع آخر مكان زاره، وذلك إن كان بوسعي ترتيب الرسائل حسب تاريخ وصولها لي، حيث جاء في آخر رسالة وصلتني منه: **بحيرة وداعاً. من الرائع أن يشعر المرء بالروعة في عزلته.**

قررت أن أبحث عن فارمارزبيرغ على الشابكة، إلا أنني لم أجد أي موقع إلكتروني لها، إذ بالكاد كان تعداد سكانها يصل إلى ألف، ولعل أهم ما يميزها هو أنها تعرف بكثرة عدد أبراج البث التلفزيوني والإذاعي فيها.

ولذلك قلت لنفسي:

إننا لم نختر ذلك المكان معاً.

وحينما أدركت ذلك كان الشعر الموجود خلف رقبتي قد انتصب.

إذ كان فينش قد أضاف ذلك المكان إلى الخارطة من دون أن يخبرني.

فيوليت

الجولة الأخيرة

مكتبة الرمحي أحمد

في صباح اليوم التالي، نهضت من فراشي وخرجت من البيت مبكرة، إلا أنني كلما اقتربت من برايريتون شعرت بثقل أكبر؛ إذ كان علي أن أمر بالسيارة بمنطقة بلو هول وذلك لأصل إلى مدينة فارمارزبيرغ. لذا كنت على وشك أن أستدير وأعود أدراجي، وذلك لأن الموقف كان شديد الوطأة عليّ، ولأنه كان آخر مكان كنت أرغب في الذهاب إليه.

وحالما وصلت إلى فارمارزبيرغ لم أكن أدري إلى أين أذهب، فأخذت أتجول بالسيارة في المدينة التي كانت صغيرة، وذلك بالنظر إلى ما كان فينش يريد مني أن أشاهده فيها.

بحثت عن أي شيء جميل هناك، وفتشت عن أي شيء يتعلق بالدعاء، واعتقدت أنه يرتبط بدار عبادة، إذ قرأت على الشابكة أن هنالك 133 دار عبادة في تلك المدينة الصغيرة، غير أنه بدا لي من الغريب بالنسبة إلى فينش أن يختار مكاناً مثل هذا للقيام بآخر جولة.

ولكنني سألت نفسي:

لَم يبدو ذلك غريباً؟ إنك بالكاد تعرفينه.

تعتبر مدينة فارمارزبيرغ من مدن إنديانا الصغيرة والهادئة التي تنتشر فيها بيوت صغيرة وهادئة وشوارع صغيرة وهادئة أيضاً، كما تجد فيها أراضي زراعية

عادية وطرقاً ريفية، أما شوارعها فمعدودة. وهكذا، لم أصل إلى أي مكان فيها، مما جعلني أقوم بما أقوم به دوماً، ألا وهو التوقف في الشارع الرئيس (إذ لا بد من وجود شارع كهذا في كل مدينة)، والبحث عن أحد يمكنه مساعدتي. ولكن، بما أن اليوم كان يوم أحد، كانت جميع المتاجر والمطاعم قد أطفأت أنوارها وأغلقت أبوابها، لذا أخذت أمشي في الطريق ذهاباً وإياباً، إلا أنها بدت لي كمدينة أشباح.

ولذلك عدت إلى السيارة، وأخذت أقودها إلى أن مررت بكل دار عبادة وجدتها في المدينة، غير أنها لم تكن كلها متمتعة بمظاهر عمرانية جميلة، كما أنني لم أر أية بحيرة. وأخيراً، دخلت محطة وقود، فأخبرني الشاب الذي يعمل هناك والذي كان في مثل عمري بوجود بعض البحيرات في حال اتجهت نحو الشمال وصولاً إلى المنطقة US 150.

فسألته: "هل ثمة دور عبادة هناك؟".

فرد وهو يبتسم ابتسامة واهنة: "توجد دار عبادة واحدة أو اثنتان على الأقل، إلا أن لدينا بعض دور العبادة هنا أيضاً".

فقلت: "أشكرك".

ثم تبعت الإشارات التي ترشد إلى US 150 التي كانت منطقة بعيدة عن تلك المدينة. لذا قمت بتشغيل المذياع، إلا أن كل ما كان يبث عليه هو موسيقى ريفية وهادئة، ولم أدرِ أيهما الأسوأ. وهكذا، أخذت أستمع إلى تلك الموسيقى الهادئة لبعض الوقت قبل أن أقوم بإغلاق المذياع. ثم لمحت فرعاً لدولار جنرال[1] على أحد طرفي الطريق، فتوقفت هناك على أمل أن يتمكن أحدهم من إرشادي إلى مكان البحيرات.

وجدت امرأة خلف طاولة البيع، فاشتريت علبة علكة وقارورة مياه، وأخبرتها أنني أبحث عن بحيرة أو دار عبادة في الجوار، أو عن أي مكان جميل آخر، فما كان منها إلا أن لوت شفتيها وهي تضرب على آلة تسجيل المدفوعات النقدية، ثم قالت: "تقع دار عبادة إيمانويل على الطريق العام هناك، وبعدها بقليل

(1) سلسلة متاجر تباع القطعة فيها بدولار. (المترجمة)

توجد بحيرة، لكنها ليست كبيرة، إلا أنني متأكدة من وجودها، لأن أولادي اعتادوا على السباحة فيها".

سألتها: "أهي منعزلة؟".

فسألتني: "أتقصدين البحيرة أم دار العبادة؟".

فقلت لها: "كلتاهما، فالمكان الذي أبحث عنه لا بد أن يكون منعزلاً".

فأجابتني: "تقع البحيرة قبالة شارع برايفت[1]، إن كان ذلك ما تقصدينه".

عند ذلك بدأ جلدي يلسعني، إذ كانت كلمة *عزلة* في الرسالة التي أرسلها لي فينش تشير إلى اسم المكان وليس إلى الإحساس.

فما كان مني إلا أن أجبتها بالقول: "أجل، إن ذلك ما عنيته بالضبط. والآن، كيف أصل إلى هناك؟".

فردت: "تابعي السير نحو الشمال عبر منطقة US 150، وستمرين بدار عبادة إيمانويل على يمينك، وسترين البحيرة بعدها، وبعد ذلك ستجدين شارع برايفت، وهناك عليك أن تنعطفي لأنك بذلك ستكونين قد وصلت إلى وجهتك".

سألتها: "أأنعطف يميناً أم يساراً؟".

فردت: "ثمة منعطف وحيد إلى اليمين. وهو عبارة عن طريق قصير في آخره مبنى للمعهد الأمريكي للتدريب والتقانة AIT، حيث ستجدين لوحة معلقة باسم ذلك المعهد".

فما كان مني إلا أن شكرتها وجريت نحو سيارتي، وقلت في سري: *إنني قريبة من المكان، وسأصل إليه بسرعة، وبعدها سينتهي كل شيء، الجولات، فينش، نحن، كل شيء*. وهكذا، جلست لثوانٍ معدودة لألتقط أنفاسي لأتمكن من التركيز على كل لحظة تمر. إذ كان بإمكاني أن أتريث وأؤجل ذلك إلى وقت لاحق؛ مهما كان ذلك.

إلا أنني لم أكن أرغب في ذلك لأنني قد أوشكت على الوصول إلى المكان، ثم إن السيارة تتحرك، وكنت أتوجه إلى ذلك المكان، حيث وجدت دار العبادة، وبعد قليل رأيت البحيرة التي لم تكن تبعد عنها كثيراً بخلاف ما توقعته، وبعدها

(1) العزلة والخصوصية. (المترجمة)

وجدت الشارع الذي حينما وصلت إليه أصبحت راحتا يديّ لزجتين فوق المقود، أما جلدي فأصبح مليئاً بالبثور، كما أدركت حينها أنني كنت أحبس أنفاسي.

مررت باللافتة الخاصة بالمعهد الأمريكي للتدريب والتقانة، حيث رأيتها تحتل موقعاً مرتفعاً عند نهاية الشارع، حيث كانت دوماً. ثم انتهى بي ذلك الشارع في طريق مسدود، فاستدرت بالسيارة مروراً بالمعهد الأمريكي للتدريب، وانتابني حينها إحساس بخيبة الأمل، لأنه لم يكن هنالك أي شيء جميل في ذلك المكان، ثم إن ذلك المكان لا يمكن أن يكون المكانِ المنشود. ولكن، إن لم يكن كذلك، إذاً إلى أين يجب علي أن أتوجه؟

أخذت سيارتي تزحف نحو الخلف على طول شارع برايفت وصولاً إلى المكان الذي أتيت منه. وفجأة، رأيت المنعطف المؤدي إلى الشارع الذي لم أسر فيه، والذي كان يشبه التفرع فتوجهت إلى هناك، وإذ بي أجد البحيرة، ثم رأيت لافتة كتب عليها: دار عبادة تايلور.

كانت هنالك لافتة تبعد عنها دار عبادة بيضاء صغيرة ذات برج أبيض صغير بضع أقدام، وكان بوسعي أن أرى البيوت من خلفها، والبحيرة إلى جانبها، وكانت الطحالب والأعشاب الخضراء تطفو على سطح تلك البحيرة.

عند ذلك أطفأت المحرك، وجلست في مكاني لبضع دقائق، لكنني لم أنتبه كم مر من الوقت وأنا على تلك الحال. وهكذا أخذت أسأل نفسي: هل مر هذا المكان في اليوم الذي مات فيه؟ هل أتى إلى هذا المكان قبل وفاته بيوم؟ متى جاء إلى هنا؟ وكيف وجد هذا المكان؟

بعد ذلك، خرجت من السيارة وتوجهت نحو دار العبادة الصغيرة، وكان بوسعي أن أسمع صوت دقات قلبي، وكذلك أصوات الطيور التي كانت تغرد فوق الأشجار من مسافة قريبة، أما الأجواء فكانت محملة بروائح الصيف.

أدرت مقبض الباب فانفتح بكل بساطة، وباغتتني رائحة المكان التي كانت تحمل عبير النظافة والانتعاش، كما لو أنها تمت تهويتها منذ وقت قصير، ولم يكن فيها إلا بضعة مقاعد خشبية طويلة، لأن المكان برمته كان أصغر من غرفة نومي.

وكان في المقدمة مذبح خشبي، مع صورة زيتية ومزهريتين ونبتتين موضوعتين في آنيتين فخاريتين، بالإضافة إلى الكتاب المقدس الذي كان مفتوحاً.

كانت النوافذ الضيقة الطويلة تسمح لأشعة الشمس بالنفاذ، لذا جلست على أحد المقاعد ونظرت حولي، ثم أخذت أفكر: *ماذا بعد ذلك؟*

ثم سرت نحو المذبح، فوجدت أن أحدهم قد نقش تاريخ دار العبادة على صفائح منفصلة كانت مستندة إلى إحدى المزهريتين.

وقرأت على تلك الصفائح ما يلي:

أنشئت دار العبادة تايلور كمأوى للمسافرين المتعبين، حيث كان بإمكانهم أن يتوقفوا ويستريحوا فيها خلال رحلتهم. وقد بنيت تكريماً لذكرى من توفوا في حوادث السيارات، وكمكان لتلقي العلاج. إننا لا نزال نتذكر أولئك الذين رحلوا عنا، والذين خطفهم القدر منا باكراً، والذين سيبقون في قلوبنا ما حيينا. ودار العبادة هذه تفتح أبوابها للعموم صباحاً ومساءً، وحتى أيام العطل، لأننا نتواجد هنا دوماً.

وهكذا عرفت سبب اختيار فينش لهذا المكان؛ فقد اختاره من أجل إليانور ومن أجلي، ومن أجله هو أيضاً لأنه كان مسافراً متعباً وبحاجة إلى الراحة. وفجأة انتبهت إلى شيء بارز من الكتاب المقدس، ثم اكتشفت أن به مغلفاً أبيض اللون، وعندها قلبت الصفحة، فوجدت أن أحدهم قد قام بوضع خط تحت هذه الكلمات: *"ثم ستشع بينهم كالنجوم في السماء"*.

أمسكت بالمغلف، فوجدت اسمي مكتوباً عليه: "فوق البنفسجية المتميزة".

فكرت في أن آخذ ذلك المغلف معي إلى السيارة لأقرأه داخلها، لكنني عوضاً عن ذلك جلست على أحد المقاعد، وشعرت بامتنان عظيم للخشب المتين والصلب الذي كان تحتي.

وهنا سألت نفسي: هل أنا مستعدة لمعرفة رأيه بي؟ أو لقراءة ما كتبه لي عن خذلاني له؟ هل أنا مستعدة لمعرفة مقدار الأذى الذي سببته له؟ هل أنا مستعدة لمعرفة كيف كان بوسعي- بل كان يتوجب علي- أن أنقذه لو كنت قد

انتبهت أكثر وقرأت اللافتات من دون أن أفتح فمي؟ كان يجدر بي أن أصغي إليه وأن أحبه بما فيه الكفاية، بل ربما أكثر مما أحببته.

بدأت يداي ترتجفان وأنا أفتح المغلف، ثم استخرجت منه ثلاث ورقات سميكة أخذت من دفتر للموسيقى، إحداها كانت مليئة بالنوتات الموسيقية، بينما الاثنتان الباقيتان كانتا تشتملان على كلام بدا لي ككلمات أغنية.

عندها بدأت بالقراءة.

أصبحت سعيداً معك،
حينما كنت معي كنت أحس بالأمان في ابتسامتك،
أصبحت وسيماً معك،
كلما أتلمس أنفي أشعر أنه أصبح أكثر استدارة
جعلتني شخصاً مميزاً، ويعلم الله كم كنت أتوق
لأن أصبح ذلك الشاب الذي تحولت إليه
جعلتني أحبك،
ويمكن أن يكون ذلك أعظم شيء قد قام به قلبي على النحو المناسب...

حينما وصلت إلى ذلك السطر كنت أبكي بصوت عالٍ وأنا أشهق، وكأنني حبست أنفاسي لفترة طويلة من الزمن ثم تمكنت أخيراً من استنشاق الهواء.

ومع ذلك تابعت:

أصبحت جميلاً معك، ومن الجمال أن يكون المرء جميلاً
مع الإنسان الذي يحبه...

وهكذا أخذت أقرأ الكلمات وأعيد قراءتها.

أصبحت سعيداً معك...
جعلتني شخصاً مميزاً...
أصبحت جميلاً معك...

أخذت أقرأ تلك العبارات وأعيد قراءتها إلى أن حفظتها عن ظهر قلب، ثم طويت الأوراق وأعدتها إلى داخل المغلف.

جلست هناك إلى أن نفدت دموعي، ثم بدأ الضوء يتغير ويخبو، وملأ وهج الغسق الناعم ذو اللون الوردي أرجاء دار العبادة.

كان الظلام قد حل حينما ركبت سيارتي وتوجهت إلى المنزل. وفي غرفة نومي، أخرجت الأوراق مرة أخرى، وعزفت النوتات الموسيقية على آلة الفلوت الخاصة بي، وسرعان ما وجد اللحن طريقه إلى عقلي فاستقر فيه وكأنه أصبح جزءاً مني، لدرجة أنني بقيت أغني تلك الأغنية حتى بعد مرور عدة أيام على ذلك.

لم يكن يحق لي أن أقلق لأننا أنا وفينش لم نقم بتصوير فيلم فيديو لجولاتنا، كما أنني تقبلت فكرة أننا لم نقم بجمع التذكارات من الأماكن التي ذهبنا إليها، أو أنه لم يكن لدينا ما يكفي من الوقت لنضيعه بأسره على ذلك المشروع بطريقة توحي للآخرين بأننا قمنا بشيء منطقي، بل كان ذلك خاصاً بنا فقط.

إلا أن الشيء الجديد الذي تعلمته هو أنه ليس المهم ما يأخذه المرء، بل ما يعطيه.

فيوليت

20 حزيران

كان يوماً حاراً ومشمساً من أيام الصيف، كانت السماء فيه صافية ومشرقة باللون الأزرق، لذا ركنت السيارة وصعدت السد، ثم وقفت لفترة طويلة على ضفة بلو هول المليئة بالأعشاب، وكان آخر شيء توقعته هو أن أراه.

خلعت حذائي وخضت في الماء، ثم غطست بشكل أعمق، وأخذت أبحث عنه وأنا أضع نظارة السباحة؛ بالرغم من أنني كنت أعرف أنني لن أجده، لكنني أخذت أسبح بعينين مفتوحتين، ثم صعدت إلى السطح تحت السماء الواسعة العظيمة، وتنفست بعمق لأغطس مرة أخرى، حيث غطست أعمق هذه المرة.

خلال عام 1950، كان الشاعر سيزار بافيس في أوج تألقه أدبياً، إذ أصبحت لديه مكانة رفيعة بين جميع أقرانه وفي بلاده، حيث أصبح أعظم كاتب إيطالي كان على قيد الحياة وقتها. إلا أنه في شهر آب من تلك السنة تناول جرعة قاتلة من الحبوب المنومة. وبالرغم من أنه كان يكتب مذكراته بشكل يومي، إلا أن أحداً لم يستطع تفسير سبب قيامه بذلك، حيث تتذكر الكاتبة ناتاليا جينزبيرغ ذلك الكاتب بعد وفاته بقولها: *"لقد بدا لنا حزنه كحزن فتى صغير، وكذلك كآبته الحسية الطائشة كانت تشبه كآبة فتى لم يختبر الواقع، بل عاش في عالم الأحلام القاحل والمنعزل"*.

كان يمكن لتلك الكلمات أن تكتب على شاهدة قبر فينش، إلا أنني كنت قد كتبت له ما يلي:

"تيودور فينش: كنتُ حياً، واحترقت بإشراق، ثم مت، لكن ليس كما يموت الناس، بل إنني بدأت أدور حولكم كما تدور الأساطير حول منطقة بلو هول، ولهذا سأبقى هناك على الدوام، من خلال ما قدمته ومن خلال الناس الذين تركتهم".

أخذت أخوض في الماء وذلك تحت السماء الواسعة المفتوحة والشمس وكل تلك الزرقة التي تحيط بي، فذكرني ذلك بتيودور فينش، كما كان أي شيء آخر يذكرني به، ثم أخذت أفكر في شاهدة قبري التي لم يكتب أحد عليها بعد، وفي كل الأماكن التي أريد أن أتجول فيها، وهكذا لم أعد أشعر بأنني متجذرة في ذلك المكان، بل أصبحت كالذهب أطفو، وشعرت بألف قدرة تجتاحني لحظتها.

رسالة من الكاتبة

كل أربعين ثانية يموت شخص منتحراً في هذا العالم، وكل أربعين ثانية يتحول شخص آخر إلى شخص وحيد عليه أن يتأقلم من فقدانه لمن يحب.

توفي والد جدي برصاصة أطلقها على نفسه، وذلك قبل أن أولد بزمن بعيد؛ إذ كان ابنه الأكبر- وهو جدي- وقتها في الثالثة عشرة من عمره، ولم يتمكن أحد من معرفة إن كانت تلك الحادثة مقصودة أم هي مجرد حادث. وبما أن أصول جدي تعود إلى قرية صغيرة في الجنوب، لذا فالجميع سكتوا عن الخوض كثيراً في ذلك الموضوع، بمن في ذلك والدة جدي وشقيقتاه. إلا أن حادثة الوفاة تلك أثرت على عائلتنا بشكل كبير على مدى أجيال.

ومنذ بضع سنوات انتحر شاب كنت أعرفه وأحبه، وكنت أنا من اكتشف ذلك، إلا أنني لا أحب الحديث عن تلك التجربة؛ حتى أمام المقربين مني. إذ لا يزال العديد من أفراد عائلتي وأصدقائي حتى اليوم لا يعرفون الكثير حول تلك القصة، هذا إن كنت قد أطلعت بعضهم عليها أصلاً؛ إذ كان من المؤلم بالنسبة إلي مجرد التفكير فيها والحديث عنها، وقد بقيت على تلك الحال لفترة طويلة، إلا أنه من الضروري أن نتحدث عما جرى.

أما في روايتي *كل الأماكن المشرقة*، كان لدى فينش قلق وخوف من الوصمات، إلا أنه ولسوء الطالع، ثمة الكثير من وصمات العار التي تحيط بعملية الانتحار أو الأمراض العقلية. إذ حينما توفي والد جدي سمع أهلي الكثير من الثرثرة من الناس. وبالرغم من أن أرملته وأولادها الثلاثة لم يتحدثوا عما جرى معه في ذلك الحين، إلا أنهم كان يشعرون بأن الناس قد أصدروا أحكامهم عليه وعليهم بشكل صامت، لدرجة أن المجتمع نبذهم بعد ذلك. هذا وكنت قد فقدت صديقي إثر حادثة

انتحار، وقبله بسنة فقدت والدي بسبب مرض السرطان، إلا أنهما كليهما كانا مريضين في الوقت ذاته، وكان الفارق بين وفاتيهما أربعة عشر شهراً. غير أن ردة الفعل تجاه مرضيهما وطريقة موت كل منهما كانت مختلفة تمام الاختلاف؛ إذ من النادر أن يقوم الناس بإرسال أكاليل الزهور حينما يكون المتوفى قد مات منتحراً.

وأثناء كتابتي هذه الرواية، عرفت الوصمة التي ألصقت بي؛ ألا وهي *الناجية بعد الانتحار*، أو *الناجية من الانتحار*. ولحسن الحظ، وجدت العديد من المصادر التي ساعدتني على فهم ذلك الشيء المأساوي الذي حدث وأثر ذلك فيّ، كما وجدت الكثير من المصادر التي يمكنها أن تساعد أي شخص، سواء أكان مراهقاً أم راشداً؛ ممن يعانون من جيشان عاطفي أو اكتئاب أو قلق أو تشوش عقلي، أو الذين تراودهم فكرة الانتحار.

غالباً ما تبقى الأمراض العقلية والعاطفية بلا معالجة، وذلك لأن الأشخاص الذين يعانون من تلك الأمراض يشعرون بالحرج من طرح مشكلاتهم، أو لأن من يحبونهم إما لا يرغبون في أخذهم إلى طبيب مختص أو يفضلون عدم الاعتراف بوجود تلك الأمور أصلاً. فبحسب ما أوردته مجلة أمريكا للصحة العقلية، إن ما يقارب مليونين ونصف المليون من الأمريكيين يعانون من مرض اضطراب العاطفة ثنائي القطب، إلا أن العدد الحقيقي لهؤلاء لا بد أن يفوق هذا العدد بضعفين إلى ثلاثة أضعاف، كما أن 80 بالمئة من هؤلاء الأشخاص إما يبقون بلا معالجة، أو يتم تشخيص الحالة لديهم بشكل خاطئ.

لذا، إن كنت تعتقد أنك تعاني من شيء ما، فما عليك إلا أن تتحدث عنه بصراحة.

فأنت لست وحدك.

ثم إن الذنب ليس ذنبك.

والمساعدة متوفرة للجميع.

مكتبة الرمحي أحمد

telegram @ktabpdf

تمت

كل الأماكن المشرقة

All The Bright Places

مكتبة ٢٨٥

تقف فيوليت ماركي على حافة برج الجرس في مدرستها على ارتفاع ست طبقات وقد تجمدت من شدة الخوف، بينما يقف تيودور فينش، الغريب الأطوار، على الإفريز القريب، ويُطمئنها قبل أن يصيبها الذعر، ويساعدها في النزول، إلى أمان الأرض. فيظن الجميع بأنها هي التي أقنعته بعدم القفز من الأعلى.

حتى الأمس القريب كانت فيوليت فتاة مرحة، غير أن وفاة أختها أثرت فيها بعمق ومحت الابتسامة عن وجهها. بينما يحمل فينش سمعة الفتى العنيف والمهووس والمتقلب. ولكنه منذ تلك الحادثة يتتبع فيوليت أينما ذهبت، حتى إنه يسجّل اسمها كشريكة له في المشروع المدرسي «التجوال عبر الولاية». وخلال تجوالهما في أرجاء ولاية إنديانا، تبدأ فيوليت بمعاينة معالمها السياحية البسيطة عبر عيني فينش، ليتحول كل موقع إلى مَعلم مميز وفريد. وهكذا، يتقمص فينش دور البطل، محاولاً التخفيف من تأثير وفاة أختها عليها. ورغم انطلاق فيوليت في رحلة التعافي من الحزن الذي مزقها وعزلها لحوالى السنة، إلاّ أن فينش يزداد وحدة واكتئاباً.

رغم صعوبة المواضيع التي تطرحها الرواية وحساسيتها، فإن سياق سردها الحزين يتدفق؛ رغم اضطراب بطليها وشعورهما بعدم الأمان، مما سيلقى قبولاً لدى المراهقين من القراء. كما أن فينش سيلقى بشكل خاص استحساناً من القراء سيستمر طويلاً بعد قراءة الصفحة الأخيرة.

صدرت للروائية جينيفر نيفين أربع روايات للبالغين وهي: **الشقراء الأمريكية**، **أن تصبح كليمينتين**، **فيلفا جان تتعلم الطيران**، **فيلفا جان تتعلم قيادة السيارة**، بالإضافة إلى ثلاثة كتب غير خيالية وهي: **ملك الجليد**، **وراية القرصان آدا**، **ومذكرات بحرية على الشبكة**: لمزيد من المعلومات عن الكاتبة، ما عليكم إلا أن تزوروا موقعها على الشبكة:

JenniferNiven.com أو GermMagazine.com أو أن تبحثوا عنها عبر موقع فيسبوك.

ISBN 978-614-01-1731-0

9 786140 117310

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
جائزة النشر والتقنيات الثقافية
2015

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic